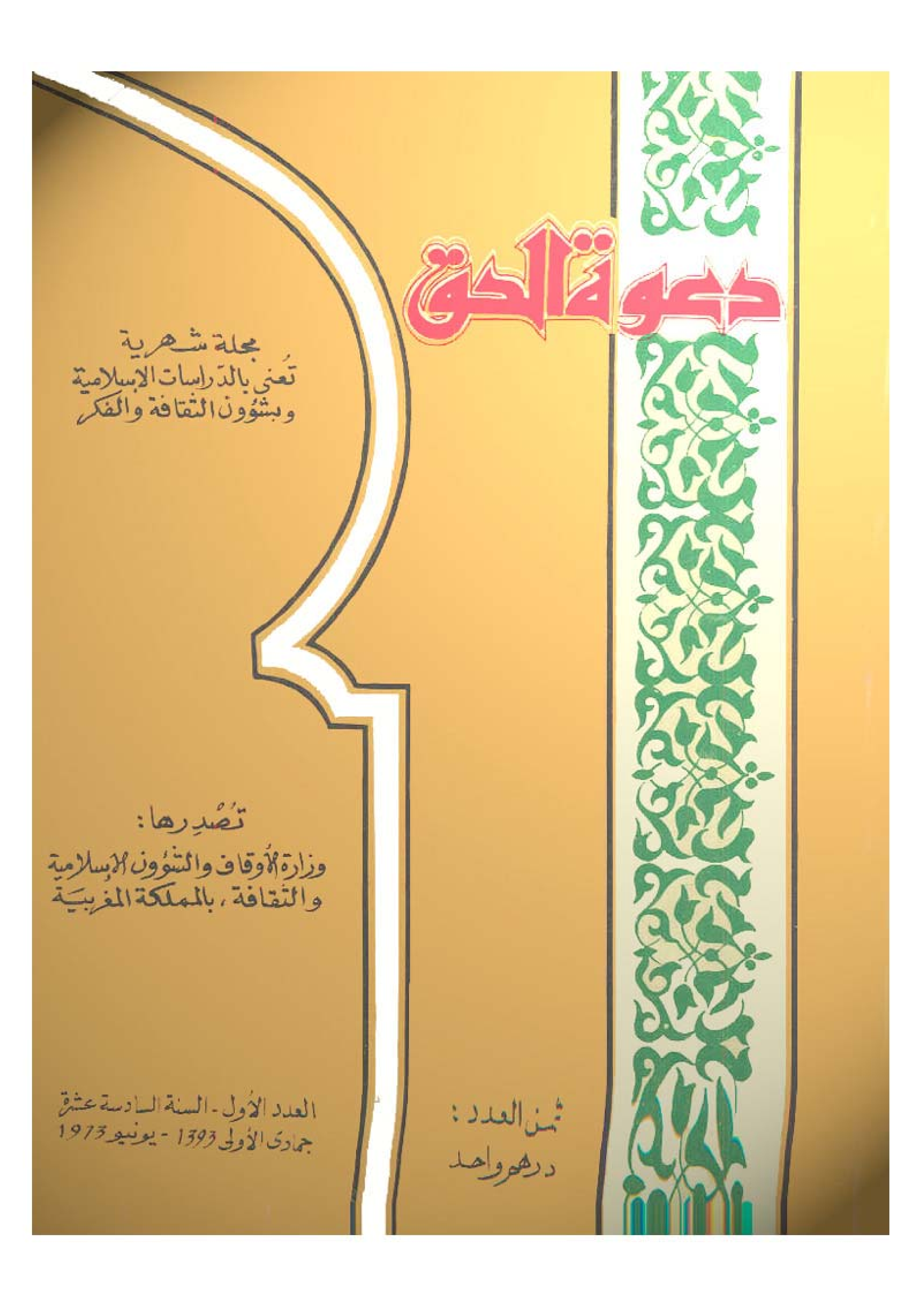

دعوة الحق
مجلة شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها :
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
والثقافة، بالمملكة المغربية
العدد الأول - السنة السادسة عشرة
جمادى الأولى 1393 - يونيو 1973
ثمن العدد :
درهم واحد

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد الأول
السنة السادسة عشرة
جمادى الأولى 1393
يونيـــه 1973
ثمن العدد : درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـأكثـــر .
السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حســـاب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغـــرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفـون 10.308 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد

عهد ... واستمرار ...

تستقبل دعوة الحق بهذا العدد سنة جديدة ، وهي بهذا تكون قد تخطت من عمرها المديد باذن الله خمسة عشر عاما كانت حقبة عمل متواصل ، زاخر بالنشاط، حافل بالعطاء لاشعاع فكري مخصاب يتغيا أداء الرسالة الاسلامية الصحيحة التى انتدبت دعوة الحق نفسها لها حفاظا على روح الاسلام فى هذه البلاد، ورعاية للاصالة الفكرية لهذه الامة ، واضطلاعا بالدور الكبير فى اثراء الثقافة المغربية العربية الاسلامية في مناخ تسمو به النفوس ، وتنهض فيه العزائم ، وتطيب معه الحياة بما تقدمه على صفحاتها من روائع الفكر ، وغلال المعرفة ... فكانت طيلة هذه الحقبة مجلة للنتاج الفكري ، المتفتح على الاحسن والاجمل والاجدى ، والمدرسة الرائدة الرافية ، الحافلة بالصمود والعطاء الذي أتاح لهذا الجيل الاسلامي نبعا دافقا صافيا يقبل عليه ، ومنهلا رقراقا ينقع غلته ، ومنارا كاشفا عن مخططات الاستعمار الرامية الى افساد عقيدة الامة ، ووأد أخلاقها ، وتدمير حياتها باشاعة ما شذ من أفكار ، وما انحرف من تصورات ، وما تحلل من اخلاق ... فبقيت هذه المجلة عملاقا لا تزعزعه الهزات ، ولا ينال منه ناعق او موتور ، ولا تاخذه الكوارث التى عصفت بمجلات أخرى ... فلم تهن لها عزيمة ، ولم يلتو بها طريق ...

ولسنا فى حاجة الى التنويه والاشادة بما كان لهذه المجلة الاسلامية منذ صدورها من أثر حميد فى النهضة الفكرية والادبية طوال خمسة عشر عاما سواء بالنشر او بالتوجيه أو بالتوعية ، او بما تقدمه من فيء وارف للطالبين ، وعناقيد شهية ناضجة للقاطفين ، هذا الى كونها ، وما زالت ، واسطة التعارف بين مفكري العالم الاسلامي وادبائه، حيث انطلقت منها اكثر الابداعات الفكرية فى عالمنا العربي والاسلامي ، ومنها كانت مسيرة الادب الصحيح فى طريقه الصاعدة ، أبدا ، الى حيث مواطن الخلق والابداع ..

لقد انبثقت منذ بدايتها معظم المواهب اصالة واعنفها التصاقا بواقع الوجدان الاسلامي ، والانساني المحض ، وجددت صلتها بالاقلام المنتجة ، والعقول الصافية النيرة ، وبالقراء المتعاطفين مع نتاج الفكر ، وثمار العقول ،

وشدت بين البلاد العربية والاسلامية بعرى الصداقة والاخوة والخير ، وأسبغت على الادب المغربي آلاء جديدة كلما حل الحول ، او مضى الآخر بسلام ... فكانت همزة الوصل بينهم ، ومنبرا لآرائهم ، وصوتا جهيرا ينافح عن الشريعة السمحة والمبدأ القويم ، وملاذ كل الشعراء والكتاب ، وميدانا رحب الحدود لاقلامهم ، تقرب ما بين افكارهم وآرائهم بفضل جهودهم الموصولة ، واخلاصهم الصادق ، وحبهم المكين ، ودأبهم الدائم الفريد ، على اقرار حياة فكرية على قواعد ثابتة ، واصول منتجة ... فالفت منهم اسرة واحدة ، وشدتهم رابطة الفكر والادب بحبل من مسد ...

وسعيا لاكتساب المواهب العربية والاسلامية الدفينة وابرازها لكي تاخذ مكانها الصحيح في مسيرة الحركة الفكرية في بلادنا، فقد فتحت هذه المجلة صدرها امام الشباب المسلم الطالع الذى يخدم الكلمة بتجرد واخلاص ، وشجعته فيما يقدمه من انتاج ناضج بقدر ما يؤهله استعداده الادبي والعلمي وفطرته وقدرته للاسهام في عالم الفكر ، دون ان تمايز بينهم بسبب من اسم براق ، او جاه عريض ، وثراء مستفيض ، أو قرابة واشجة بطبقة معينة في الاوساط، او انتماءاتهم لهيئة من الهيئات ... بل كان مقياسها الوحيد الذى تزن به الادباء هو انتاجهم وتواجدهم مع الفكرة الاسلامية الصحيحة ، واسهامهم في الحقل الادبي الذى يتسم بوضوح الطابع ، وسيادة المنهج النقدي الفني الاصيل .. فكانت منصة زاهرة للحرف الملتزم بالقصد ، البعيد عن مزالق البهرجة الفارغة التى تبيح لاصحابها كل الغث الكثير ، والسمين النذر .. وكانت ، ايضا ، النبراس المضيء ، والامل المرجى ، والكوكب المتالق في سماء العروبة والاسلام ، ودروب الحضارة المزدهرة التى نامن فيها الشرور والانحراف، ونتقي الزلل والاعتساف .

— ◆ —

وليس جهاد الابطال في ساحات القتال بأعظم شانا من جهاد العلماء المخلصين الاوفياء الذين يجزلون بالعطاء ، ويجودون باقلامهم دون كلالة او ملالة في دنيا العلم والفكر ، اذ رسالتهم ابعد مدى ، وابقى أثرا ، وأصدق قيلا ، لانها تبرز الصور الاسلامية الجميلة ، والمواقف الحاسمة لرجالات الاسلام ، وتشرق بانوار المعرفة التى لولاها لظلت المعارف مغمورة مطمورة ، فبالايمان الصبور ، والعزيمة القوية ، والنفس الطويل ، والتضحية المسؤولة بقيت هذه المجلة المجاهدة تجتاز خمسة عشر عاما ، وهي اقوى ما تكون شبابا وحيوية ، ولما تزل قوية الوهج ، سخية العطاء ، مستقيمة النهج والفرض ، سالكة سبيل الصدق في القول ، والامانة للجمال ، والغيرة على الادب الصحيح والبحوث النافعة التى تدبجها اقلام العلماء والادباء والمفكرين في شتى الديار والامصار لترسلها منمنمة فواحة الشذا ، عذبة المورد الى قرائها المنتشرين في كل مكان من انحاء العالم الاسلامي ، وستبقى دائما وابدا ، باذن الله وعونه وتوفيقه ، للدارسين نبراسا ، وللباحثين منارا هاديا للثقافة الرفيعة ، والادب الحي ، لانها تستمد ضياءها وقوتها من الينبوع الثر الذى يوزع الخير حيث يجري ، والمنبع الاصيل الذى لا يضل من اتبعه ، ولا يزيغ عنه الا هالك ...

ان الفكر الاصيل ، ودعوة الحق ، والراي الرشيد ، والتجاوب الحلو ، والادب الحقيقي الصريح البعيد عن كل تزمت بغيض ، ونقد جارح ، احوج ما يكون

فى هذه الايام ، التى تزخر بالدعوات الهدامة ، والافكار الدخيلة ، والتيارات المسمومة ، الى سدنة حقيقيين من حملة الرسالات الخالدة ، ومنافحين على الفكرة والعقيدة كأصدق ما تكون عليه المنافحة الشريفة المومنة اذا أريد لهذا التراث الخالد ، والادب الاسلامي أن يعمر طويلا وسط الانواء والاعاصير ، والتيارات والافكار المنحرفة التى طغت فى عصر مادي يتعبد الناس فيه امام محاريب الوثنية والالحاد ، والطواغيت والاصنام ...

ولئن قدر لهذه المجلة من نجاح وتوفيق ، وذيوع وانتشار ، فمرد ذلك يعود اولا وقبل كل شيء الى المصلح النصوح ، والمجدد الرائد ، صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله الذى حقق فى أيامه المعجزات ، وصنع فى تاريخ امته وبلاده منجزات وآيات ، فالتفت له الدهر ما استحق به اعجاب العالم ، وثقة الانسانية بأسرها ، وأجرى الله على يديه ، لفائدة الاسلام والمسلمين ، خيرا كثيرا لا ينقطع ، ومعينا فائضا لا ينضب ...

واننا لنحمد الله على ان بلغت هذه المجلة فى عهده الزاهر الشاو البعيد ، والصيت الحميد ، والمقام المرموق ، والمركز الموموق ، فقد دفعها ، حفظه الله ، بكفاحه المشرف لنصرة الاسلام ، وتثبيت مكارم الاخلاق ، وتركيز الفضيلة فى جميع مملكته ، وحفزها بعطفه وتشجيعه ، وحدبه ورعايته لتاخذ مكانتها ، وبفضل جلده النبيل فى مسيرته الطويلة عبر الصعاب والعقاب ببطولة المجاهد العنيد فى جهاده ، والفدائي المومن برسالته الذى يسير على درب الحق والقوة والجمال ... فاليه يعزى ما حققته هذه المجلة من نجاح ، وينسب الفضل ، ويزجى كل شكر ...

فانه حفظه الله ما تقاعس ولا توانى ، والايمان هطال يزرع النصر فى خطى اقدامه ، فى تشجيع رجال العلم ، واكرام الفكر ، واكبار للمعرفة وتركيز الحضارة الاسلامية على دعائم ثابتة موطدة الاركان ، واعزاز الروح المغربية الاصيلة الباقية على الزمان ...

— ◆ —

فلتعد لي رصيدنا الزاخر بالقوة والعزة والمنعة والمجد ... ولنرجع الى ذلك الايمان الراسخ المتين الذى صنع الابطال ، وزلزل الجبال ، وواجه الاعداء فاذابهم ، وزجر المستكبرين فاصمهم وأعمى ابصارهم .. ولنفش ساح الاسلام الضامن الزعيم الكافل بالانتصار فى كل معركة ، والذي لا يخون عند الشدائد ، ولا يهون عند الامتحان ، ففيه العلاج الناجع لكل قضية ، والحل الحاسم لكل معضلة ، والبلسم الواقي لكل داء وبلاء حتى نعود الى غابر الايام التى كنا فيها سادة الدنيا ، وقادة الامم حيث كان صوتنا فوق كل صوت فى العالم ، تهابنا الدول الكبرى ، وترهبنا الامم والشعوب ، وبرتعد منا الجبابرة الاقوياء ، ولا يتحيف اطراف ارضنا العربية ظالم او جائر ..!!

ان العالم الاسلامي على ضعفه وتخاذله وانحلاله وعدم تضامنه والذى يعيش فى خضم من الشذوذ والانحراف ران على القلوب ، واستولى على الحس ، وختم على الافئدة والسمع لمستعد كل الاستعداد لو توفر له القادة المخلصون الصادقون المجاهدون المضحون المؤمنون ليكون ذلك العالم الاسلامي السليم

القوي الدافق بالحياة الذى يصح الاعتماد عليه فى حل معضلات اليوم ، ومشكلة الانسانية كلها ..

واننا لنذكر بكل فخر واعتزاز تلك الكلمات الداعية الواعية التى شقت طريقها الى القلوب المؤمنة والتى توجه بها عاهلنا المسلم فى احدى توجيهاته السامية الى الشباب المغربي الذى يريد حفظه الله أن يكون منه جيلا مسلما ملتزما قوي الايمان والعقيدة ، أصيل التفكير ، وأسع الاطلاع ، لا يجرفه تيار المادة ، ولا تسحره طلاوة الغرب ، ولا تسبيه طراوة المخنثين :

اننا جربنا كثيرا من الشعارات والفلسفات، والشارات والنظريات، واطلعنا على مذاهب من شتى الجهات، وعرفنا الاشتراكية الغربية والشرقية وخبرنا ما عندالدول الكبرى والدول الصغرى ، والدول الاشتراكية والدول الرأسمالية وصادقنا زعماء العالم ، وزعماء العزة ، ورجال القلم والعلم ، واصحاب السلطة والحكم ، وتنازلنا من منصبنا عن مركز القيادة والريادة ، علنا نجد انفسنا الضائعة ! فلم يغن كل ذلك عنا فتيلا حينما جد الجد ، وواجهتنا الخطوب ، واحمرت الحدق ، وحمي الوطيس ، واشتد الباس .. فخسرنا ساعة الامتحان .. ولات ساعة مندم !..

فلم أر غير حكم الله حكما ولم أر دون باب الله بابا

فلنجرب الاسلام ، ونطبق اصوله ومبادئه ومناهجه فى انفسنا ومعاملاتنا وعاداتنا ... ولنقبل على تعاليمه السامية ، وأصوله العامة .. ولنول وجوهنا الى الحق سبحانه ليمدنا بالعون ، ويوثرنا بالمؤازرة ويربط على قلوبنا ويثبت أقدامنا ..

فمن يسلم وجهه الى الله، وهو محسن، فقد استمسك بالعروة الوثقى ..

— * —

وعودا على بدء ، فاننا ، ومجلتنا تودع سنة وتستقبل اخرى ، نعبر مرة أخرى عن شعور الاعتزاز بالله الذى ألهمنا الرشد ، ومهد لنا الطريق ، وأمدنا بالعون والسداد ، واوزع كتابنا وعلماءنا فى الشرق والغرب الذين يجودون بزبدة قرائحهم ، ولا يضنون علينا بما عندهم من علم ... فلهم منا أجزل الشكر، وأعطر الثناء ، وأخلص التحيات الزكيات ..

وعلينا أن نبذل ما استطعنا فى نصرة دعوة الحق ، ما عز وجل ، فى سبيل تحرير النفوس والعقول من عقد النقص ، وما علق بها من تقصير وتخلف ، ونفتح أبواب المعرفة حرة طليقة على مصراعيها ، ونضاعف الجهد والونى فى سبيل اعزاز الثقافة المغربية والحضارة الاسلامية ..

ولنا مع كتابنا الاوفياء وقرائنا الكرام عهد التزمناه على ان نسير فى الدرب القويم والخط السليم الذي رسمه لنا اسلامنا الصحيح ودينا الحنيف وان لا نخيس بـه ..

ولله علينا أن لا يحله الا خروج النفس ، او نكول العافية ...

دعوة الحق

رسالة جلالة الملك الحسن الثاني

إلى مؤتمر القمة الإفريقي المنعقد بعاصمة اثيوبيا

بعث جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله الى مؤتمر القمة الافريقي الذي انعقد بالعاصمة الاثيوبية (اديس ابابا) اواخر شهر ماى 1973 برسالة يستعرض فيها المكاسب والانتصارات التي احرزت عليها منظمة الوحدة الافريقية خلال الفترة التي تراس فيها جلالته منظمة الوحدة الافريقية.

وبعد أن تلا رئيس الوفد المغربي صاحب السمو الملكي الامير مولاي عبد الله التقرير الخاص بنشاط المنظمة خلال الدورة المنصرمة التي كان يراسها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله صادق المؤتمر بالاجماع على قرار برفع شكر المنظمة الى رئيسها السابق جلالة ملكنا الهمام على المجهودات الجبارة والاعمال الجليلة التي قدمها لقضية الدول الافريقية ومشيدا بالمبادرات البناءة والقرارات الفعالة التي اتخذها وقد صيغ القرار فى عبارات كلها امتنان لجلالة الملك وتنويه به.

فلاول مرة تصادق المنظمة على قرار من هذا القبيل وخصوصا فى غيبة الشخصية التي يوجه اليها التنويـــه.

وخلال الجلسة الختامية لمؤتمر القمة الافريقي نوه جميع الخطباء الذين تناولوا الكلمة بالدور الذي قام به صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني خلال فترة رئاسته للمنظمة الشيء الذي مكن من خلق روح اديس ابابا التي اعقبت روح الرباط.

وقد تدخل السيد وليام طولبير رئيس جمهورية ليبيريا فقال بصفة خاصة اني أرغب فى أن أضم صوتي الى أصوات زملائي واخواني الذين نوهوا من قبلي برئيسنا السابق صديقي وأخي صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب نظرا للخدمات التي قدمها بتفان الى منظمتنا وانتا نشكره خالص الشكر على خدماته، كما اننا على يقين بأن الخبرة التي أبداها جلالة الحسن الثاني خلال مدة رئاسته تعتبر مساهمة فعالة فى حياة منظمتنا ومستقبلها فى السنوات القادمـة.

وقال الرئيس وليام طولبير اننا لنأسف كثيرا لعدم وجود جلالة الملك الحسن الثاني شخصيا فى هذه الدورة الخالدة لكننا على يقين من أن جلالته مع ذلك يوجد بيننا بقلبه كما اننا معه بقلوبنا.

وقد وافق مؤتمر القمة الافريقي على الاقتراح المغربي الرامي الى ايفاد اربعة وزراء أفارقة للدفاع عن قضية الشرق الاوسط امام مجلس الامن الحالي لمنظمة الوحدة الافريقية الدولي والى انتداب الرئيس للدفاع عن وجهة نظر منظمة الوحدة الافريقية فى الموضوع امام الجمعية العامة للامم المتحدة.

قال صاحب الجلالة مولانا الحسن الثانـــي فى خطـابـــه :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

صاحب الجلالة
اصحاب الفخامة
اصحاب السعادة
حضرات السيدات والسادة

كان بودنا أن يكون حضورنا بينكم فى أفـــراح الاحتفال بانصرام العشرة سنين الاولى على تأسيس منظمتنا وفى هذا الاجتماع الذي تعقدونه للتحـــاور والتشاور والتخطيط والبناء حضورا لا يتمثـــل فى مشاعر الارتباط وعواطف التضامن وحسب، وانمـــا يتجلى فى أكمل مظاهره، وأشمل صوره، بالوجـــود بينكم بالقلب والجسم، والمشاطـــرة بالوجـــدان، والمشاهدة والعيان، والمقاسمة فى التفكير والتدبير، ولئن حالت بيننا وبين ما كنا نبتغيه من هذا الحضـــور الاكمل الاوفى، ظروف استوجبت بقاءنـــا فى أرض

مملكتنا ، فاننا لنأمل أن تعتبروا ما نشعر به من أسف شديد بسبب غيابنا ، وخلو مكاننا بين اخواننا القادة والرؤساء ، آية من آيات التضامن الذي يشدنا اليكم ، كما نأمل أن تستنتجوا من مشاركتنا لكم في الفرح الشائع في نفوسكم بما وفقت اليه منظمتنا من ألوان التوفيق ، وفي الاهتمام الكبير المصروف منكم الى قضايا الحاضر والمستقبل ، الدليل القاطع على متانة الاواصر الجامعة بين مملكتنا وباقي الاقطار الافريقية . .

على اننا أبينا، انطلاقا من هذه الروابط والاواصر، الا أن نسهم في الاحتفال والاعمال على السواء بهذا الخطاب الذي يجسم بعض التجسيم الحضور الذي كنا نريده ، وبالوفد الذي أسندنا اليه النيابة عنا فيما أنتم منصرفون اليه ، من تنويه بالخطى الايجابية التي خطتها منظمتنا ، ومن وضع للخطط الكفيلة بتحقيق الآمال الواسعة التي تعتلج في قلوب شعوبنا حيثما كانت هذه الشعوب من أقطار قارتنا .

صاحب الجلالة

أصحاب الفخامة

أصحاب السعادة

حضرات السيدات والسادة

لقد انصرم عام ، أو كاد ، على اجتماع منظمتنا الذي كان لعاصمة مملكتنا شرف ايوائه واحتضانه ، وها نحن نجتمع اليوم من جديد في عاصمة المملكة الاثيوبية ، مقر المنظمة الدائم ، احتفاء واحتفالا بقطع مرحلة حافلة من مراحل هذه المنظمة ، وبالتأهب لدخول في مرحلة أخرى ، نرجو أن تنطبع بطابع الاسترسال في التحقيق والانجاز ، والفاعلية والايجابية، والاستمرار في ابتناء الجاه ، واقتناء الوزن ، واكتساب الشأن الرفيع ، والكلمة النافذة ، وما كان لمنظمتنا أن تطوي صفحة المرحلة السالفة ، وتستعد لخوض المرحلة المقبلة ، دون تصويب النظر الفاحص الى سجل المساعي المباشرة ، والاعمال المزاولة خلال السنة الاخيرة من الشوط الذي نحتفل في هذه الايام بانتهائه ، ونفوسنا مغمورة بمشاعر الابتهاج والاعتزاز .

وان من بواعث مسرتنا أن نضع اليوم بين ايديكم في صورة تقرير سجل المساعي والاعمال التي قمنا بها ، أو باشرناها منذ أنطتم بنا شرف رئاسة المنظمة ، وستقفون من خلال هذا التقرير ، على مدى الجهود المبذولة ، وعلى طبيعة النتائج التي أسفر عنها الاهتمام الموصول ، والاعتناء المكفول . فلم تخل السنة المنصرمة من مشاكل اتسمت أحيانا بالحدة ، ولم تسلم من أزمات هوجاء ، ولم تصف سماؤها من بوارق نكداء ، فانصرفت الجهود الى تبديد السحب المتلبدة ، وفض المشاكل القائمة ، واستئصال اسباب التأزم العارض ، وبواعث التوتر الطارىء ، فان كان في هذه الجهود ما هو جدير بالاستصواب والاستحسان ، والتحبيذ والتقدير ، فان فضل كثير مما هو موصوف منها بالصواب ، ومنعوت بالسداد ، ومقرون بالتوفيق، يرجع الى ما لمسناه خلال السنة الفارطة ، من رغبة صادقة في التيسير ، واتضح لنا من تفهم وتفاهم ، وصح عندنا من حرص قوي على المساعدة والتأييد ، فالى جميع اخواننا من القادة الافارقة ، الذين ساندوا جهودنا ، والى السادة أعضاء جهاز الامانة العامة ، وفي طليعتهم الامين العام لمنظمة الوحدة الافريقية ، الذين اجزلوا لنا عونهم الثمين ، نزجي آيات الشكر الوافر ، وعبارات الثناء العاطر .

لقد شقت منظمتنا طوال العشر سنين الماضية طريقها في خضم الاحداث التي منيت بها أجزاء من العالم ، وقطعت هذه المسافة من مسيرتها تكتسب يوما بعد يوم قوة وأيدا ، وتضطلع حينا بعد حين بالدور الذي رسمته لنفسها ، وتحقق الاهداف التي كانت داعية لوجودها ، وأساسا لانطلاقها ، وأخذت تتبوأ على مر الايام والاعوام ، المكانة المحفوفة بهالة الوجاهة ، الموسومة بسيماء الاحترام ، ولم تبلغ منظمتنا ما بلغته في هذا الظرف الوجيز من الزمن ، الا لان أبناء القارة الافريقية الذين شحذتهم المكابدة والمعاناة ، وعركتهم صروف الدهر ونوائبه ، واسترخصوا كل نفيس ، وان جل وعز ، في سبيل ما آمنوا به من مثل وقيم ، أرادوا أن تتكافل عزائمهم ، وتتوافق مشيئاتهم ، وتتلاقى جهودهم ، في اطار يجمع الشتات ، ويوحد الصفوف ، ويضع معالم الطريق ، ويتخذ عند الاقتضاء المواقف التي يمليها الحفاظ والاباء ، والانفة والاستنكاف . ولم تظفر منظمتنا بالجاه الذي ظفرت به ولم تصبح لها الكلمة المسموعة الا لان أبناءها الذين حنكتهم التجارب ، وأرهفتهم المكاره، وقادتها وزعماءها الذين تمرسوا بالنضال ، وامتازوا بالجد والحصافة ، وأسلست لهم المزاولة قياد التصريف والتدبير ، قد نفذوا بثاقب بصائرهم الى أسلم طرق التوجيه ، وأحكم أسباب التقويم والتقدير ، وها هي منظمتنا الفضة الشباب ، الحكيمة الرزينة التي غدت ملتقى الاقطار

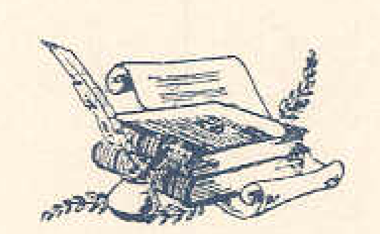
الافريقية ، وحلبة يتبادل اقطاب هـذه الاقطـار فى ساحتها الآراء والافكار ، ويتحاورون ويتشـاورون ويعكفون على المشاكل ، ويستنبطون الحلول ، ويوفقون بين وجهات النظر ، ويضعون خطط التعاون والتكافل ، ويعززون الجهاز الاصلي بالمؤسسـات الفرعيـة ، ويستهدفون انشاء الاتحادات المختصـة المتعـددة ـ ها هي منظمتنا ـ تناضل باستمرار ، من أجل تحرير الشعوب الافريقية الخاضعة لحـد الان للسيطـرة الاستعمارية ، وتكافح ذلك الداء الوبيل ، الذي يتمثل فى الميز العنصري القائم على الاستعلاء والاستكبار ، وها هي منظمتنا يتجاوز اهتمامها مصالح الشعـوب الافريقية الى مصالح الامم التي تعرضت الى ضروب العسف والعدوان ، وأصيب أفرادها بشر ما تصاب به الخلائق من صلف وكبرياء ، وتشريد وتبديد ، وتنكيل وتقتيل ، وها هي تتخطى المشاكل الجهوية ، والازمات الاقليمية، لتعنى بالانسان حيثما كان، والبشر حيثما حل وانتشر ، وتجتهد اجتهاد المخلصين ، ليستمتـع بالسكينة والطمأنينة ، ويستبشر بالامن والسلام .

وإذا كانت منظمتنا قد بذلت فى أثناء الحقبة المنتهية جهودا كريمة فى ميادين مختلفة ، وأفضت جهودهـا هذه الى حظ غير يسير من النتائج المرضية ، فانها لم تبلغ من أمانيها وأهدافها جميع ما كانت تتطلع اليه وتتوق ، وما كان لمنظمة كمنظمتنا آثرت ركوب السبل العسيرة الشاقة ، أن تظفر برغائبها فى ظرف قصير ، وتحقق جميع الآمال المعقودة بها ، والعقبات القائمة فى وجهها عقبات كأداء . !!

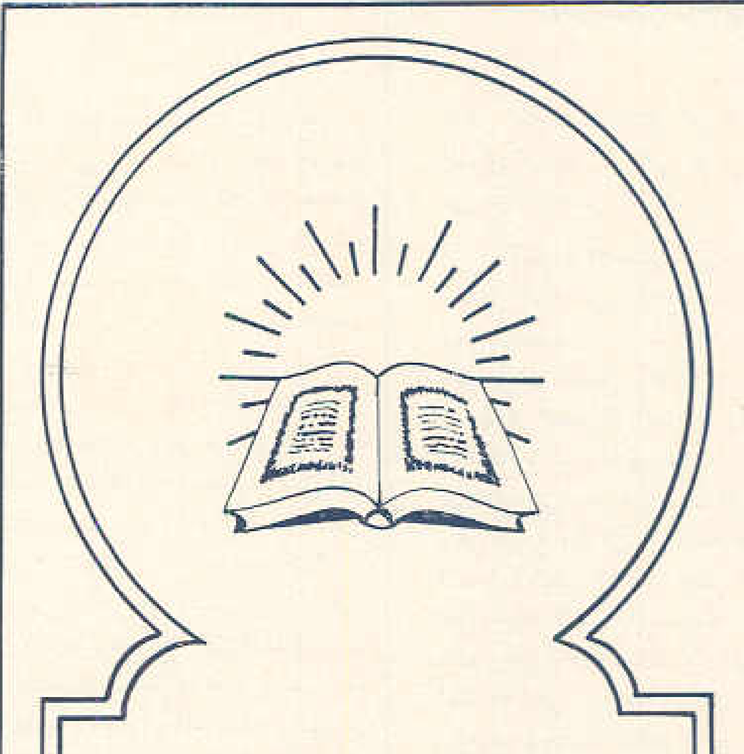
وان هذه الآمال التي تنيطها بمنظمتنا شعـوب قارتنا ، مثلما تنيطها امم وشعوب أخرى أدركت مـا يستهوينا من مطامح ، ويحفزنا من مثل عليا ، لاكـرم علينا من أن تبوء بالخيبة ، وتمنى بالارتكاس .

وما أحرانا أن نزيدها اشراقـا الى اشـراق ، وأجدرنا أن نشيع المسرة فى النفوس المتطلعـة ، ونحيل الاحلام المستبشرة المتفائلـة ، الى حقائـق مستطابة وواقع محبوب ، وليس بيننا وبيـن هـذا التطوير وهذا التحويل الا أن تتوافر لنا أسباب القـوة المادية والمعنوية ، التي تقام لها الاوزان ، ويقاس بها الرجحان فى هذا العصر الموكل بالمقاييس والمعايير ، وتلك غاية تقتضي أن نحقق النماء لاقطارنا بالتسخير الحكيم،والتعبئة الرشيدة لمقدراتنا وامكاناتنا الوفيرة، كما تقتضي ترصيص الصفوف ، وتكتيل الجهـود ، وتوحيد الكلمة ، والنزوع عن كل ما من شأنه أن يفت فى الساعد ، ويوهن العزائم ، ويفـري الخصـوم بالاستخفاف والطمع فى تمديد الاستحواذ والاستيلاء !!

وان أعظم رجاء يطفح به الفؤاد فى هذه الآونـة التاريخية ، أن نقطع أشسع المسافات فى مقتبـل المراحل ونبلغ أغلى الاهداف ، وأقصى الغايـات ، ونعزز مكانة قارتنا بين القـارات ، ومنظمتنا بيـن المنظمات بتوالي الخطـى الايجابيـة ، واتصـال المكتسبات ـ لقد أدركنا الكثير وبقي علينا أن ندرك الكثير وليس بالعزيز ولا بالعسير ، على أمم وشعوب خاضت معارك التحرير ، وانتصرت بعد الكفاح المرير ، أن تكسب جولة ما نتوخاه من مصير ..



دراسات إسلامية



* نعود الى التأميم .. والعود أحمد
* رد على الاستاذ الرحالي الفاروق ، أو مجتمع بدون ضرائب
* التصور الاسلامي للحياة الحضارية
* فلسفة الاسلام المالية .. وسياسته النقدية
* الصحافة الاسلامية التي نريد
* العلم الاسلامي .. وحاجة الانسان اليه
* الشيخ عبد الحميد بن باديس
* الله : الحقيقة الكبرى
* بناء الانسان المسلم العربي في مواجهة الاخطار
* هل اختلاف امتي رحمة ... حديث ؟
* القراءات القرآنية واللهجات العربية
* موقف اليهود العدائي من الرسول الكريم



للأستاذ الرحالي الفاروق

من المشاكل التي طرحت نفسها امام النظر الاسلامي ـ مسألة التاميم التي أوشكت ان تأخذ طريقها فى حياة القوم ، وهي مسألة تناولتها الاقلام واختلفت فى وجه حكمها الافهام ، واصل اثارتها جاء من الشام ، وكنا قد ارتبطنا فى هذه القضية بمقال نشر فى العدد الرابع من مجلة دعوة الحق ، ولا باس ان نعود بايجاز الى تأييد ما كتبناه سابقا ، وتأكيد ذلك الموضوع الهام الذي بحثنا صفته الشرعية ، ومصلحته الاجتماعية ، والذي تبنته السياسة التقدمية ، وهو موضوع رسمه المذهب الشيوعي من قبل ، واشاعه النظام الاشتراكي من بعد ، اذ ما عرف التاميم بصورته الحالية الا من تلك الجهة البعيدة التي لا تتجاوب مع طبيعة النظام الاسلامي ، وهو الذي ينفي التحريج والتضييق ، ويكره التبعية والتصفيق ـ ولا تتناسب مع ذلك المذهب القاضي بتوزيع العمل وتحديد المسؤولية ، وتعبئة الطاقات وتجميع القوات ، واحترام الحقوق والميول والحريات ، حتى يتم النشاط والحماس فى عمل الافراد والجماعات .

ومن المفهوم ان الانسان اذا احس (وهو الحساس) ان جهوده معرضة لسلطة التاميم المتعارف ، وانه لا يستفيد بحرية مما كسبه بكده وجده ، واصابه بعرق جبينه ، وانما هو بمثابة الخديم المجرد من حريته ومادته تنكر قلبه للحياة ، وتكدر نشاطه فى العمل ، وتأخر اخلاصه للانتاج ، وهذا شيء ثابت بحكم العقل المجرد ، وبحكم العادة والطبيعة ، ولكن قد قال صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث الصحيح : لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن ، ولا محالة ان يقع ما اخبر به صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » وذلك ما نلحظه ونشهده فى هذا العصر بالذات .

فحرية الاختيار شيء طبيعي فى حياة الانسان ، وعامل قوي فى نجاح أعمال التربية واشغال التنمية ، ومن المصلحة ـ مراقبة الدولة لشؤون الاجتماع ، وتنشيطها للعمل والانتاج بواسطة التوجيه والتنويه ، وباعتبار المعونة المادية والفنية من دون تسليط ولا تخليط ، فان ادنى شيء يزاحم حرية الانسان ينال من ارادته وعزيمته ، ويترك اثره فى السعي والشغل ، وفى الربح والاكل ، ويشد هذا ويقويه ما نراه من كارثة المجاعة التي يتخبط فيها اليوم النظام الاشتراكي نفسه مع وجود الكثرة البشرية ، والقدرة الفنية والتقنية ، ومع رجوع العالم الثالث اليه فى هذه الناحية ، تلك الكارثة التي تهولها وسائل الاعلام ، والتي يساهم فى تخفيف وطأتها النظام الاخر الذي يظهر انه احسن حالا فى جملته ، من النظام الذي يجمع المال تحت سلطته ، فأين هو ذلك النظام الذي يضمن لمواطنيه كسرة الخبز ولقمة العيش ويحفظهم من عاقة الجوعة والضيعة .

ومن الواجب علينا نحن المسلمين الذين نتوفر على نظام اقوى واسمى ، وعلى ثروة تسع الدنيا والاخرى ، وان كان مستوانا دون ذلك النظام بكثير ـ اذ اوقع بحث قضية من القضايا المستحدثة عند الاجانب ان نكون ـ ممن يجيد النظر ويحسن التصرف فى تاويل النصوص الشرعية ، وتصوير الدلائل العقلية ـ وممن يتثبت امام النظريات الهادفة ، والتيارات الجارفة حتى لا تهزمنا وتفقدنا وعينا فنرى انه ليس فى الامكان ابدع مما كان ، ثم نندفع وراءها مسرعين ومبررين ذلك ـ بأن الزمان يتقدم ، وان

الاحداث تتجدد ، وان المصالح تتغير ، وان النـــاس يتقدمون ونحن نتأخر ، فهذا كله حق وصدق ، وتاريخ جار وواقع ، ولكنه لا يدفعنا ان نسير في غير دربنا ، ولا ان نكون امعة لغيرنا ، وانما يلزمنا ان نتحزم ونتقدم تقدما سليما ، وان نتعلم ونتصرف تصرفا مستقيما ، على ضوء فلسفة الاسلام ، وطبيعة النظام ، لا ان ناخذ ما عند الغير وننسبه اليه ونحمله ما لا يحمله في الظاهر والباطـــن .

على ان ماخذ التقدم ومناهج التطور غير محدودة ولا محصورة ، فلكل طريقه في الحياة والحضــــارة ، واسلوبه في البحث والتنقيب ، والاسلام قائم في كل زمان ، وعامل في كل ميدان ، وقـــادر على البنـــاء والترصيف ، والوفاء للحياة بالجدة والتكييف ، بما معه من المقومات الطبيعية ، والعناصر الحيوية ، التي ترفع من قدر وشأن البشرية ، في كل مقام من المقامـــات الحضارية ، اذا توفر على رجال قوامين مخلصيـــن ، وصالحين ، وكل نظام مهما سما ، فانه دون نظـــام السمـــاء .

لقد كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد خلفائه الراشدين ــ اغنياء واقوياء ، وفقراء وبؤساء ولم يفكر ولا واحد منهم في تأميم املاك الاغنياء ولا في اخذ شيء منهم بالغطرسة والقوة ، وانما فرض للضعفاء والمحرومين حقوقا في اموال الاثرياء ، ورغب كثيرا في الصدقة والنفقة ، وشرع الكفارات والاوقاف والضيافات والضحايا والهدايا والوصايا ، ليعود بذلك كلــــه على المحتاجين ويدفع به ضرورة المضطرين ، وهذا كله في الاحداث الجارية والعادية ، لا في الظروف القاسية والاستثنائية ، اذ الضرورات لها في الاسلام احكـــام تخصها وتدفعها .

اما الملكية فقد احترمها الاسلام ، وبنى عليهـــا كثيرا من الاحكام ، وليس لغاصب ولا لذي عرق ظالم حق في اموال الناس ، ولقد قالوا : العروق اربعـــة ، عرقان ظاهران : البناء والغراس ، وعرقان باطنان : المياه والمعادن ، واما ذوو الغصب والتعدي من الاقارب ومن الاجانب ، واما الاراضي الفاضلة عن اصحابهـــا والزائدة على حاجة اهاليها ، او الذين لا قدرة لهم على معالجتها واستغلالها ، واما مصادر ومنابع الطاقـــة الكبرى ــ فمرجع ذلك طبعا الى نظر الامام ، ومصرفه شرعا الى الصالح العام مع اعتبار ما يجب اعتبـــاره ، واما القضاء على الخاصة بحكم العامة فذلك نظر آخر ومجالـــه رحب وواســـع .

وليس بعاقل من يريد ان يحتكر العلم لنفسه ، او ان يكون تأويله اولى من تأويل غيره ، فان العقـــول والحظوظ متفاوتة ، وان الملكات والاستعدادات مختلفة ، وانه فوق كل ذي علم عليم ونهاية العلم الى الله العلي الحكيم ، الا انه لا ينبغي لنا ان نتعجرف ونتكبـــر على ءابائنا فان الآباء خير من الابناء الى يوم القيامة بشهادة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : خيركم قرنـــي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، فقرن الصحابة رضوان الله عليهم خير من قرن التابعين ، وقرن التابعين رضي الله عنهم خير من قرن التابعين لهم ، وهكذا قرن ابي عبيد القاسم بن سلام ، وقرن ابي اسحاق الشاطبـــي رحمهما الله تعالى افضل من العصور الباقية واقرب منا الى فهم الشريعة ، وكذلك عصر هذا الجيل خير من العصر الذي ياتي وراءه مهما استدار الزمان ، وتطور الانسان فانه ما من يوم الا والذي بعده شر منه كما في حديث انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا اعتبار بالتطورات المادية ، والاتجاهات المذهبية التي تفسد اكثر مما تصلح والتي يلزمها الظلم والدمار ، وتخريب البيوت والديار ، والقضية المشار اليها تعتبر من باب المجموع لا من باب الجميع فما من عصر الا وفيه عناصر الخير وعناصر الشر وهم اكثر واوفر ، الا ان ذلك من الامور الاضافية التي تختلـــف بحسب القلة والكثرة ، وهذا الحجاج بن يوسف الثقفي كان في عصر سابق وهو من شر التابعيـــن واقبـــح المتجردين ، وقديما قالوا : اذا كانت العلوم منحا الاهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد ان يدخر لبعـــض المتاخرين ما عسر فهمه على كثير من المتقدمين .

وليس بفاضل كذلك من يظـــن ان كل تصـــرف اجنبي محدود وممنوع في الاسلام كيف والحياة تعاون بين الناس ، واخذ وعطاء بالنسبة والقيـــاس ، والله يقول : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكـــر وانثـــى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » أي ولتتعاونوا فانه لا يكون التعاون بدون تعارف ، ويقول : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » ، وهذا هو شأن الكائنات الحية ، ياخذ بعضها من بعض وتلك هي طريقة الحياة والاحياء ، وطبيعـــة التطـــور والارتقاء ــ وسياق الكلام ومجراه ، انما كان في موضوع التأميم ، فأين جاءت فيه صيغة التعميم ، والعلماء كلهم يومنون باعتبار المصالح الكلية ، وان ذلك من مقاصد الشريعة الاسلامية ، الا انه لم يتحقـــق في التأميـــم مصلحة شرعية ، ولربما تحقق عكس القضية ، فانه قد

احدث عقدا نفسية وفوضى اجتماعية ، وهاهم الناس يتذمرون ويتسخطون . ما عدا اولئك الذين يؤمنون ، والمشكل قائم وماثل امام العيون ، ومن القواعد والاصول انه لا يحكم على عمل من الاعمال ، الا بعد النظر في العاقبة والمآل .

ثم انه لا يسوغ لاحد منا ان يسمح لنفسه بالقياس على ما ورد فيه نص شرعي خاص ، كعمر ابن الخطاب وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما فقد امر المعصوم صلى الله عليه وسلم ان ناخذ بقولهما ونقتدي بفعلهما ، فقال : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجد ـ اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر ، وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان الحق يجري على لسانه .

هذا والظن انني اوفيت المقام حقه ، واسندت وضعه وحكمه ، في قولنا : ما دام الاسلام يعترف بالملكية ويحترمها ، وما دامت المحافظة على الاموال احدى الكليات التي اجمع عليها الملل ، فلا يخرج مال الانسان الا برضاه وعن طيب نفسه ، الا يكفي هذا السند المستفاد من الكتاب والسنة والاجماع ، اما الكتاب فقوله تعالى : « يا ايها الذين ءامنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم » ، وهذا خطاب لكل مومن بالله وهو يضع قانونا عادلا للاموال ، فلا تنتقل عن اصحابها الا بسبب من الاسباب الشرعية ، ومال الفرد وان كان مال الجماعة لان فيه حقوقا معينة وحقوقا غير معينة ، يجب احترام الحيازة والملكية وحفظ حقوقها ، وحتى المحتاج الذي له حق في مال الغني لا ياخذه من اربابه الا باذنهم منعا للفوضى في الاموال ، وللكسل في الاعمال ، وحديث الفقراء متعالم مشهور ، وهو يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالاجور ، فأجابهم صلى الله عليه وسلم بان للاجر طرقا أخرى غير المال فينبغي لكم ان تلتمسوها .

واما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم : لا يحل مال امرىء مسلم الا عن طيب نفس منه . والتأميم يكون بالعنف لا بطيب النفس ـ وقوله صلى الله عليه وسلم : كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ، واما الاجتماع فهو ما ذكره علماء الاصول في مبحث المناسبة من مسالك العلة ، وهذه النصوص والدلائل هي ما نعني بجادة الاسلام ، ومن وصية عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : ولا تظن بكلمة خرجت من مسلم شرا وانت تجد لها من الخير محملا .

على انه قد عرف في الاصول كما في قواعد الاحكام لابن عبد السلام ان من تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفاسد حصل له من مجموع ذلك اعتقاد او عرفان بان هذا الشيء مصلحة او مفسدة وان لم يكن فيه اجماع ولا نص خاص فان فهم نفس الشرع يوجب العمل بذلك ، ومثال هذا ان من عاشر انسانا من الفضلاء الحكماء العقلاء وفهم ما يوثره وما يكرهه في كل ورد وصدر ثم سنحت له مصلحة او مفسدة لم يعرف قوله فيها فانه يعرف بمجموع ما عهده من طريقته والفه من عادته ، انه يوثر تلك المصلحة ويكره تلك المفسدة ، وهذا شيء معهود من علماء الاسلام فانه لا يتاتى النص الشرعي في كل حادثة حادثة .

واما حديث ابي داود فدلالته واضحة لغة وشرعا وقد شرحه الائمة بما لا يتنافى مع قواعد الشريعة وعللها ومراميها ، وانما خص صلى الله عليه وسلم تلك العناصر لكونها من ضروريات الحياة للانسان وللحيوان حتى لا يقع التسابق اليها والاستيلاء عليها والتخاصم في شأنها ، قال شراح الحديث : المعروف بين العلماء ان المراد بالكلا الكلاء المباح الذي لا يختص باحد ، وبالماء ماء الامطار والانهار التي لا تملك ، وبالنار الشجر الذي يحتطبه الناس من المباح فيوقدونه ، وقال الامام الخطابي : الكلا الذي ينبت في موات الارض يرعاه الناس ليس لاحد ان يختص به دون احد ، واما الكلا في الارض المملوكة لمالك بعينه فهو مال له ليس لاحد ان يشركه فيه الا باذنه اهـ .

ومن المقرر في اصول الشريعة ان اللفظ محمول على ما يدل عليه ظاهرة في اللغة او عرف الشرع او عرف الاستعمال ، ولا يحمل على الاحتمالات الخفية والبعيدة ولا سيما اذا كان ذلك منافيا لطبيعة الشريعة ، ومن ثم قال العلماء في حديث استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم من الفقر ـ انه لا يجوز حمل الفقر على فقر النفس لانه خلاف للظاهر بغير دليل ، ونعوذ بالله من الجهل والفقر والكفر ، ونسأل الله التوفيق في السر والجهر وفي اليسر والعسر ، والكلام يجري مع الكلام ، والحمد لله في البدء والختام .

مراكش : الرحالي الفاروق

ردّ على الأستاذ الرحالي الفاروق
أو مجتمع بدون ضرائب

للأستاذ عبد الواحد الناصر

حين قرات مقال الاستاذ العميد الرحالي الفاروق « تعقيب على التصويب او تعقيب على التعقيب » (1) ، وجدت نفسي في وضع حرج ، لان الاستاذ العميد اعتبر مناقشتي لرايه في احداث الضرائب ، تهجما واثما ، ولانه من جهة أخرى لم يكتف بالدفاع عن وجهة نظره ، وانما تعدى نطاق الدفاع الى شن هجوم مضاد ، رغم اني في الواقع ، لم اهاجمه ، ولم انسب اليه ما لم يقله ، او ما لا ينادي به .

ونفيا لهذا الحرج ، وحتى يطمئن استاذنا العميد الى ان ما تضمنه مقالي « التاميم يسقط الزكاة » (2) ، ليس فيه ما يدينه بما لا يعجبه ، سأبين براءة ما كتبت من جهة ، وساوضح بالتفصيل وجهة نظري من جهة ثانيــــة .

— ◆ —

نفي للاثم والعدوان

لقد ورد في مقال الاستاذ الكبير ، اني خطاتــه خطا لا مغفرة فيه ، وتسرعت باتهامه بما ليس فيه ، فهو يقول :

اولا : « الامر الثالث مبني على الامر الثاني وهو اننا نسلم ونرضى بمبدا تطبيق القانون المالي الوضعي، هذا ما زعمه الاستاذ وصوبه تصويبا لا محيد عنـــه ، والصواب ضد الخطا » (3) .

ثانيا : « واما ما ظنه الاستاذ المحترم بناء على فهمه وادراكه من اننا نسلم بجواز تطبيق القانون المالي الوضعي ، فاننا نذكره بقوله تعالى : « يا ايها الذيـــن ءامنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعــض الظـــن اثــم » (4) .

ثالثا : « ... فكيف يتهمنا الاستاذ اننا نقـــول بجواز تطبيق القانون المالي الغربي ، ويخطئنا خطا لا مغفرة فيه ، وكيف يتساهل في بيان نتيجته ويقول : « او يحدثوا ما شاءوا من الضرائب ... » (5)

هذه الفقرات تبين دون شك ، ان الاستاذ العميد ينفي عن نفسه تهمة التسليم بمبدا تطبيق القانـــون المالي الوضعي ، ونفي التهمة بطبيعة الحال يقتضـــي وجود الاتهام . فهل اتهمت حقا الاستاذ العميد بمـــا يقـــول ؟

لقد بدات تعقيبي في المقال المذكـــور ، بـــان الاستاذ الفاروق « كتب بصدق وحق ان نظام الاسلام

(1) دعوة الحق — عدد ذو الحجة 1392 — يناير 1973 — ص 13 وما يليها .
(2) دعوة الحق — عدد رمضان 1392 — اكتوبر 1972 — ص 38 وما يليها .
(3) تعقيب على التصويب او تعقيب التعقيب ، دعوة الحق — العدد السابع ، 1392 — 1973 ص 14 .
(4) المرجــع السابــق ص 14 .
(5) المرجــع السابــق ص 15 .

شيء لا يتبعض ، وكل لا يتجزأ ، فاما ان يؤخذ كله ، واما ان يترك كله ... لا يقبل تجزئة ولا ازدواجية ، وهو نظام شامل كامل ...) ، وانهيته بهذه الفقرة : « ونعود الى الفكرة التي لا نشك في اخلاص الاستاذ الفاروق لها ، وهي انه لا يمكن ان نقضي بالشرع في الاحوال الشخصية والمدنية والجنائية ، ونطبق القوانين الوضعية في ميدان المالية العامة والاقتصاد او في غيره من الميادين » فالشرع نظام كامل شامل ، وكل لا يتجزأ ، ولا يتبعض ، ولا يتزاوج » (6) .

هذه البداية والنهاية ، نفي قاطع لاي اتهام موجه من طرفي الى استاذنا العميد ، فهو كما قلت ، قد كتب « بصدق » و « حق » عن شمولية الاسلام وكماله ، وانه « مخلص » لهذا الرأي ... وهذا ما يفهم من كلامي اذا نظر اليه بترو وتمعن ، فيبقى لذلك الهجوم المضاد بدون اساس !

فما هو وجه الخلاف الذي يبقى ؟ لا شك في اننا متفقون على ان نظام الاسلام نظام كامل شامل لا يقبل الازدواجية ... على ان هذا الموقف ، في رايي ، يتناقض مع فكرة احداث الضرائب ، فهي فكرة دخيلة على المجتمع الاسلامي ، ولم يكن شيوعها الا نتيجة لشيوع الفكر الغربي ورواسبه في المنطقة الاسلامية .

وعلى عكس ذلك ، يرى الاستاذ الفاروق ان الشريعة الاسلامية تقبل احداث ما هو ضروري من الضرائب لقيام دولة فتية ، لها اتجاه مقبول وهدف معقول ، ليضيف في مقاله الاخير ان الضرائب ضرورة لازمة للدولة العصرية ، وانه « يستحيل ان تعتمد معركة الدفاع ، ومعركة الحياة الاجتماعية والاقتصادية على الموارد الشرعية المتعارفة » (7)

هذه هي نقطة الخلاف ، وهذه هي النقطة التي ركزت عليها نقدي ، حين قلت ان نتيجة الاخذ براي الاستاذ الفاروق ، هي ان الاسلام لم يقدم نظاما كاملا شاملا ، يمكن اية دولة من النهوض والازدهار والاستمرار ، وحين قلت ان الضرائب ، كما يشهد الواقع ، لا تمت للاسلام بصلة سواء من حيث اصلها وامتداداتها ، او من حيث غاياتها واهدافها ...

وهذا هو السبب الذي جعلني اعنون تعقيبي « تصويب لا بد منه » ، وليس في هذه العنونة اي انقاص من قيمة الاستاذ العميد ، فالخاص والعام يعرف مكانته ، وعلمه وفضله ، وسماحته ... وان كان لا بد من الاعتذار ، فلا اجد ما اعتذر عنه سوى عنوان تعقيبي ، الذي وصفه احد الاصدقاء بانه زلة لسان .

— ◆ —

تناقض لا يمكن انكاره :

لقد لاحظنا في مقالنا « التاميم يسقط الزكاة » ، على بعض الكتاب والباحثين ممن عرفوا باخلاصهم الشديد للاسلام ، انهم انساقوا مع تيار غير مقبول ، ووقعوا في تناقض خطير يتجلى في اعلانهم كمال الاسلام من جهة ، وافتائهم بمشروعية الضرائب ، من حيث المبدأ أو الغايات من جهة ثانية (8) .

وقد رد علينا الاستاذ الفاروق بقوله : « ان دعوى التناقض بعيدة كل البعد ، ولا دلالة عليها اصلا ، اذ ليس في كلامنا اثبات شيء ورفعه كما هو بارز للعيان ، وكما هو التناقض عند اهل الميزان ، وهناك فرق كبير بين القول بجواز تطبيق القانون المالي الوضعي وبين القول بجواز احداث دولة اسلامية تعتز بنظامها الاسلامي : ما هو ضروري من الضرائب لحياتها ونهوضها مما تقبله نصوص الشريعة وقواعدها ..»(9) ليقدم بعد ذلك ادلته على جواز احداث الضرائب . ويمكن رد هذه الادلة الى اصلين :

الاول : اصل شرعي ، فهو يقول ان نصوص الشريعة وقواعدها العامة تقبل احداث الضرائب ، وبان في المال حقا غير الزكاة ... فتكون الضرائب شرعية ، وسنرى فيما بعد ان هذا النوع من الادلة لايثبت امام التحليل والتمحيص والتدقيق !

والثاني : اصل واقعي وتاريخي ، وهو : « ان الحياة العصرية بصواريخها الطبقية وتعليمها وقضائها

---

(6) دعوة الحق ـ العدد الخامس ، 1392 ـ 1972 ص 41 و 42 .
(7) تعقيب على التصويب أو تعقيب على التعقيب ، دعوة الحق ـ العدد السابع 1392 ـ 1973 ، ص 14
(8) دعوة الحق ، العدد الخامس ، 1392 ـ 1972 ص 41 .
(9) تعقيب على التصويب أو تعقيب على التعقيب ، دعوة الحق ، العدد السابع ، 1392 ـ 1973 ، ص 14.

واستعمارها ومتطلباتها ومعاركها ... تفرض احداث ما هو ضروري من الضرائب » ، ليؤيد هـــذا الرأي بفتاو للشاطبي والشيخ المالقي والعز بن عبد الســلام والغزالـــي .

لكن هذه الادلة مردودة لسببين :

الاول : ان الضرائب لم تعرف في بلاد المسلمين الا مع بداية الانحطاط والتدهور .

والثاني : ان الضرائب بمفهومها الحديث لا تمت للاسلام بصلة ، وهي بديل للزكاة .

فليس هناك اولا ، اي دليل على شرعية الضرائب، اذ لا تجد في الاسلام ، ولا في التاريخ الاسلامي ، اي وجود لنظام ضرائبي ، باستثناء وجود « مكاسين » ، كانت اغلبية العلماء ، وعامة الناس ، تؤاخذ عليهـــم ظلمهم واجحافهم ومروقهم ... ووجود هذه الظاهرة لا يكفي بأي حال للاقرار بوجود « ضريبة » ، لا سيما وان « المكوس » انذاك لم تكن تخضع لقواعد اسلامية ، او على الاقل لقواعد منظمة ، حتى يمكـــن تشبيههـــا بالضرائب . والملاحظ انها كانت في اصلها معاملـــة بالمثل للتجار الاجانب ، ثم انقلب الامر ، فصار التجار المسلمون يخضعون لها بدورهم .

وتأسيسا على هذه الحقائق ، فان الاخذ بفكـــرة احداث الضرائب ، يعني ان الدولة ستلجأ حتما الى تجارب المالية العامة غير الاسلامية ، لانعدام وجـــود اساس اسلامي أو نظامي للضرائب ، ويعني ايضـــا ان السلطة ستحصل على حرية غير مقيدة في هذا الميدان، وهذا ما يشهد به واقع البلاد المسلمة ، حيث تسخر ايرادات الضرائب لخدمة اهداف واغراض لا يقبلهـــا الشـــرع .

فهل يصح الاحتجاج بأن الدولة الاسلامية تحتاج لاحداث الضرائب حتى تستطيع الحياة والنهوض ، وحتى تتفادى السقوط والانهيار والاستعمار ؟

ان الاستاذ الفاروق يجيب على هـــذا السؤال بالايجاب . والواقع اني استغربت من صدور هذا الراي عن عالم كبير كالاستاذ الرحالي الفاروق ، لان امـــوال المسلم ونفسه ، كما نعلم جميعا ، هما فداء للعقيدة التي يحملها ، وللكيان الذي ينتمي اليه ... وحيـــاة المجتمع الاسلامي الاول تشهد بأن المسلميـــن كانـــوا يتسارعون الى تقديم كل تضحية ، سواء كانت مادية او معنوية ، وسواء كانت لتقوية الجبهة الاسلامية على الصعيد الداخلي او لتقويتها على الصعيد الخارجي .

ومن الواجب علينا ، كما لا يخفى على الاستـــاذ الفاروق ، ان نتخلق بأخلاق هذا الجيل الذي صنعـه الاسلام ، وان نسير على دربه ، فهو الجيل الذي نشأ نشأة اسلامية سليمة ، وهو الجيل الذي تخرج مـــن مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام . ومن الواجب على علمائنا الافاضل ، ومن بينهم الاستاذ الفاروق ، ان يدعو الناس الى هذا المجتمع في صورته الاصليـــة ، والا ينخدعوا ببريق التقدم المادي ، فهذا التقدم ليس وقفا على الضرائب كما سنرى بالتفصيل !

لقد قال الاستاذ الفاروق ان « عدم وجود شيء منصوص عليه في الكتاب والسنة ، لا يدفعنا الى القول بان نظام الاسلام قاصر وعاجز » (10) ، وهذا الدفـــع مردود اطلاقا ، لان النظام الاسلامي نظام شامل كامل ، ولان الضرائب باعترافه غير منصوص عليها في الكتاب والسنة ، ولان جوازها هو من استنباط الخاص .

فلو نظرنا الى الضرائب على ضـــوء النصوص الاسلامية ، وعلى ضوء التاريخ الاسلامي ، نجـــد ان الاسلام لم يحدث اي ضريبة بالمفهوم المتعارف عليه ، وباستثناء الزكاة وبعض التكاليف الشرعية ، لا نجد جباية اخرى تلتقي من حيث خصائصها الجبائية مـــع الضرائـــب .

واذا نظرنا الى الضرائب على ضوء الواقع الذي نعيشه ، نجد ان هذه الضرائب نشأت في مناخ غيـــر اسلامي ، ولا تمت للاسلام بصلة ، سواء في مبادئهـــا واساليبها ، وسواء في تقنيناتها وغاياتها .

ولهذا اذا قلنا ان الدولة الاسلامية يمكنهـــا ان تحدث الضرائب ، او ما تراه ضروريا منها ، فان هذا يعني انعكاس الواقع الذي نعيشه ، او الذي عاشه علماء متأخرون ، على تفكيرنا ، وتحكمه في مبادئنا وسلوكنا. ثم ان اقتباسنا للضرائب ، وهي غير منصوص عليها في الكتاب والسنة ، ولم يسبق لها وجود في التاريـــخ الاسلامي ، لا يعني في واقع الامر ، الا قصور التنظيم المالي الاسلامي ، وعدم وجود نظام اسلامي اصيـــل كامل يمكن الدولة المسلمة من النهوض والازدهـــار والاستمرار ، لا سيما وان الموارد الشرعية المتعارفة،

(10) تعقيب على التصويب ، او تعقيب على التعقيب ، دعوة الحق ، العدد السابع ، ص 15 .

حسب الاستاذ الفاروق ، يستحيل ان تعتمد عليها معركة الدفاع ومعركة الحياة الاقتصادية والاجتماعية.!

ونذكر الاستاذ الفاروق ، لان الذكرى تنفع المؤمنين ، ان الحياة الاسلامية كانت خالية من الضرائب ، وبأن المجتمع الاسلامي ظل طيلة قرون طويلة ينمو ويتطور دون ضرائب ... ولم يكن ذلك لان المسلمين كانوا يجهلون الضرائب، ولكن لان اموال المسلم ونفسه تحت تصرف السلطة الاسلامية لمواجهة كافة الطوارىء ، ولان المسلم ملتزم بالبر والاحسان والانفاق في سبيل الله ، لا يعرف الانانية والاثرة وجشع المال ، ولان المجتمع الاسلامي مجتمع متعاون متكافل يعيش في اخاء وازدهار وتعاطف ووئام ، وفي غنى عن الضرائب .

— ◆ —

الزكاة ليست ضريبة تجميد :

وقبل أن نستمر في مناقشة آراء الاستاذ الفاروق يكون من المفيد ان نقف قليلا عند تدخل احد الكتاب في النقاش الذي يدور بيننا على صفحات هذه المجلة . ويبدو من هذا التدخل ان صاحبه قد اخطأ في الشخص الذي ينبغي أن يوجه اليه الرد ، أو انه تغاضى عن ذكره صراحة لسبب لم يفصح عنه ، ولا نرى في الامرين معا ما يسوغ اية مؤاخذة !

لقد قال الاستاذ المحترم : « وان تكن الزكاة دعامة كل عدالة وضمانة اجتماعية في الشريعة الاسلامية ، فان للدولة الاسلامية التي تتولى مصالح المسلمين الحق وكامل الحرية في ان تفرض ضرائب او زكوات مقبلة ترى فرضها قمينا بقيام التوازن الاقتصادي الذي لا بد منه لصيانة المجتمع من كل رجة او آفة وكل تذمر وانتفاض . فمما ثبت عن الرسول قوله ان في الاموال حقا سوى الزكاة ، استنتاجا من الآية القرآنية الكريمة « وفي اموالهم حق للسائل والمحروم » ، واختها الآية الاخرى التي تقول في نفس اللهجة والاسلوب والتأكيد مع اضافة وصف محدد « والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » (11) ... « ونحن نعلم ما أوعد الله به مجمدي المال والحائلين دون تحركه تحركا حرا منتجا . ومن هذا الوعيد الزام فريضة الزكاة على ماله ، ما دام يتوفر على النصاب، وهذا ما يسمى بضريبة التجميد التي كان الاسلام هو أول من سنها » (12) .

وليلاحظ القارىء ان موقف الاستاذ الفاروق لا يختلف كثيرا عن موقف الاستاذ المحترم ، فكلاهما يرى فرض الضرائب الى جانب الزكاة . وهذا يعني ان التعليق « المتفذلك » كان موجها الى ما كتبته في مقالي « التأميم يسقط الزكاة » من عدم جواز فرض الضرائب ... والملاحظ ايضا في هذه « الفذلكة » ، ان الكاتب المحترم اشار الى النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات بكلمة « رسول » مجردة عن كل ما يرفق بها عادة من صلاة وسلام !

ومن ناحية الجوهر ، نسجل قول الاستاذ الكبير، ان الدولة لها كامل الحق والحرية في فرض ضرائب وزكوات مقبلة ... فالضرائب والزكوات المقبلة لا يمكن ان تقوم الا في مجتمع تزدهر فيه الحيازة الشخصية .

وما من شك في ان الاستاذ الكبير يتناقض مع نفسه حين يعلن عن هذا « الحل الجديد » ... فلا شك انه تراجع شامل عن التأميم ، او على الاقل تراجع عن نظرية التأميم الشامل الى نظرية التأميم الجزئي .

وفي هذا التراجع دليل على أن الاستاذ الجليل ليس له موقف محدد ، فهو لا زال يتردد بين اسلوب التأميم واسلوب الضرائب ، ومن كان موقفه من قضية واحدة متناقضا ، ليس له الحق في ان يلاحظ ما لاحظه على باحث آخر ، مواقفه محددة وثابتة ، ولا يتراجع عنها من مقال الى آخر !

ومن ناحية الجوهر ايضا ، عرف الاستاذ المحترم الزكاة بأنها « ضريبة تجميد » ، رغم ان هذا التعريف لا ينطبق على الزكاة سواء من الناحية الشرعية أو من الناحية الجبائية .

فالزكاة ليست بضريبة ، وان اتفقت معها في بعض الخصائص الجبائية ، فانها تختلف عنها في الاصل والمصدر ، ومن حيث الاهداف ، ومن حيث النسب والمصارف ، ومن حيث العدالة ...

---

(11) التأميم في الاسلام ايضا للاستاذ عبد الكريم التواتي ، دعوة الحق ، عدد صفر 1393 – مارس 1973 ، ص 44 .

(12) المرجع السابق ، ص 78 .

ثم ان الزكاة ليست مجمدة للاموال ، كما يزعم الاستاذ المحترم ، وذلك للسببين :

الاول : ان نسبها ضئيلة ، وحتى تصاعديتها بالنسبة للمواشي ، ليست بالنسب التي تجمد الاموال عن النماء ، او التي تحد من الدخل والملكية !!

والثاني : ان الزكاة ترادف « النماء » ، والنماء مناقض للتجميد كما لا يخفى على الاستاذ الكبير !

ومن ناحية الجوهر أيضا ، فان الزعم بأن قول الرسول صلى الله عليه وسلم « في المال حق سوى الزكاة » ، مستنتج من الآيتين الكريمتين اللتين ذكرهما الاستاذ المحترم ؛ ليس الا تعسفا في التفسير ، وشططا في التأويل ، لان الحديث يتعلق « بحق محدد» اما الآيتين فهما باعتباره تتحدثان عن « حق محدد » لا يمكن ان يكون الا « الزكاة » .

ومع تحفظنا الكبير من استعمال الكاتب المحترم لكلمة « استنتاج » في هذا الميدان ، فان كلامه لا يخلو من الخلط ، ولذا ننصحه بأن يعيد النظر في مواقفه التي لا يسندها كتاب ولا سنة ، أو على الاقل ان يستند الى النصوص الاسلامية فيما وردت فيه وليس كما يريد ويشتهي ، لان ذلك سيكون من باب تحريف الكلم عن مواضعه ...

وليس في أسداء النصح ما يدعو للثورة والغضب، فذلك فريضة على كل مسلم ومسلمة . ولهذا ايضا نبهت الاستاذ الفاروق الى ان قوله باحداث الضرائب يتناقض مع قوله ان النظام الاسلامي شامل وكامل ، وقد بينت بشيء من التفصيل أسباب هذا التناقض وآثاره ، وعنونت كل ذلك « بتصويب لا بد منه » ، لاني اعتقد ان كمالية الاسلام وشموليته ليست موضع جدال ، ولاني اعتقدت ان الاقتاء بمشروعية احداث الضرائب ، ولو كانت مقيدة بما هو ضروري ، ليس الا تاثرا بالحياة المعاصرة ، وبرواسب الثقافة الراهنة التي ركزت في اذهان الناس استحالة قيام الدولة بدون ضرائب .

— ◆ —

في المال حق سوى الزكاة :

وحتى لا يتيه الاستاذ الاشتراكي المحترم ، الذي نكن له كل تقدير واحترام ، في البحث عن أساس قرآني للحديث النبوي « في المال حق سوى الزكاة » ، نذكره ، ونذكر الاستاذ الفاروق في نفس الوقت ، بأن الترمذي رضي الله عنه الذي روى هذا الحديث في سننه ، أضاف بأن : « رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان قال هذا الحديث تلا قول الله عز وجل : « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة واتى الزكاة ... »

وواضح من الآية الكريمة ،

اولا : ان الله عز وجل يقول : « وآتى المال على حبه » ، وواضح من صراحة اللفظ والمعنى ، ان المسلم تتوجب عليه حقوق « غير الزكاة » موكولة الى ارادته وتطوعه ...

ثانيا : ان ايتاء المال ورد في الآية المذكورة على انه عنصر من عناصر « البر » ، وواضح ان البر ينبع من الارادة الشخصية وليس من الاجبار ...

ويستخلص من هاتين الملاحظتين ، ومن ارتباط الحديث الشريف « في المال حق سوى الزكاة » ، بالآية الكريمة : « ليس البر ان ... » ، انه لا مجال لتاويل الحديث بما يخالف الآية المذكورة .

وتأسيا على هذه الحقيقة ، يتضح لنا ان التفسير الذي أخذ به بعض الباحثين المعاصرين ، ومن بينهم الاستاذ الفاروق ، هو تاويل خاطيء للآية الكريمة وللحديث النبوي في آن واحد !

وتأكيدا لهذا التفسير الملتزم كليا برواية الحديث المذكور كما نقلها الترمذي ، فهناك حديث آخر رواه ابن ماجة وهو « ليس في المال حق سوى الزكاة » . فلو سلمنا براي الاستاذ العميد ، لوجدنا الحديثين متناقضين ، لان الحديث الاول ، حسب الاستاذ الفاروق ، يفيد وجود جباية أخرى منظمة الى جانب الزكاة ، أما الحديث الثاني فينفي وجود مثل هذه الجباية .

ولسنا أول من تنبه لهذا التعارض ، كما اننا لسنا أول من يقول بانعدام التناقض بين الحديثين ، فقد سبق لذلك البعض منذ القديم . وما نضيفه هو ان الزكاة هي الاصل تبعا لرواية ابن ماجة ، وان الحق المشار اليه من دون الزكاة حسب رواية الترمذي ، هو « البر » في معناه الواسع كما سبق تفصيل ذلك .

ونستخلص مما سبق نتيجتين :

الاولى : ان الحديثين متكاملان ، يتعلق احدهما بالواجب الاجباري وهو الزكاة ، ويتعلق الآخر بالواجب التطوعي وهو البر .

والثانية : ان الحديثين ينطبقان في الحالة العادية لسير المجتمع الاسلامي .

وهنا نلاحظ على الاستاذ الفاروق انه يخلط بين الحالة العادية لسير الحياة في الدولة الاسلامية ، وبين الحالات الاستثنائية ، فهو يقول : « واذا كانت الموارد الشرعية المتعارفة لا تقوم بحاجيات الدولة وضرورياتها الملحة فلها ان تاخذ من المسلمين ما يحفظ عليهم مصالحهم ، والا تعرضوا لاستعمار اراضيهم ، واستغلال مواردهم ، وهتك اعراضهم ، وتشريد ابنائهم ، كما هو الواقع في فلسطين وفي غيرها من بلاد المسلمين . . »(13)

فلا شك ان حاجيات الدولة ، وضرورياتها الملحة تندرج في الاطار العام العادي لحياة الدولة الاسلامية ، ولا شك ايضا في ان تعرض هذه الدولة للغزو ، ولهتك الاعراض ، وتشريد الابناء ، هو وضع طارىء ، يتطلب من المسلم ، كما اشرنا سابقا ، ان يجابهه بامواله وبنفسه ، فداء للعقيدة الاسلامية ، وحماية للنظام الاسلامي من السقوط والانهيار . . .

ففي حالة الطوارىء التي قد تؤثر على سير المجتمع الاسلامي ، او تهدده بخطر ما ، نجد عند الاستقصاء في حياة المجتمع الاسلامي الاول ، ان هذا المجتمع مر بحالات عسيرة لا تقل خطورة عما يستدل به الاستاذ الفاروق . وسنكتفي على سبيل المثال وليس الحصر ، على اجراءين اتخذهما الرسول صلى الله عليه وسلم في مجابهة حدثين طارئين :

الاول : ان الرسول صلى الله عليه وسلم اخذ زكاة عمه العباس مسبقا . وهذا هو اساس ما ذهب اليه بعض العلماء من ان للامام ان يستلف من الاغنياء زكاة سنة او سنتين للتغلب على الازمة العارضة .

والثاني : ما روى في شأن فقراء الصفة ، وتوزيع الرسول عليه الصلاة والسلام لهم على الاغنياء . وهذا هو اساس ما ذهب اليه بعض العلماء من انه يحق للامام في حالة المجاعة والاضطرار ، تكليف الاغنياء بالفقراء بحسب طاقتهم . . .

وقد اخترنا هذين المثالين لنميز بين نوعين من الاخطار التي قد تحيق بالمجتمع الاسلامي ، وهما اخطار الازمات واخطار دار الحرب (14) ، فهذه الطوارىء تخضع لقواعد خاصة تختلف عن قواعد النظام العادي . وعلينا بطبيعة الحال ان نقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم ، سواء في الحالات العادية او في حالات الطوارىء !

— ◆ —

التوظيف والضريبة :

وقد عاد الاستاذ العميد بفتاو لعلماء كبار ظن انها حجة تؤيد رايه في احداث الضرائب ، بينما هي في حقيقة الامر حجة عليه !

فهو ينقل عن الشاطبي انه يرى ضرب الخراج اذا خلا بيت المال . . . ونسي ان هذا العالم الكبير اشترط في مقابل ذلك « عدالة الامام » ، ومن هذه العدالة عدالة الانفاق (15)

ونقل عن العز بن عبد السلام ان تقديم المصلحة العامة ملزم على المصلحة الخاصة . . . ونسي ان هذا العالم الكبير الى جانب عدد من العلماء والفقهاء ، اجازوا لقطز صاحب مصر حين اراد التجهيز لقتال التتار ، ان ياخذ من العامة ، ما يستعين به على الجهاد بشرط ان لا يبقى في بيت المال شيئا ، وان يبيعوا الذي عندهم من الحوائص المذهبة والآلات النفيسة ، ويقتصر كل الجند على مركوبه وسلاحه ، ويتساووا هم والعامة !

ونقل ايضا عن الشيخ المالقي قوله بجواز ضرب الخراج ان خلا بيت المال . . . ونسي ان الباجي والقضاة في الاندلس والمغرب افتوا يوسف بن تاشفين بأن ياخذ من المسلمين ما يفي بحاجات الجهاد ، ولم يكن عنده في بيت المال ما يكفي ، ولكن قاضي المرية في

---

(13) تعقيب على التصويب او تعقيب على التعقيب ، دعوة الحق ، العدد السابع 1392 — 1973 ، ص 14

(14) بالنسبة لاخطار الحرب نذكر بأن الله اشترى من المومنين اموالهم وانفسهم . . . وهذه من المسلمات التي لا تحتاج الى ايضاح !

(15) الاعتصام ، الجزء 2 ، ص 12 .

الاندلس ابا عبد الله بن الفراء الزمه دخول المسجد الجامع بحضرة اهل العلم ، ويحلف ان ليس عنده درهم واحد ولا في بيت مال المسلمين !

ونضيف الى كل ذلك ان النووي لما وافق علماء الشام في فتواهم للسلطان بيبرس ، لما اراد محاربة التتار ، وليس في بيت المال ما يكفي لتجهيز الجند والانفاق على المقاتلين ، اشترط ان يرد السلطان كل ما عند جواريه واعوانه من حلي واموال الى بيت المال (16) .

والملاحظ في هذه الفتاوي انها كانت استثنائية لمواجهة نفقات الجهاد . ولهذا نرى ان ما نسبه الاستاذ الفاروق لبعض هؤلاء العلماء ، يبدو متصفا بتعميم لا سند له ، فافتاؤهم بجواز التوظيف كان للقيام باعباء الجهاد ، وفي ظل شروط صارمة ، وليس من سلامة البحث العلمي ان نقول انهم افتوا «باحداث الضرائب» ، كما انهم لم يضيفوا اى شيء جديد ، لان اموال المسلم ونفسه كلها في سبيل الاسلام .

ويلاحظ من استقراء هذه الفتاوي :

اولا : ان هذه الفتاوي كانت مشروطة بأن يكون بيت المال خاليا ، وهذا يعني انه اذا كان في امكان الدولة الحصول على ما تريد من الموارد الشرعية او من مشاريعها الخاصة ، فانه لا يجوز لها ان تفرض ايرادات اضافية .

ثانيا : ان هذه الفتاوي كانت في فترة متأخرة من التاريخ الاسلامي ، وكانت اساسا اثناء ظروف خطيرة كان يمر بها العالم الاسلامي ، فهي تتعلق فقط بالجهاد .

ثالثا : ان هذه الفتاوي ، ودون استثناء ، كانت مقيدة ومشروطة بأن تكون احكام الله نافذة كما يجب ، وان تكون المصارف بقدر الحاجة لا تزيد عليها . ولو طبقت احكام الشرع كما يجب ، لوقعت الكفاية بأقل مما نرى الان .

ويستخلص من هذه الملاحظات وجود شرطين اساسيين في التوظيف لا يمكن توفرهما في الضرائب وهما :

الاول : ان يكون بيت المال فارغا ، وبتعبير مالي ، ان تكون موارد بيت المال لا تسمح بسد نفقات الجهاد .

والثاني : ان يكون الامام عدلا ، وعدل الامام يتجلى بالدرجة الاولى في تطبيق الشرع ، وفي تفادي المصروفات غير المشروعة ، وفي رد ما أخذ من بيت المال بغير حق .

فواضح من هذه الفتاوي انه اذا كانت ايرادات الدولة تفي بحاجات الامة ، وكانت اموال بيت المال تبذر ، وتنفق في طرق غير مشروعة ، فانه لا يجوز للامام ان يوظف على الاغنياء اي شيء .

اما اذا كانت ايرادات بيت المال لا تفي بالحاجات الضرورية للامة ، فانه لا بد من التمييز بين حالتين :

الاولى : حالة التطبيق الكلي للشرع ، وفي هذه الحالة سيقوم المسلمون عن طواعية باعباء النفقات العامة دون حاجة لضغط او اكراه او اجبار .

والثانية : حالة التطبيق الجزئي ، وفي هذه الحالة لا يجوز للامام ان يجمع الاموال لخزينته عن طريق استغلال احكام الشرع ، ولكن يجب عليه تقويم الانحراف ، لينتقل بمجتمعه الى الحالة الاولى .

وعلى هذا الاساس يمكننا القول بأن العلماء الذين افتوا بالتوظيف كانوا يعيشون في ظل الحالة الثانية ، او في طريقهم اليها ، لوجود انحراف في السلطة ، وانحراف في الوعي العام لدى الناس. ومما يؤكد هذان التفسيران أولئك العلماء اشترطوا تقويم الانحراف ، ومنه الانفاق في الطرق المشروعة ، وترك مظاهر الترف والتبذير ، واعادة ما أخذ من بيت المال من حلي واموال وغيرها . . .

ولسنا في حاجة ان ننبه الاستاذ العميد الى ان الحالة الثانية التي عاشها علماء متأخرون نسبيا كالشاطبي والشيخ المالقي والعز بن عبد السلام ، ليست هي النموذج الصميمي للحياة التي يتعين على المسلم نشدانها . . . فالحياة الاسلامية كما انشأها القرآن ، وكما قادتها السنة ، كانت آنذاك في تراجع مستمر !

---

(16) وعلى غرار هذه المواقف المتماثلة ، قال الامام الغزالي : « اذا خلت ايدي الجند من الاموال ، ولم يكن من مال المصالح – بيت المال – ما يفي بنفقات العسكر وخيف من ذلك دخول العدو بلاد الاسلام او ثورات فتنة من قبل اهل الشر جاز للامام ان يوظف على الاغنياء مقدار كفاية الجند » ، انظر كتابه « المستصفى » الجزء 1 ، ص 303 .

وليس من شك ، رغم تشكك الاستاذ العميد ، فى انه لو قامت دولة على الكتاب والسنة ، لوجدت الكفاية فى الموارد الشرعية ، واكثر من الكفاية . اذا سلمنا بحقيقة غنى بلاد المسلمين وتكاملها ، وتكوينها لوحدة اقتصادية ضخمة مؤهلة لقيادة العالم نحو الاسلام من جديد . . .

— ◆ —

الزمنكية ليست بمسوغ :

وعلى ضوء هذه الحقائق ، التي لا نظن احدا ينكرها ، نرى ان الاحتجاج بالتطور ، وبالعصرية ، او ما وضعه اخيرا احد الكتاب « بالزمنكية » ، ليس الا انهزاما فكريا ، يضفي المشروعية على اقتباسات ليس لها مكان فى المناخ الاسلامي .

ان الاحتجاج بالزمنكية يكون فى محله اذا تعلق بالنواحي التنظيمية او التقنية (مثلا البريد ، الدواوين . . .) التي لا تخالف مبادىء الشرع وقواعده واهدافه . اما الاحتجاج بها لاضفاء الشرعية على اقتباس مذاهب دخيلة نشأت فى مناخ غير اسلامي ، وتتطلب اطارا اخلاقيا وتشريعيا معينا ، فانه احتجاج مردود ، ويتعين على اصحابه ان يعيدوا النظر فيه .

التطور او العصرية ، هو حجة على اصحابه ، وليس حجة لهم . ذلك ان الدولة الحديثة تميل الان نحو اللا مركزية فيما يخص تحقيق الاهداف الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية . فالادارات المحلية الان فى اكثر الدول تقنية وتقدما اقتصاديا ، هي التي تتولى تحقيق هذه الاهداف ، ولم تعد الادارات المركزية تهتم الا بالدفاع والسياسة الخارجية وتوجيه السياسة الداخلية . . .

وليس من المبالغة ان نقول ان هذه الفكرة سبق اليها المسلمون ، فقد كانت كل مجموعة تهيء نفسها بنفسها على جميع المستويات ، فان لم تكف نفسها لجأت الى المجموعة المجاورة او الى السلطة المركزية . . وليس ببعيد ان تتحقق هذه الفكرة بأسلوب عصري وعلى ضوء المعطيات المادية المعاصرة .

ومن هنا نرى ان الادلة التي ساقها الاستاذ العميد « من متطلبات تعليمية واجتماعية وشراء ما تحتاج اليه الدولة من اسلحة دفاعية وقوات احتياطية ومراكز ومحطات عسكرية وبناء مدارس تعليمية ومعامل صناعية وغير ذلك من النفقات الضرورية فى حياة العصر الذي نعيش تحت اثقاله وتكاليفه » (17) ، ليست متوقفة على احداث الضرائب ، سواء كانت ضرورية او غير ضرورية .

وليتذكر الاستاذ العميد ، وعلى سبيل المثال فقط وليس الحصر ، ان الوقف كان مؤسسة اجتماعية هائلة ، عظيمة النفع ، ومتعددة الانواع . . . فمن الاوقاف ما كانت خاصة بالتعليم . . . ومن الاوقاف ما كانت خاصة بالجهاد والمجاهدين . . . ومنها ما كان خاصا بالمرضى والمستشفيات والعجزة واليتامى . . . ومنها ما كان خاصا بتزويج الشبان وتغذية الاطفال . . .

اليست هذه الطريقة أحسن قطعا من فرض جبايات قسرية ؟ فلماذا نهمل هذه الطريقة وغيرها من الطرق التي سبق اليها المسلمون الاولون ؟ ولماذا ندعو الى طرق مغايرة ونستحسن طرق الغير واساليبه ؟ ! واذا كان المسلمون ، فى بداية تاريخهم ، أي فى فترة سابقة على الحضارة المادية الغربية ، قد جابهوا متطلبات عصرهم بطرق معينة ، فلماذا نذهب للبحث عن طرق اخرى لم يلجأ اليها المسلمون رغم معرفتهم لها ؟ !

لو سايرنا الاستاذ العميد فى آرائه ، لانتهينا الى نتيجة لا يقرها بالتأكيد ، وهي الاستغناء عن « البر » التطوعي ، وعن الوقف ، وعن الاحسان بوجه عام ، ما دامت الضرائب هي التي ستقوم بالغايات المنشودة !

ولا اظن ان الاستاذ الكبير ينكر ان التقدم العلمي والفكري وغير ذلك ، فى بلاد المسلمين ، مما لا ينكره علماء الغرب ، كان بناء على الانفاق التطوعي ، وبفضل المبادرات الشخصية للمسلمين . فلماذا لا ندعو الى قيام وضع مماثل ؟ ولماذا ندعو الى اسلوب الضريبة رغم انه اسلوب غير اسلامي ؟

— ◆ —

تشابه زائف :

فليست الضريبة ، كما بينت سابقا ، من المستحدثات المقبولة ، التي يصح ان يقول فيها العميد الفاروقي : « واما اذا فكر المسلمون فى مصلحة من مصالحهم الضرورية او الحاجية واحدثوا لها ما يناسب

(17) الملاحظة ان الكاتب المشار اليه سابقا يلاحظ على الاستاذ العميد عدم تفهمه « للزمنكية » !

دينهم ويلائم شريعتهم ، فليس معنى ذلك انهم اخذوا قانون غيرهم ، على انه قد تتلاقى الانظمة في بعض الخطوط النظرية أو في بعض الخطوات العملية . . »(18)

ذلك ان الضريبة ملجأ للراسمالية المنهارة ، وبديل للزكاة ، كالتأميم سواء بسواء ، فالاساليب الثلاثة تلتقي جميعا في خاصية الاجبار ، وتلتقي ايضا فيما يخص بعض الاهداف والغايات ، على انه لكل اسلوب من هذه الاساليب الثلاثة (الزكاة ـ التاميم ـ الضريبة) اطاره العقائدي ، ونظامه التشريعي الخاص.

ولو افترضنا مع الاستاذ العميد انه يمكن للمسلمين ان يحدثوا الضرائب ، لادرجنا الاسلام بدوره في التزاوج القائم بين الاشتراكية والراسمالية ، فهناك دول اشتراكية تاخذ بالضريبة رغم انها نظريا ضد النظام الضرائبي ، وهناك دول راسمالية تاخذ بالتاميم الجزئي رغم انها نظريا ضد النظام الاشتراكي . . . وكما راينا ، فليس هناك اي تلاق سواء على صعيد الخطوط النظرية او على صعيد الخطوات العلمية ، بين الاسلام والاشتراكية من جهة ، وبين الاسلام والراسمالية من جهة اخرى . فاذا كان التأميم ، على حد تعبير الاستاذ العميد : « نظرية اجنبية وطبيعته طبيعة شيوعية » ، فان الضريبة ايضا « نظرية اجنبية وطبيعتها طبيعة راسمالية » ، وهذا ما سنحاول تفصيله .

فالشيوعيون يتصورون وجود دولة بدون ضرائب ، وحسب نظريتهم سينمحي النظام الضرائبي من الوجود حين تصل الدولة الاشتراكية الى مرحلة الشيوعية . وهذا يعني ان المجتمعات الاشتراكية الموجودة الان ، لم تتخلص نهائيا من الضرائب، فاكثرها تطرفا لا زال يعرف الضرائب ، لان ايا منها لم يستطع القضاء على القطاع الخاص وعلى الملكية الخاصة بصفة نهائية . ولذلك ظلت الضرائب نظريا ، سلاحا لمواجهة اي تطور او تكاثر في الدخل والثروة ، وعمليا شر لا بد منه !

فيمكن القول بأن التجارب الاشتراكية ، بوضعها الراهن ، لم تتخلص من الضرائب حسبما تقتضيه النظرية الشيوعية ، ومع ذلك فقد انخفضت ايراداتها من الضرائب الى نسب ضئيلة جدا بسبب التاميمات وادارة الدولة للاقتصاد .

ويمكن القول ايضا ، تاسيسا على ذلك ، ان هناك تشابها بين الاسلام والشيوعية ، او الاشتراكية على اصح تعبير ، من حيث رفض فكرة الضرائب ، لكن الخلاف اساسي بينهما ، لان الاسلام حين تجاوز فكرة الضرائب ، ربط المسلمين جميعا برباط البر والاحسان اثناء حياتهم العادية ، وحين جعل اموالهم وانفسهم كلها فداء له في حالة تعرضهم لاي خطر طارىء .

فاثناء السير العادي للامة الاسلامية ، يحق للمسلم ان ينمي ثروته في ظل احكام الشرع ، مقابل حق ثابت لبيت المال ، هو الزكاة ، يتنوع بتنوع الاموال الخاضعة له ، ويعد من اركان الاسلام ، بحيث لا يقوم اسلام المرء بدونه . . . والى جانب ذلك ، هناك حقوق غير ثابتة في امواله ، وغير جبرية ، متروكة لمبادراته الفردية ، ومن امثلتها الوقف ، والصدقات ، والاحسان بمعناه الواسع . وقد رأينا سابقا ، انه ليس هناك من سند يثبت ان هذه الحقوق غير الثابتة ، يمكن ان ترفع الى درجة الحق الثابت ، أو الزكاة . . .

اما الشيوعية ، فقد اختارت طريقا معاكسا ، لانها تصادر الثروات جميعها ، وتجعلها تحت تصرف الدولة ، او على الاصح تحت تصرف السلطة الفعلية في الدولة . فليس هناك اي تشابه بين الاسلام والشيوعية الا من حيث رفض فكرة الضرائب ، ولكن الاختلاف جوهري من حيث ان الاسلام يترك الثروة تحت تصرف الاشخاص ، ويلزمهم بالزكاة وبالجبايات المقررة شرعا ، وبالاحسان والبر التطوعي من جهة ، وببذل كل التضحيات ، كل ما تعرض المجتمع الاسلامي لاي غزو او خطر او ازمة . . .

على ان الراسمالية اختارت طريقا ثالثا مغايرا للطريقة الاسلامية وللطريقة الاشتراكية ، فهي تجعل الضرائب المورد الاساسي لمواجهة نفقات الدولة ، وحتى للحد من تكاثر الثروات عن طريق ضرائب تصاعدية فهي اسلوب يتوافق مع اطار اخلاقي يضفي المشروعية على جميع طرق الكسب المحرمة في الاسلام ، كالربا والاحتكار والقمار . . . ومع اطار تشريعي يصون الكسب على الطريقة الراسمالية من كل اعتداء .

ان الفرد في المجتمع الراسمالي ، حين يؤدي الضرائب لخزينة الدولة ، ينتهي دوره ، فالدولة هي التي تتكلف بسد كل الحاجات ، وهذا هو سر التناقض القائم بين افراد المجتمع الراسمالي ، من حيث ان هناك فئة غنية تستفيد اكثر من الضرائب التي يؤديها الاغنياء ومتوسطو الحال والفقراء على حد سواء . . .

الرباط : عبد الواحد الناصر

(18) تعقيب على التصويب او تعقيب على التعقيب ، دعوة الحق ، العدد السابع 1392 ـ 1973 ، ص 15 .

التصوّر الإسلامي للحياة الحضارية

للأستاذ محمد العزبي المناصر

بين قيمة الحياة وغايتها ..

تتراوح الحياة بين مفهومين خطيرين هما : مفهوم القيمة ومفهوم الغاية. ونحن ان كنا من الوجهة الاسلامية قد انتهينا في الموضوع السابق ، الى ان الحياة لا قيمة لها . فاننا الآن سننتهي الى ان الحياة لم تخلق عبثا ، بل خلقت لغاية معينة تؤديها .. وبين القيمة والغاية مفاوز قد يصعب على البعض الجمع بينهما . وقد لا يصعب على البعض الآخر استغلالهما معا . وقد يظن البعض انهما متنافرتان في الشكل والمضمون والتركيب . فهل من لا قيمة له لا غاية له ؟! الحقيقة ليست كذلك ، فقد يكون الامر حقيرا ولا قيمة له الا ان عبرة وجوده بغايته لا بقيمته .. ومن ثم يصبح للفساد في الارض غاية ، ويصبح للعبث في الحياة غاية . والانسان ان كان ذرة بنسبة حجمه للكون ، ولا شيء بالنسبة لقدرته وسط الكون الهائل ، فان له غاية واية غاية وهي في الارض . وان كان السؤال عن قيمة الجنس والنساء والاموال والاولاد واللهو واللعب والجد والعمل وحتى الوجود والعبادة لن يجدي في تحديد قيمة المعنى الوجودي فان هذه كلها وغيرها لها غايات في هذا الوجود قلت او كثرت ، استقامت او انحرفت ، فهي التي تحدد لكل من تلك الجزئيات وجودها ..

فالدنيا مجتمعة او مجزاة لها غايتان ، غاية لذاتها وغاية لغيرها . غايتها لذاتها تتمثل في خضوعها لربها وعبادتها له ، وتسبيحها باسمه ، فهي اسلامية أمام الله . وغاية لغير ذاتها وتتمثل في خضوعها لارادة الانسان . وقد يظهر ان هذه الغاية الاخيرة تهم الانسان اكثر مما تهم الدنيا . الا انها ضرورية ، فيها تتم عملية خضوع الدنيا لله والتسليم له ، فلولاها لما ثبتت الغاية الاولى. والحياة الدنيا لن تكون اسلامية الا اذا انساقت ولانت بين يدي الانسان . فالدنيا وجدت لتمد الانسان بما يريد من خيرات ، ويصنع على ظهرها ما يشاء ، ويبني من الحضارات ما يريد . فالله صنعها لتمد الانسان فيمتحن بعمله ويبتلى به .

قال تعالى :

(من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا، ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا ، كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا ، انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) . (1)

خلافة الانسان والحياة الحضارية ..

من هذا المدد وهذا العطاء تبدا انطلاقة الانسان في الحياة الحضارية . ويأتي سؤال الغاية دفعة واحدة : لماذا أوجد الله الدنيا ؟ ! ولماذا أوجد الحياة؟! ولماذا اوجد الحضارة ؟! .

(1) الاسراء : 18 – 20 .

اننا عندما نقول الحياة الحضارية نقصد مجهود الخلافة ، مجهود خلافة الانسان فى الارض ، وتفسيره لها . فالانسان هو خالق الحياة الحضارية اثناء تفاعله مع الكون معتمدا على المدد والعطاء من الله سبحانه فالعمل اساس الحياة الحضارية وبه تتجلى الخلافة فى كل ابعادها .

قال تعالى :
(تبارك الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم احسن عملا ، وهو العزيز الغفور) . (2)

وعلينا ان نفهم ان الاحسن هاهنا ليس معناه الاتقن بالمفهوم التقني المهني فحسب ، وانما هو بمعنى الاقوم بالمفهوم العقائدي .. فعناصر الحياة الحضارية لا تقوم على جانب دون جانب ، فهي لا تقوم على الاتقان دون القوامة ، ولا على الصحة دون الكرامة ، فقوة الفرد ، وقوة الجماعة وقوة الحضارة ، لا يمكن ان تقوم الا بما يمكن ان تقوم به القوة مجتمعة ..

والامة الاسلامية كي تقوم بدور الامامة والزعامة لا بد ان تعتمد العناصر التي اهداها الاسلام بها ، والتي تؤهلها لهذا المنصب الخطير ..

(ومن هذه العناصر تتالف القوة الحقيقية التى تصل بالامة الى غايتها ، من العزة والمنعة ، والمجد والسؤدد ، والسيادة والقيادة ، والتمكين فى الارض .

وليست هذه العناصر مقصورة على جانب دون جانب ، وانما تتناول جانب الحياة جميعا فهي تتمثل :

- فى الايمان بالله ايمانا يحرر الضمير والوجدان .

- وفى الاعتصام ، بالحق استعصاما ما يزهق امامه الباطل ويندحر .

- وفى معرفة الضعف النفسي ، والتطهر منه ، حتى تأخذ النفس طريقها الى العزة ، والسمو الروحي .

- وفى العلم المقوم لشخصية الانسان ، والكاشف عن حقائق الوجود المادي ، وما وراء هذا الوجود من عالم ما وراء الطبيعة .

- وفى الثروة ، وتعمير الارض ، واستثمار قوى الكون والانتفاع بما فى الطبيعة ، من بركات الله وخيراته ، وتوزيعها على افراد الاسرة الانسانية بالكفاية والعدل .

- وفى اقامة المجتمع على اساس من الحرية والعدالة ، والمساواة والتشريع السمح ، والعمل الجاد ، والمعاشرة الحسنة ، والحكم الصالح ، التى تكون فيه السيادة للامة .

- وفى السلام القائم على احترام الانسان وكفالة حقوقه .

- وفى احترام العهود والحفاظ على المواثيق .

- وفى التضحية النبيلة والاستشهاد فى سبيل الحق ومن اجل الحياة الحرة الكريمة .

هذه هي عناصر القوة فى الاسلام ، وهي ليست مثل القوة التى اصطلح الناس عليها ، فهي قوة فى العقيدة ، وقوة الخلق ، وقوة فى العلم ، وقوة في المال ، وقوة فى التماسك الاجتماعي ، وقوة فى التنظيم السلمي ، وقوة فى الاستعداد الحربي .

وسيادة الامة وقيادتها منوطة بتوفر هذه القوى مجتمعة) (3)

ان ممارسة الحياة ، وبناء الحضارة ، واقامة المدنيات ، من عمل الانسان ، انها محض خلافة الانسان فى الارض . وليس ضروريا ان تكون هذه الحضارات والمدنيات على مستوى واحد ، فى التكوين والامكانات ، ولا ان تكون مترابطة فى حلقات تتم بعضها قهرا ، او تسير من الانحطاط الى التقدم قسرا ، او من الخرافة الى العلم ضرورة .

---

(2) الملك : 2
(3) من مقدمة كتاب : عناصر القوة فى الاسلام للسيد سابق ، ص : 3 ــ 4 .

الحياة الحضارية : نظام تصور للحياة :

الرابطة الحقيقية الوحيدة بين الحضارات هي عقائدها . فلكل حضارة عقيدة وتصور خاص تقوم عليه ، وتعتمد على اساسه . وقد تتعدد هذه التصورات ونظمها ما شاء لها التعدد ، وتتنوع ما شاء لها التنوع ، لكنها لا تخرج عن تصورين : تصور الحياة الدنيا ، وتصور الآخرة . وقد تجلى ذلك واضحا فى المذاهب المادية والاديان واقعيا ، وبين الجاهلية والاسلام فعليا .. واشد الفلسفات المعاصرة حركية وقوة ، واكثرها فعالية وتأثيرا فى نفوس الناس ، لهي الليبرالية والشيوعية .

التصـــور الليبرالـــي ..

ينطلق التصور الليبرالي الرأسمالي من الالتصاق بالواقع المعاش .. الواقع الذى يتخبط فى مجاهله المجتمع بكل ما أوتي من قدرة العلم والعمل فهو يريد ان يعيش الواقع بمفاهيم وتصورات معينة ، ولكنه واقعيا يعيش أحداثا اخرى لا تمت لمفاهيمه بصلة .

فالمجتمع الليبرالـي ، مجتمـع الرفاهيـة والانتاج،مجتمع الاقتصاد والاهتمام به،هو نفسه مجتمع فوضوي الفقر ، مجتمع فوضوي البطالة ، مجتمع الانهيار .. سواء داخل هذا المجتمع نفسه او فى المجتمعات الاخرى المستضعفة التى يمتص دماءها بحجة الانسانية والمساعدة .

فى هذا المجتمع ، تندفع الحرب فى شكل عصابات خطيرة تقتل وتسرق وتغتال .. وتندفع خارج تلك المجتمعات فى حرب اهلية لاختلاف منفعة او مصلحة .. وتعلو كل هذا شعارات الاخاء والسلام ..

فى هذا المجتمع ، تنخر العصبيات الفتاكة تماسك المجتمع فلا ترى الا حربا هدامة ما بين ، بيض وسود ، وبيض وحمر ، وبيض وصفر ، حيث تندثر فيها كل معالم الاخاء والمساواة .

فى هذا المجتمع ، تجد الدعارة والفجور التهتك والاباحية التي ينخلع لها القلب وينفزع ، تجد نفسها على اساس من الحرية بأن تفعل ما تشاء ، وتتلذذ بما تشاء .

وهكذا .. فرغم شعارات الانتاج فهناك فقر وبطالة . ورغم شعارات الرخاء والرفاهية ، فهناك نكد وشقاء . ورغم شعارات السلام فهناك حروب ضروس . ورغم شعارات الاخاء والمساواة فهناك عنصريات تذهب بكل القيم . ورغم شعارات الاخلاق والمثالية فهناك الدعارة والاباحية والتهتك.

المجتمع الليبرالي ، حماة مسنونة ، جمعت كل الخبائث ، وضمت كل المكاره ، ومع ذلك ففيها نفحات الانسان .. يرفع صوته مناديا لكن الصوت يذوى وسط الحماة وقمقمة مفاسدها . ويبقى الصوت حلما تردده الآفاق .. وحتى وان حاول الخروج الى عالم الواقع ظل حلما ..

التصـــور الشيوعـــي ..

الشيوعية حلم من احلام المجتمع الليبرالي .. فهي تبشر الناس بعالم جديد ، وبحياة جديدة ، لا دولة فى نظامها ، ولا طبقات فى مجتمعاتها ، لا فرق بين عمالها ومفكريها ، ولا بين بدوييها ومدنييها .. فكل يفعل حسب قدرته ، وكل يأخذ حسب حاجته .. فعوائد حياتها الاجتماعية ستتغير ، واخلاقها ستتبدل ، وطبائع اناسها ستنطلق بلا قيود فى طريق الابداع والانتاج .. فالحياة التى تبشر بها الشيوعية ليست جديدة فى نظامها الحضاري وكميتها فحسب، بل هو تجديد وتغيير فى كيفية الحياة نفسها كذلك ..

هذا الحلم الشيوعي اللاواقعي ، البعيد عن منطلق الحياة الحضارية وامكاناتها ، ومقوماتها وعقائدها .. هذا الحلم عند ما دخل عالم الواقع والتطبيق ظهر اختلاله ، وبانت تناقضاته ، واستحال التطابق بين نظريته وتطبيقها .. فالواقع كذب فكرة انطلاق الشيوعية من المجتمع الراسمالي الذى بلغ قمة التطور الصناعي ، ولم نر الشيوعية تزدهر الا فى الدول المتخلفة ، ولم نرها تقيم الا انظمة استبدادية قاهرة تغتال الحريات وتقتل الابداع . وسقط الحلم فى اعماقه فالذي تغير هو النظام فى عمومياته اما الحياة فلم يطرا عليها اي تغيير .

(فالانحراف البيروقراطي بدا بعد وفاة لينين بخرق مزدوج لمبادىء الديمقراطية الاشتراكية ، اولا فى الدولة : احلال دكتاتورية الحزب محل دكتاتورية البروليتاريا . وثانيا فى الحزب نفسه : احلال

دكتاتورية لزعيم الحزب محل دكتاتورية الحزب مع تضخم المركزية دونما قياس على حساب الديمقراطية) (4) .

التصور الاسلامي ..

من الاخطاء الشائعة بين الكتاب الاسلاميين استعمالم للشعارات التي طرحتها الجاهلية المعاصرة الراسمالية والاشتراكية ، لاظهار الاسلام في ابهى حله ، فهم يقولون ان النظام الاسلامي هو اصلح نظام ، فهو الذي سيحمل السلام الى العالم، وهو الذي سيحقق السيادة ، وهو الذي سيرفع الحياة الى اعلى المثاليات ،وهو الذي سينشر العدالة الاجتماعية فيقضي على الظلم والفقر .. هذه النظرة الغرابية للحياة ، البعيدة المنال ، التي لا تتحقق في عالم الناس ، لا تضع فرقا حقيقيا بين الحياة الجاهلية والحياة الاسلامية . بل وتعكس في وقتنا الحاضر مظاهر التاثر بمفاهيم الحضارة المعاصرة . فالسلام والمساواة ، والاخاء ، والسعادة ... شعارات ومفاهيم غريبة لا تعبر عن الواقع المعاش في مواطنيها فبالاحرى في البلدان المستوردة اليها. فالحياة الاسلامية ليست شعارات تخلق ، ولا اماني تصاغ ، ولا مثاليات ترتجى ، ولا اخلاقيات ترتقب . انها تلك الحياة التي تتفاعل في محيط الحياه والواقع ، فلا تقوم الا بمجهود ، ومجهود جبار كما تقوم به اية حياة . فالاسلام لن يحل بعكازه السحري ، كما يتوهم البعض ، مآت المشاكل ، بل قد تخلق مشاكل اعوص من مشاكل الجاهلية . وليس هناك مانع لذلك . فالمجتمع الاسلامي ليس معناه قمة الكمال والمثالية . انه مجرد مجتمع انساني (5). يحتكم الى شريعة الله ويأتمر بأمر الله. انه مجرد مجتمع انساني معرض لكل خطر خارجي او داخلي ، معرض لكل المشاكل الفردية او الجماعية ما لم يكن هناك حسم وحزم في الحركة الاسلامية التي تستطيع ان تتحكم في مجرى الحياة . فان كان المسلمون في مستوى دينهم ومعركتهم كان مجتمعهم اقوى وامتن واقدر على حل المشاكل ومحو آثارها من المجتمع .

بين الجاهلية والاسلام ..

فهل مظاهر الحياة الحضارية واحدة اذن ؟! اليس هناك فرق في الحياة الحضارية بين الاسلام والجاهلية ؟ !

لا شك ، ان الانسان يستطيع ان يجزم ان مقومات الحياة واحدة . وان كثيرا من مظاهرها متشابهة الا ان لكل حياة طابعا يطبعها ، ولكل حياة ميزة تميزها . فان طبعت الجاهلية وتميزت بأنها حلم في واقع مرير فان لاسلامية تتميز بانها واقع. فالمسلم لا يتخيل الحياة في اطار خارج عن مقدرة الانسان وكفاءته في الكون ، وارتباطه معه فيزيولوجيا وسيكولوجيا ، وسوسيولوجيا ..

1) اختلاف نظام الحياتين في الجوهر .

يبدو الاختلاف بين الحياتين الاسلامية والجاهلية في الجوهر والمظهر . فمن حيث الجوهر نرى :

1) ان النظام الاسلامي يقوم على التقوى التي تجعل الانسان يتقيد بالقوانين تلقائيا استجابة لامر الله وارضاء له واسلاما . اما النظام الجاهلي فيقوم على الخوف والرهبة من بطش الحكام بالناس فيستسلمون له خاضعين في عبودية وذلة .

2) النظام الاسلامي دين يتعبد الناس به ويتقربون به الى الله والانسان فيه ثواب منتظر من الخالق . اما النظام الجاهلي فلا تعبد فيه ولا ثواب عليه وانما عقاب منتظر فهو مجرد خضوع وتنظيم .

3) التنظيم الاسلامي يربط الانسان بالله فيرفعه من عبودية الانسان لاخيه الانسان او عبودية شعب لشعب ، ويبعده عن استغلال امة لاخرى . بينما النظام الجاهلي يربط الانسان بالانسان (صاحب السلطان) او بالدولة وهي التي يسيطر عليها انسان فتظل العبودية قائمة او متوقعة (6) .

اختلاف الحياتين في المظهر ..

يختلف المجتمع الاسلامي عن المجتمع الجاهلي في كثير من مظاهر الحياة ، فان كان الليل عند المسلمين سباتا ، فهم ينامون فيه مبكرين ، وتتوقف

---

(4) في سبيل نموذج وطني للاشتراكية روجيه غرودي ص : 125 .
(5) لا اقصد المعنى الاخلاقي بكلمة انساني .
(6) المجتمع المتكافل في الاسلام الدكتور عبد العزيز الخياط . ص : 51 — 52 .

كل جهود الانتاج وكل مظاهر السهرات وحفلات الليالي الحمراء ومنشطاتها من سينما ومقاهي وحانات ، فمهما تدوى كل الاغاني الفاجرة التي تمدح الليل الفاجر . وتنطفيء شموع الدعارة والاباحية . وتسقط مع الشروق كل الهالات التي تحيط بالكاسيات العاريات . فلكل امراة كرامتها ، ولكل امراة عزتها ، فلا تبتذل ولا تكون صدقة سهلة لكل رجل في الحرام .. فنظافة المجتمع اقوى مظاهره ، نظافة في اللباس ، ونظافة في البدن ، ونظافة في الاخلاق ، ونظافة في العمل ... وتجد الاخوة والتعاون والتكافل والتضامن من العمليات اليومية التي تحدث وتقع في هذا المجتمع في اشكال عدة ، ومظاهر شتى .

وهذه المظاهر مجتمعة ليست منعدمة في المجتمع الجاهلي ، الا انها قليلة الحدوث ، نادرة الوقوع . وان حدثت حدثت منفصلة عن بعضها البعض فتطفو وكأنها شذوذ .. في حين انها في المجتمع الاسلامي كل لا يتجزأ .. متشابكة مع بعضها البعض . فان حدث فساد كان شاذا او نادر الوقوع . فالاختلاف في مظهر الحياة بين الحياتين (الاسلامية والجاهلية) هو مظهر الاختلاف بين الصلاح والفساد . ففي الجاهلية يكثر الفساد باشكاله المتعددة . وفي الاسلام يكثر الصلاح بوجوهه العديدة .

اختلاف الحياتين في النظام ..

ان النظام كيفما كان نوعه وشكله ، كيفما كانت قوانينه وتشريعاته ، يقوم على عقيدة تحدد له الخطوط العريضة والجزئية التي يقوم عليها ، ويتشكل في اطارها . من هذا الاساس علينا ان لا نفرق بين شيئين اثنين ، بين النظام ومباديء النظام .. فالمباديء قد تكون نظرية لم تغدو في الواقع ، ولم تشكل نظاما ، في حين أن النظام هو الوعاء الكامل للنظرية والتطبيق ، للكتاب والسنة . والفصل بينهما عندئذ مستحيل لاننا لم نعرف الاسلام منفصلا عن الرسول ، عن افعال الرسول ، عن نظام الرسول . فالنظام الاسلامي هو تلك العقيدة التي تحقق نفسها في الواقع ويكون منفتحا . قابلا لابتلاع كل التنظيمات الممكنة لمواجهة المشاكل . فهو ثابت نامي . في اطره ومؤسساته وفكرة النماء هذه في النظام ليست بأي حال تغيير فيه ، ولا تطور ، انه ليس الا نمو في الاجزاء والمؤسسات والاطر .

نظام الخلافة في الاسلام ..

وقف بعض المعاصرين من الخلافة موقف المعارضة . فمنهم من يرى ان نظام الخلافة ليس اسلاميا ، ومنهم من يرى استحالة تطبيقه ، ومنهم من يرى ان الحكم للبشر وليس لله ، ومنهم من يرى انه كان لفترة حضارية معينة واما الاسلام فلم يأت بشكل تنظيمي معين .

علي عبد الرازق والخلافة ..

ذهب علي عبد الرازق في كتابه الاسلام واصول الحكم ، الى ان الاسلام وحدة دينية ولا علاقة له بالوحدة السياسية . وان زعامة الرسول كانت دينية لا سياسية ويقول في ذلك :

(ان الاسلام وحدة دينية والنبي (ص) دعا الى تلك الوحدة واتمها بالفعل قبل وفاته) . والرسول : (ما كان الا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك ولا دعوة دولة) . وان كانت : (الرسالة لذاتها تستلزم للرسول نوعا من الزعامة في قومه والسلطان عليهم ، ولكن ذلك ليس في شيء من زعامة الملوك وسلطانهم على رعيتهم فلا تخلط بين زعامة الرسول وزعامة الملك) . و : (من كان يريد ان يسمي تلك الوحدة الدينية دولة ، ويدعو سلطان النبي (ص) « ذلك السلطان النبوي المطلق » ملكا او خليفة او سلطانا .. الخ . فهو في حل من ان يفعل ، فان هي الا اسماء لا ينبغي الوقوف عندها ، وانما المهم كما قلنا هو المعنى وقد حددناه لك تحديدا) .

امام هذه النصوص ، وعليها استند الكثيرون ليقولوا ان علي عبد الرازق ينفي ان يكون الاسلام دينا ودولة ، عقيدة وسياسة ، مباديء ونظاما ، نجد الكثير من الحق في الوصف . فالرسول حقيقة اقام الاسلام ولم يقم دولة !. ولكن خطر الفكرة يبدا عندما يستند علي عبد الرازق على هذه الحقيقة ليفرق بين المباديء والنظام ، بين الكتاب والسنة ، بين النظرية والتطبيق . فيصل الى ان الاسلام خالي من نظام الحكم ، ولم يقم نظام حكم قط .

قال : (والحق ان الدين الاسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون ، وبريء من كل ما هيأوا حولها من رهبة ، ومن عزة وقوة . والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية .

كلا ، ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة . وانما تلك كلها خطط سياسية صرفة ، لا شأن للدين بها ، فهو لم يعرفها ولم ينكرها ، ولا أمر بها ، ولا نهى عنها ، وانما تركها لنا لنرجع فيها الى احكام العقل ، وتجارب الامم وقواعد السياسة) .

عبد الحميد متولي والخلافة ..

يرى عبد الحميد متولي في كتابه مبادىء الحكم في الاسلام ان الاسلام وسط واعتدال . فهو لم يات بنظام معين وانما اتى بمبادىء شاملة عامة صالحة لكل زمان ومكان لا تتعارض مع اي نظام كان اذا جعلها مبادئه . يقول :

(ان وضع المسألة على اساس اذا كان الاسلام دين ودولة ؟! هو وضع غير سليم ؟! والوضع الصحيح في نظره هو : (اذا كان الاسلام قد جاء بمبادىء عامة لنظام الحكم في الدولة ؟!)

هذا الوضع في الحقيقة فصل صارخ بين المبادىء والنظام اي بين الوحي والسنة . وهو سيؤدي بعد قليل بالكاتب (متولي) الى اهدار السنة والاجماع وغيرهما من مصادر التشريع اولا . وثانيا الى فتح سلسلة من التطورات التي لا حد لها ..

يقول : (ان القرآن الكريم قد جاء بها مبادىء عامة تتسع عموميتها وتتقبل مرونتها ان تتشكل صورتها ويتطور مضمونها تبعا لمختلف البيئات في مختلف العصور ، حيث لم يعرض القرآن بصددها الى التفصيلات والجزئيات او الى بيان صورة من صور كل مبدأ من تلك المبادىء مما يختلف باختلاف ظروف الزمان والمكان) (7) .

اننا قد نتفق مع الكاتب ان القرآن اتى بمبادىء عامة ، ولكننا لن نوافقه على تمييع مضمونها تبعا لذلك ، ولا لاجهاضه للتفصيلات والجزئيات لانها من السنة . فهي حسب قوله ليست تشريعا عاما ولا تلزم الاجيال التالية شرعا . وهذا في نظري فصل مزدي بين مبادىء النظام والنظام نفسه . يقول :

(اما السنة التي تعرض احيانا لتلك التفصيلات والجزئيات فهي لا تعد في هذا المقام : مقام الشؤون الدستورية (الشؤون المتعلقة بنظام الحكم) تشريعا عاما ، اي انها لا تعد ملزمة شرعا للاجيال التالية ، وبالتالي لا تعد ملزمة شرعا لنا في العصر الحديث) . (8)

وهكذا ينطلق متولي من اجهاضه لمصادر التشريع الى استحالة قيام نظام الخلافة فيقول :

(ان قيام نظام الخلافة « بالشروط والصورة التي بينها رجال الفقه الاسلامي » يعد في عصرنا هذا — شأنه شأن الاجماع — ضربا من المحال) (9)

(فالاسلام قد جاء — في شؤون الحكم — بمبادىء عامة معينة تصلح للتطبيق في مختلف الازمنة والامكنة فهو لم يجيء بنظام معين من انظمة الحكم) (10) .

حسن عشماوي والخلافة ..

يذهب حسن عشماوي في كتابه قلب آخر الزعيم بأن النظام من اختصاص المسلمين وابتداعهم . فهم الذين يحكمون انفسهم وعليهم في ذلك ان يختاروا النظام الذي يروقهم للحكم .. فهم الحاكمون .. اما الانبياء والرسل فلم يكونوا حكاما فهم مجرد رسل او معلمو مذاهب . يقول :

(ان صح القول بأن واحدا من هؤلاء الثلاثة قد حكم بالمعنى المفهوم لدينا . انا لا أتعرض لهؤلاء .. فهؤلاء رواد ! انهم رسل الله عند من يؤمن بالله والرسل ، ومعلمو مذهب عند من لا يؤمنون بالغيب) . (11)

وظرافة رفض عشماوي للخلافة تأتي من زاوية تختلف عن علي ومتولي . فهو يرفض اهم فكرة تقوم عليها الحركة الاسلامية المعاصرة .. يرفض فكرة

---

(7) ص : 460 .
(8) مبادىء الحكم في الاسلام عبد الحميد متولي ص : 460
(9) مبادىء الحكم في الاسلام، عبد الحميد متولي ص : 548 .
(10) مبادىء الحكم في الاسلام، عبد الحميد متولي ص : 550 .
(11) قلب آخر لاجل الزعيم حسن عشماوي ص : 107 .

الحاكمية لله (فى السياسة خاصة) ويراهـا مـن اخطر النظريات العامة التى لا تعـرف التطبيـق . يقول :

(وحين زالت الحقيقة المشرقة التى عاشهـا الناس فى ذلك الوقت ... بداوا يقولون بالنظريات العامة التى لا تعرف التطبيق فكان اخطرها جميعا قول من قال : « لا حكم لا لله ») (12) .

ويقول عن الدعوة المعاصرة : (ومنهم من نادى بالمردة الى ماضينا نستمد منه نظامنا ، نظام حكمنا .. فنادى بالاسلام دينا ودولة ، دون ان يبين لنا كيف يكون ذلك واغرق احيانا فنادى بحاكمية الله دون ان يبين لنا كيف يحكم الله ؟) (13).

ثم يناقش عشماوي فكرة الحاكمية لله فيرى : (ان حاكمية الله فى الارض بمعنى سيادة نواميسه قائمة بحكومة دينية او غير دينية .. وبغير حكومة على الاطلاق . اما حاكمية الله فى الارض على النحو الذي يرفعونه شعارا للحكم فلا يعني الا احد امرين: اما حكومة دينية متسلطة .. واما فوضى) (14)

وبهذا يضع عشماوي يده على نقطة اساسية فى قضية الحكم فى الاسلام . ويجرد النظام منها ، حتى لا يبقى للنظام مسند تتكيء عليه ، ويقوم على اساسه . ولكن عشماوي يقع فى مغالطة فادحـة وتناقض بين . فهو يرى :

(ان الحكومة الدينية بمفهومها الحقيقي هـي تلك الحكومة التى تقوم فيها واسطة بين السمـاء والارض ، وتحكم هذه الواسطة باسم السمـاء ، فتحرم ما لا ترضى عنه ، وتحـل ما يستـنـد مصالحها) . (15)

ثم يناقض نفسه حيث يؤكد ان الحركـة الاسلامية المعاصرة لا تريد حكومة دينية ، ولا تقصد بمفهوم الاسلام كدين ودولة ما يفهم من الحكومـة الدينية . والسؤال الان اذا كان الامر كذلك فلم يحارب عشماوي فكرة الحاكمية لله ؟

يقول : (هل يظن احد ان دعـاة الحركـة الاسـلامية ـ بما فيهم هؤلاء الدعاة ـ يريـدون فى المنطقة حكومة دينية .. وان هذا مفهوم حديثهم عن الحكومة الاسلامية ، وعن الاسلام كدين ودولة ؟.. يقيني ايضا ان لا ..) (16)

فصاحبنا اذن يرفض الحاكميـة لله ويخلـط بينها وبين الحكومة الدينية ويبريء الحركة الاسلامية منها بالتالي .. وهذه مغالطة وتناقـض فى نفـس الوقت ليصل الى السبيل المنجي . وهذا فى نظره ان الامة هي مصدر السلطة على الارض وصاحبـة السيادة ، ومقومات ذلك ووسيلة ممارسته هـي الحرية والقوة وحق الاختيـار وحـق المحاسبـة والمراقبة ..

محمد أحمد خلـف اللـه والخلافـة ...

ذهب احمد خلف الله فى مقال مسلسـل فى مجلة الكاتب المصرية الى نفي الشكل التنظيمي للدولة فى القرآن الكريم والسنة النبوية واعتبار نظـام الخلافة من اجتهاد الخلفاء الراشدين، وان لا ضير علينا فى ان نختلف معهم ، فاجتهادهم كان يتـلاءم والطور الحضاري الذى كانت البشرية تمر فيه . يقول : (لم ترد فى القرآن الكريم آية واحدة عن الشكل التنظيمي للدولـة ... وان الاحاديـث النبويـة الشريفة لم تتعرض للشكل التنظيمي للدولة ، شأنها فى ذلك شأن الآيات سواء بسواء .

ولم يكن ذلك الا عن قصد اقتضته حكمة الشارع الحكيم فى هذه المرحلة من حياة البشرية .

ان المجتمعات البشرية فى تغير مستمر والقاعدة الاصولية والاسلامية تقول بتغيير الاحكام تبعا لتغير الازمان .

وموقف القرآن وموقف الحديث او السنة ، من الشكل التنظيمي للدولة هو الموقـف الحكيـم الصادر عن العليم الخبير) (17) .

---

(12) قلب آخر لاجل الزعيم حسـن عشمـاوي ص : 118 .
(13) قلب آخر لاجل الزعيم حسن عشمـاوي ص : 120 .
(14) قلب آخر لاجل الزعيـم حسن عشمـاوي ص : 136 .
(15) قلب آخر لاجل الزعيم حسـن عشمـاوي ص : 132 .
(16) قلب آخر لاجل الزعيم حسـن عشمـاوي ص : 131 .
(17) مجلة الكاتب ، مقال (القرآن والدولة) العدد : 139 ــ ص : 25 .

ويقول في اختيار الخلفاء : (ان كيفية اختيار الخلفاء الراشدين او رؤساء الدولة الاسلامية الاولى قد صدرت عن اجتهاد من الخلفاء الراشدين ولم تصدر عن نص من القرآن او من السنة النبوية الشريفة .

وان هذا الاجتهاد قد اختلفت صورته عند الخلفاء الراشدين انفسهم فلقدكان اجتهاد عمر في بيعة ابي بكر مختلفا عن اجتهاد عمر نفسه فيمن يخلفه وكان اجتهاد ابي بكر فيمن يخلفه مغايرا لاجتهاد عمر في المرتين .

ان معنى ذلك ان باب الاجتهاد في هذه القضية مفتوح على مصراعيه وان من حقنا ، ولا ضير علينا، في ان يجيء اجتهادنا مخالفا لاجتهادات غيرنا .

ان اجتهادنا انما يجيء في اطار من الظروف التي تحيط بنا ومن المرحلة الحضارية التي نمر بها) (18) .

— * —

في هذه المواقف المتشابهة في معارضتها والمختلفة في اتجاهاتها وميولاتها نجد الرفض شبه التام لنظام الخلافة بتعليلات مختلفة .. في حين كل منهم يدعو الى سبيل جديد ، ونظام مقترح لا يخرج في أطره عن التعاليم والشعارات الغربية المعاصرة ... ولقد اردت من كل هذا العرض ان اترك للقاريء الكريم المجال ليشعر بتباين النظام الجاهلي مع النظام الاسلامي من خلال رفض ابناء جلدتنا للنظام الاسلامي في عهد الرسول والخلفاء الراشدين ، مع دعوتهم لأنظمة جديدة هم انفسهم لا يتفقون على تفاصيلها وعمومياتها رغم ان شملهم يجمع في تأثرهم بنظام الحكم الجاهلي المعاصر .

نظام الاقتصاد في الاسلام ...

الحديث عن النظام الاقتصادي في الاسلام من اشد الاحاديث افضلية لما له من مكانة في نفوس الناس .. ونحن اذا ملنا الى ما كتبه الاسلاميون في الاقتصاد الاسلامي نجد ثلاثة تيارات منها ما يميل الى النظام الاشتراكي ، ومنها ما يميل الى الراسمالي ، ومنها مايرفض التيارين المتأثرين بالحضارة الجاهلية، بحيث لا يكون وسطا بينهما ولا يميل الى احدهما فهو يرى الاسلام نسيج وحده .

التيار الاشتراكي الاسلامي ...

انتشر التيار الاشتراكي بين الاسلاميين منذ دخول الثقافة الغربية وأنظمتها الى العالم الاسلامي . ومن الرواد الاوائل الذين قالوا بالاشتراكية جمال الدين الاسد بادي المشهور (بالافغاني) وعبد الرحمن الكواكبي، ثم بعدهم كثيرون وعلى راسهم مصطفى السباعي الذي اعطى بكتابه اشتراكية الاسلام اشارة المرور بجحافيل الاسلاميين ليعلنوا بكل ما اوتوا من علم ومقدرة عن اشتراكية الاسلام .

وصادف ذلك أن كثر الكلام عن الاقتصاد الاسلامي وادلى كل عالم برايه بل وكاد ان يخرج العالمين مذهبا اقتصاديا جديدا بلسما للمشاكل وترياقا للمصاعب . وهؤلاء جميعا نسوا او تناسوا أن الاقتصاد الاسلامي ليس مذهبا اقتصاديا صرفا بحيث يمكن استخراجه استخراجا من الاسلام ليكون قائما بنفسه .. فالاسلام منهج للحياة .. منهج يعتمد شرائع ومباديء متكاملة ، متناسقة ، مترابطة ارتباطا وثيقا ولا يمكن فصل جزء منها عن غيره . فالزكاة ان طبقت مجردة عن الاسلام كمنهج للحياة شامل ، ستكون مجرد ضريبة من الضرائب وما اكثرها !! وكذا بالنسبة لمجموع التعاليم الاقتصادية الاسلامية اذ فصلت عن المجموع وعن المنهج الشامل للحياة .

على هذا الاساس نرى ان المحاضرة التي القاها الاستاذ علال الفاسي في ملتقى الفكر الاسلامي بوهران ، فيها جوانب اخذ ورد رغم شموليتها وعمق بحثها. وبالتالي ، ان هذه الجوانب مسائل اساسية وليست جانبية .. واهم هذ الجوانب الملكية بصفة عامة وملكية الارض بصفة خاصة .

يقول الاستاذ علال الفاسي :

(اما الملكية فقد جعل منها الاسلام ملكية عامة وملكية خاصة : فالاولى : تشمل المواد الاساسية هي : الماء ويشمل المائعات والمرعى وكذلك ما هو موزون والحطب يدخل فيه كل مواد الوقود ويشمل

(18) مجلة الكاتب، مقال (القرآن والدولة) العدد : 140 ـ ص : 34 .

كل المعادن ولا مانع من ان يضاف اليها كل ما يرى المسلمون مصلحة في جعله ملكا عاما كما فعل عمر ابن الخطاب في عام الرمادة .

والملكية الخاصة وتشمل ما يحتاج اليه الانسان من سكن وغذاء ولباس وما اليها . وكل ما يكسبه الانسان بكد يمينه وعرق جبينه او يستحقه بميراث او عطية هو ملك حلال له .

لكن هذه الملكية الخاصة ليست ذاتية للانسان لان المالك الحقيقي هو الله وكل مال فهو ملكه تعالى سواء تمثل ذلك المال في (سلعة اقتصادية) أو (سلع حرة) وقد استخلف الله الانسان في الارض وامره بالانتفاع بخيراتها للوفاء بحاجاته واصلاح معاشه على ان يكون انتفاعه متفقا مع مصلحة المجتمع الذى هو فيه ومصلحة البشرية كلها على العموم وهذه الخلافة في ملك المال تبيح ان ينسب ملك المال الى افراد الخليفة والى الجماعة) (19) .

هذه الفقرة — وهي ككل الفقرات التى تميل الى الاشتراكية عند بعض الكتاب الاسلاميين — تجد فيها اسلوبا صرفا .. وتجد حقائق اشتراكية ماركسية محضة .

فمن ناحية الاسلوب نجد كلمة الاسلام ونجد حديث الناس شركاء ونجد الملكية لله .. ونجد الانسان مستخلف فيها .. وهذا اسلوب اسلامي لا غبار عليه .

ولكننا اذا انتهينا الى المحتوى وتأملنا حدود الملكية العامة وحدود الملكية الخاصة ، والتصور الذي ينطلق منه المفهومان ، لرأينا عجبا .

ففي الملكية العامة نجد المائعات والموزونات ، ومواد الوقود والمعادن .. ولا مانع ان يضاف اليها ..ما لا نهاية له من المصالح !!

اما الملكية الخاصة فمسكن وغذاء ولباس وسلع وما يكسبه الانسان بعمل او ميراث او عطية !

ونفهم من هذا ان وسائل الانتاج ملكية عامة ووسائل الاستهلاك والكسب الفردي بالعمل ملكية خاصة .. والسؤال الذى يطرح نفسه الآن . ماهو الفرق بين الماركسية والاسلام اذا كانت الشيوعية تحرم ملكية وسائل الانتاج وتبيح ملكية وسائل الاستهلاك والكسب بالعمل الفردي والميراث والعطية ؟! وهي كذلك حقيقة !! انا شخصيا فى هذه الحالة لا ارى فرقا ، بل وحتى الاستاذ علال الفاسي نفسه لا يرى فرقا فقد تعرض للفرق بين الاسلام والماركسية فلم يجد بينهما الا الايمان . فالاسلام مؤمن والماركسية ملحدة . قال : « الواقع انه اذا كان تم التقاءات فى بعض المسائل فان الماركسية الحقيقية تجعل التخلي عن الدين فى مقدمة الاسس المبنية عليها فالاسلام مادة وروح والماركسية مادة فقط .. » (20) .

او كما قال : « ان ماركس يكره الاله والمسلمون فى حالتهم الحاضرة غير مستعدين للتخلي عن ايمانهم بالله » (20)

وفى مقال كتبه فى العلم عن انطباعاته حول الملتقى بوهران قال : « اننا نحن وان اخترنا فى حزب الاستقلال كلمة التعادلية فرارا من ان نلبس على الشباب المدلولات المختلفة الاشتراكية ، فان الاسلام لا يرى مانعا من اطلاق الكلمة على **مجموع التعبير المقصود بالاصلاح الاشتراكي** ، وقلت انه يمكننا اقتباسها من قول النبي (ص) : الناس شركاء فى ثلاثة : الماء والحطب والمرعى فالناس اشتراكيون فى ملكية مالا يجوز لاحد الانفراد بتملكه وقد صفق الحاضرون كلهم رضا بهذا التأويل . »

والحقيقة ان هذا التاويل الذى اعطاه الاستاذ علال الفاسي للحديث — وكذلك يفعل من يهتم بالاشتراكية ويتأثر بها — يقدم لنا تصورا جديدا ليس من مدلول الحديث . فالحديث اصبح يحدد معنى الملكية العامة والخاصة فى حين انه لا يمكن بمفرده ان يصور حقيقة الاسلام وتصوره الملكية العامة والخاصة . فالانطلاق من حديث يتيم الى المذهبية الاقتصادية برمتها لمن اخطر القياسات منذ ان بدا القياس كركن من اركان الاجتهاد .

---

(19) الملحق الاسبوعي بجريدة العلم (المغربية). الجمعة 6 اغسطس 1971 . العدد 119 . السنة الثالثة .

(20) فقرات من نفس المحاضرة . وفى رأينا ان الفرق بين الاسلام والماركسية هو ابعد من مجرد فرق فى الايمان بالله او كره له ، انه فى نفس تلك الالتقاءات فى بعض المسائل .

ويساند ما ذهبت اليه ان هذا الحديث (الناس شركاء) ما كان يفسر او يؤول بهذا التأويل قبل دخول الاشتراكية كنظام وثقافة الى عالمنا الاسلامي.. ويؤيد هذا حديث ابي هريرة يرفعه الى الرسول (ص): ثلاث لا يمنعن: « الماء والكلأ والنار » واسناده صحيح (21) - (22).

التيار الراسمالي الاسلامي ..

اما التيار الراسمالي فقلما نجد من يسانده فكريا ولكنه واقعيا قائما في المجتمعات الاسلامية، فهم يقيمون اغلب بنياتهم الاقتصادية على اساسه، وينظرون اليه كامر واقع لا يختلف عن الاسلام الا في بعض المبالغات المنحرفة والتي لصقت به نظرا لاعتماده على مبدا الربا والنظام المصرفي .. ويذهب هذا المذهب في بعض الكتابات العلامة ابو الاعلى المودودي . يقول:

(عليك ان تعيد النظر قليلا في الصفحات التي مررت عليها في باب (النظام الراسمالي الجديد) قبل، فسوف تعلم من شرحنا فيها لمباديء الاقتصاد المطلق، ان هذه هي مباديء الاقتصاد الانساني بشرط ان تجرد من المغالات التي ادخلها عليها رجال الطبقة البورجوازية لاثرتهم وتطرفهم . ثم اذا تاملت في (اسباب الفساد) التي بيناها في تلك الصفحات عرفت بدون شك انها هي اسباب الشر ومنبت الفساد والظلم، حيث اذا أزيلت، سار نظام الاقتصاد الانساني على اسسه الفطرية بكل طمانينة وسهولة بدون أن تنشا فيه مفاسد النظام ويضطر الانسان لعلاجها الى الاخذ بمشاريع وتدابير غير فطرية .

وهذا هو طريق الاسلام انه يحول الاقتصاد الطلق الى الاقتصاد الحر ويورد على هذه الحرية طائفة من الحدود والقيود) . (23)

اذن فالعلامة المودودي يرى النظام الراسمالي هو النظام الفطري الانساني اذا ما هذب وشذب..

فيقف بذلك من المصارف والبنوك موقفا اسلاميا . فيطالب باقامتهما على أساس اسلامي لا ربوي مع استمرار وجود مثل هذه المؤسسات التي تقدم النفع للمسلمين والناس، يقول:

(ان البحث الذي سقناه في النظام المصرفي ما كان معناه - ان نظام المصارف خاطيء من أساسه لا صلاح فيه البتة، بل الحق ان هذا النظام شيء نافع مهم من حسنات المدنية الغربية الجديدة، قد نجس باشتماله على عنصر شيطاني مع عناصره الاخرى) . 24 .

ومثل ذلك الشركات الكبرى التي تسيطر عليها فئة محدودة من الراسماليين .. يشترط لها اعطاء حق العامل مع اشتراك اكبر عدد ممكن من الناس لكل منهم اسهم معلومة . تقول الجماعة الاسلامية:

(وتوزع ملكية الصناعات الرئيسية والتجارات الكبيرة بين عامة الناس ويحدد القدر النهائي الذي يستطيع شخص او اسرة أن تمتلكه من الاسهم في ملكية الشركات بموجب القانون ويعرض ما يزيد على هذا القدر من الاسهم للبيع لدى عامة الناس) (25).

واود ان اقول ان هذا لا يدفعنا الى ظن الظنون بالاستاذ علال الفاسي والعلامة المودودي، فهما كما عهدناهما من اقوى الاسلاميين منطلقا، وتفكيرا، وما قلناه سابقا عن اتجاههما المتباين ليس الا تطويعا واخضاعا لحسنات النظامين الراسمالي والاشتراكي لمباديء الاسلام .

التيار الاسلامي ..

كثير من الدعاة الاسلاميين يرون الزكاة اذا ما طبقت ارتفعت الحاجة والفاقة عن عامة الشعب . الا ان الحقيقة ان الاقتصاد لن ينمو، ولن يقفز قفزته التي تخرجنا من تخلفنا بالمفهوم الحضاري الغربي للتخلف، فالزكاة لا تشكل الاطار الاقتصادي للاسلام . فهي اطار اجتماعي انساني قبل كل شيء

---

(21) من كتاب (يسالونك) للدكتور احمد الشرباصي ص : 488 .
(22) مجلة جوهر الاسلام السنة الرابعة العدد 9. مقال التعادلية او الاشتراكية للكاتب .
(23) اسس الاقتصاد بين الاسلام والنظم المعاصرة، ص : 119 - 120 .
(24) الربا، ابو الاعلى المودودي ص : 139
(25) بيان الجماعة الاسلامية في باكستان . ص : 35 .

وفائدتها انما تقاس فى ميدان الاجتماع كي لا تسقط الفئات البشرية الفقيرة فى العدمية الاقتصادية فهي ليست الا تدعيما استهلاكيا فى الاساس .

واعتبار الزكاة الدعامة الاجتماعية الانسانية فى الاقتصاد الاسلامي لمن الامور التى تجعل الانسان يبحث عن الاطار الحقيقي لهذا الاقتصاد ، فالزكاة تشير من تلقاء نفسها الى التملك الخاص ، فالذى لا يملك لا يزكي ، والذي يزكي لا بد ان يكون من المالكين (لكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) . فما هو نمط الاقتصاد الاسلامي بين الانظمة الاشتراكية والراسمالية ؟!..

اننا نجد مرة اخرى ان التصور لا يفترق عن النظام والمبادىء والنظام يكونان وحدة كاملة. فالمسألة أبعد من شكل تنظيمي لان الانظمة كيفما طبقت لن تخرج عن اشكال معينة نظرا لطبيعة الانسان وطريقة معاملته مع المعطيات الواقعية . فالشيوعية تطرح نظاما مغايرا للنظام الراسمالي ، ولكن الحقيقة ان النظام يكاد يبقى واحدا ، فالمعامل فى روسيا تعمل على نفس الشاكلة ، ونفس النمط فى الولايات المتحدة ، كما هي المهارة والتكنولوجية العلمية ، الا ان المحتوى الايديولوجي يجعل العمال يشعرون باختلاف النظامين .

ومن ثمة فالاقتصاد الاسلامي يأخذ صبغته الاسلامية بأن يعيش المسلمون اقتصادهم حقيقة ، ويعتمدون عقيدة اسلامية صرفة .. فان اقيمت هذه وانطلق المجتمع يعمل على هديها ، انطلقت معها اعنة المفكرين الاقتصاديين الاسلاميين لتبحث عن الاطر الصالحة ، لتأخذ صبغتها الاسلامية المستقلة عن الانظمة الاخرى . فما على الاقتصاد الاسلامي أن يأخذ شكله الخاص به فى دنيا الواقع . فيتميز به عن غيره ، وينطلق من عندياته ، ويخلق لنفسه نمطا جديدا لا هو بالنظام الاشتراكي ، ولا هو بالنظام الراسمالي .

الرباط ــ محمد العربي الناصر



فلسفة الاسلام المالية ...
وسياسته النقدية

للأستاذ عبد الكريم التواتي

السعادة وتنشدانها هما الامل الوحيد الذى ما انفك يراود الرعيل البشري الاول وهو يقطع طريقه نحو هذا المستقبل المحفوف بكثير من الحركات الاستفهامية ؟ .

فمنذ ان بدا الانسان يعقل وجوده ، ويتحسس معنى لهذا الوجود ، ومنذ ان اخذ يشعر بمدى ارتباط الحياة به وارتباطه هو بالحياة ، فكر فى ان يومن هذا المستقبل ، ويتاكد من ان طريقه اليه سليمة ، غير محفوفة لا باشواك ولا بعقبات .

ولقد ظل فى تطوافه عبر آفاق المستقبل المجهول ، يسعى جاهدا فى استكناه ما يحيط به من ظواهر كونية ، واحداث طبيعية ، محاولا بذلك الوصول الى فهم العلاقة بين وجوده وبين تلك الظواهر وهذه الاحداث ، وكل هذا من اجل تحديد مفهوم وضعيته تجاه المستقبل .

واذا كانت الحاجة ام الاختراع ، كما يقولون، فان احتياج الانسان الى ضمان هذا المستقبل كان اهم نقطة شغلت باله ، واهتم بها ، الى الدرجة التى لا مزيد عليها . فكانت التجارب العديدة التى خاضها ، وكانت النكسات، والرجات المتوالية التى انتابته ، ولكن الانسان ظل مع ذلك دؤوبا على السير نحو هذا المستقبل ، وربما بقوة لا ارادية ، باحثا ، منقبا عن اهم واقوى الوسائل التى تكفل له السعادة وتضمن له الهناء .

والمشكل الاقتصادي لدى الانسان كان دواما محور اهتمامه ، ولقد كلفه هذا المشكل كثيرا من المضايقات ، وعديدا من الاتعاب ، ومع ذلك فان ضرورة الحياة التى كانت تجعل منه الاساس لوجودها ، تبرزه امام انظار الانسان ، وبشكل لا يدع لهذا الانسان مجالا للاختيار فكان ان اخذ الانسان على عاتقه – وهو الذى تحمل الامانة ظلوما جهولا ، كما يقول القرآن – مجابهة هذا المشكل ، بكل معطياته – وبكل ما تستلزمه هذه المعطيات من تضحيات ، وتوجيه من عناء ومشقات .

فكان ان جرب من اجل ذلك كثيرا من النظريات ، التى كانت وليدة تجاربه الخاصة وخبراته الطويلة ولقد تبلورت هذه التجارب فى النظم الاقتصادية التى عرفها عالم الانسان ، منذ ان وعى نفسه فكانت الراسمالية المتولدة عن نتاج الحروب الطبقية القديمة ، من نظام : الرق والاقنان فنظام الاقطاع ، فبوادر الراسمالية التى تجسمت فى البورجوازية الناشئة والتى توجت هذه الراسمالية بالحرب العظمى 1914 – 1918 .

ثم كانت الاشتراكية والشيوعية ، اللتان كانتا وليدتي فشل التجربة الراسمالية واللتان ادتا ولو الى حد ما – الى اثارة الحرب العالمية الاخيرة 1939 – 1944 .

ومن هنا كان لزاما علينا ، ونحن نحاول – امام هذه المذاهب الاقتصادية غير الاسلامية – ان نتخطى

كل العقبات ، وان نبعد عنا كل ما من شانه ان يعطل مجهودنا الانساني لبناء مجتمع افضل ، ذي خصائص انسانية نبيلة ، اقول من هنا كان لزاما علينا — نحن المسلمين — ان نضع على انفسنا اولا هذا السؤال :

اي الايديولوجيات افضل لنا وانسب لواقعنا ، واكثر اتصالا بحاضرنا وماضينا ، وافيد لمستقبلنا من هذه الايديولوجيات المتطاحنة فى عالمنا المعاصر ؟ ان هذا السؤال فى نظري ، يجب ان يكون بداية الانطلاق فى رسم خطانا نحو وضع سياسة اقتصادية قارة ثابتة ، ذات معالم معروفة ، واهداف محددة مدروسة ، فهل نحن راسماليون ام نحن اشتراكيون متطرفون؟ ام نحن اشتراكيون يستوحون اشتراكيتهم من دينهم الاسلام ، الذى ضمن احسن ما فى الراسمالية ، حين ضمن حرية العمل ، ومبدأ الملكيات الخاصة ، كما ضمن احسن ما فى الشيوعية، حين اوجب على الدولة ايجاد العمل ، لكل القادرين عليه من افرادها وضمن ايجاد تكافؤ الفرص لكل المواطنين ، وفرض مسؤولية عمومية على كل القطاعات قمة كانت و قاعدة .

ان واقعنا الذى يستمد بذور وجوده من ماضينا القريب والبعيد ، وان مستقبلنا الذى لا يمكن ان ينفصم عن ذلك الماضي ولا عن هذا الحاضر الذى نحياه ، كل ذلك يستلزم منا ، ان نقرر دون تهيب او تردد ، بانه لا يمكن ان نكون فى سياستنا الاقتصادية غير اشتراكيين ، ولا يمكن ان نكون فى اشتراكيتنا هذه غير اسلاميين روحا ومادة .

فمبدا الاشتراكية الاسلامية اذن ، مبدا لازم، وواضح فى آن واحد ، ولذلك فنحن مضطرون الى استلهام هذه الاشتراكية : النظم والمباديء الاساسية لوضع كل سياسة اقتصادية لدولة تعيش فى ظلال الاسلام .

اما موقف الاسلام من المال وقضايا النقد ، فانه يقرر باديء ذي بدء ان هذا المال ليس مال الناس ولكنه مال الله (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) والبشر انما هم مستخلفون فيه ، (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .

وهذا من الوجهة الحقيقية الدينية ، تلك التى لا يدركها الا الخاص ، من المومنين بأن كل شيء انما خلق من اجل صالح البشر كلهم لا من اجل فئة خاصة ، ولا يمكن ان تكون للمال هذه الشمولية الا اذا تقرر مبدئيا انه ليس هو لاحد بعينه وانه ليس الا لله .

واما من الوجهة التجريبية الموضوعية للمال او النقد فى حد ذاته فالاسلام يقرر ان المال ليس الا وسيلة لتحقيق اهداف الانسان اي انه لا غرض ذاتي له او فى عينه ، وانما كان وجوده واصلا لتتداوله الايدي وتتوسل به الى غيره من الاشياء فتجميده وخزنه حرام ، ولا يمكن ان يسمح بذلك (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) ومن كلمات محمد فى الموضوع — فيما رواه ابو داود « من احتكر طعاما اربعين يوما فقد بريء من الله وبريء الله منه ».

ومن تجميده وتحويله الى اوان . ولهذا قال محمد عليه السلام — فيما رواه مسلم عن ام سلمة « من شرب فى آنية من ذهب او فضة فكانما يجرجر فى بطنه نار جهنم » .

والاسلام رعاية لهذه القضية الخطيرة قضية التجميد والتخزين ، فرض ضريبة غريبة ليس فى غيره من النظم الاقتصادية وهي « ضريبة التجميد »

وهكذا بدل ان يقرر الاسلام — كما تفعل بعض المذاهب الاقتصادية الحديثة — ضريبة على الدخل يفرض هو ضريبة على عدم ترويج المال. ويفسر هذه الضريبة فرض الزكاة على الاموال المجمدة ما بقيت وفيها نصاب فكان الاسلام يقول : المال وسيلة لتحقيق طمانينة البشر ، فيجب ان يتحرك لينتج اكثر ، ولذلك فان من يحول دون هذه الحركة بتجميده . يجب ان يتحمل وزر اعماله ، ويجب بالتالي ان يدفع الوجيبة التى كانت ستحصل عليها خزينة الامة ان لو تحرك .

وكما ان خزنه وتجميده حرام فكذلك صرفه فى غير وجهه ، كتركه فى ايد غير امينة ، لا تقدر قيمته ، اولا تعيرها اهتماما فالاسلام يرى مثل هذا الصرف حراما . ومن هنا حجر على السفيه والصبي ومنع عليهما التصرف فى اموالهما (ولا توتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قيما) .

ثم اليكم هذه الحادثة من مواقف الرسول :

كان رفاعة بن زيد خادما لمحمــــد ... وفى احدى الغزوات التى شارك فيها اصيب بسهــم ، اصماه وقضي عليه ، وبعد نهاية المعركة ، اقبل الناس على محمد عليه السلام يقدمون له تعازيهم فى خادمه رفاعة ويقولون : هنيئا له يا رسول الله ، لقد ذهب شهيدا ، فقال الرسول : كلا ، ان الشملة التى اخذها من المغانم يوم خيبر لتشتعل عليه نارا » .

واذ يقرر الاسلام ان المال مال اللــه ، وان تجميده ، حرام ، ويقرر وجوب صرفه فيما يرضي الله وهو مصلحة البشر ، (ما اريد منهم من رزق ، وما اريد ان يطعمون ، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) يرى بالاضافة الى ذلك ان على الدولـــة الاسلامية ان تسترشد بالمعطيات العامة لهـــذه السياسة وان لها ، ضمنها ، كامل الحرية فى ان تفكر فى سلوك جميع الطرق الصالحة والناجعــة لتحقيق اهداف تلك السياسة السامية النبيلة .

فمبدا التأميم ــ وسنتحدث عنه فيما بعد ــ فى بعض القطاعات ، ومبدا القروض بفوائد بسيطة تقوم بتغطية النفقات التى تستلزمها العمليات الخاصة بالقرض ومبدا المزيد من الضرائب المباشرة او غير المباشرة ، اذا دعت الى ذلك ضرورة المحافظة على امن الدولة ، وسلامتها الداخلين او الخارجيــن ، او هما معا ، او دعت اليها ضرورة تحقيق مطمح انساني شريف ، كل هذه المبادىء قد تصبح ، لا ضرورية للدولة الاسلامية فحسب ، ولكن واجبــة وجوبا عينيا .

فالمال ــ كما نرى ــ فى حد ذاته ، ليس مرغوبا فيه ، الا بمقدار ما يحققه من قيام علاقات وترابطات بين مختلف قطاعات الانسان ، حين تحريكـــــه واستثماره وفى دائرة الحدود المعقولــة ، ولغايـــة الصالح العام .

واذا كانت الرأسمالية فى احدى (وصفاتها) للخروج من الازمات الاقتصادية ــ تقدم كعلاج لها ، مبدأ التزاحم والتنافس التجاريين ، بدعــوى ان التنافس يؤدي الى الازدهار ، فالاسلام لا يرى فى التنافس والتزاحم هذا الرأي ، بل يقف من هـــذا المبدا ــ اساسيا ــ موقفا رائعا وحكيـــما ، حين لا ينظر اليه من زاوية نتائجه المادية ، التى يتوخاهـــا الاقتصاديون المحدثون : اي كثرة المـــال فحسب ، وانما ينظر اليه من زاوية تبيان ما فيه من اخطـــار على المجتمع والافراد ، وما قد يكون فيه من مصالح فلنسمع لمحمد عليه السلام ، يتحدث عن مبــدا التنافس ، وما يفضي اليه من تدمير المال الذي هو الغاية الاولى لدى غير الاسلام ، ولنتدبر لماذا يأخذ محمد القضية من نتائج نتائجها .

قال محمد : « والله لا الفقر اخشى عليكم ، ولكن اخشى ان تبسط عليكم الدنيا ، كما بسطــت على من كان قبلكم ، فتتنافسـوها ، كما تنافسـوها ، وتهلككم ، كما اهلكتهم »

وموقف محمد هذا ، مستمد من واقع الانسان اليومي ، ذلك ان القضية قضية مبدا فاذا قرنــا مبدا التنافس ، وسايرنا نتائجه الى نهايتهــا ، والى الغاية الخاصة التى يتوخاهـا الاقتصاديـون غيـر الاسلاميين ، فان هذا التنافس سيواصل فى سعار عنيف ، ولن يعرف حدودا يقف عندهـــا ، وانمـــا سيتدافع الناس فيه ، وبه وله ، حتى يؤدي الى النتائج المهولة التى رأينا بعضها ، فى حديثنا ، عن متناقضات الراسمالية .

وبالاضافة الى تلك النتائج الوخيمة ، التى لابد ان التنافس منته اليها فى الاخير ، سيحول هـــذا التنافس ــ كما يراه الاسلام ــ بما يحمله من تكالب الناس على الدنيا ، وجمع حطامها ، دون تفكيرهــم فى غير الاساليب والطرق الناجعة ، لتحقيق اكبـر المكاسب واضخمها ، أقول سيحول الحياة كلهـــا الى جحيم لا يطاق . اما السؤال عن آثار هذه الوسائل التى يلزم التنافس انتهاجها ، فى حياة النـــاس وعلاقات بعضهم ببعض ، وأما معرفة أهي حرام تلك الوسائل المستخدمة فى هذا التنافس أم هي حلال ؟ فهذا كله سيصبح شيئا ثانويا لا قيمة له بالنسبــة للمبدأ العام ، كما تقرره المنافســة الاقتصاديــة ، المجردة عن كل اعتبار ، غير الحصول على المال .

وهكذا يفرق المجتمع ، ويحمل قسرا على السعي لاهلاك نفســه بنفسه حين يصبح لا يصفق الا لحركة التنافس ، من اجل تحسين الانتــاج ، ووسائـــل الانتاج ، وما ينشا عن ذلك من زيادة فى الاسعار ، لتحقيق الزيادة فى الارباح .

والاسلام يقرر ، ان مبدا الدعوة الى العمل ، والاجادة فيه ، وفى وسائله ، ومبــدا الدعــوة الى كثرة الانتاج امور مرغـوب فيهــا ، ومطلوبــة ،

ومستحسنة. ولكن التنافس من اجل المال فقط او الذى لا يراعي اولا وقبل كل شيء صالح البشر . شيء مذموم ، وغير مسموح به . فى مجتمع اسلامي يتخذ الاسلام دينا ، وتشريعاته سياسة ومنهاجا .

ونظرة الاسلام التجريدية الى المال ، وخاصة فى ارتباط الانسان به ، تقرر انه اي المال . نعم الصاحب للمسلم ، بوصفه احدى مقومات الحياة ، ولكن شريطة ان يعرف هذا المسلم المتمول المالي ، كيف يتصرف فى هذا المال . وكيف يراعي فى تصرفه ذاك منافع الناس ، وشريطة ان يومن هذا المسلم المالي ، ان المال فى حد ذاته ــ كما قلنا ــ ليس الا وسيلة ، وانه لذلك ، يجب ان يجمع بطرق مشروعة ، واساليب سليمة واضحة ، لا غش فيها ، ولا لبس ، ولا تدليس ولا تزوير .

ومن كلمات محمد فى هذا الموضوع : « ان هذا المال خضرة حلوة ، فنعم صاحب المسلم ، ما اعطى منه المسكين ، واليتيم، وابن السبيل ، وانه من ياخذه بغير حقه كالذى ياكل ولا يشبع ، ويكون شهيدا عليه يوم القيامة .

محمد فى كلمته هذه لا يكتفي ببيان وجهة نظره، فى الفائدة التى يجب ان يتوخاها من صحبة المال. هذه الفائدة التى تتركز فى : اعانة المسكين واليتيم وابن السبيل ، واغاثة كل ملهوف وشديد الخصاصة وكل ذي حاجة ، وانما يذكر فى نفس الوقت ، بتجنب الطرق غير المشروعة لامتلاك هذا المال ، والابتعاد عن الوسائل غير المفهومة ، او الوسائل الملتوية للحصول عليه ، فالذى ياخذ هذا المال بغير حقه : بالربا ، بالاستغلال بالرشوة ، يتحمل مسؤولية فى جميع الظروف والاحوال . فهو اولا : سيكون مسؤولا عنه امام الديان الاعظم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ، وهو ثانيا : لن يكون دوره مع هذا المال، وعلى هذه الارض ، الا دور الاكول الذى يلتهم كل ما يقدم اليه من طعام ، دون ان يجد شبعا ، او يحس ريا . انه نهم دائم ، وشر قاتل ... والاسلام ، من قضية المال ، لا يريد ان يمر عليها مر الكرام ، وهو يعرف مدى خطورتها فى حياة الناس ، وتوجيهاتهم ، واتجاهاتهم ، ولذلك فهو يدرسها من جميع جوانبها ، وفى كل ابعادها ويقدم لكل ذلك ، الحلول الكفيلة بحل مشاكلها ، والقضاء على كل شرورها ، ومن هنا لم يرد ان لا يتحدث عن المال كغريزة او كوسيلة لابراز التملك ، ذلك لانه اذا كانت غريزة حب التملك غريزة ثابتة ، لدى كل المخلوقات ، فان حب المال بالخصوص ، ياخذ مكان الصدارة فى هذه الفريزة ، وبالخصوص لدى البشر ، الذى صنع هذا المال ، ثم اراد ان يخلق منه معبودا .

والاسلام يعالج مشكل المال ، امام هذه الفريزة ، من هذه الزاوية التي تظهر المال بمظهر المعبود والانسان خالق المال مظهر العبد .

والاسلام بعد ان يقرر ثبوت هذه الفريزة ، حين يقول محمد : ــ فيما رواه عنه ابن عباس « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ... ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب » يحاول ان يظهر مدى خطورة استباق الانسان وراء ما توحيه هذه الفريزة .

فمحمد لا يتركنا ــ حين يذكرنا بهذه الفريزة المستحكمة فى النفوس البشرية ــ واياها وجها لوجه دون توعية او تنبيه ، ولكنه يخاطب فينا ــ وهو يذكرنا بها ــ الايمان بالانسان ، وبما توجبه عليه انسانيته ، من وجوب التغلب على غرائزه ، وخاصة تلك التى تلصقه بالارض والماديات ، وتحول دون انطلاقه نحو الاعلى، ويذكرنا فى نفس الوقت بان انسانيتنا ، تقضي علينا ، بان لا نفقد ذاتيتنا ، فى عبادة اشياء هي من صنع ايدينا .

ويقرر بالاضافة الى كل ذلك ، ان التكالب على حطام الدنيا ، والتهارش عليه ، لا يمكن ــ اذا كان لمجرد جمع المال وكنزه ــ ان يكون من اهداف العقلاء الذين يقدرون مسؤولياتهم ، ويعرفون ان الدنيا كلها ، وفى ضمنها المال ، عارية مستردة ، وان لا شيء ــ كما تقتضيه غريزة الجمع نفسها ــ ينفع فى القضاء على هذا النهم الا التراب .

والتعبير بالتراب ، فيه انه تذكير بالاصل فى: هذا المال ، وفى الانسان نفسه . ومن المسلم به ان لا شيء من التراب بذي قيمة ، فى اجواء الانسانية العليا .

والاسلام لذلك يصف ارقاء المال ، وارقاء الترف، بالتعاسة والشقاوة، وبأنهم نسوا انسانيتهم، حين يعتقدون ان تكديس المال ، او مجرد الاستمتاع به فى الشهوات ، والملذات الخاصة ، ولاسيما تلك

التي لا تمت الى الانسانية بصلة ، هو اسمى درجات النجاح .

قال محمد : يصف هؤلاء الارقاء « تعس عبد الدينار والدرهم ، والقطيفة والخميصة (1) »

والتعبير بالعبد ، فيه اكثر من معنى واقربها وابرزها ، الذين يعبدون المال ، ويعتبرونه الاها ، يتصرف في كل الامور ، ولا يقف في وجهه عقبات او تحده عراقيل. والتعبير بالخميصة والقطيفة تجسيم لاولئك الذين ينخدعون بالمظاهر الزائفة ، ويغترون بالبهرجة الكاذبة ، وينساقون وراء الرفاهية المائعة ، وكان محمدا بهذا التعبير يشير الى ان الاسلام لا يريد رجالا مخنثين ، في كل مظاهرهم : في ثيابهم ورغباتهم ، وشهواتهم . ولكنه يريد رجالا يؤمنون بان الحياة نضال وكفاح ، من اجل سعادة المجموع وخير العموم . والنضال والكفاح يستلزمان ان يكون صاحبهما بعيدا عن مزالق الانهيار الاخلاقي والتفسخ، والميوعة ، ومن المعلوم لدى العقلاء ان الترف اعظم عدو للرجولة ، واحنى صديق للفسولة .

وكلمة محمد هذه ، يمكن ان تتخذ اساسا لسن سياسة تقشفية صارمة ، في نطاقها العام الواسع ، لا في طبقة خاصة من طبقات الدولة ، ولكن في القطاع الاعلى وفي القطاع الادنى على السواء وفي مختلف المستويات .

ذلك ان المجتمع الاسلامي المتكامل والمتكافل ، عليه تبعات وواجبات ، لا نحو افراده فحسب، ولكن تجاه كل البشرية . وكل هذه التبعات والواجبات لا تترك مجالا للمستهترين ، واللا مبالين ، ان يجدوا مكانا لهم فيه .

والاسلام بعد هذا وقبله : يصر على ان يكون الرخاء الاجتماعي عاما ، ولكن الى الحد الذي لا يتحول معه الناس – لكثرة الترف والمضي مع النفس والهوى – الى دمى يؤذيها النسيم : تلك التي اصبحت لا تستطيع بسبب عبوديتها للمال ، ولكل ما ييسره من بذخ وترف متزايدين ، الا ان تظل اماء للمال وللترف .

يجب ان يعم الرخاء ، وان ترصد الميزانيات الكافية والكفيلة بتحقيق المحافظة التامة على المستوى اللائق بجميع الطبقات ، ولكن لا ميوعة ولا تفسخ ، ولا انحلال ، ولا استهتار . لان كل ذلك نتيجة حتمية لعبودية المال .

وعباد المال لذلك هم اشقياء تعساء ، وبالتالي فان مجتمعا يضمهم ، ويحميهم ، لهو ايضا مجتمع شقي وتعس ، فالتقشف والحرمان من اجل الآخرين، والصبر على معاناة ذلك الحرمان ، احدى دعائم الفلسفة الاقتصادية للاسلام .

وضمن فلسفة التقشف تلك ، تدخل سياسة تخطيط المباني العامة ، والعمران في القطاعين العام والخاص .

والاسلام يرى في هذه القضية ، ان يراعى في تشييد المباني ، البساطة ثم على ان يكون الدافع اليها والحافز عليها ، والحاجة الملحة ، قبل كل شيء لا اقل ولا اكثر .

والاسلام في سياسته هذه ، يصدر عن مبدئه الاساسي العام ، وهو ان يتحرك المال ، وان لا يجمد، وان يتحرك لصالح البشر ، لا لمجرد اللهو والعبث او لمجرد الاضرار بالناس .

ومن هنا ، فالاسلام يرى ، في المباني الضخمة ذات النقوش والزخرفة والتزيين ، تجميدا للاموال ، اموال كان يمكن الاستفادة منها ، في ميادين النشاط الاجتماعي كالتعليم والصحة والاسكان والاكساء والاطعام . فتجميد المال في الزخرفة البنائية ، والزينة ، وفي كل الاشياء التي يمكن الاستغناء عنها ، وهي لا تغني المجتمع فتيلا ، وخاصة في الاوقات التي يكون فيها الناس احوج ما يكونون الى بناء مساكن للطبقات الفقيرة ، ذات الدخل المحدود ، والذي لا يكفي يعتبر الاسلام كل ذلك خروجا عن الجادة ، بالاضافة الى فداحة آثاره عن الوجهة الاقتصادية، تطاولا على الله ، واستشعارا بعدم الشعور بالمسؤولية امام الاخرين .

والقرآن حين يتحدث عن هذه السياسة العمرانية الزائفة ، تلك التي لا تستهدف غاية انسانية ، ولا تعمل لصالح المحتاجين ، وفي اساويه الخاص ، يشعرك بتقزز نفس اولئك المتطاولين في

---

(1) القطيفة : دثار مخمل يلقيه الرجل على نفسه (المعطف او ثوب المنزل Robe de chambre
والخميصة : ثوب اسود مربع (السموكينك فيما يبدو) .

هذه السياسة غير الهادفة ، تقززهم من انفسهم وضآلتهم امام اعمالهم ، وسخافة هذه الاعمال ، تجاه ما كان يمكن ، او ينبغي ، ان تصرف فيه تلك الاموال . فانا ما زلنا نرى على الدوام اناسا في اشد الحاجة ، ولكن المترفين المفرقين في سياستهم، القائمة على اللا مبالاة . لا يرعوون ، ولا ينزجرون ، قال القرآن في هؤلاء ، وفي سخرية لاذعة مخيفة « اتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لكم لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين)

ولا شك ان في التعبير بـ (تخلدون) امضى سخرية لاذعة ، واقسى هزؤ بهذا الانسان الغافل او المتغافل الذي ياتي امرا يعلم مسبقا انه لن يتم له الا الى حين .. ثم هو على الرغم من معرفته ذلك، يحاول ان يضلل نفسه ، بالتظاهر بالاعتقاد بانه خالد ودائم .

والتعبير (بالمصانع) التي يدخل ضمنها ، وبالاسبقية ، القصور ، يشير الى الرغبة الجامحة التي تعتري الانسان اثناء تباهيه بهذه الامور الزائفة الباطلة ، في نظر الحقيقة والواقع ، والتي يظنها هو شيئا ذا قيمة .

ان خالق الحياة وواهبها ، اراد لهذه الحياة ان لا تبقى الا الى حين ، واراد لذلك ان تسخر جهود ابنائها لما يهم عمرانها وصلاحها الحقيقيين ، أي ان تكون الاعمال بقدر الحاجة ، وان تستهدف المصلحة العامة ، ضمن الايمان بأن لا خلود ولا بقاء فهؤلاء الذين يبنون ليخلدوا ، يحاولون — عبثا وبدون طائل — مغالبة ارادة الله ، والله لا يقهر ولا يغالب.

واليك سياسة الاسلام ، في ميدان السكنى والبناء :

عن ابن عمر قال : « رايتني مع النبي ابنى بيتي بيدي ، بيتا يكنني من المطر ، ويظلني من الشمس ، ما اعانني عليه احد من خلق الله ».

وليس معنى هذا اننا ندعو الى التقيد بمضمون كلمة ابن عمر ، ولكنا نريد ان ننبه الى ان البساطة اصل من اصول الاسلام ، وانها الاتجاه الوحيد عندما لا تكون الامكانيات المادية متوفرة ليعم الرخاء الجميع ومحمد ليحقق هذا الهدف المشترك ، ينتقد المال ، اذا لم يصرف في منافع الناس ، وينتقد الشرف والبذخ اذا لم يعم الجميع ، او لم يقف عند حد معقول .

عن ابي ذر الغفاري قال : « كنت امشي مع النبي ، في حرة المدينة ، فاستقبلنا احد ، فقال النبي يا ابا ذر .. قلت لبيك يا رسول الله .. قال: ما يسرني ان عندي مثل احد هذا ، ذهبا ، تمضي على ثالثة ، وعندي منه دينا ، الا شيئا ارصده لدين ، الا ان اقول به في عباد الله هكذا وهكذا اي عن يمينه وشماله ومن خلفه ثم مشى فقال : ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة ، الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله وعن خلفه ، وقليل ما هم »

فمحمد في مناجاته ابا ذر ، يؤكد ، ان المال ، اذا لم يصرف في منافع الناس ، كان وبالا على مقتنيه . وانهم لذلك قليلو الحصاد يوم القيامة ، وقليلو الربح والغناء .

اما مضمون النظام المالي للدولة الاسلامية : موارد ومصارف ، فيهدف الى رعاية المبادىء التي اشرنا الى بعضها في بداية هذا الفصل .

ثم الموارد المالية لهذه الدولة ، تكاد تنحصر في الامور الخمسة الآتية : مع تداخل بعضها في بعض . وهي : الزكاة ، الفيء ، خمس الغنائم ، الجزية ، واخيرا التبرعات التي يقدمها الموسرون واصحاب الثروات.

واما المصارف فتنحصر في مجموعها ، في هذين النوعين ، من الاهداف : المصالح الفردية والمصالح العامة للاسلام .

ويعتبر المورد الاول من تلك الموارد ، أي الزكاة ، الاصل في النظام المالي للدولة الاسلامية ، اذ بالاضافة الى تاكيدات الآيات القرآنية الصريحة ، والتي لا تقبل التاويل باصالة هذا المورد (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) ، فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين) ، فان اعمال محمد واقواله ، وان اعمال خلفائه من بعده ، تؤيد تلك الاصالة ، بل وتؤيد اعتبار الزكاة من علامات الايمان والرضى بالاسلام .

فمن كلمات محمد في الموضوع : « من اعطاها — اي الزكاة — مؤتجرا فله اجرها ، ومن منعها فانا آخذوها وشطرا بله عزمة من عزمات ربنا)

ويبدو ان قتال ابي بكر المرتدين ، حين امتنعوا عن اداء الزكاة ، لم يكن تثبيتا لمبدا الاسلام

او توطيدا لاركانه وعقائده في اذهان الناس فحسب، وانما كان – في الحقيقة والواقع – قتالا لتحقيق اهم شريطة من شرائط الاسلام ، وهي الزكاة في صورتها التنفيذية العملية ، لا العقائدية ذلك لان ابا بكر ، ادرك بثاقب نظره ، وصدق فراسته ، وشده حساسية ايمانه ، ان دولة متضعضعة في اقتصادياتها متزعزعة في نظامها المالي لا يمكن ان تقوم لها – وبالتالي لعقائدها – قائمة .

ومن هذه الوجهة فحسب – في نظرنا – قاتلهم وطاردهم ، مؤكدا في عزيمة المومن بما يفعل (والله لو منعوني عقالا ، كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه) .

ومن هذه الوجهة ايضا ، استطاع ابو بكر ، ان يلجم اصوات المعارضة ، التي هبت في وجهه منددة بمحاربته المسلمين ومنادية بعدم صحة او جواز شن هذه الحرب ، ضد من يقول « لا اله الا الله محمد رسول الله » .

ذلك ان ابا بكر – كما قلنا – لم يكن يحارب من اجل المبدا فقط ، ولكن من اجله ، ومن اجل معطياته الايجابية ، وابعاده الواقعية ، وهذا ما جعله لا يعير تلك المعارضة اذنا صاغية ، وانما مضى في حربه تلك ، ولقد كانت النتائج الحاسمة والايجابية التي انتهت اليها تلك الحرب مما اثار اعجاب المعارضين انفسهم .

وحين نقول الزكاة ، نقصد الزكاة بجميع انواعها ، وفي جميع فروعها ، ونعني زكاة الغلات الارضية ، وزكاة الماشية ، وزكاة النقد والعروض ايضا .

ويدعونا الى اعتبار هذا العموم ، ان النص القرآني الوارد في شأن وجوب الزكاة ، ورد مطلقا لا تخصيص فيه ، ولا استثناء ، ولان عمل محمد في قبض زكاة النقد والعروض ، كما يشير الى ذلك قوله – وقد روى الحديث علي – قد عفوت لكم عن الخيل والرقيق ، فهاتوا صدقة الرقة (اي الفضة) عن كل اربعين درهما ، درهما وليس في تسعين ومائة شيء ، فاذا بلغت مائتين ففيها خمسة دراهم » .

اما المورد الثاني من موارد النظام المالي للدولة الاسلامية وهو الفيء فقد كان يراد به لعهد محمد ، ما يستحوذ عليه المسلمون ، ويستولون عليه من اموال وغنائم الاعداء دون حرب او قتال . وآية الحشر تشير اليه ، (ما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ، والله على كل شيء قدير ،ما افاء الله على رسوله من اهل القرى ، فلله ، وللرسول ، ولذي القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب) .

ومضمون الآية غير معطل ، فان اي غنيمة ، او مال ، يقع في ايدي المسلمين ، في اي وقت او زمان او مكان ، اذا كان مال اعداء غير مسلمين وغير معاهدين ، يسري عليه الحكم الذي اشارت اليه الآية .

ويراد بالمورد الثالث ، الذي هو خمس الغنائم الحربية ، ما اشارت اليه آية الانفال (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، والله على كل شيء قدير) .

ويراد بالمورد الرابع ، الذي هو الجزية ، ما توحي به آية التوبة (قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) .

ونحن نعلم ان المراد بهذه الجزية مساهمة هؤلاء المواطنين ، او رعايا الدولة في شؤونها العامة من امن ورخاء وازدهار ، لما تضمنه له ، من سلامة، وحرية راي وعقيدة وحيث تعجز هذه الدولة عن ضمان هذه الحريات ، لهؤلاء الذين يؤدون ثمنها ، يجب ان ترد ما تاخذه لاهلها كما ستبين فيما بعد.

واما المورد الخامس من الموارد المالية في النظام المالي للدولة الاسلامية ، وهو تبرعات الاثرياء والاغنياء والموسرين ، فيمكن الاستدلال عليه من مفهوم الآية الاخرى في سورة التوبة كذلك والتي تقول : (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) .

كما يمكن الاستدلال عليه بعمل محمد ، في المجاعة التي حلت بالمسلمين لعهده فقد امر ان ينادي:

ان تقدموا معشر الموسرين : لمد يد المساعدة ، وليجد كل منكم يفضل من ماله لاخوانه الفقراء) .

وقد اقبل المومنون يتبارون فى الدفع استجابة لنداء محمد ، وقد قدموا من الاعانات والاموال ما انتهت به الازمة ، وفرجت به الكربة .

كما يمكن الاستدلال عليه بعمل عمر ابان المجاعة التى اجتاحت الناس وبقوله – وهو يبحث عن حلول لمعالجة امثال هذا المشكل – : (لو استقبلت من امري ، ما استدبرت لاخذت فضول اموال الاغنياء وقسمتها على الفقراء) كما ان كلمة محمد التى قال فيها : « ان فى الاموال حقا سوى الزكاة » يمكن اعتبارها دليلا لهذا المورد الخامس .

واما مصارف هذه الاموال ، فهي كما قلنا لا تخرج فى مجموعها عن نطاق هذين الاعتبارين المصالح الفردية ، والمصالح العامة للاسلام .

والاسلام فيما يخص مورد الزكاة ينص على ان مصارفه يمكن ان تشمل ثمانية انواع من وجوه الصرف وآية القرآن من سورة التوبة (انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم) تشير الى تلك الانواع ، وقد راينا فى حديثنا عن حرية الراي كيف ان العبرة فى اعتبار هذه الانواع ، هو المصلحة العليا للدولة ، وحيث اكتفت فلا مجال لاعتبارها ، كما فعل عمر فيما يخص قضية المؤلفة قلوبهم ، اذ ابطل العمل بهذا النص حيث رأى ان هناك من يستحق نصيب هؤلاء ووزعه عليهم .

وفيما يخص مصارف الفيء فالقرآن ينص على انها تشمل ستة انواع : الله ، والرسول ، وذي القربى واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل (ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله ، وللرسول ولذي القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم)

وفيما يخص خمس الغنائم فان القرآن ينص على انها نفسها مصارف الفيء : (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ، وللرسول ولذي القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل)

ومن الطريف ان نذكر هنا ، ان مفسري الشيعة يوجبون هذا الخمس فى جميع ما يكسبه المسلم فى سلم او فى حرب ، او فى تجارة خاصة. فكانهم بذلك قرروا – وقبل الانظمة الاقتصادية الحديثة بآماد طويلة – ما يسمى الآن بلغة العصر : (ضريبة الدخل والارباح)

وهذا ما توحي به عمومية التلقينات القرآنية وامكانية استعمال الدولة ، كامل حقوقها ، فيما يخص ايجاد توزن قار فى ميزانياتها ، لا بخصوص الموارد التى اشار اليها القرآن، وانما بموارد اخرى، قد تراها ضرورية للحفاظ على صالح وامن الدولة، وازدهار ورفاهية رعاياها) .

ويدخل ضمن خمس الغنائم ، كل التعويضات الحربية ، التى يقدمها المغلوبون للغالبين .

والملاحظ ان القرآن لم ينص على مصرف الجزية ، كما نص على ذلك تجاه موارد الزكاة ، والفيء وخمس الغنائم .

ولم ينص كذلك على مقدار هذه الجزية ، وقد يفهم كل ذلك ، كما اشار محمد عزت دروازة ، الى ان ذلك عائد :

اولا : الى ان آية الجزية لم تنزل لتشريع هذه الجزية كما هو الحال فى الزكاة والغنائم والفيء .

ثانيا : للايذان بأن مقدار هذه الجزية ، هو من عمل واختصاصات الدولة الاسلامية للظروف والحاجيات .

وثالثا : للاشعار بأن مصارفها فى عمومها ، لا تخرج عن مصارف بقية الموارد الاخرى .

ثم من المؤكد – والآيات الواردة فى شان مستحقي هذه الاموال تقنع الانسان بذلك – شمولية التشريعات الاسلامية ، فى هذه المصارف ، او بالتعبير العصري شموليتها لتحقيق مبادىء الضمان الاجتماعي ، او العدالة الاجتماعية .

فالقرآن لم يخص بهذه الاموال المصروفة ، الرعايا او المواطنين المسلمين ، ولكن شملهم ، وغيرهم من رعايا الدولة الاسلامية .

ذلك لان اطلاق الآيات الواردة فى شان هذا التوزيع والجمع ، يؤكد فى حزم ووضوح ، ان هذا النظام المالي : موارد ومصارف ، فى المحيط

الاسلامي ، يشمل ايضا ، وبالاضافة ، جميع رعايا دولة الاسلام ، حتى ولو لم يكونوا يدينون بمبادئه او يومنون بعقائده .

وهذه الشمولية ملحوظة ومعتبرة ، لا من حيث العطاء فحسب ، ولكن من حيث الفرض والاخذ او من حيث الاعفاء من كل الواجبات المالية المفروضة على الرعايا متى ثبت عجز احد هؤلاء الرعايا ، او عدم قدرته على الاداء ، لاسباب معقولة وواضحة .

مر عمر بن الخطاب ، بطريق الشام ، عائدا من بيت المقدس فى طريقه الى المدينة ، على قوم قد اقيموا فى الشمس، فوقف عمر يسال عن هذا المشهد قائلا : ما بال هؤلاء ؟ قالوا : عليهم الجزية لم يؤدوها . قال عمر : فما يقولون هم ، وما يتعذرون به فى عدم ادائها؟ قالوا : يقولون انا لا نجد قال عمر : اذن دعوهم ، لا تكلفوهم ما لا يطيقون ، فاني سمعت رسول الله يقول : لا تعذبوا الناس ، فان الذين يعذبون الناس يعذبهم الله يوم القيامة. ثم امر عمر بتخلية سبيلهم .

وبهذه المناسبة نذكر ونقرر ، أن مبدأ الجزية فى الاسلام ليس اتاوة مفروضة على المخالفين للاسلام عقيدة ، او عدم رضوخهم لاحكامه ، وانما كان فرضها فى الحقيقة والواقع ، للدفاع عن حقوق وحرية من تؤخذ منهم ، ففي كتاب الخراج لابي يوسف هذه القصة الواقعية : اضطر المسلمون مرة للانسحاب من احدى المدن المعاهدة ، بعد ان كانوا اخذوا من اهلها الجزية . ولما خاف المسلمون ان لا يفوا بتعهداتهم ، ازاء اولئك المعاهدين ، كتب ابو عبيدة القائد العام للجيش الاسلامي ، فى تلك الانحاء ، الى كل وال خلفه ، فى المدن التى صالح اهلها مقابل جزية ، يأمر بان ترد الى الاهالي ، الاموال التى كانت اخذت منهم ، برسم الدفاع عنهم ، وان يقال لاولئك الاهالي ، بانه قد بلغ المسلمين ، ما جمع لهم اعداؤهم من الجموع العظيمة، التى قد لا يتمكنون من التغلب عليها بسهولة ، فكيف بالدفاع عنهم ، وانهم لعدم قدرتهم على منعهم وحمايتهم — كما كانوا اشترطوا عليهم — يردون اليهم ما اخذوا منهم . وقال ابو عبيدة فى كتابه « وقد رددنا عليكم ما اخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط ، وما كتبنا بيننا وبينكم ، أن نصرنا الله عليهم ... » .

قال اهل الذمة ، هؤلاء المعاهدون ، او رعايا الدولة الاسلامية بالتعبير الحديث وقد رأوا كيف ان اموالهم التى دفعوها للجيوش الاسلامية الغازية الفلابة ، ترد اليهم ، وبهذا الاسلوب الرائع ، قالوا: « ردكم اله علينا ، ونصركم عليهم ، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا » .

ثم ان الاسلام حين قرر دور المال ، وقيمته وموارده ومصارفه ، اعطى القائمين على شؤون الدولة الاسلامية — وبمشاورة ارباب الحل والعقد : اهل الرأي الواعين لمسؤولياتهم تجاه مواطنيهم وانفسهم ، واهليهم — كامل الحرية ومطلق التصرف ، فى طريقة توزيع هذه الاموال ، وفق الاصلح والاجدى ، للطبقات المعوزة والمحتاجة ، ووفق الخطوط العامة للتلقينات القرآنية والنبوية التى توجب على خزينة الدولة الاسلامية فى الصدارة ما يأتي :

اولا : **مساعدة الطبقات الفقيرة** ، بتوزيع الانصبة المخصصة لهم فى موارد هذه الخزينة ، على الطريقة المثلى ، التى تكفل لافراد هذه الطبقات راحة البال ، وتنجيهم من ضائقات الحرمان والذل والمرض ، وتتيح لهم الكفاية من العيش ، وتقيهم شرور الافكار الهدامة ، التى تجتاح عالمنا المادي الحاضر بكيفية خطيرة ، اضطرت معها جميع الدول العالمية شرقاوغربا ، الى سن قوانين ، تحد من الجيشان الاجتماعي الناشيء عن سوء التوزيع للثروات العالمية ، وتحد من جور الانظمة الاقتصادية القائمة ، الناتج عن غلواء التفاوت الفاحش بين طبقات مختلف السكان .

ثانيا : **ايجاد مجتمع اسلامي ، يرفل فى بحبوحة من الرخاء والازدهار وينعم بايمان يقيه شرور ما يشاهد فى الانظمة الاقتصادية الحديثة من اهمال للانسان واستغلال لطاقاته فى اشياء تبعده عن نفسه وتشككه فى قيمته .**

ونعتقد ان لا احد يمانع — لتحقيق هذه الاغراض الانسانية النبيلة — فى اتخاذ الدولة الاسلامية ، جميع الخطوات والاجراءات اللازمة ، لبلوغ هذه الغاية ، ولو حتى بسن ضرائب جديدة ، على جميع الاغنياء ، حسب ثرواتهم وارباحهم ، حتى تزداد وترتفع قدرة الدولة على مساعدة الطبقات الكادحة المعوزة البائسة من جهة وعلى ضمان

الاستقرار الاقتصادي وازدهاره في هذا المجتمع الاسلامي الذي يسعى لاثبات وجوده على دعائم صحيحة متينة من جهة اخرى .

ثم تأتي بعد ذلك الرقابة الشعبية على طرق الانفاق ومجالاته ، فليس من حق الحكام في المجتمع الاسلامي ، وفي الدولة الاسلامية ، ان يستأثروا بشيء عن الشعب ، او ان يخفوا شيئا عنه ، وليس لهم ان يقفلوه ، او يدلسوا عليه ، وانما يجب ان يكونوا عند ارادة الشعب وحدها لان هذا الشعب هو الذي تولى جمع هذا المال ، بل منه جمع ، وتحت شعار العمل لمصلحته يوشر جمع هذه الاموال ، فمن حق هذا الشعب اذن ان يكون له راي لا في الجمع فحسب ، ولكن فيه وفي غيره ، وان تراعى ارادته في الصرف والانفاق ، بل ويجب ان يكون اولئك الرؤساء لهذه الدولة الاسلامية رهن اشارة ارادة هذا الشعب ، وان يراعوا ــ وهم ينفقون امواله ــ مصالحه الخاصة والعامة ، واول هذه المصالح واجدرها بالاعتبار ان يباشر هذا الانفاق تحت رقابته الصارمة والمباشرة ... وبما ان المراقبة لا يمكن ان تكون من شعب غير يقظ ، او غير واع لمسؤولياته ، كان من اول واجبات الدولة ــ تجاه هذا الشعب ــ ان تعمل على اذكاء روح اليقظة فيه ، وعلى بذل المزيد من الجهود في هذا السبيل ، لانه بهذه التوعية الشعبية سيريح رؤساء هذه الدولة الاسلامية المركزة البنائية ، حين يجدون ــ وهم يباشرون اعمالهم ومشروعاتهم الانشائية ــ الاستجابة من الشعب ، الذي يكون ــ وبفضل هذه التوعية ــ قد عرف دوره ، ووعى رسالته ، واوجد تجاوبا فعالا بينه وبين قادته .

والاسلام يرى في هذه الرقابة التي من هذا القبيل عملا انشائيا بناء ، واليكم في الموضوع ــ ومن حياة محمد وموقفه من اتباعه ــ الحادثتين التاليتين:

روى انس بن مالك عن نفسه فقال : « كنت امشي مع النبي (ص) ، وعليه برد نجراني ، غليظ الحاشية فادركه اعرابي ، فجذبه جذبة شديدة ، حتى نظرت الى صفحة عاتق النبي ، قد اثرت فيه حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال الاعرابي : مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت اليه النبي فضحك ، ثم امر له بعطاء » .. تلك هي القصة الاولى .. اما الثانية فهي ما روى ابن مطعم حين قال : « بينا انا مع رسول الله (ص) ومعه ناس مقبلا من حنين ، علقت رسول الله الاعراب يسألونه ، حتى اضطروه الى سمرة ، فخطفت رداءه فوقف رسول الله (ص) وقال اعطوني ردائي ، فلو كان عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا » والحادثتان ــ كما نرى ــ تؤكدان في صراحة ان من واجب المسؤولين في المجتمع الاسلامي ان يتقبلوا بصدر رحب اية رقابة ، تفرض على تصرفاتهم ، فيما يخص شؤون هذا المجتمع ، الذي نصبهم ، بمحض اختياره ، لادارة شؤونه ، حسب ارادة من يكونون هذا المجتمع ، تلك الارادة التي يجب ان تصدر عن الصالح العام وان تستهدف مصلحة الجميع .

ثم ان الحادثتين ــ بالاضافة الى ذلك ــ صريحتان ، في ان ليس للقادة والحاكمين حق الاستعلاء او التكبر ، او الهروب من الجواب عما يوجه اليهم من اسئلة ، مهما تكن الاسئلة محرجة ، او يجابهون به من انتقادات مرة ، ما دامت صادرة عن نوايا صالحة ، ومنبثقة من قلوب تتوخى الخير ، وتسعى الى تحقيقه .

والحادثة الاولى ــ فوق كل ذلك ــ تذهب الى ما هو اعظم من توجيه الاسئلة او المجابهة بالانتقاد الى شيء فيه خشونة ، وهو في نفس الوقت غير لائق حسب ما يتراءى لنا نحن الآن في اعراف آدابنا الاجتماعية ، اذ تجاوز الاعرابي القول الى العمل ، حين تحمل محمد جذبة ذلك الاعرابي الشديدة ، تلك الجذبة التي اثرت في عنق محمد ، وتركت آثارا وندوبا ، وخدوشا على عاتقه عليه السلام .

ويتقبل محمد هذا الاسلوب الخشن ، في الانتقاد والمعارضة ، بل ويبتسم لصاحبه ، لانه يعلم ان الرجل كانت تدفعه الرغبة الصادقة ، والايمان باخلاص عمله ، وانه يعتقد ــ وهذا هو الشيء الذي لم تصبغه الآداب الحضرية بأصباغها والوانها الزائفة ــ ان محمدا ما كان ليغضب من هذا الاسلوب الذي لم يقصد صاحبه سوءا ، او اهانة ، او اذاية .

وقد اقتنع محمد بكل هذا ، حين لم يشر في وجه الاعرابي ، ولم يسخط ، او يحتد في الجواب ولكنه على العكس من كل ذلك ضحك من هذا الاسلوب ، وشاء ان يضرب اروع الامثلة للرحمة وسعة افق التفكير ، وحمل اعمال الناس المحمل

الحسن ، فاعطى الاعرابي ما طلب ، ومد له يد المساعدة .

اجل .. محمد يمد يد المساعدة لاعرابي جذبه جذبة شديدة ، انها الزعامة في اسمى واجل مظاهرها ، واروع واعلى آيتها ، انه ايمان بحق الشعوب ، في ان تنتقد ، وتعرف ، وتسال . انه الايمان بان المسؤولين الكبار لا حق لهم ان يبنوا لانفسهم وحولهم ابراجا عالية ، ثم يغلقوا عليهم ابوابها ، جاهدين ان لا تصل اليهم روائح المعارضة الشعبية ، وانما يقول لهم محمد بأن عليهم ان لا يضعوا حولهم حراسا ، ولا حجابا مدججين بالسلاح والحديد والنار .

لقد كان اسلوب الاعرابي مع محمد عليه السلام ، قولا وعملا ، اسلوبا قد نراه – نحن ابناء العصر الحديث – ونعتبره اسلوبا غير لائق بمخاطبة مطلق الناس ، فكيف بأولئك الذين يملكون في ايديهم حق الموت والحياة ، ويسيطرون على الجمع والتوزيع ، بل قد نراه اسلوبا منافيا للمتعارف عليه في الآداب الاجتماعية . ولو حدث لاحدنا – مهما يكن مركزه الاجتماعي ، ومستوى مسؤولياته – مثل هذا الذى حدث لمحمد ، وفي يده ادنى سلطة ، وتؤيده اقل قوة ، واقل جند ، لما تأخر عن استعمال سلطته ، واظهار نفوذه وقوته ، وقد يندفع الاحدنا هذا فلا يتورع او يتوانى عن ان ينزل بمثل هذا السائل الجريء اقسى العقوبات الزجرية واعنفها ، هذا اذا سمحنا نحن ، لمثل هذا السائل ، ان يقترب منا ، او ان يطرق ابوابنا .

اما محمد ، فقد راى في عمل الاعرابي جانبا آخر ، هو قطعا غير الذى نراه نحن في مثل هذه الحادثة ، ان لو وقعت لنا ، لقد راى فيها محمد ايمان السائل بحقه – وهو عضو في هذه المجموعة التى تتكون منها هذه الدولة – في ان يطالب بما يراه من حقوقه ... لقد راى محمد في عمل هذا الاعرابي اليقظة المتطلبة في كل مسلم حقيقي ، يصدر في افعاله عن معرفة وفهم لاسرار هذا الدين .

ومحمد لكل هذه الاعتبارات – وقد تجلت في عبارة الاعرابي الذى قال : (اعطني من مال الله) ولم يقل من مالك يا محمد – آثر محمد ان لا يخيب ظن هذا الاعرابي ، وانما بارك بابتساماته ، وتقديم العون المطلوب منه ، بارك عمل هذا الاعرابي ، الذى يعرف : « ان المال مال الله وليس مال محمد » وان لا شيء من هذا المال هو خاص بمحمد الذى هو يومئذ رئيس الدولة والقائد العام للجيش بل لا شيء له فيه البتة سوى التوجيه ، والتوزيع حسب الاصلح والانفع والاقعد .

فلم يكن ضحك محمد ، في الواقع ، الا تأييدا وتحبيذا لموقف الرجل ، دون اعتبار لشكل تعبيره وطريقة سؤاله ، اذ العبرة في انه بعمله ذاك ابان عن رفعة مستوى وعيه ، ونضج ايمانه بحقوقه ، هذا الوعي وذلك الايمان اللذان عبر عنهما بقوله وعمله .. افلا يستحق مجتمع هذا مستوى افراده العاديين ، ان يحقق ما حققه من معجزات خالدات باهرات ، اول عهده اتصالا بالدنيا عن طريق محمد عليه السلام ؟

واما الحادثة الثانية ، فبعد ان قررت عمليا مبدا وقانون حق فرض رقابة شعبية ، على كل وجوه مصارف اموال الدولة ، اكدت في وضوح ، ان هذه الرقابة الشعبية ، ينبغي ان لا تقتصر فقط على الناحية المادية الصرفة ، للوجود الدولي للمجتمع ، وانما يجب ان تتعدى ذلك ، الى الجانب الخلقي لرئيس الدولة ايضا ، هذا الرئيس الذى يجب : ان يكون لا بخيلا حتى باموالـه الخاصة ، فكيف باموال ، كل دوره فيها ، هو دور المحافظة والاشراف النزيه الصالح . ويجب ان يكون كريما الى اقصى حدود الكرم ، ما دام قد رضي – منذ البداية – ان يتحمل مسؤولية الآخرين . ومن اوليات هذه المسؤولية وبديهياتها ان لا شيء هو ملك خاص به ، فكيف يبخل – والحالة تلك – بما ليس له ، او يفكر في ان يستبد به .

والحادثة ايضا ، تقرر انه يجب ثانيا على هذا الرئيس للدولة الاسلامية ، ان يرسل الكلام على عواهنه ، او ان يطلق الوعود جزافا . وليس من حقه ولا من الجائز له ايضا ، ان يتنكر لمبادئه التى ينادي بها ، وليس له ان يتخذ من مبادئه سلما للوصول ، او طريقا لفرض نفوذ ، او تثبيت سلطان او تدعيم وجود ، وانما يجب ان يفي بكل تعهداته ، وان يكون خير مثل تطبيقي يجسم نظرياته وآرائه »

وتقرر الحادثة ثالثا ، ان يكون رئيس الدولة الاسلامية غير جبان ولا هياب ، فالجبن يتنافى

والزعامة الحقة ، وانما على العكس من ذلك يجب ان يكون شجاعا مقداما ، يتقدم الصفوف اذا حزب الامر ولزب ، ولا ينام عن حق مظلوم ، ولا يتغاضى عن عدوان ظالم ، وانما هو بدوره رقابة صارمة ، ويقظة دائمة على كل الاعمال التى تصدر من رعاياه جليلها وحقيرها .

فالرقابة فى المجتمع الاسلامي، مهمة اساسية، متبادلة بين جميع خلايا هذا المجتمع ما دام هذا المجتمع متكافلا متكاملا لا يصدر في كل اعماله وحركاته وسكناته ، الا عما يرضي الرب ويرضي الرسول .

فأين من بين قادة اليوم فى الشرق والغرب من يستطيع ان يجاري محمدا فى ابسط صورة من صور زعامته ؟ هذه الزعامة المبنية على اساس ان الناس امام الحق والواجب سواء ؟

ان محمدا كان رسولا وكان نبيا .. واننا لنتحدى هؤلاء الاقزام من زعماء القرن العشرين او من اولئك الذين يأتون بعد القرن العشرين ان يحاولوا فقط ان يتخلقوا بأخلاق محمد ... هذا الرجل الذى يدعونا فى حرارة وصدق ايمان ان نتخلق بأخلاق الله .

ويتصل بالانفاق ومراقبته ، الانفاق الشخصي الخاص ومراقبته ، وقد ترك الاسلام مراقبة هذا النوع من الانفاق لمسؤولية الفرد محصورة ضمن دائرة المسؤولية العامة .

ولكن محمدا وهو يضع للانسان الخطوط العريضة والكبرى التى بمقتضاها سيستطيع اذا تقيد بها ان يترسم خطاه نحو النور الحقيقي والادراك الحق، ويأبى الا ان يكون — وفى هذه النقطة ايضا — مرشدا وهاديا ، ويأبى الا ان يأخذ بيد الانسان فى ثقة واطمئنان ليسوقه او ليرشده ، بما يمده به من فيض وحيوية جياشة بالايمان بالانسان ، وبرب الانسان ، وبالمصلحة المرجوة من الانسان لاخيه الانسان ، الى حيث يجب ان يكون ، ومن كلمات محمد فى موضوع طريقة الانفاق الشخصي قوله لمن سأله : كيف يتصدق : (ابدا بنفسك فتصدق عليها ، فان فضل شيء فلأهلك ، فان فضل عن اهلك شيء فلذي قرابتك ، فان فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا ، وهكذا) اي فعن يمينك وعن شمالك، اي وزعه شاملا به عامة افراد جنسك ونوعك من البشر ، يقول الاستاذ محمد شابي فى كتابه (اشتراكية محمد) تعليقا على هذا الحديث الرائع « نفسك ، فأسرتك ، فقرابتك ، فالبشرية ، محمد يؤكد انانيتك ، وينميها حين يقول : ابدا بنفسك ، وهو بذلك يحفظ عليك شخصيتك، ولا يلغيها ، كما يدعو الى ذلك الزهاد والرهبان ودعاة التلاشي من البائسين واليائسين .

وبعد ان يقرر لك « الانا » يوجهها نحو البذل، ويأمرك ان تنفق على زوجك واولادك ، فاذا ما وصل بك الى ذلك الحد ، دعاك الى دائرة اوسع ، وتلك هي القرابة ، فاذا ما بلغ بك ذلك الندى اطلقك اطلاقا صاروخيا وقال لك هكذا وهكذا ، امامك البشرية كلها مجالا لانفاقك .

فمحمد لا يريد حصر اهتمامك الانساني ، في دائرة ضيقة او محدودة ، وانما هو يتخطى بك الآفاق الضيقة الى رحابة الدنيا وهو بعد هذا يضع امامك مخططا، وتصميما مركزا هادفا ، لقضية البذل والانفاق من اساسهما ، ويفرغ ذلك فى دائرة اشتراكية عامة شاملة ، حين ينادي فى ايمان بقضية البذل والوشائج التى تربط بين مختلف بني الانسان ، وما يستطيع البذل ان يقيمه من هذه العلائق ، ويوطده من هذه الوشائج « يا ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك ، وان تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف ، وابدا بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى » .

ارايت كيف يحلل محمد اولا قضية « الانا » حين يعطيها المرتبة الاولى بالاعتبار ؟ ذلك لانه ما كان لهذه الغرائز ان تتحكم فينا ، دون ان يكون لهذا التحكم مغزاه . ومن ثمة يكون جهل هذه المغزى جهلا للقيم الفردية كلها ، وحين يحاول نقلك من هذه « الانا » التي قد تحصر وجودك فى افق ضيق ، اذا لم تعرف كيف توجد لهذه « الانا » آفاقا اوسع ، تمدها بخزانات اكبر ، ومجالات اعظم ، لا يريد ان يقطع فى هذا التحويل صلتك بتلك « الانا » وانما يتدرج بك معها ، وضمنها الى وجوب رحابة الدنيا كلها .

والتعبير فى كلمة محمد : قبل هذه (ابدا بنفسك فتصدق عليها) الا يشعرك بشيء غريب ، هو الاحساس بعظمة الانا ، حتى وانت تستجيب

لرغباتها ؟ ان عملك تجاهها هو صدقة منك ، ثم في كل المراحل ، التي يصعد بك محمد الى الانصهار في هذا العالم ، يحفظ لك كرامتك وعزتك ، فالاسلام اذن هو يقرر اهم مبدا في المذهب الفوضوي ، وهو احترام « الأنا » وعندما يشبع فيك هذه الغريزة ، يذكرك بأن عملك من اجل الآخرين يعطي هذه الغريزة ابعادا جديدة ومعطيات اوسع مدى ، من تلك التي لو حصرت هذه الغريزة في حدودها الضيقة ؛ ومن هنا يمكن القول بان كلمة محمد الثانية : « يا ابن آدم الخ » هي خلاصة الاشتراكية الاسلامية التي يهدف اليها عمل محمد ، فهي تقرر :

اولا : ان لكل انسان كامل الحق ، وكامل الحرية ، في ان يملك ، وفي ان يمسك ما يكفيه ويسد عوزه او يقيم اوده مما افاء الله عليه من حطام الدنيا .

ثانيا : ان الزائد على ما يكفي الانسان ، يجب ان لا يجمد ، وانما يجب ان يتحرك ، وينفق في سبيل الله . وسبيل الله هذه ، هي وضع هذا الزائد ، رهن مصلحة البشر ، دون تقيد بجنس ما ، او لون ، او مكان ، أو زمان ما .

ثالثا : ان مبدا الانفاق لهذا الزائد على الكفاف، وفي سبيل الله ، هو في حد ذاته عمل حسن ، وخير مفيد لهذا المنفق نفسه ، وذلك من حيث انه شعور منه بمسؤوليته تجاه الآخرين ، وقيام بالدور الذي توجهه اهلية هذه المسؤولية على هذا الفرد ، كانسان ذي احساس مرهف بمدى الوشائج والروابط التي تربطه بالمجموعة البشرية كلها .

رابعا : ان امساك ذلك الزائد عن الحاجة وعن الكفاف ، هو من هذه الجهة امر غير جدير بأن يدخل غير هذا المنفق اي الممسك ، ميزان التقدير والاعتبار الخيري ، ذلك لان الامساك عن انفاق هذا الزائد عنك، في سبيل الله ، اما ان يكون اشباعا لشهوتك العارمة في حبك البخل والشح لذاتهما . فهذا اقل ما يقال فيه عنك : انك لا تتجاوب او لا تحسن التجاوب ، مع المجموعة البشرية، التي تكون انت منها خلية ، ثم تعني انك لا تريد ان تمد اها منك مساعدة او حياة ، وهذا معناه انك حكمت على انفصام العرى الوثيقة ، القائمة بينك وبين هذا المجتمع ، وبالتالي تكون قد حكمت مسبقا على نفسك ، بانك لا تستحق تقدير ذلك المجتمع ولا احترامه ، فكيف ترجو معونته واحسانه ، اذ رفضك التعاون معه — وانت قادر على ذلك — على دفع الضائقة عن المعوزين والمحتاجين؛ انما يعني أنك ما تزال طفلا تدرج في ميدان الملاذ العظمي للوجود الانساني على هذه الارض . ويعني ايضا انك من هذه الزاوية ، شخص لا يمكن ان تشمله منطقة الشاعرين بالمسؤوليات الانسانية ، التي يعد الاحسان الى الآخرين ، ممن وجد القدرة عليه ، اولى مظاهر الايمان بهذه المسؤولية .

واما ان يكون هذا الامساك للزائد عن حاجتك ، جاء عفوا ، عن طريق جهلك بالدور الخطير الذي يؤديه الانفاق ، في طريق قيام مجتمع متكامل ، متساند متكافل وفي هذه الحالة ايضا ، يذكرك محمد ، بانك اضررت نفسك ، واوجعت انانيتك ، حين لم يسمح لك امساكك تذوق لذة الاحسان الى الآخرين ، ولم تتعرف بسبب هذه الامساك على الاجواء السحرية الاخاذة ، التي كان يمكن ان تحسها، او تنتابك ، وانت تتقدم في ايمان الى بذل هذا الزائد عنك ، بذله للذين هم في حاجة اليه . فقد حرمت — والحالة تلك — من نعمة الانفاق في سبيل الله ، والمصلحة العامة . وحرمت بالتالي من ثواب الناس وشكرهم ، ومن ثواب الله لك على القيام بهذه الاعمال .

وهكذا يقرر الاسلام ان مبدا الانفاق والبذل ، هو في حد ذاته خير ومعروف . وتذييله عليه السلام كلمته ، بعبارة (واليد العليا خير من اليد السفلى) فيه تشجيع للمنفقين ، على مزيد الانفاق ، رجاء الثواب والرفعة ، وفيه تحذير للمنفق عليهم من استمراء هذه الوضعية الشاذة بالنسبة اليهم ، وان عليهم ان يعطوا على ان يصبحوا منفقين ، لا منفقا عليهم ، واذا كان من حق الشعب ان يفرض رقابته على الدولة ، في شان جمع المال وتوزيعه ، ووجوه التوزيع ، فان على الدولة ايضا ان تفرض هذه الرقابة على كل من تسند اليهم هي امور الناس حتى اذا فشت عن احد فاشية ، من ثروة طارئة ، ودون اسباب معقولة ، كان لها ان تصادر هذه الاموال ، ففي عهد عمر الفاروق ، فشت لعمرو بن العاص فاشية من ابل ومال، فارسل عمر محمد بن مسلمة اليه يحاسبه ، فقاسمه جميع الثروة ، حتى اذا انتهى منها جميعا ، قال المبعوث اين نعلاك يا عمرو؟ فقال عمرو مبهوتا : ولم ؟.. قال المبعوث : لنا واحدة ولك واحدة .

ونحب ان نشير الى راي الاسلام في قضية خطيرة — وهي ذات اتصال وثيق بقضايا النقد والمال — وتلك هي قضية الربا .. الذى استشرى خطره ، على كل الميادين الاقتصادية، وبالدرجة التى حملت بعض الاقتصاديين من المسلمين ، الذين يجهلون او يتجاهلون تعاليم دينهم ، على القول بأن الربا بالاطلاق ، وفى اوضاعه الحالية ، أي ذلك الذى تقتضيه المعاملات البنكية ، والمبادلات التجارية ضرورة حتمية لقيام وسلامة الانظمة الاقتصادية فى العصر الحديث .

واذ كان العرب ، حين ظهور الدعوة المحمدية ، مرتكسين فى الربا ، وخاصة عرب الحجاز ، الذين كانت غالبيتهم العظمى من التجار ، واذ كان اليهود الذين كانوا يسيطرون على مدينة الرسول يتعاطون الربا بشكل فظيع وشنيع ، مع غيرهم من ابناء الديانات الاخرى غير اليهودية ، اما هم فان التوراة المتداولة ، تحظر على اليهودي اخذ الربا من بني قومه ودينه ، واليه تشير الآية القرآنية « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل » ، الشيء الذى جعل الربا ، يسري فى كل مرافق حياة العرب .

وبما ان هذا الربا الفاحش — وخاصة ربا النسيئة الذى كان محور التشريعات الاسلامية اولا وبالذات وبصفة مباشرة — الذي يدفع المرابين الى القسوة ، فى معاملة من يقع بين مخالبهم ، والى استغلال جميع الوسائل ، لابتزاز اموالهم ، عن طريق هذا الربا .

وبما ان مضار هذا الربا ، لا تقتصر على خصوص المتعاملين به ، وانما تتجاوزهم الى المجتمع كله ، نتيجة ارتباط افراده ، وجماعاته واسره بعضها ، فما يصاب بيت بالخراب الا تجاوزت عدواه المحيط الضيق ، الذى نزلت به ، الى المحيط الاوسع الذى هو المجتمع كله ؛ فقد كان موقف الاسلام منه ، موقفا واضحا وصريحا ، يتسم بالصرامة والتحريم القطعي البات ، وبتهديد مرتكبيه بأشنع وافظع العواقب ، التى لم يجيء مثلها فى غير الربا من الكبائر ، مما حمل بعض العلماء على ان يقولوا عنه بحق ، انه اكبر الكبائر ، واعني بالعقاب حرب الله لهم .

وكان موقف الاسلام هذا نتيجة ما يؤدي اليه تعاطي الربا ، من تعطيل مهمة المال والنقد ، المال الذى لم يوجد — كما قلنا من قبل — لانه غرض فى حد ذاته ، وانما وجد ليكون وسيلة للتبادل المنفعي بين الناس .

وحيث ان الربا هو ، بما يؤدى اليه ، الاتجار في النقد عينه ، الشيء الذى يعطي النقد قيمة ذاتية ، وقد كان قرر مبدئيا — ولمصالح البشر — تجريده من هذه القيمة الذاتية ، كان موقف الاسلام ذاك من الربا .

الا ان الاسلام ، فى بداية معالجته لهذه الآفة الاجتماعية ، سار على نفس ما عرف عنه من سنة التدريج ، فى حظر الاعمال المضرة، والمنافية للاخلاق العامة ، ومصالح البشر العليا ، فقد نبه اولا ، الى عدم صلاحية اتيان مثل هذه الآفة ، والى ان الابتعاد عنها مستحسن ومرغوب فيه ، وهذا على الاقل ما يفهم من آية سورة الروم : (وما آتيتم من ربا لتربو فى اموال الناس فلا يربو عند الله، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) .

ثم تدرج الاسلام من هذا الموقف ، الى الموقف الثاني ، الذى كان التنصيص على حرمة وحظر الربا ، وحظر اتيانه ، ووصفه كمرتكبيه ، بأشنع النعوت ، وأقبح الصفات . فقد وصف الربا فى حد ذاته بأنه يؤدي الى الخراب الاقتصادي ، بعكس ما يدعيه مرتكبوه بالاضافة الى ما يصيب الاخلاق — من جرائه — من انحلال ومن اللا مسؤولية العامة حين تصبح العلاقات — بسببه — قائمة على الاستغلال الذى لا يرحم ، وعن المضاربات المسعورة ، التى لا تعرف شفقة او عطفا او احسانا .

ووصف مرتكبيه — الذين يحاولون عن طريقه حصر المال ، ليصبح دولة بين الاغنياء فقط ، وفي يد حفنة من الاثرياء الشرهين — وصفهم بأنهم مجنونون ، اصابهم الشيطان بمسه وصرعه : (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) ، وهذا الوصف يعني ان اولئك المرابين ، تدفعهم الرغبة فى جمع الاموال، وبناء عروشه ، الى الدرجة التى لا يتورعون معها ان يمتصوا دماء الناس اخوانهم ، حين يأتيهم هؤلاء يستمطرونهم العون . والانسان الذى يرتكب مثل هذه الجريمة ، هو قطعا وبدون شك ، لا يمكن ان يكون ماسكا لقواه العقلية ، اذ لو كان ماسكا لهذه القوي ، لما سمح لنفسه بان ينسى الوشائج الوثيقة، التى تربطه بهؤلاء الذين جاءوه يستمدون منه العون،

فاذاهو يحاول ان يمتص دماءهم ، ويعطل وجودهم، رجاء مضاعفة ارباحه ، وكسبه اللا مشروع .

والقرآن يسخر ، بعد هذا ، من دعـــاوي المرابين الباطلة ، ومفترياتهم الفاضحة ، حين يزعمون ان اتيانهم الربا ، لا يعدو ان يكون عملا تجاريا ، لا يخالف التجارة في شيء ، وانما هو ضرب منها ، ونوع شبيه بها .. وقد سفه القرآن فهومهم الخاطئة تلك ، مبينا ان البيع شيء مغاير ومخالف تماما للربا (ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا ، واحل الله البيع وحرم الربا) قال محمد عبده ، في تفسير المنار ، توضيحا لهذا الفرق ، الذي اشار له القرآن بين البيع والربا : « ان زعمهم – اي المرابين – مساواة الربا بالبيع ، في مصلحة التعامل بين الناس ، انما يصح اذا ابيح للناس ليكونوا في تعاملهم كالذئاب كل واحد ينتظر الفرصة التي تمكنه من افتراس الآخر واكله ، ولكن هاهنا اله رحيم يضع لعباده من الاحكام ما يربيهم على التراحم والتعاطف، وان يكون كل منهم عونا للاخر ، ولاسيما عند شدة الحاجة اليه ، ولذلك حرم عليهم الربا ، الذي هو استغلال ضرورة اخوانهم ، واحل البيع الذي لا يختص الربح فيه ، باكل الغني الواجد ، مال الفقير الفاقد ... او ان الله تعالى جعل طريق تعامل الناس في معايشهم ، ان تكون استفادة كل واحد من الآخر بعمل ، ولم يجعل لاحد منهم حقا على آخر بغير عمل ، لانه باطل لا مقابل له .. وبهذه السنة احل البيع لان فيه عوضا يقابل عوضا وحرم الربا لانه زيادة لا مقابل لها ... ذلك ان البيع يلاحظ فيه دائما انتفاع المشتري بالسلعة انتفاعا حقيقيا ، لان من يشتري قمحا مثلا فانما يشتريه لياكله ، او ليبذره ، او ليبيعه ، وهو في كل ذلك ينتفع به انتفاعا حقيقيا . والتبادل بالاضافة الى ذلك اختياري ... واما الربا وهو عبارة عن اعطاء الدراهم والمثليات ، واخذها مضاعفة في وقت آخر، فما يؤخذ منه زيادة عن راس المال ، لا مقابل له من عين ولا عمل ... والتبادل في هذه الحالة – مع التجاوز في التعبير بالتبادل – اضطراري .. او ان النقدين ، انما وضعا ليكونا ميزانا لتقدير قيم الاشياء ، التي ينتفع بها الناس في معايشهم ، فاذا تحول هذا ، وصار النقد مقصودا بالاستغلال ، فان هذا يؤدي الى انتزاع الثروة من ايدي اكثر الناس ، وحصرها في ايدي الذين يجعلون اعمالهم قاصرة على استغلال المال بالمال ... فينمو المال عندهم ، ويخزن في الصناديق والبيوت المالية المعروفة بالبنوك ، ويبخس العاملون قيم اعمالهم ، لان الربح يكون معظمه من المال نفسه ، وبذلك يهلك الفقراء.. ولو وقف الناس في استغلال المال عند حد الضرورة لما كان فيه مثل هذه المضرات ولكن اهواء الناس ليس لها حد تقف عنده بنفسها ، لذلك حرم الله الربا ، وهو لا يشرع للناس الاحكام بحسب اهوائهم وشهواتهم كاصحاب القوانين ، ولكن بحسب المصلحة الحقيقية الشاملة ، اما واضعو القوانين فانهم يضعون الناس احكاما ، بحسب حالتهم الحاضرة ، التي يرونها موافقة لما يسمونه الراي العام ، من غير نظر في عواقبها ، ولا في اثرها في تربية الفضائل ، والبعد عن الرذائل .. » (1)

وهذه هي الآيات القرآنية الواردة في تحريم الربا :

(وما آتيتم من ربا لتربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون) : سورة الروم الآية 38 .

(يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة ، واتقوا الله لعلكم تفلحون) سورة آل عمران الآية 130 .

(الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا ، واحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ، ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ، يمحق الله الربا ويربي الصدقات ، والله لا يحب كل كفار اثيم ، ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وآتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين ، فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون ، واتقوا يوما ترجعون فيه

(1) تفسير المنار الجزء الثالث من صفحة 108 – 109 الطبعة الثالثة .

الى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) سورة البقرة الآيات من 274 — 280 .

وهذه الآيات صريحة — وفي لهجة زجرية تومي بفظاعة الربا — في وجوب الابتعاد عن الربا ، وعدم السماح بوجوده في المجتمع الاسلامي ، الذي دستوره القرآن ، الا ان تقييده في آية آل عمران بهذا الوصف (اضعافا مضاعفة) ، قد ينبيء ويشعر بأن الربا المحدود ، وغير النسيئة ، وذلك الفضل الذي يستعمل في تسديد الخدمات التي تقوم بها الشركات التعاونية ، والابناك التكافلية الاجتماعية او الابناك التي لا تتعامل بالنسيئة السافرة ، ويؤدي كرواتب الموظفين، وكاجور للعمال ، وكثمن للادوات، وكراء الدار ، قد لا يحظر ويمنع منعا كليا ، وحتى في الضرورة القصوى .

ذلك لان العلاقات البشرية ، التي ما تزال — برغم تقدم وسائل المواصلات برا وبحرا وجوا وسلكيا ، ورغم المؤتمرات الدولية ، والندوات ، والمناظرات ، ورغم تبجح انسان العصر الحديث بما حققه من وعي لدوره ، وادراك لرسالته على هذه الارض — ما تزال في بداية الطريق ، نظرا لعدم سيادة المنطق السليم جو تلك العلاقات ، ولعدم ايمان ساسة الدول وقادتها بمبدأ (الانسان أخو الانسان) ، ولان القوميات الضعيفة القائمة حاليا ، حتى بين من هم في وضعية الاخوة الاشقاء دينا وتاريخيا وجغرافيا ولغة ومصيرا وهدفا ، انما تقوم على القيود المحدودة ، وعلى الاتصالات والاتفاقيات ، التي لا يراعى فيا الا الجانب المادي الصرف ، والتي لا تتجاوز تلك الحدود الضيقة لتلك القوميات . اقول ان كل ذلك ، يجعل من الصعب ان لم يكن من المستحيل ، قيام تعامل نقدي خالص ، لوجه الله ، ولوجه الانسانية .

وهذه الصعوبة تجعل من المعاملات البنكية ، معاملات حتمية وضرورية وخاصة في ايجاد تبادل تجاري في الاطار الدولي العام .

واذ كان لا بد لهذه المبادلات ، من مشرفين ، وقيمين ، وموظفين ، واذ لا بد من تقديم رواتب واجور ومعاشات لكل اولئك ، فقد يكون الربا المحدود تحديدا ضيقا — من غير ربا النسيئة — مما قد يستساغ للضرورة ، قياسا على :

اولا : ما اباحه بعض الفقهاء — تحت شعار ما اسموه الحلية الشرعية — في استثمار مال اليتيم وطالب العلم المنقطع .

ثانيا : قياسا على جواز شراء اسورة من الذهب بدراهم ، تزيد عليها وزنا .

ثالثا : وقياسا على من يعطي آخر مال يستغله ويجعل له من كسبه حظا معينا .

رابعا : وقياسا على بيع الحلية بجنسها — كما اوضح ابن القيم — من غير اشتراط المساواة في الوزن .

خامسا : وقياسا على جواز ربا الفضل في الضرورة .

ومن المقرر ان هذا النوع من الربا — اي ربا الفضل — ليس هو الذي ذكره الله في كتابه الكريم، مشفوعا بذلك الوعيد الجهنمي الشديد وانما حرم هذا النوع من الربا مطلقا ، وعلى راس اولئك الصحابة : عبد الله بن عمر وابن عباس وعروة بن الزبير واسامة بن زيد ، وزيد بن ارقم ، وسعد بن المسيب، ولكن شريطة ان يظل مبدأ الربا ، بما فيه هذا النوع، محرما ومحظورا ، وان تسعى الدول الاسلامية — وهي المومنة قانونيا بتعاليم القرآن وتشريعاته جملة وتفصيلا — لتتمكن من القضاء نهائيا على كل انواع الربا ، جليها وخفيها ، نسيئة وفضلا لتهيء الجو الصالح لقيام الاخوة الاسلامية الصحيحة ، تلك التي تعني مد يد المساعدة لكل المعوزين والمحتاجين ، دون ابتغاء عوض ما ، غير وجه الله ، وان تعمل في نفس الوقت على تشجيع وتنشيط الحركات التعاونية ، وانشاء البنوك التكافلية الاجتماعية .

والا فانه من المؤسف والمؤلم حقا ، ان يكون موقف القرآن من هذه الآفة الاجتماعية الخطيرة بهذه الدرجة من الصرامة والحدة والوعيد الجهنمي، بل ومن حرب الله لكل مرتكبي هذه الجريمة (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين ، فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله) ثم لا تتحاشى الدول الاسلامية — وهي تنص في دساتيرها الوضعية ، تلك التي وضعتها باختيارها ، على ان دينها الرسمي ، هو الاسلام — ان تتجاهل هذا الموقف القرآني من الربا ، وان تاتي

الربا ، بحجة انها اذا لم تأخذ المال بالربا فستضطر الى تعطيل مصالحها ، ووقف نموها ، وتعريض ارضها للخراب .

لقد كان اقل ما يجب على هذه الدول ان تعمله، هو ان تتحاشى الربويات ، فى مبادلاتها التجارية مع بعضها ، وان تسعى للتقليل من كل المبادلات غير الاسلامية التى يمكن الاستعاضة عنها بالمبادلات الاسلامية ، وان على هذه الدول الاسلامية ان تقدر – وهي تتجاهل تعاليم القرآن فى الموضوع عن جهل، او سبق اصرار – هول الاخطار التى تهدد كل نظام اقتصادي يقوم على الربا ، والراسمالية الجامحة التى لا تعرف الا تضخيم المال فى جانب ، وتضخيم الفقر والعوز ، ومن ثمة الجهل والمرض ، فى جانب آخر .

وما كانت هذه المذاهب الهدامة، التى اجتاحت، وتجتاح ، اوروبا وكل العوالم غير الاسلامية ، من شيوعية كافرة ، وفاشية جاحدة ، ونازية مخربة ، الا نتاج هذا النظام الراسمالي القائم على التعامل بالربا .

افلا تستجيب الدول الاسلامية – والحالة تلك – الى نداء ربها ، وتحذر عواقب الدخول ضده فى حرب ؟

اما اذا كانت هذه الدول ، او قادتها وساستها الكبار على اصح تعبير ، لا يقدرون أخطار حرب مثل هذه ولا يقدرون ويلاتها، فقد كان لهم فيما لاينفك يصيب بلدانهم ، من كوارث طبيعية ، وفيضانات حتى فى الاماكن التى لم تعتد ذلك مثل الصحراء ومن زلازل ، وامراض مزمنة ، وعاهات شتى ، وحروب مدمرة طاحنة ، كان يكون لهم فى كل ذلك عبرة وموعظة .

واوروبا ، ودول العالم غير الاسلامي اليست فى حرب مع الله من جراء هذه الانظمة الاقتصادية ، التى تعتمد الربا أساسا لقيامها ووجودها ؟ أوليست تلك الدول – كلما توهمت انها قد قطعت اشواطا عظيمة فى مضمار ما تسميه الحضارة والتقدم والعمران ، ارتكست واصيبت بنكسات ورجات ، وحروب طاحنة مخربة ، تفقدها سنوات عن القدرة على استئناف السير ، او مواصلته نحو هذا الغد الافضل المنشود ، الذى تسعى اليه ابدا ، ولكنها تضل عنه ، ولا تصل اليه ، لانها ضلت طريقه السوي ، فحق عليها قول الله (حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها أمرنا ليلا او نهارا ، فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس) ؟

وهل حققت هذه الدول غير الاسلامية ، لكل مذاهبها التاريخية المادية ، وكل علومها التقنية ، سعادة او حققت رخاء ، او نالت مبتغاها من الازدهار والطمانينة والهناء ؟ انها لم تحقق من ذلك شيئا ، وانما نراها ما تنفك تواصل هذه الحروب ، التى تحطم شبيبتها ، وتبيد انتاجها وتضيف الى ندوب القلوب وجراحاتها ندوبا وجروحا ، لا تزيد الانسانية الا ويلات ودمارا وخرابا ؟ ولا يمكن ان تؤدي الى ما يتوخاه الاسلام من قيام اخوة حقيقية تستهدف الصالح العام ، وتعمل لخير الانسان دون اعتبار لجنس او لون ...

وصدق الله العظيم (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) .

فاس – عبد الكريم التواتي



للاستاذ محمد محمد النوري

ما المراد بالصحافة الاسلامية ؟

يجب علينا ان نضع فى حسباننا ـ باديء ذي بدء ـ ان الصحافة فى الوقت الحاضر لها وزن ثقيل جدا ، بالنسبة لمختلف اوجه النشاط البشري ، وبالتالي لها دور فعال وهام يستحيل معه الاستغناء عنه .

فالصحافة ، كأجهزة حرة ومحايدة ، تشكل المدرسة النموذجية فى : التوجيه ، والتعليم ، والتوعية ، والترقية ، فى الوقت الذي تتجسد فيها كذلك المعطيات الفكرية ، والسياسية .. والآفاق الاجتماعية ، والاخلاقية ، فضلا عن كونها تعبر عن « الصوت الحقيقي » للهيئة التي تنطق باسمها .

من هنا تبدو لنا ماهية مهمة الصحافة .. وهي مهمة عظيمة ، وضرورية فى حياتنا المعاصرة ، لانها الوسيلة الوحيدة ، التي تستعمل حاليا .. للدعاية ، والتبليغ ، والدعوة ..

فلقد اعتمدت الصهيونية المقوتة .. والشيوعية الملحدة ، والراسمالية الجائرة .. على اجهزة الصحافة اعتمادا كبيرا ، واستغلتها فى نشر مبادىء انظمتها .. وتعاليم سفسطتها .. وتصورات اوضاعها .. وآراء مفكريها .. وترهات قادتها .. مستعملة فى ذلك احسن ما انتجته القرائح البشرية من مراوغات لفظية ، وديماغوجيات شيطانية ، ملوكة كلماتها بشعارات جذابة ، ذات مصطلحات براقة ، قصد تمييع الحقائق ، وتمويه الوقائع ، وبالتالي خلق جو من البلبلة الفكرية ، تكون سببا فى توسيع آفاق دعواتها .. والعمل على تنفيذ تعاليمها بين السذج ..

تلك عجالة خاطفة ، اردت بها ان ادخل الى صلب الموضوع ، بعد أن المحت بشيء من الايجاز الى مهمة الصحافة ، والدور الخطير الذي تضطلع به فى مجال توعية الجماهير ..

فهل يمكن للاسلام ـ بدوره ـ ان يستغل الصحافة فى مجال نشر دعوته بين الناس ؟

ان الذي يجب ان أؤكده ابتداء ، أن الصحافة لها دور فعال جدا ، جدا ـ غير مستغنى عنه ـ فى نطاق نشر الدعوة الاسلامية ، وان هذا الدور لا يقل امتيازا عن دور الدعاة الذين يخاطبون الناس مباشرة بالسنتهم .. الا ان الذي يجب التنبيه اليه ، والتأكيد عليه ، هو : ان هذا الدور ، لن يكون له اي تاثير ايجابي ثوري فى نفوس القراء ، ولن يهيء جوا للتغيير الاقتصادي والسياسي .. ما لم تلتزم اجهزة الصحافة التزاما مطلقا ـ ومن غير تشدق او تحذلق ـ بالنطق باسم ما يريده الاسلام ، وليس باسم ما تريده « الاهواء » اذ « أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وذلك هو مفرق الطريق بين الاتجاه الاسلامي والاتجاه الجاهلي .. (1)

(1) راجع بتوسع المقال القيم « الاعلام والدعوة » للاستاذ الاخ عبد القادر الادريسي ـ فى مجلة دعوة الحق ـ العدد الرابع ـ يوليوز 1972 .

فالصحافة الاسلامية اذن ، هي التي تنطق بما يريده الله ورسوله ، اي انها تمثل لسان حال الاسلام، وهذا يعني أن مهمتها تنحصر في قيامها بتبليغ اوامر الله ونواهيه ، وتعاليم قائدنا الاول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، الى البشرية جمعاء ، دون أن تحيد قيد أنملة عن الخطوط العريضة التي جاء بها الاسلام ، او ان تبتدع آراء شاذة منحرفة عن معالمه ، وهذا يعني من جهة اخرى ، انها ملزمة بالتقيد بقول الحق ، والدفاع عنه مهما كلفها ذلك من تضحيات .. وذلك بان لا تخشى في الله لومة لائم ، ولو ادى بها موقفها الصامد هذا الى التوقف نهائيا عن مزاولة نشاطها المعتاد .. اذ ان التضحية في سبيل اقرار كلمة الحق خير من صحافة كلها تملق ونفاق ..

ذلك ان الصحافة الاسلامية ــ لو احسن استغلالها ــ حسب المنطق الذي يريده الاسلام ، لقامت بمجهودات جبارة في سبيل بناء مجتمع اسلامي نظيف ، وبالتالي لتمكنت من تهييء ظروف مناسبة لخلق دولة الاسلام ، فظهور الخلفاء الراشدين من جديد على مسرح السياسة الدولية ، لكن شريطة ان تعمل على تزكية مهمة الصحافة بالنضال الجماهيري المطرد ، الذي يقوم ــ من جهته ــ بتأطير اللبنة الاولى للتجمع الاسلامي الحركي ..

ان من أوجب واجبات الصحافة الاسلامية ، ان تعيش الاحداث السائدة في مختلف أنحاء العالم ، وأن تعالج قضايا الساعة بموضوعية ، ومنطق نزيه ، ناتج عن وعي وادراك بحقائق المشاكل المطروحة ، وان تخاطب الناس ــ المتعطشين للحرية ــ على قدر عقولهم ، بشرط الا تدخل في معمعة ديماغوجية منبوذة، لا تزيد لهذا الرصيد الواقعي شيئا للحياة ..

وعلى الصحافة الاسلامية ايضا ان تفسح المجال امام الكتاب الحركيين الملتزمين ، كي ينشروا آراءهم بكامل الجراة والشجاعة ، وأن تشجعهم على ذلك بمواصلة نشر انتاجاتهم القيمة ، من غير أن تساوم آراءهم بالحذف أو التصرف الطائش ، لانهم هم ادرى الكتاب بحقائق الاسلام .. وما يدبر ضده من مكائد ، ودسائس ، لهذا فان مهمتهم تصبح اشبه ما تكون بالحارس الامين على حصن الاسلام ، بل ان مهمتهم ترتقي الى اعلى من ذلك ، اذ انهم يمثلون الجبهة الامامية في التصدي لاي تحد سافر ، او أي عدوان ماكر ، يريد النيل من كرامة الاسلام ، وبالتالي فانهم ينطلقون الى قلب المعركة بروح التزامية ، تفضل حياة الاستشهاد .. عن حياة الذل والاستعباد .

« ان اصحاب الاقلام ، يستطيعون ان يصنعوا شيئا كثيرا ، ولكن بشرط واحد ، : ان يموتوا هم لتعيش افكارهم .. ان يطعموا افكارهم من لحومهم ودمائهم .. ان يقولوا ما يعتقدون انه حق .. ويقدموا دماءهم فداء لكلمة الحق ... » ! (2)

يا له من منطق فريد ، يوضحه استاذنا الشهيد سيد قطب في مجال الجراة ، والتضحية .. منطق يعلو على كل منطق .. لانه المنطق الثوري الملتزم الذي ينبض حيوية ، واندفاعا نحو تحقيق الاهداف الكبرى ؛ بحكم أن هذا المنطق الثوري تمليه علينا الارادة الالهية التي تجسد نزعاتنا ، وميولنا ، وعواطفنا ، واحساسنا، في عالم السلوك السيكلوجي تجاه قضايانا المصيرية ..

لقد دعا الاسلام الى هذه التضحية في كثير من المناسبات ، وحرض عليها في كثير من الآيات ، ليقنع الناس أن هذا الدين ليس بالامر الهين ، في حالة ما اذا سولت لهم انفسهم برفضه ، بل ان عظمة الاسلام تصل الى حد أن هذا القرءان « لو وضع على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » ! هذا بالنسبة للجبل « الجامد » الذي لا يملك عقلا يفكر به ، فماذا عسانا أن نقوله عن هذا الانسان « العاقل » الذي حمله الله مسؤولية عبء دعوة هذا القرآن ؟ ! .

انه لحقا لامر هائل ، وعظيم جدا ، يصعب على الانسان أن يتصور قيمة هذه العظمة ، وأبعادها المعنوية هذا الوجود ، بما يكسبه من الفاظ معدودات ، ومعان واهية ، سطحية ..

ولندع هذه الالتفاتة الهادفة ، التي المحنا اليها تلميحا ، كي لا نبعد القارىء الكريم عن الموضوع ، الذي نعالجه بين يديه .. ولنتركه ، يستمع الى هذا النداء الالهي ، وهو يصور لنا قيمة هذه التضحية في الآية الكريمة : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » .

اوليس هذا هو تعاقد الزامي بين الله والمؤمنين في مجال التضحية ، والاخلاص الصادق لله ، والاذعان الى حاكميته ليس غير ؟ بلى والله .. ان الامر ليس مجرد تعاقد ضمني ، أو اختياري بين الله والانسان ..

(2) راجع كتاب « دراسات اسلامية » لفقيد الفكر والادب سيد قطب .

بل هو تعاقد الزامي ينبعث اساسا من الارادة الالهيــة التي تمثل ارادتنا ، وتشخص نزعاتنا الفطرية .. من ثم وجدنا ان هذا التعاقد يعني : ميلاد الانسان الجديد ، واعداده اعدادا تربويا صالحا ، يتفق والكينونة التــي ترتبط به في هذا الوجود ، قصد عزله عن جميــع التصورات القليلة اللاعلمية ، التــي لا تحيــا الا في العقليات المنحرفة .. وبذلك تتجلى لنا بصورة واضحة معنى الحقيقة .. حقيقة الحركة .. وحقيقة الالتزام .. وحقيقة المعركة .. وحقيقة الجهاد .. وهي كلهــا حقائق ضخمة سامية ، تجمعها طريق واحد . الا وهو : الطريق المؤدي الى « السعادة البشرية » ، اي ان هذا الطريق ، يسعى الى خلق مجتمع متســاو ، عادل ، متكامل « كأسنان المشط » أو « كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجســد بالسهــر والحمى » حسب المنطق الاسلامي .. وهو المنطق الذي تبناه الخلفاء الراشدون في شتى شعب الحياة .. وعلى نهجه فقط ساسوا البلدان الاسلامية ، ونظمــوا هياكل مجتمعاتها في احسن صورة عادلة على الاطلاق .. متخذين من شريعة الله دستورا قائم الذات ، في مختلف الميادين القانونية ، تحت شعارهم الدائــم : « الله غاية ، والرسول قدوة ، والقرءان دستــور ، والجهاد سبيل ، والموت في سبيل الله أسمى الاماني »!

بهذا المنهج فقط ، تغير وجه التاريخ ، وشهــد العالم اجمع ، أعظم انقلاب سياسي عرفته البشريــة طوال حياتها ، والذي حولها ــ راسا عن عقب ــ مــن عبودية الاصنام البشرية الى عبودية الله وحــده .. وبهذا المنهج كذلك ، تستطيع الصحافة الاسلامية اليوم ان تفرض وجودها وسط هذا الاركام النكــد ، وأن تخوض معركتها برسالة نادرة ، مدحضة في نفــس الوقت جميع التصورات الجاهلية التي تركن ــ كعادتهاــ الى التضليل ، والتخدير ، والنفــاق ، والتملــق ، والتملــص ..

ان من خصائص الصحافة الاسلامية : أن تعمل على محق هذه الخصائص الجاهلية ، وان تفضح مكرها ، وتبطل دسائسها ، وتقوض معنويتها في عالم الواقع .

ولا بد اذن ــ في منهج الحركة الاسلاميــة ــ ان يكون هناك مسلمون حقيقيون ، يتولون الاشــراف المباشر على اجهزة الصحافة ، سواء أكانت صحافة مكتوبة ، أو منطوقة ، أو مرئية .. واذا كان يتعذر علينا ــ عمليا ــ خلق صحافة اسلامية ، منطوقة أو مرئيــة (الاذاعة والتلفزيون) بحكم ان هذه الاجهزة توجد في مالك انظمة قد تكون بعيدة عن الاسلام ، وتحتكرهــا لنفسهــا فقــط ، دون ان تسمــح لاي حــركــة اسلامية باستعمالها .. فعلى الاقل يجب علينا ان نوجه اهتمامنا الى الصحافة المكتوبة (الجرائد والمجلات) ، وان نحشدها بجملة من الآراء الحية ، والتوجيهــات الواعية الهادفة قصد ايقاظ هذه الجماهير المغلوبة على امرها من نشوة التخدير ، التي خدرها بها الاستعمار الغاشم ، ومن بعده تلامذته الابرار (3) .

فلنجند أقلامنا اذن لهذه المعركة .. ولنجهــز انفسنا بزاد وافر من الايمان القوي .. ولننطلق بروح ثورية شجاعة لخوض غمار معركة المصير .. معركة الحياة او الموت من أجل المبدأ .

ما الغايــة من هــذه المعركــة ؟

ان غاية معركتنا هذه تنطلق اساسا من الغاية التي قامت من اجلها معركة « بدر الكبرى » التي وقعت بين الرسول الكريم من جهة ، وبين العرب المشركين من جهة ثانية .. وهي الغاية الضخمة الهادفة التي كانت الفيصل بين .. الحق والباطل ، والعدل والظلــم ، والخير والشر ، والعلم والجهل .. كأول انطلاقــة تحريرية واعية ، ايقظت الانسان العربي اذ ذاك ، مما كان عليه من خرافات ، وأساطير هستيرية .. وبذلك تحققت على اثر هذه الانطلاقة الثورية « دولة الاسلام » التي غمرت العالم ، عدلا .. وحرية .. وسيــادة .. وكرامة .. وقضت بالتالي على جميع اوجه الظلــم ، والاستغلال الفاحش ، كما حطمــت اغــلال الــذل والاستبداد .. فحررت الانســان ــ ولاول مــرة في التاريخ السياسي ــ من عبودية اخيه الانسان ، حيث صار ــ وبصورة حتمية ــ سيد الكائنات ، يعيش في ظلال حياة عادلة ، كريمة لا مثيــل لها في تاريــخ المجتمعات .. ذلك « انه لا مجال في الشريعة الاسلامية لشعور فرد او جماعة بأن القانون ليس عادلا بالقياس اليها ، لان أسباب الانحراف عن العدل غير قائمــة ، بحكم ان المشرع للجميع ، هو اله الجميع ، فلا مصلحة له في محاباة فرد او جماعة ، وبهذا تنمحي من المجتمع

---

(3) يراجع المقال المسلسل « تلامذة الاستعمار ، وتآمرهم على الاسلام » لنفس الكاتب ، في مجلة « البعث الاسلامي » الهندية ــ العدد : 6 و 7 و 8 و 9 ــ لسنــة 1970 .

الاسلامي فكرة الطبقية ، وتنمحي بحكم ان ليس هناك قانون يلحظ مصالح طبقة معينة » (4) .

ان موقفنا الان ــ في القرن العشرين ــ هو نفس الموقف الذي وقفه الصحابة الاجلاء قبيـل تأسيس دولة الاسلام ، لذلك فان الواجب الشرعي يتطلب منا ــ كأحرار العالم ــ ان نجند صحافتنا للقيام بهذا العمل العظيم ، الشاق ــ لاننا نواجه اليوم نفس المجتمع الجاهلي الذي واجهه الرسول الكريم ابـان ظهـور الاسلام ــ وأن نرفع عن صحافتنا هذا « الجمود » ! الذي يعشعش في احضانها ، والذي يجعل منها صحافة جليدية متزمتة ، تعرقل لنا الطريق نحو بعث وعـي اسلامي جديد ! ...

اننا نريد صحافة حركية حيوية ، واعية ، تتحمل مسؤوليتها أمام الله ، وأمام التاريخ ..

ان مقصودنا من هذا التجنيد العام ، هو العمل على تطهير العقول من براثين الجهل ، وادران الارادة ، وبما خلف فيها من مخلفات التعاليـم الاستعماريـة الهدامة .. وبالتالي فاننا نريد اعداد الفرد اعـدادا تربويا فريدا ، يصبح معه كالصخرة الصلبة الثابتة .. كي يصير قادرا على تحمل مسؤوليته التاريخيـة ، العظمى ، من اجل القضاء على آخر معقل لهذه الاوضاع الجاهلية الاستعمارية المتعفنة ، وذلـك باجتثـات جذورها التي احاطت بجميع مرافقنا الخاصة منها او العامة .. كخطوة أولى نحو بناء مجتمع اسلامي نظيف، يكون بمثابة البذرة اليانعة ، في سبيل بعث « الدولة الاسلامية » من جديد على مسرح السياسة الدولية .

ويجب هنا ان ندرك ، الى ان ذلك مـرده : ان الاسلام يمد الفرد بطاقة هائلة جدا من الايمان .. هذا الايمان هو الذي يمثل « السلاح الفريد » بالنسبـة للانسان المسلم ، اذ بهذا السلاح المعنوي يستطيع أن يغير مجتمعه تغييرا جذريا ، ويحل محلـه مجتمعـا اسلاميا ، عادلا ، يقيم شريعة الله ، باعتباره أحكـم الحاكمين ، على انقاض شريعة الغاب التي تستمـد تصوراتها من الاهواء الطائشة (الايديولوجيات مثلا) ذات الصبغة الارهابية الاحتكارية ..

ان الدكتاتورية ، والعنصرية ، والانتهازيـة .. وغيرها من المظاهر السياسية الجاهلية ــ التي تعمل مفعولها في اهدار كرامة هذا الانسان ــ لا يمكننا بتاتا ان تطهر المجتمع منها ، ما لم نمحق العلة الاولى التي ادت الى خلق هذه المظاهر المستهجنة ، واذا ما عرفنا ــ سيكلوجيا ، واجتماعيا ، وسياسيا ، وقانونيا ــ أن هذه المظاهر المغبونة ، تخلقها اصلا اطماع الانسان ، وانانيته قصد سيطرته على مقاليد الحكم ، وان الانسان في سبيل ذلك يتسلم بما تجود عليه به العقلية اليهودية التخريبية من مناهـج هدامـة (الراسماليـة او الماركسية) (5) ، ادركنا مباشرة ان هذه الايديولوجيات الوضعية ، هي التي تعمل على افشاء عوامـل الظلـم والاستبداد ، حيث الدمار الانساني المحقق !!!

لذلك فلا بد من التفكير جديا في الموضـوع ، واعطائه اكثر مما يستحقه من اهتمام ، وذلك بان نقوم كالرجل الواحد بشن حرب شاملة لا هوادة فيها، ضد هذه الايديولوجيات الاستعمارية ، التي تهيمن على نظام الحكم والحياة ــ قهرا ــ ومن غير ارادتنا .

لا بد اذن ، من فضح دسائسها ، ومكائدهـا ، ومدى اصطدامها بفطرة الانسان ، مع تبيان علاقتهـا بتعاليم الصهيونية العالمية التي تعتبر بحـق « الاب الروحي » بالنسبة لهذه الايديولوجيات .

هـل لنـا صحافـة اسلاميـة ؟

ان واقعنا الفاسد المتعفن ــ الذي نزعت منـه قسـرا جميع مقوماته ، وخصائصه الاصلية ــ بحكـم احتكامه الى القوانين الوضعية الجائرة ، لن يسمح لنا ــ بطبيعته ــ انشاء صحافة اسلامية صرف ، تنطق بما يريده الاسلام ، لان هذا الواقع الرجعي ــ الذي يرجع بنا الى شريعة الغاب ــ اصبح يجسد مـن الناحيـة العملية ، والنظرية دعامة مناهضـة للايديولوجيـة الاسلامية ، ويمثل بالتالي الوجه السلبي بالنسبة لآرائنا

(4) يراجع الكتاب القيم « السلام العالمي والاسلام » للاستاذ الجليل سيد قطـب .

(5) لم يعد خافيا على اي باحث نزيه ــ سواء من الناحية العلمية او التاريخية ــ ان هاتين النظريتين لهمـا ارتباط مباشر بالصهيونية العالمية .. وللقارىء الفاضل أن يتحقق من صحة هذه الفكرة في كتـاب « لعبة اليمين واليسـار » للدكتور عماد الدين خليل ، وكتاب « بروتكلات حكماء صهيون » .. كمـا يحسن بالقارىء ايضا ان يراجع المقالات السياسية القيمة التي يكتبها المفكر الاسلامي الاستاذ الاخ محمد مصطفى رمضان ، في جريدة « الشهاب » اللبنانيـة .

وافكارنا ، وتصوراتنا ، وسلوكنا ، فأصبحنا نعيش فى وسطه كالغرباء كأننا ـ وللعجب ـ لسنا أصحاب الدار الاصليين .. لذلك فلن يجتمع تصورنا الاسلامي ، بتصورات هذا الواقع الجاهلي فى قالب واحد ، ولن يكون بينهما اطلاقا اي تجاوب واي حوار ، بحكم تناقض منهجيتهما فى الحياة ، لان التصور الاول يعمل على تحرير الانسان من عبودية اخيه الانسان ، فى حين يعمل التصور الثاني على استعباد الانسان لصالح اخيه الانسان .. وشتان اذن بين هذين التصورين المتناقضين ! ..

من ثم ، فاننا نجد ان هذا التصور الجاهلي يشكل اداة قمع قاهرة ، ضد انتشار الوعي الاسلامي بين الناس ، ويعمل بالتالي على خلق جو من التوتر المضني فى هذا الطريق الطويل الذي يسلكه الاسلام نحو بعث اسس العدل ، والحرية فى هذه الارض من جديد ..

وهذا هو الذي يجب علينا ان ندركه ابتداء ، وذلك بأن نكون على درجة كبيرة من الوعي والادراك ، بحيث لا نقف مكتوفي الايدي حيال ما يناط ضدنا من مؤامرات ارهابية وسط هذا الواقع السيء ..

فعلينا اذن ان نتحدى هذا الواقع الجاهلي من اساسه ، لنتمكن من اقتلاع جذور التعفن التي تعمقت فى هياكلنا الاجتماعية ، وأن ننشر فى جرائدنا ومجلاتنا كل شيء يمت بصلة الى الاسلام بأسلوب منهجي ، علمي سلمي ، قصد توعية الجماهير ، وتوجيهها الوجهة الصالحة ، ليتسنى لنا بعد ذلك ، احداث تغيير شامل فى الهياكل الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية ، والقانونية ، على انقاض هذه الهياكل الجاهلية الرجعية الاستعمارية ..

فكما كان الصحابي الجليل ، ـ قبلا ـ يجهر بالحق ، ويذود عنه ، ويضحي من اجله ، ولو قطع اربا اربا ، فكذلك يجب أن تكون مهمة الكاتب الحركي اليوم: أن يجهر بالحق ولو كان مرا ، وأن لا يخشى فى الله لومة لائم .. ولو ذهب ضحية ما يكتبه ..

وعلى الكاتب الحركي فى هذه الظروف العصيبة، التي تجتازها امتنا ، ان لا يتقاعس عن اداء مهمته فى الكتابة لحظة واحدة ، وأن يظل مجاهدا بقلمه الى ان يودع هذه الحياة ، اي انه مطالب شرعيا بأن يواصل جهاده التحرري ضد الجاهلية (6) مهما كلفه ذلك من تضحيات .. انني أعرف أن كثيرا من الاشواك ، والعقبات ، والعراقيل ، ستعترض الكاتب الملتزم فى طريقه .. ولكن مع ذلك يجب عليه الا يركن الى الدعة والتقاعس ، بل ينبغي له أن يفرض وجوده كانسان حر فى هذه الحياة ، وأن يتحدى جميع هذه العراقيل بأي وسيلة يملكها ، وحتى اذا لم يكتب له النصر ، يسقط شهيدا فى ميدان الشرف ، (ولعل قصة استشهاد أستاذنا المرشد سيد قطب ، كافية للتدليل على معنى الصمود ، والجهاد الذي تلح عليه الان) .

لكن ـ وللاسف ـ ظهر فعلا تقاعس بعض الكتاب الحركيين عن اداء واجبهم فى الكتابة ، اما نتيجة خيبة الامل ! أو اما نتيجة انشغالهم بوظائفهم الخاصة .. واننا لنرجو من هؤلاء الاخوان الاعزاء أن يستأنفوا جهادهم الظافر دون انقطاع ، وأن يقولوا جميعا مع شهيد الكلمة سيد قطب « ان المستقبل لهذا الدين » رغم كيد الكائدين ، ومكر الماكرين ..

---

(6) الجاهلية : مصطلح يعني التخلف بمفهومه الواسع ، الشامل لنطاق الفكر ، والسياسة ، والقانون ، والاقتصاد ، والاجتماع ، والاخلاق .. والمجتمع الجاهلي هو : المجتمع المتخلف الذي يرجع بالانسان الى شريعة الغاب ، ويحتكم الى « اهواء الانسان » فى شؤون الحكم ، والحياة ، دون الاقتداء بتعاليم « العقل المطلق » .. من ثم كان الاسلام حريصا على ابراز هذا المصطلح حتى يستطيع الانسان المسلم أن يميز بين .. الحق والباطل .. والعدل والظلم .. والعلم والجهل .. والخير والشر .. فى صورة تطمئن اليها طبيعته وفكرته ..

الا انه يجب ان نلاحظ هنا ، ان بعض الكتاب المحترفين ، وأدعياء الدين الماجورين يسيئون فهم حقيقة « الجاهلية » على الرغم من كونهم يعيشون فى احضانها ، فهم يعتقدون أن الجاهلية هي فترة زمنية انتهت بظهور الاسلام ، وهذا زعم خاطىء ، يجب تفنيده من الانسان ، لانه لا يعدو أن يكون وسيلة من وسائل التخدير المستعملة للتضليل .. ، (راجع فى هذا الصدد كتاب « جاهلية القرن العشرين » وكتاب « التطور والثبات » وكتاب « شبهات حول الاسلام » وكتاب « الانسان بين المادية والاسلام » للمفكر الاسلامي الشاب الاخ محمد قطب .

ان مهمة الكاتب الاسلامي الحركي مهمة مجيدة ، وشاقة ، فى نفس الوقت ، تقوم على ثلاث مراحل متتابعة ، وهي :

اولا : مرحلة التوعية .
ثانيا : مرحلة التوجيه .
ثالثا : مرحلة التغيير .

فأما المرحلة الاولى والثانية ، فتختص بالفرد وحده ، أي بتوعيته واعداده ، واما المرحلة الاخيرة فتختص بالمجتمع كله أي بتغييره تغييرا جذريا .

ولقد قام بالفعل كثير من الكتاب الحركيين ، بتنفيذ هذه المراحل الثلاث ، بفضل ما قدموه لنا من انتاجات هادفة جريئة ، على صفحات مؤلفاتهم ، او على صفحات الصحافة الحركية .. كصحافة الاخوان المسلمين فى كل من مصر ، وسوريا ، والعراق ، ولبنان ، والاردن ، واليمن ، والسودان ، وليبيا ، والكويت .. وصحافة الجماعة الاسلامية بباكستان والهند .. وصحافة حزب النظام الوطني بتركيا .. وصحافة حزب ماشومي باندونيسيا .. وصحافة جماعة النور بتركيا .. وصحافة ندوة العلماء بالهند .. وصحافة الاتحادات الطلابية الاسلامية فى مختلف أنحاء العالم ..

وهذه لائحة لبعض الجرائد والمجلات ، من التي اشتهرت بحركتها ، والتزامها بالصدع بكلمة الحق ، ونذكر منها على سبيل المثال :

* مجلة « المسلمون » القاهرة ، وكان يديرها الدكتور سعيد رمضان الذي يعيش فى المنفى منذ سنة 1954 ، حيث يقيم الان فى جنيف بسويسرا .

* جريدة « الدعوة » القاهرية ، وكان يديرها الاستاذ الشهيد سيد قطب ، الذي حكم عليه بالاعدام شنقا في صائفة عام 1966 .

* جريدة « الاخوان المسلمون » القاهرة ، وكان يديرها الاستاذ صالح العشماوي ، الذي ظل رهين الاعتقال منذ سنة 1954 .

وهذه الصحف جميعها صودرت منذ سنة 1954 ، اي ابان النكبة الكبرى التي وجهت ضد الحركة الاسلامية ، والتي تعرضت — اذ ذاك — الى ابشع حملة من الارهاب ، والتشريد ، والتعذيب ، والابادة الجماعية .

الا انه يجب أن نثبت هنا الى ان هناك صحفا حركية اخرى لا تزال تناضل ، وتجاهد لحد الساعة ، وعلى نفس المنهاج الذي ارتضاه الله للبشرية ؛ على الرغم من كثرة الاشواك ، والعقبات ، التي تعترض سبيلها اثناء قيامها بتأدية مهمتها ، ومن بينها :

* مجلة « البعث الاسلامي » الهندية ، ويديرها الاستاذان محمد الحسني ، وسعيد الاعظمي .

* جريدة « الرائد » الهندية ، ويديرها الاستاذ محمد الرابع الحسني .

* مجلة « دعوة الحق » المغربية ، ويديرها الاخ العزيز الاستاذ محمد بنعبد الله .

* جريدة «الشهاب» اللبنانية ، ويديرها الاستاذ ابراهيم المصري .

* جريدة «المجتمع» الكويتية، ويديرها الاستاذ مشاري البداح .

* مجلة « الغرباء » اللندنية ، ويصدرها اتحاد الطلبة المسلمين فى بريطانيا .

* مجلة « حضارة الاسلام » (7) الدمشقية ، ويديرها الدكتور محمد اديب صالح .

* جريدة « البلاغ » الكويتية ، ويديرها الاستاذ عبد الرحمان الولايتي .

تلك هي بعض الصحف الاسلامية الحركية التي تستطيع ان تقف فى الميدان وقفة شجاعة ، جريئة ، وأن تخاطب الناس بالمنطق الذي يريده الاسلام ، فتعالج قضايانا : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، بمنظار اسلامي بحت .. كما أنها تكون دائما على استعداد كامل لان تجابه هذه الاوضاع الجاهلية بنظرات اسلامية صميمة ، كالتي نظرها الاسلام اول مرة ، من غير تحذلق او تشدق .

وهكذا نجد أن مهمة هذه الصحف تنطلق اساسا من مبدا ثابت ، لتشكل جبهة مضادة لاولئك الانتهازيين المارقين ، المنافقين ، الذين يريدون أن

---

(7) مجلة « حضارة الاسلام » اسسها المرحوم الدكتور مصطفى السباعي المرشد العام للاخوان المسلمين بسوريا .

يحصروا صحافتنا الاسلامية فى نطاق « الافتاء » فى القضايا الشخصية فقط ، وذلك كتمهيد منهم ، لمنع الاسلام من ابراز نظرياته فى : السياسة ، والاقتصاد ، والقانون ، والاجتماع ، والاخلاق .

« ان الاسلام لا يقبل انصاف الحلول .. فاما اسلام ، واما جاهلية تأتي على اليابس والاخضر ، وهناك من يريد للاسلام ان يذعن للامر الواقع ، ويرضى بالهون وبالذلة ، والمسكنة الفكرية ، ومما يحز فى النفس المؤمنة ان تنطلي هذه الحيل الجاهلية المحبوكة بدقة على كثير من الدعاة ، الذين ابلوا البلاء الحسن فى ساحة الدعوة الى الله ، فنراهم يركعون ، ويخرون سجدا لطاغوت الفكر ، مسخرون أقلامهم للباطل ، ولعل هؤلاء هم العدو الحقيقي للدعوة الاسلامية فى هذه المرحلة ، بل هم العدو فلنحذرهم » (8) .

انها لحقا دسائس ماكرة ، يجب التبرؤ منها ، والتشهير بها لانها خطة تستهدف ــ أول ما تستهدفه ــ فصل الاسلام عن السياسة ، حتى تتمكن من توطيد الشعار الاوربي المعروف « اتركوا ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر » الذي تبنته الكنيسة ابان القرون الوسطى ! .

ولقد تبنت فعلا بعض الصحف الانتهازية ، فى مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، هذه الفكرة التخريبية ، فانتسبت الى الاسلام زورا ، وبهتانا ، وتضليلا ، كي تفرض وجودها على القراء كصحف « اسلامية » ! حسب زعمها ، فى حين يكذبها واقعها تكذيبا قاطعا ، حين تريد معالجة الاوضاع التي نعيشها يوميا ! .

ما هي العوائق التي تمنع نشوء صحافة اسلامية ؟

وفى نهاية هذا البحث .. تطالعني فكرة اخرى ــ والتي تعتبر بحق البيت القصيد بالنسبة لهذا المقال ــ فاجدني مضطرا الى وضع هذا السؤال العريض : ما هي العوائق التي تمنع نشوء صحافة اسلامية ؟

ان الاجابة على مثل هذا السؤال ، مرهونة بأن نجيب مسبقا على سؤال آخر ، الذي هو وليد السؤال السابق :

لماذا يسمح المسئولون لكل من الشيوعيين أو الراسماليين الامبرياليين باصدار جرائد ، ومجلات سياسية ، فى الوقت الذي يمنعون فيه اصدار مجلات ، وجرائد اسلامية سياسية ، وبالاخص فى الدول التي تثبت فى دساترها أن « الاسلام هو دينها الرسمي » ؟ !

هذا السؤال يحملنا على ضرورة معرفة حقيقة الاوضاع الرجعية ، الجاهلية التي نعيش فى احضانها ، كي نتمكن من معرفة « النبع » الذي تتلقى منه هذه الاوضاع ، تصوراتها ، وخصائصها ، ومقوماتها ، وأوزانها ..

واذن ، فان الاجابة على هذا السؤال لا تشكل معضلة ــ كما قد يفهمها البعض ــ بقدر ما تشكل ظاهرة بارزة لا غموض فيها .. لذلك فمن حكم البداهة أن نبادر الى توضيح لغز الجواب ، فنقول بكامل الموضوعية: ان الظاهرة السياسية تتجلى حاليا فى ان العالم الاسلامي كله يعيش الان فى ظلال حكم غير اسلامي .. ذلك ان بعض المسؤولين فى دول العالم الاسلامي ، ليس لهم من مهمة الا تنفيذ تعاليم الاستعمار سواء اكانت تعاليم شيوعية ام راسمالية .. لان هذه الدول لما « استقلت » ــ واستحيي من الله ان اقول أنها استقلت ! ــ لم ير بعض حكامها مانعا من اقرار الانظمة ، والقوانين الاستعمارية السابقة ، وجعلها ملزمة على الشعوب الاسلامية ، واعتبرها اداة تمثيل لسيادة دولهم ، من غير اكترات لفحوى مدلولها السابق كأنظمة كانت تمثل سيادة الاحتلال الاجنبي .

وبذلك عبر المسؤولون ــ عمليا ــ عن رغبتهم فى تطبيق الايديولوجيات الاوربية ، عوضا عن تطبيقهم للايديولوجية الاسلامية ، أي أنهم رفضوا الاسلام عن سبق الاصرار ، واستهزؤوا بعظمة الله ، « وما قدروا حق قدره » (9) .

تلك هي حقيقة واقعية ، لا بد من الصدع بها جهرة امام الملا ..

ان المسؤولين قد استخفوا حقا بالاسلام ، لانهم اذا ما تركوا له الفرصة لقيادة البشرية ، فان ذلك سيعني ــ بصورة تلقائية ــ أن صولتهم ، وانانيتهم ، ودكتاتوريتهم ، وعنصريتهم ، وانتهازيتهم ، ستلغى

---

(8) عن مقال « مهمة الحركة الاسلامية فى المرحلة الراهنة » للكاتب الاسلامي الشاب الاخ عبد القادر الادريسي ــ جريدة « الشهاب » اللبنانية ــ العدد 19 لسنة 173 .

(9) راجع مقال « تلامذة الاستعمار .. وتآمرهم على الاسلام » فى مجلة « البعث الاسلامي » الهندية ــ العدد 7 و 8 لسنة 1970 .

اصلا بمجرد سيطرة الاسلام على القيادة .. لان القيادة تتحول – حينئذ – من يد البشر (مغتصب السلطة) الى يد الحاكم الحقيقي الله سبحانـــه .. وذلك هـــو الطوفان القاهر الذي يحاربه المسؤولون محاربة الند للند ، فيلجئون الى استراد القوانين الوضعية ، التي تعمل مفعولها فى توطيد مركزهم كطغاة جبابرة .. بينهم وبين شعوبهم هوة كبيرة من البروتكلات الدبلوماسية.. لذلك كان بديهيا أن يسمح هؤلاء المسؤولون بنشـــر الدعوات الهدامة ، كي تقف سدا منيعا ضد الاسلام .

ان بعض المسؤولين فى دول العالم الاسلامي يدركون جيدا .. أن الســواد الاعظم من الشعوب التي يحكمونها تدين كلها بالولاء للاسلام ، وان هذه الشعوب المغلوبة على امرها ، والمتعطشة – منذ عهد الخلافة الراشدة – الى العدل ، والحرية ، اذا ما فطنت لما يحاك ضـــد عقيدتها من مؤامرات ، فانها – حتما – ستتكتــــل ، وستثور على هؤلاء الحكام الذين يرفضون الاحتكام الى قانون الله عن سبق الاصرار ، ولعل هذا هو الـــذي يجعل هؤلاء المسؤولين ، يثبتون فى دساترهـــم أن « الاسلام دين رسمي لدولهم !!! » كي يوهموا شعوبهم أنهم يحتكمون الى هذا الدين وبالتالي كذريعة وقائية من غضب شعوبهم عليهم .. هذا فى الوقت الذي يعملون فيه جادين على حظر الاتجاه الحركي ، الاسلامـــي ، متهمين اياه بشتى أنواع السباب والشتائم .. كزعمهم مثلا انه اتجاه « رجعي » أو « متزمت » الى غير ذلـــك من المصطلحات التي تمدهم بها الصهيونية العالمية ! والتي تعرف جيدا كيف تلعب بمصير الشعوب ! لكنهم فى الحقيقة لا يقصدون محاربة الاشخاص ، بقدر مـــا يستهدفون محاربة الاسلام !!! (10) .

ان المسؤولين فى دول العالم الاسلامـــي – ولا اقول فى الدول الاسلامية – يتحملون وحدهم امام الله، وأمام التاريخ مسؤولية غياب الصحافة الاسلامية الحقة عن مسرح السياسة الدولية ، وهم الذين يعملون بايعاز من الاستعمار على حجب هذه الصحافة عن الشعوب المسلمة المغلوبة على امرها ، واحلال محلها صحافة مائعة انتهازية تخدم مصالحهم ، ومصالح أسيادهم فى اوربا ليس غير .

ومن هنا نستطيع أن نعرف المهمة التي تنـــاط للمراقبين فى مجال مراقبة الصحف .. هذه الرقابة التي نشأت اصلا لمراقبة كل شيء ينشر باسم الاسلام. وذلك قصد اتخاذ التدابير المستعجلة فى مسألـــة الحجز أو التوقيف النهائي .. وهي مهزلة لا يجهلهـــا احد ، فكم من مرة تعرضت – مثلا – مجلة « البعث الاسلامي » الهندية للمصادرة من قبل الرقابة فى دول الشرق الاوسط ، لاسباب تتعلق بنشرها لمقـــالات اسلامية سياسية ، تعالج قضايانا المصيرية ، وأوضاعنا المتعفنة على ضوء المنطق الاسلامي .. لكن الامر لم يعد بالنسبة لنا غريبا ، لان المسؤولين فى هذه الدول يعتبرون أن الدعوة الى الاسلام جريمة .. يستحق عليها العقاب !!! .

الرباط – محمد محمد الشودري

---

(10) راجع كتاب « الحلول المستوردة » للمفكر الاسلامي المعروف يوسف القرضاوي ، وكتاب « الطريق الى حكم اسلامي » للاستاذ المحامي محمد علي الضنـــاوي .



العلم الإسلامي وحاجة الإنسان إليه

للأستاذ عبد الله أكديرة

عصرنا الذى نحياه لا يمكن ان نجد له وصف ادق من الوصف الذى صور لنا به الكاتب الانجليزي الكبير « تشارلز ديكنز » الذى تدور فيه أحداث قصته الخالدة « قصة مدينتين » : « كان احسن الازمان ، وكان اسوا الازمان ، كان عصر الحكمة ، وكان عصر الحماقة ، كان عهد الايمان ، وكان عهد الجحود . كان زمن النور ، وكان زمن الظلمة . كان ربيع الامل ، وكان شتاء القنوط . كان امامنا كل شيء ، ولم يكن امامنا شيء ، كنا جميعا ماضين الى الجنة مباشرة ، وكنا جميعا ماضين الى جهنم مباشرة » (1) .

والاستاذ العقاد رحمه الله فى اول كتابه « ابن الرومي ، حياته من شعره » قد استعار هذا الوصف الحي المعبر ليطلقه على العصر المضطرب الذى كان يحيا فيه هذا الشاعر المنكود . وها نحن فى عصر لم يكن هذا الوصف الا لينطبق عليه ، فكأنما كتب اصلا له .

نبحث الايمان ، وهو اقرب ما يكون الينا ، نغوص الى اذقاننا فى الوحل ، والينبوع الطاهر على مقربة منا يجري ماؤه زلالا ، يلهبنا الحر ، ويلفحنا الصهد ، وتتشقق شفاهنا من الظما وتتلوى احشاؤنا من الجوع ، وامامنا وغير بعيد منا يسيل المعين رقراقا ، والارض الطيبة حولنا تنبت من كل زوج بهيج ، عن وعي واصرار آثم منا نسعى الى الضلال والتيه والسراب ، وحادينا لا **يأس من الصياح بنا** ان طريق الهدي والرشاد لاحب عن طواعية حتى كل منا عنقه النير بلفه، عن رضا مد كل منا يديه للاصفاد، فلما الفناها ، واصبحنا لا نرى غيرنا الا بها، نسينا اننا كنا من قبل كما قال عنا ربنا سبحانه : « لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ، ثم رددناه اسفل سافلين ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلهم اجر غير ممنون » (2) . لما وعينا كلام ربنا هذا ، اخذنا نحاول الالتفات يمينا وشمالا وخلفا ، لا لتحطيم هذا النير الذى يعوق اعناقنا حتى عن هذه الحركة البسيطة ، بل لنبحث عن هؤلاء (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لنحطمهم بدلا من تحطيم قيودنا حسدا منا ، وخوفا من الحرية المجهولة التى قد لا نعرف كيف نتصرف بها ، فان افلحنا فى القضاء عليهم بتلك الضراوة التى لا تكون الا للعبيد عادت الينا تلك الطمانينة الذليلة، وعدنا نرسف فى قيودنا « آمنين » لا يعكر علينا صفو ذلنا أحد . وان نحن فشلنا فى القضاء عليهم ، اتخذنا منهم قديسين فعبدناهم ، وصنعنا لهم تماثيل واصناما نعنو اليها فى ذلة وخضوع ، ونحن فى كلتا الحالتين « الرابحون » ، ربحنا عبوديتنا التى اطمانت اليها نفوسنا منذ احقاب

(1) « قصة مدينتين » تشارلز ديكنز ترجمة منير البعلبكي صفحة : 6

(2) سورة التين : 4 ـ 5 ـ 6 .

وعصور ، ووجدنا عليها آباءنا ، وخسرنا حريتنا التي ما كانت على مر الدهور الا ومضات تضيء لحظات لتعود فتخبو دهورا . الى ان جاء الاسلام الى البشر كلهم ، يخاطب الناس عموما ، ليقوضوا مجتمعات الذل التي اقاموها على شفا جرف هار من عقائد وايديولوجيات ما انزل الله بها من سلطان ، ويخاطب كل نفس انسانية على حدة لترتفع وتسمو عن النزوات والاهواء والشهوات الدنسة التي تتدلى بروح الانسان الى الحضيض و « اسفل سافلين » بدل ان تتسامى بها الى الذرى و « اعلى عليين » .

— * —

ان الاسلام منهج كامل الحياة بالنسبة للافراد والجماعات ، انه تربية شاملة للانسان في كل احواله ، في اجتماعه وانعزاله ، في احساسه وسلوكه ، في سره وعلانه ، في يقظته ونومه ...

واول ما بدا به الاسلام منهجه في تربية الانسان :

« اقرا باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » (3). دعوة صريحة الى العلم والبحث الحر ، والتجربة النزيهة السليمة القويمة .. دعوة كريمة من رب كريم للانسان الذي كرمه وفضله على كثير من مخلوقاته ، واستخلفه في ارضه ، ومنحه السمع والابصار والافئدة ، للبحث في نواميس الكون .. في سر خلقه .. انه من علق ! كيف !؟ ان يبحث يعرف . وادوات البحث اين هي !؟ كثيرة متنوعة ، رمزها القلم ، ان احسن الانسان استخدامها وتوجه بها الوجهة الصحيحة ، علمه الله ما لم يعلم ، فيسعد في دنياه ، اذ تتيسر له سبل العيش الكريم الحر الرغيد ، وينعم في اخراه بالتقرب الى ربه ، الى خالقه ، الى ولي نعمته سبحانه .

قد يسال سائل : « وهل يكفي ان تتيسر لهذا الانسان — الذي لا يعجبه العجب — سبل العيش الرغيد في دنياه ليسعد ؟ الم يتحقق له بفضل العلم اليوم من الرخاء والرفاه ما لم يكن يحلم به قط ، ولكن السعادة كالظل تهرب منه كلما سعى خلفها ! »

للجواب عن هذا السؤال المفترض أود ان انبه الى ان هناك فرقا شاسعا بين العلم الاسلامي والعلم الجاهلي ، بين العلم الذي يعبد الانسان لله وحده جل شانه ، وبين العلم الذي يعبد الانسان للطواغيت ، سواء كانوا بشرا ام عقائد دخيلة على الفطرة البشرية السوية التي لا ترضى ان تدين بالعبودية لغير الله الواحد الاحد .

العلم الجاهلي قد نستطيع بواسطته السيطرة على المادة ، فنحقق المعجزات ، ولكن النتيجة الحتمية لانطلاقته الخاطئة والمخطئة منذ البداية ، ان تعود المادة فتسيطر علينا، وقد تدمرنا في النهاية الا ان يتداركنا الله برحمته .

اما العلم الاسلامي ، فان انطلاقته الاولى تبدأ بالسعي لمعرفة الله تعالى ومحبته والاستزادة من الايمان به عن طريق البحث الحر النزيه في عجائب مخلوقاته وروائعها ، ولا تكون السيطرة على المادة والاتيان بالمعجزات العلمية الا بعد هذا ، ولمصلحة البشر عموما ، لا لاكتساب القوة والنفوذ لمصلحة فرد معين ، او شعب معين ، او امة معينة على حساب باقي ابناء آدم .

اذن اقتران السعي للاستزادة من العلم ، بالسعي للاستزادة من الايمان هو الحل الاسلم والامثل والاقوم لكل مشاكل البشر في الحال والمآل، فخشية الله الحقيقية تنحصر في عباد الله العلماء ، بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : « انما يخشى الله من عباده العلماء » (4) .

ان التكوين العقلي الانساني — وهذا من فضل الله على البشر — مصمم بطريقة معجزة كي يتمكن من التجاوب مع ظواهر الكون الواسع الفسيح ، يحللها ثم يعيد تركيبها ، وهذه آية من آيات الله الكبرى جل شانه في هذا المخلوق العجيب (الانسان). وما عمه الله تعالى بهذا الفضل الا ليؤهله التأهيل الكريم في كتبه وعلى السنة انبيائه وثبته في فطرة الانسان السوية .

---

(3) سورة العلق : 1 — 2 — 3 — 4 — 5 .
(4) سورة فاطر : 28 .

ومن واجب هذا الانسان ـ كمظهر حي للتعبير عن شكره لله على هذه النعمة الجليلة التي حباه بها ـ ان يعتبر العلم فريضة عليه سواء كان ذكرا أو انثى ، بل انه فريضة سواء اعتبره الانسان كذلك أم لم يعتبره ، انه عبادة حقة تنير البصائر وتفتح نوافذ واسعة في العقول ينفذ اليها النور ، وتفتح كوات عميقة في القلوب تشع هي بالنور ، فيعود البشر بفضل ربهم الى الحياة التي ارتضاها لهم سبحانه منذ خلقهم ، ويرتفعون من وهدة سحيقة مظلمة مهولة ترديوا فيها بارادتهم ، لا يموتون ولا يحيون ، ينتظرون قضاء الله فيهم ، بعد ان غطوا اعينهم لكي ترى النور ، وحجبوا عقولهم فلا ينفذ اليها النور : « اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس ، كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها !؟ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون » (5) .

— * —

العلم الاسلامي رفعة وعزة وسؤدد في الدنيا ، ونعيم مقيم في الآخرة لا يدري كنهه ولا يعرف مداه الا الرحمان ، فالفرد العالم المؤمن ، والجماعة العالمة المؤمنة يؤتيهما الله الملك ويعلمهما من تاويل الاحاديث، فهذا طالوت اختاره الله ليكون ملكا على بني اسرائيل، وقيم هؤلاء القوم منذ كانوا مادية صرفة ، لا تعترف بالسيادة الا للمال ، فاستنكروا ان يكون الملك لفقير، فاذا بنبيهم الذي جاءهم بالخبر ، يصحح لهم القيم كما يريد الله : « قال : ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ، والله يؤتي ملكه من يشاء، والله واسع عليم » (6) . الملك لله يؤتيه من يشاء ، وقد اختص به عباده الذين يمتازون بالعلم وصحة الجسم ، حتى لا يكون اعتلال الجسم عائقا كبيرا عن القيام باعباء الملك كاملة ...

وهذان نبيا الله داود وسليمان يلهج قلباهما ولسانهما بالحمد لمن يستحقه دون غيره : « ولقد آتينا داوود وسليمان علما ، وقالا : الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » (7) . لقد آتاهما الله الملك كما آتاهما العلم ، ولم يكن لاحد من قبلهما وان يكون لاحد من بعدهما ملك كالذي كان لهما ، ومع ذلك اعتبرا ان الله فضلهما على كثير من عباده المومنين بما آتاهما من العلم لا من الملك .

العلم المقترن بالايمان يملأ قلوب المؤمنين بمعرفة الله وحبه عن طريق ما يتدبرونه من مظاهر علمه وحكمته وتدبيره وعظمته . فيصبحون اخشع الناس لرب الناس ، واحرصهم على كل ما فيه طاعته ورضاه، فهو ولي النعم ومصدر العلم .

اما العلم الملحد المقترن بشهوة التسلط واكتساب القوة ، فانه قد يوصل صاحبه الى ما كان يرجوه ، حتى اذا ما جاوز حده ، كان اول من يدمره علمه : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » (8) . ان امثال هؤلاء العلماء هم آفة البشرية اليوم ، ولن تتخلص من مصائبها الا اذا ظهر فيها علماء مؤمنون يرون بنور الله ، يفضحون مخازي حلفاء ابليس، ويكشفون عن سوءاتهم ، ويضعون اصابعهم على مكامن القيح والصديد والدود في نظرياتهم وتطبيقاتهم، فينسفونها من اسسها نسفا ، وهم لا بد منصورون ، اذ شتان ما بين الحق والباطل ، والنور والظلام ، وصولة الباطل ساعة ، وصولة الحق الى قيام الساعة : « وما يستوي الاعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوي الاحياء ولا الاموات ، ان الله يسمع من يشاء ، وما انت بمسمع من في القبور » (9) . من خرس فيهم صوت الضمير الحر ، من قتلت فيهم عصور العبودية الطويلة روح الوعي وغريزة حب الحرية ، من استناموا الى الذل، واستمرأوا حياة العفن ، من طاب لهم العيش كالهوام في الحماة ، هؤلاء أشبه بمن في القبور ، يبح صوتك ويضيع صدى ندائك ، ولا حياة لمن تنادي ...
اما من استجابوا لدعوة الله الكريمة ، فتعلموا العلم

(5) سورة الانعام : 122 .
(6) سورة البقرة : 247 .
(7) سورة النمل : 15 .
(8) سورة الاعراف : 175 ، 176 .
(9) سورة فاطر : من 19 الى 22 .

وعلموه ، وكان سدى علمهم الايمان ، ولحمته صدق الرغبة فى معرفة خلائق الله تقربا منه جل جلاله ، وسعيا فى منفعة عباده ، اولئك هم كالذين قال فيهم ربهم : « اولئك كتب فى قلوبهم الايمان ، وايدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، اولئك حزب الله ، الا ان حزب الله هم المفلحون » (10) .

— * —

بعض الذين فى قلوبهم مرض ، قد يقراون كلامي هذا ، فتلوح على وجوههم بسمات يبدو منها أنهم بذكائهم « اللماح » قد اكتشفوا ثغرة فى سياق كلامي المتماسك ، وقد يرى بعض من زادهم الله مرضا أن هذه الثغرة هي الخدعة الكبرى التى يتوكا عليها كل من يؤمنون بالغيب منذ بدء ظهور الحضارات على سطح الارض ، هذه الخدعة هي محاولة اسناد « الدين » الى « العلم » مع قدح زناد الفكر فى محاولات يائسة لايجاد وسائل للتوفيق بينهما منيت كلها بالفشل الذريع .

ولو كان احد اولئك المرضى بجانبي الآن لبادر الى القاء سؤال من هذا المعنى محاولا احراجي وربما افحامي : « اذا كان العلم الحديث قد اثبت لنا بصورة قاطعة لا تقبل الشك او الجدل ، أن العلم والدين يسيران فى خطين متوازيين متباعدين ، احدهما لا يزال يمتد الى ما لا نهاية ، والآخر قد تقلص ، ولم يعد الا وهما يتعلل به المرضى والعاجزون والاغبياء ، وما محاولة التوفيق بين العلم والدين الا رجعة الى الوراء خطرة ، ينبغي ان يوقف اصحابها عند حدهم سواء بالاقناع او العنف ، فلماذا لا زلت تحاول العودة الى الوراء ، تلهث خلف حلم وردي يستحيل ان يتحقق اليوم او غدا ؟ » .

لهؤلاء سأورد اقوالا لبعض كبار رجال العلم فى هذا العصر ، ممن تبين له وجه الحق ففاء اليه ، او ممن لا زال يبحث عن الحقيقة حران صاديا ، وقبل ان أستعرض اقوال هؤلاء السادة ، اود ان انبه الى ان العلم المؤسس على قواعد البحث الحر النزيه ، والتجربة السليمة القويمة لم يتعارض قط مع تعصب ذميم ، قال صلى الله عليه وسلم : « ليس الايمان المبني على الفكر الحر المفتوح الذى لا يطمسه منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » (11) .

بعد هذا التنبيه الذى كان لابد من أن أورده ، انتقل الآن الى « شهادات » بعض رجال العلم المعاصرين :

1) يقول « اينشتين » : « ان ديني يشتمل على الاعجاب المتواضع بتلك الروح العليا غير المحددة ، والتى تكشف فى سرها عن بعض التفصيلات التى تستطيع عقولنا المتواضعة ادراكها ، وهذا الايمان القلبي العميق والاعتقاد بوجود قوة حكيمة عليا نستطيع ادراكها خلال ذلك الكون الغامض يلهمني فكرتي عن الاله » (12) .

2) ويقول «الدكتور ماريت شانلي كونجدن» عضو الجمعية الامريكية الطبيعية : « ان جميع ما فى الكون يشهد على وجود الله سبحانه ، ويدل على قدرته وعظمته ، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية ، فاننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته » (13) .

3) ويقول «الدكتور البرت ماكومب ونشستر» : «... ويقف العلماء اليوم على عتبة كشف جديد بالغ الاهمية ، الا وهو خلق الحياة داخل المعمل وفى انابيب الاختبار ، وقد امكن فعلا الوصول الى خلق صورة من صور الحياة داخل المعمل ، ولكنها صورة بدائية على درجة كبيرة من البساطة والنقص ... ولا يزال مستقبل الجهود التى تبذل فى هذا الميدان فى كف القدر ، فبعض العلماء يتشككون فى امكان الوصول الى خلق الحياة ، والبعض الآخر يعدونه من الامور المستحيلة ، ولكن اذا نجحت هذه الجهود ، فهل يزعزع ذلك ايماننا بالله ؟ انه لا يزعزع الا ايمان اولئك الذين لهم ايمان سطحي ، اما من

---

(10) سورة المجادلة : 22
(11) اخرجه مسلم والنسائي وابو داود .
(12) صفحة 69 « روح الدين الاسلامي » تاليف عفيف عبد الفتاح طبارة .
(13) نفس الصفحة من المصدر السابق .

يقوم ايمانهم على اساس التفكير العميق ، فان ذلك لا يعد اكثر من خطوة جديدة فى ادراك ما ابدعه الخالق الاعظم الذى خلق وحده تلك الروائع التى يعمل الناس جاهدين متكاتفين فى الكشف عنها» (14).

4) ويقول «الدكتور راسل تشارلز ارنست»: « انني اعتقد ان كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقيد درجة يصعب علينا فهمها ، وان ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الارض تشهد بقدرة الله شهادة تقوم على الفكر والمنطق ، ولذلك فانني اومن بوجود الله ايمانا راسخا » (15).

5) وقد كتب الاستاذ « مومنيه » : « اذا افترضنا بطريقة تعلو عن متناول العقل ان الكون خلق اتفاقا بلا فاعل مريد مختار ، وان الاتفاقات المتكررة توصلت الى تكوين رجل ، فهل يعقل ان الاتفاقات والمصادفات تكون كائنا آخر مماثلا له تماما فى الشكل الظاهري ومباينا له فى التركيب الداخلي ، وهو المرأة بقصد عمارة الارض بالناس وادامة النسل فيها ؟ اليس يدل هذا وحده على ان فى الوجود خالقا مريدا مختارا أبدع الكائنات ونوع بينها وغرز فى كل نوع غرائز ومتعه بمواهب يقوم بها امره ويرتقي عليها نوعه ؟ » (16).

6) ويقول العلامة ا. كريسي موريسون : « ان الحياة ترغم على التناسل لكي يبقى النوع ، وهو دافع بلغ من القوة ان كل مخلوق يبذل اقصى تضحية فى سبيل هذا الفرض ، وهذه القوة الالزامية لا توجد حيث لا توجد الحياة . فمن اين تنشا هذه الدوافع القاهرة ؟ ولماذا بعد ان نشات تستمر ملايين السنين ؟ انه قانون الطبيعة الحية .. الذى يأتي من ارادة الخالق » (17).

7) وقد نشر الدكتور « ديترت » الالماني بحثا حال فيه الآراء الفلسفية لاكابر العلماء الذين أناروا العقول فى القرون الاربعة الاخيرة ، وتوخى ان يدقق فى تعرف عقائدهم فتبين له من دراسة 290 منهم أن :

« 28 منهم لم يصلوا الى عقيدة ما .
242 اعلنوا على رؤوس الاشهاد الايمان بالله
20 فقط تبين انهم غير مبالين بالوجهة الدينية او ملاحدة .

فاذا اعتبرنا غير مبالين كلهم من الملاحدة وجدنا أن 92 فى المائة من كبار العلماء يعتقدون بوجود الله تعالى » (18) .

8) وقد حكى العالم الهندي المرحوم عناية الله المشرقي ، وهو من أعظم علماء الهند فى الطبيعة والرياضيات . وقد طلبت منه «لجنة جائزة نوبل» أن يترجم احدى كتبه العلمية عن الاردية الى الانجليزية لاعطائه جائزة العلم ، ولكن العلامة رفض الفكرة بشدة قائلا : « لست فى حاجة الى جائزة لا تعترف لجنتها باللغة الاردية العظيمة » يقول هذا العلامة : « كانذلك يوم احد، من آيام سنة 1909 م، وكانت السماء تمطر بغزارة ، وخرجت من بيتي لقضاء حاجة ما ، فاذا بي ارى الفلكي المشهور « السير جيمس جينز » الاستاذ بجامعة كمبريدج ، ذاهبا الى الكنيسة ، والانجيل والشمسية تحت ابطه ، فدنوت منه ، وسلمت عليه ، فلم يرد علي ، فسلمت عليه مرة اخرى ، فسألني : « ماذا تريد مني ؟ » فقلت له : « امرين ، يا سيدي ! الاول هو : ان شمسيتك تحت ابطك رغم شدة المطر !» فابتسم « السير جيمس » ، وفتح شمسيته على الفور . فقلت له : « واما الآخر فهو : ما الذى يدفع رجلا مثلك ذائع الصيت فى العالم ، أن يتوجه الى الكنيسة ؟ » وامام هذا السؤال توقف « السير جيمس » لحظة ، ثم قال : « عليك اليوم أن تأخذ شاي المساء عندي » . وعندما وصلت الى داره فى المساء ، خرجت « ليدي جيمس » فى تمام الساعة الرابعة بالضبط ، واخبرتني ان « السير جيمس » ينتظرني . وعندما دخلت عليه غرفته ، وجدته وامامه منضدة صغيرة موضوعة عليها ادوات الشاي. وكان البروفيسور منهمكا فى افكاره ، وعندما شعر بوجودي سألني : « ماذا كان سؤالك ؟ » ودون ان

---

(14) صفحة 74 من نفس المصدر .
(15) نفس الصفحة من نفس المصدر .
(16) صفحة 77 ــ نفس المصدر .
(17) صفحة 78 ــ نفس المصدر .
(18) صفحة 83 ــ نفس المصدر .

بنتظر ردي ، بدا يلقي محاضرة عن تكوين الاجرام السماوية ، ونظامها المدهش ، وابعادها وفواصلها اللا متناهية وطرقها ومداراتها وجاذبيتها ، وطوفان انوارها المذهلة ، حتى انني شعرت بقلبي يهتز بهيبة الله وجلاله ، واما (السير جيمس) فوجدت شعر راسه قائما ، والدموع تنهمر من عينيه ، ويداه ترتعشان من خشية الله . وتوقف فجاة ، ثم بدا يقول : « يا عناية الله ! عندما القي نظرة على روائع خلق الله يبدا وجودي يرتعش من الجلال الالهي ، وعندما اركع امام الله ، واقول : « انك لعظيم » اجد كل جزء من كياني يؤيدني فى هذا الدعاء واشعر بسكون وسعادة عظيمين . واحس بسعادة تفوق سعادة الآخرين الف مرة . أفهمت يا عناية الله خان، لماذا اذهب الى الكنيسة ؟ » ويضيف العلامة عناية الله قائلا : « لقد احدثت هذه المحاضرة طوفانا فى عقلي ، وقلت له : يا سيدي ! لقد تاثرت جدا بالتفاصيل العلمية التى رويتموها لي ، وتذكرت بهذه المناسبة آية من آي كتابي المقدس ، فلو سمحتم لي لقراتها عليكم ، فهز راسه قائلا : بكل سرور . فقرات عليه الآية التالية : « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك . انما يخشى الله من عباده العلماء » . فصرخ « السير جيمس » قائلا : « ماذا قلت ؟ انما يخشى الله من عباده العلماء !؟ مدهش ! وغريب وعجيب جدا !! ان الامر الذى كشفت عنه بعد دراسة ومشاهدة استمرت خمسين سنة ، من انبا محمد به ؟ هل هذه الآية موجودة فى القرآن حقيقة ، لو كان الامر كذلك ، فاكتب شهادة مني ان القرآن كتاب موحى من عند الله » ويستطرد « السير جيمس » قائلا : « لقد كان محمد أميا ، ولا يمكنه ان يكشف عن هذا السر بنفسه ، ولكن الله هو الذى اخبره بهذا السر ... مدهش ! وغريب وعجيب جدا !! » (19) .

— ✻ —

بعد هذه الشهادات الواضحة التى لا تحتمل جدلا ولا مماراة ، اود ان اوجه الى نفسي سؤالا : « ما هو نوع الايمان الذى تطمئنين اليه وانت تعلمين ان هنالك نوعين من الايمان : ايمان العجائز ، وايمان العلماء ؟ » .

بعد لاي استطعت ان اتوصل فى نفسي الى الايمان الذى ترضاه ولا تريد به بديلا : «انه الايمان الذى يكون الفهم بعد البحث المضني السبيل الوحيد اليه » .

عدت اسائل نفسي : « ان العقل الانساني قاصر مقصوص القوادم ، لا يستطيع التحليق البعيد فى أجواء فضاء الايمان ؟ » .

وفى هذه المرة كان الجواب حاضرا : « ان العقل الديناميكي المدعم بقلب مطمئن بالايمان ، بهما يستطيع الفرد والجماعة ان يتحديا كل ما من شانه ان يعوقهما عن السمو ونيل رضا رب العالمين » .

— ✻ —

فى الصفحة السابعة من كتاب « الخمور الفكرية » للقصاص الالماني « آرثر كوستلر » جاء : « لا يكتسب الايمان بالحجة والمنطق ، والمرء لا يقع فى حب امراة ، او يدين بمذهب ، او يعتنق ملة ، نتيجة اقناع ، او وليد منطق ، وقد تدافع الحجة عن فعل من افعال الايمان ، ولكن الدفاع انما ياتي بعد انتهاء الفعل ، وارتفاع الفاعل به . وقد يكون للحث او الحض او الاقناع اثر فى تحويل المرء من اعتقاد الى اعتقاد ، وانتقاله من مذهب الى مذهب ، ولكن دور الحث او الاقناع لا يتعدى مجرد الوصول بعملية نفسية ظلت دهرا طويلا تختلج وتستوي وتنضج في ناحية لا ينفذ اليها الحث ، او يخترقها الاقناع ، الى ذروتها الكاملة ، واقصى حدود الاحساس بها واليقين . الايمان لا يكتسب ، وانما ينمو نمو الشجر ، وان راسه ليذهب فى السماء ، وقمته لتمضي مصعدة فى الافق . أما جذوره فتغيب فى اعماق الماضي ، وتغتذي من عصارة تربة الاجداد، ونشاة السلالة ، وتنقل الاجيال » .

« كوستلر » هذا اديب رقيق الوجدان مرهف الحس ، ثاقب الفكر ، الا ان عواطفه الفياضة كثيرا ما تطغى على رجاحة فكره ، وكلامه هذا اورده فى مجال تبرير ارتداده عن الشيوعية ، وقد وعى عقله اولا ، ولكن قلبه ظل مع الفكرة التى آمن بها ايمانا أعمى ، وظل زمنا طويلا يرى فيها سبيل الخلاص

(19) صفحة 227 « الاسلام يتحدى » تاليف وحيد الدين خان .

الوحيد للبشرية من كل مآسيها ، فلما اصطدمت عواطفه بصخرة الواقع ، وجد انه كان تحت تأثير اقوى خمر فكرية ذهبت بلبه ، واستولت على حسه، فاصبح لا يفكر الا وهو خاضع لسيطرتها غير قادر على التجرد من كابوسها الذي ذهب بقدرته على الادراك السليم والحس السوي ، ورغم الصدمة القاسية والخيبة المريرة ، فان قلبه ظل متشبثا بالوهم الكبير الذي آمن به تحت ضغط ظروف سيئة سادت عصره وعمت البلاد والعباد ، ولم يستطع التخلص من هذا الوهم الا بعد مدة طويلة من التأرجح بين الشك واليقين ، والاقدام والاحجام .. على ان الذي يهمنا من معاناة الرجل ، ليس ايمانه بالشيوعية او ارتداده عنها ، بل ان ما يهمنا هو ان ايمانه بها كان عامل القلب الثائر المنفعل يطغى فيه على عامل العقل المؤثر الفاعل فتردى في هوة الاعتقاد المجرد من كل تمحيص ، ومن هنا يتبين لنا فضل الاسلام الذي يدعو الى الايمان بعد التفكر في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ، اي ان يواكب اليقين القلبي الاقتناع العقلي في مسيرة مباركة نحو ما يرضي الله وينفع عباده .

كان لابد من ان اورد مثلا واقعيا من عصرنا — عصر العلم والعقل — عن الايمان غير العاقل ، وهذا مثل آخر من عصر بزوغ الدعوة الاسلامية ، نجد ان صاحبه قد آمن عقله بعد ان سطعت امامه الحقيقة باهرة ، ولكن قلبه مثقل باوهام لا تترك فيه مجالا لنفوذ الايمان الحقيقي ، انه الوليد بن المغيرة ، عقل كبير وقلب قد من صخر : « ... وقد خشيت قريش ان يستميل الرسول الحجاج الذين كانوا يفدون على مكة في موسم الحج، وتشاوروا فيما بينهم للقضاء على الدعوة الاسلامية وهي لا تزال في مهدها ، واجتمع الى الوليد بن المغيرة نفر من قريش ، وكان الوليد ذا سن وشرف ، فقال لهم : « يا معشر قريش ! انه قد حضر الموسم ، وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بامر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضا » قالوا : « فانت يا أبا عبد شمس فقل واقل لنا رأيا نقل به » قال : « بل انتم فقولوا اسمع ..! » قالوا : « نقول كاهن » قال : « والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه » قالوا : « فنقول مجنون » قال : « ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته » قالوا : « فنقول شاعر » قال : « ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر » قالوا : « فنقول ساحر » قال : « ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم » قالوا : « فما تقول يا أبا عبد شمس ؟» قال : « والله ان لقوله لحلاوة ، وان اصله لعذق، وان فرعه لجناه ، وما انتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف انه باطل ، وان اقرب القول فيه لان تقولوا هو ساحر جاء بقول هو سحر ، يفرق بين المرء وابيه ، وبين المرء واخيه ، وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته » فتفرقوا عنه وجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم احد الا حذروه اياه ، وذكروا له امره » (20) .

وقد ذكر القرآن الكريم هذا الرجل وموقفه المخجل بما يستحقه كل من وعى الحقيقة ، ثم ادبر عنها واستكبر : « ذرني ومن خلقت وحيدا . وجعلت له مالا ممدودا . وبنين شهودا . ومهدت له تمهيدا . ثم يطمع ان ازيد . كلا انه كان لآياتنا عنيدا . سارهقه صعودا . انه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يوثر . ان هذا الا قول البشر . » (21) بهذا الوصف المعجز وصفه القرآن الكريم، انه فكر وقدر، فآمن فكره ولم يدخل الايمان قلبه .

— * —

امة الاسلام ان استطاعت — وما اراها الا مستطيعة بفضل الله — ان توفق بين العقل المستنير والايمان المنير ، ما هو واجبها بعد ذلك ؟ انها ستصبح خير امة اخرجت للناس ، الامة الوسط ، افرادها شهداء على الناس ، قدوة صالحة لهم : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» (22). بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر تبدأ امة الاسلام مسيرة كلها مشقة

(20) صفحة 85 « تاريخ الاسلام السياسي » للدكتور حسن ابراهيم حسن .
(21) سورة المدثر : من : 11 الى 25 .
(22) سورة آل عمران : 110 .

ومحن ونكبات ونكسات ، ولكنها قد تزودت لكل الطواريء : « فان خير الزاد التقوى » والتقوى هي خشية الله ، و « انما يخشى الله من عباده العلماء » فأمة الاسلام اذن قد تزودت بالعلم والايمان لتشق دربها الشاق الطويل المليء بالاشواك والعقبات الكأداء .. بالدموع والدماء .. بالمحن والكوارث ، والادهى والامر انه حافل ايضا بانواع المغريات وضروب الشهوات والاهواء التى تتحلب لها اشداق ضعاف الايمان من افراد الامة الاسلامية . فيتساقطون عليها تساقط الذباب على القذارة ... ولكن الصامدين من المؤمنين يعلمون ان ما وعدهم ربهم حق، وان العاقبة للمتقين ، فيرددون فى ايمان وصمود وعزم : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (23) ويعلنون الجهاد على كل قيم المكر والانحلال والجهل والتفسخ ، والغدر والخيانة والقسوة والعنف ، وعلى حماتها ودعاتها من تلامذة ابليس وحلفائه . ممن فرضوا انفسهم أوصياء على الحضارة والناس فى عصرنا هذا الذى ابتلي بهم ونكب ، لحكمة لا يعرفها الا الرب الحكيم سبحانه ، واي جهاد افضل من السعي الدؤوب فى طلب العلم ، به توهى حجة الدجالين فتدحضها ... به تقارع ادلة المشعوذين فتدمغها، حتى اذا لم يجد الحق سبيلا الى القلوب التى طبع الله عليها ، حل السيف محل الموعظة الحسنة ، وحل المبضع محل العلاج اللين الخفيف، وآخر الدواء الكي او البتر . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا ان طلب العلم نوع من الجهاد: « من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » (24) .

وها هي امة الاسلام اليوم تعاني اكبر نكبة مرت بها منذ بدات مسيرتها المقدسة ، تداعت عليها الامم تداعي الاكلة على القصاع ، وتطاول عليها البغاث من الد اعدائها الذين ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ومرت عليها فترة ليست بالقصيرة من عمر الزمن ، وهي فاقدة الوعي تتخبط من هول الصدمة القاصمة ، وقد آن لها ان تستعيد رشدها وتتغلب على ضعفها لتتبوأ مكانة الريادة لسائر امم الارض ، وهو الدور الذى رصدها الله له ، واني لأكاد أرى الآن بسمة ترتسم على شفتي احد مرضى القلوب ممن قد يقدر لهم ان يقرأوا كلامي هذا ، وقد يتساءل مع نفسه : « العلم مبذول لكل من يطلبه ، وهذه « امة ضحكت من جهلها الامم » ، مع ذلك يريد هذا المخدوع ان يوهمنا بانها مرصودة للريادة والقيادة دون سائر الامم ؟ »

انه تساؤل وجيه له ما يبرره من حالة المسلمين المزرية اليوم ، ولكن ان كانت النية الحسنة متوفرة للسائل ، وله من الالمام بدينه ولو النزر اليسير ، فانه سيحاول البحث عن سبب انحطاط المسلمين وجهلهم على صعيد واقعهم المحزن الحالي ، وسيسعفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوجيه السليم : « عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالما ، اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا » (25) .

ان عاد المتسائل يتساءل عن الحل الانجع والدواء الشافي ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود فيشير له الى طريق الهدى والرشاد : « عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع ، وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى السماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وان العلماء ورثة الانبياء ، وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وانما ورثوا العلم ، فمن اخذه اخذ بحظ وافر » . (26)

— * —

(23) سورة المنافقون : 8 .

(24) رواه الترمذي .

(25) متفق عليه .

(26) رواه ابو داود والترمذي .

ومن اروع معجزات المنهج التربوي الاسلامي ان طلب العلم فيه حر تلقائي ، انه رغبة ذاتية تنمو في نفس الطالب ، واشباعا لهذه الرغبة الملحة ، يقوم الطالب بجهود مضنية ويضحي تضحيات جسيمة، اهونها تكبد مشقة السفر الطويل والصبر على فراق البلد والاهل ، ومعاناة الوان وضروب من الحرمان ، والاروع من هذا هو ان منهج التربية الاسلامي يحتم ان يكون كل هذا النضال ، وكل هذه التضحيات ، لاجل العلم وحده دون سواه من منصب او جاه او مال او سلطان ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي « المتعلم » في اغلب احاديثه « طالب العلم » ويسمي « عملية التعلم » « طلب العلم » . ولا يطلب الانسان شيئا الا اذا لمس في نفسه الحاجة الماسة اليه ، والطلب تصرف ذاتي حر واع يقوم به انسان واع حر عرف نفسه وادرك ما يرغب فيه ، فقام من تلقاء نفسه يسعى في طلبه ، ويبذل في سبيله الغالي والنفيس ، ولنا في سير كبار علماء المسلمين المثل الاعلى والقدوة الحسنة والحجة الساطعة . فاذا كان طلب العلم واجبا ، وطالب العلم يسعى من تلقاء نفسه للتعلم ، فاي علم هذا الذي يجب على كل مسلم ومسلمة ان يطلبه من المهد الى اللحد وان يطلبه ولو في الصين ؟ : « عن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » (27) .

« وعن ابي موسى رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فانبتت الكلا والعشب الكثير ، وكان منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، واصاب طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » (28) .

من هذين الحديثين الشريفين يبدو للقارىء الكريم ان العلم المفروض على المسلم ان يطلبه محدد بالتفقه في الدين . ولكن ، ما هو التفقه في الدين بمعناه الشامل الواسع ؟ انه التفكر في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ، انه التدبر الحكيم لملكوت الله العظيم ، انه التعرف الى اوامر الحق سبحانه والالتزام بتنفيذها بدقة وامانة في السر والعلن ، وانه الاحاطة الشاملة بنواهيه جل علاه والتقيد باجتنابها عن طواعية واختيار واقتناع . انه اليقين النابع من القلب المنير والوعي المنبعث من العقل المستنير بان الانسان العالم المؤمن هو الاحق برضوان الله الاجدر بمحبته سبحانه ، وكيف لا يكون كذلك وهو انفع الناس للناس ؟ انه الانسان الاسمى الاكمل ، حلم البشرية وامانها الذي يداعب خيال مفكريها وفلاسفتها منذ ازمان . انه الانسان الذي قال فيه رب العزة : « افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى ام من يمشي سويا على صراط مستقيم ؟» (29) . وهكذا نجد ان كتاب الله وسنة نبيه يبينان لنا في جلاء ووضوح ان هدي العلم وهدي الايمان متلازمان، لا يمكن التفريق بينهما لمصلحة العباد في معاشهم ومعادهم ، وصدق الله القائل في محكم تنزيله « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » (30) .

الرباط — عبد الله اكديرة

---

(27) متفق عليه .
(28) متفق عليه .
(29) سورة الملك : 22 .
(30) سورة فصلت : 53

الذكرى الثالثة والثلاثون لوفاة المرحوم الشيخ

عبد الحميد بن باديس

للأستاذ الحاج احمد معنينو

من الملائم ان ننشر هذه الكلمة على صفحات مجلة (دعوة الحق) لسان العلم والعلماء . وصوت الكتاب والشعراء .

بمناسبة يوم 16 ابريل 1940 ذكرى وفاة الفقيد العظيم الاستاذ الداعية المرشد الامام القوي بالله سيدي الشيخ عبد الحميد ابن باديس قدس سره ، نعود بالذكرى وقد مرت على وفاته ثلث قرن دون أن ينطفيء مصباحه الوضاء لجوانب الشمال الافريقي باسره ، ولا اقول الجزائر وحدها ! لانه كان المشعل المنير للظلمة الحالكة ساعة الاحتلال الفرنسي المقيت ، ساعة طغيان المستعمر الغاصب المتجبر ، كان صوته يزعج المستعمر واذنابه . ويذهل الدجاجلة ويفضحهم بصيحاته : ارجعوا الى تعاليم الاسلام النقية كي تسلموا وتأمنوا المصير .

لقد كان الشيخ ابن باديس رائد الاجيال ، نحو النور والحياة الحرة . وباعث نهضة ثقافية واجتماعية وقومية أصيلة . أتاحت لابناء افريقية الشمالية جميعهم ان يتوجهوا على هديها نحو طريق العزة والكرامة ، نحو الحياة الحرة الكريمة المستمدة من عظمة الاسلام . ومجد العروبة الخالدة . قضى الامام ابن باديس رضي الله عنه ولما يتجاوز عمره الخمسين عاما . عمر قصير محدود ، ولكنه حافل بجلائل الاعمال . وخالد المآثر ، والحياة البناءة المنتجة لا تقاس بطول الاعوام وامتداد الايام ، بل تعد حياة الرجال واعمار الابطال بما يقومون به من جهد ونضال ، وما يتحملون من مسؤوليات واعباء تنوء بحملها الجبال الراسيات وتعجز عن تحقيقها وانجازها أجيال وأجيال !

كان الفقيد طرازا فريدا في عمله وعلمه . وجهاده وصبره . واخلاصه وانقطاعه لخدمة امة الاسلام . بكل ما اوتي من قوة وايمان ، وسعة علم ، وصدق عزيمة ، انكر نفسه . وافنى ذاته في ذات الامة الاسلامية . ولا اقول الجزائرية وحدها حتى انه ليعد بحق من ائمة السلف الصالح الابرار الذين رضوا وعن طيبة خاطر أن يضحوا بكل ما ترغب فيه النفوس البشرية من لذة ومتعة . كل ذلك في سبيل اعلاء كلمة الله . واحياء الدين والنهوض بالامة . فكان لجهاده رحمه الله اعمق الآثار . واطيب الثمار . فيما أصبح عليه الشعب الافريقي عامة والجزائر خاصة ، من نهضة واعية ، ويقظة شاملة ، وعزة وكرامة بات معها هذا الشعب بعد بضعة اعوام مضرب الامثال في البطولة والاستماتة من أجل استرداد سيادته والظفر بحريته واستقلاله .

وهكذا تدارك الله بلطفه أمر الاسلام والعروبة في ارض الجزائر الحبيبة ، بواسطة جهاده وجهاد اخوانه الاوفياء في وقت ظن الاغبياء ان الاسلام والعربية قضي عليهما . وافرغ من امرهما الى غير رجعة !

ان الشيخ ابن باديس امة وحده يستمد العون من الله ومن الشعور بعظيم المسؤوليات التي يتحملها العلماء الصادقون الذين لا يخشون الا الله ولا يرجون الا ثوابه ، يقاومون الظلم والكفر والالحاد والجهل والطغيان والاستبداد والعنصرية وكل داء ومرض من امراض الاستعمار ، واوبئة الاحتلال .

عاش ابن باديس داخل ظلمة المستعمرين لوطنه . والابواب مقفلة في وجهه . واساليب الفقر والجهل تنشر بطرق واخرى لابادة شخصية الشعب الجزائري، ومسخ قوميته . لادماجه على الطريقة التي تجعل من

ابنائه قطعانا من العبيد المسخرين لصالح السادات المحتلين ! فلقد حاربت فرنسا الاسلام والعروبة جهارا . وساعدت المبشرين فى نشر التضليل رغم ما تدعيه من اللائكية ! وجندت لبلوغ الاهداف جميع ما لديها من قوة ومكر ، وكيد وغدر ، وبغي وقهر .

ان الشيخ عبد الحميد ابن باديس ليعد بحق الطبيب النطاسي الخبير ، والحكيم المتزن البصير ، فيلسوف ، كاتب ، عالم ، صحفي ، مناضل . واخيرا جندي من جنود الاسلام ، استطاع ان يفحص كل هذه الامراض المزمنة القاتلة ، ويستنبط لها الدواء النافع الناجع .

فهو الذي يقول : « طبيعة النهضة الجزائرية التي كان رحمه الله أبرز منشط لها حيث حددها تحديدا واضحا سليما ، اذ كتب يقول عام 1936 : (نهضتنا نهضة بنيت على الدين اركانها ، فكانت سلاما على البشرية. لا يخشاها «والله» النصراني لنصرانيته، ولا اليهودي ليهوديته ، ولا المجوسي لمجوسيته . ولكن يجب ــ والله ــ ان يخشاها الظالم لظلمه ، والدجال لدجله ، والخائن لخيانته .) وتحدث عن ضرورة توحيد القوى الوطنية فى ذلك الظرف فقال : (اما موقف الجمعية : يعني جمعية العلماء الجزائريين، مع خصومها، فانها تعلم ان الامة تجتاز طورا من اشق اطوارها واخطرها ، فهي تتناسى كل خصومة وتعمل لجمع الكلمة وتوحيد الوجهة ولا تنبذ الا رؤوس الباطل والضلال الذين لا تحبهم الامة ولا تقبلهم .

كل من اطلع على تراث عبد الحميد ابن باديس وكتابته لا يستطيع ان يستوعب عنه الكلام فى مقال واحد . فانت لا تكاد تقرأ الرجل حتى تبرز امامك شخصية عملاقة متعددة الجوانب ، وفكر جبار لا يفرق ابدا فى المشاكل ، ولكنه يحيط بها ويدرك ابعادها ويرسمها فى وضوح .

انك عند ما تتعمق فى سير الدعوة الاصلاحية التي حمل لواءها هذا المجاهد الفذ ، ومن لف لفه من اصحابه من ذرية الزيتونة ومن ذرية القرويين من أبناء قسنطينة والعاصمة الجزائرية لتزداد اطمئنانا وايمانا بما كان لهذا الشيخ وصحبه من ثمرة طيبة فى تطهير العقيدة الاسلامية من شتى شوائبها ومزيفاتها . وكذلك فى نشر ثقافة عربية اسلامية على أساس تعليم عصري، وحد بين مشارب التراث العربي الاسلامي . وموارد الثقافة الغربية الامر الذى جدد يقين الجزائر بروح الاسلام الصحيح . وابتعد بابنائها عن ممقوت المعتقدات وطهرها من شوائب العادات المبتدعة ، والتقاليد المكذوبة او الموروثة عن وثنية بربرية لم تزل آثارها متمكنة من نفوس البربر المسلمين من سكان المناطق الجبلية والاطراف الصحراوية ، واننا لن نبالغ فى القول اذا قلنا ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة ابن باديس قدس سره ، قد استطاعت فيما وجدت من تربة صالحة ان تحقق اهداف الدعوة السلفية التي لم يستطع اقطابها فى الشرق أن يحققوها ! .

ولادتـــه :

ولد عبد الحميد بن محمد مصطفى بن باديس فى دسمبر 1889 م بمدينة قسنطينة ، حفظ القرآن الكريم على الشيخ محمد الماداسي ، ودرس العلوم الدينية في قسنطينة مسقط راسه على الشيخ حمدان الونيسي الذي حذره من الالتحاق باي وظيف حكومي.

التحق بالجامعة الزيتونية فى تونس ، حيث اتم دراسته العالمية سنة 1908 م .

أدى فريضة الحج سنة 1912 ، وطاف على اثر ذلك بالاقطار العربية ، سوريا ، لبنان ، مصر، اتصل بالعلماء فى هذه الاقطار ، وأجازه المرحوم الشيخ محمد بخيت فى مصر اجازة العالمية .

ابتدا التدريس والدعوة الى الاصلاح بقسنطينة سنة 1913 .

عمل صحفيا فانشا جريدة « المنتقى » التي كان شعارها ، الحق فوق كل احد ، والوطن قبل كل شيء، ثم « الشهاب » جريدة ومجلة شعارها : لنعول على انفسنا ولنتكل على الله .

ثم اسس مدرسة عظمى عامة لتكوين الاساتذة والمعلمين بقسنطينة تسمى « مدرسة التربية والتعليم » التي تفرعت منها وعنها المدارس العربية الاسلامية بأرض الجزائر بالسهل والجبل منه حتى بلغت نحو 400 مدرسة هي التي عالجت الوسط الجزائري . وكشفت عنه الغمة . وتخرج منها اسد المعركة . معركة تحرير الجزائر من سيطرة فرنسا العاتية لمدة 130 سنة ! ؟



أساتذة مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة من ايالة الجزائر (فى الوسط الاستاذ ابن باديس مؤسس المدرسة)



صورة عامة لطلبة مدرسة التربية والتعليم

وظل رئيسا لجمعية العلماء منذ تأسيسها يجاهد بقلمه ولسانه وماله ، ضد الظلم والظالمين . والدجل والدجالين . الى أن التحق بجوار ربه فى 16 ابريل 1940 ، فرحمه الله ورضي عنه فى الابطال الخالدين .

الدعوة السلفية لجانب المدرسة ، عبد الحميد بن باديس في طليعة الدعاة البررة

هذه الدعوة المباركة ليست وليدة عهده بل نشرها ودعا اليها بالدرس والتاليف في كل العصور الاسلامية ، وتحمل عبئها الثقيل عدة جهابذة من رجالات الاسلام في مختلف العصور . اذكر من بينهم علم من اعلام السنة وامام شهير بالدعوة للتوحيد الخالص ، الامام ابن تيمية الحنبلي المذهب ، ظهر داعية بدروسه وتآليفه ومجالسه ومناظراته ، ولا نحتاج لتبيان جهوده لانها معروفة ومدروسة . كما قام بنفس الدعوة عالم جليل لا يقل رتبة عن سابقه علما . ودينا . وكفاحا . واخلاصا . هو الامام « الشوكاني » بأرض اليمن ، الف في ذلك عدة مؤلفات تزدهر بها المكتبة الاسلامية حتى يوم الناس ، مثل كتابه « نيل الاوطار » وكتابه « القول المفيد في حكم التقليد » وكثيرهم علماء السلف في كل العصور ، ولقد مرت عليهم جميعا أطوار صعبة تلقوا من جرائها الشدائد والاهوال ، وهكذا يعيش اصحاب المبادىء والاتجاهات في الدعوة الى الله . تسلسلت هذه الدعوة بين أكابر العلماء وابرزها الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » بأرض نجد في العهود الاخيرة بمساندة رجال الدولة السعودية ويعد بحق مجددا للدعوة لا منشئا لها . وفي نظره تعتبر السلفية مسالة التوحيد التي هي عماد الاسلام ، والتي تتبلور في قول « لا اله الا الله » التي تميز بها الاسلام عما عداه ، والتي دعا اليها محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ، فلقد ورد عنه عليه السلام : انه قال : **أفضل ما قلته انا والنبيئون من قبلي (لا اله الا الله)** فهي اصدق دعوة الاسلام ، فلا أصنام ولا اوثان ولا عبادة آباء وأجداد ، ولا احبار ولا رهبان ، ولا غير ذلك ، منذ انتشرت هذه الدعوة مؤخرا ظهرت آثارها بمغربنا العزيز في عهد السلطان السلفي المولى سليمان ، كما ظهرت في بلاد الهند بواسطة الشيخ احمد « بالبنجاب » حيث اسس دولة او شبه دولة ، كما قام بنشر الدعوة لها علماء واعلام من بينهم الامام السنوسي الكبير رحمه الله ورضي عنه ، وقد اشتهرت دعوته السلفية بالجزائر ، ثم بالمغرب وانتشرت بسرعة ، ووقع الاقبال عليها ، والاجماع على نهجها القويم ، وطريقها المستقيم ، والطريقة السنوسية تعد من أهم الدعوات الاسلامية ، ببلاد الافارقة جمعاء . بالاخص بأرض السودان وما اليها ، وعلى الذين لا يعرفون مكانتها المرموقة أن يراجعوا ما كتبه عنها أمير البيان « شكيب ارسلان » في تعاليقه على « حاضر العالم الاسلامي » ليتعرف عما قامت به الطريقة السنوسية السنية من جهود جبارة في التعريف بالاسلام النقي والدعوة لمبادئه السامية بطريقة عملية ، ان الدعوة السلفية الاسلامية هي عبارة عن الدعوة المحمدية في نشأتها الاولى : قرآن ، وسنة ، عبادة ، حسن المعاملة ، كفاح مرير ، جهاد وتضحية ، استماتة في نشر دعوة القرآن (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم . تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا) (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) وصدق ربنا ، دعوتهم الدائمة ، الجهاد من أجل الشرف والكرامة ، وتبليغ الدعوة الاسلامية ، دعوة الاخوة والصفاء والوفاء والتعاون على البر والتقوى ، حتى ترتفع كلمة الله (فان جنحوا للسلم فاجنح لها) .

كما ظهرت نفس الدعوة السلفية الاسلامية بواسطة جبل السنة رئيس الطريقة الناصرية سيدي احمد بن ناصر « بتامكروت » بصحراء المغرب ، فلقد عرفت هذه الزاوية المباركة بنشر العلم وتلقين القرآن والاعتصام بحبل الله المتين ، وبالمثل العليا وبالاستماتة عن كرامة العقيدة الاسلامية الفضة الطرية مذهبا وسلوكا منذ تأسيسها ، وهي تجاهد الجهاد المرير في نشر المعرفة والنور طيلة أحقاب حيث ضعفت معاهد التعليم بالمغرب بسبب الحروب الداخلية ، قامت هذه الزاوية بواجبها المقدس أحسن قيام وعلى الطريقة السلفية وتلافت النقص وأبرزت للمغرب العزيز جمهرة عظيمة من رجالات التعليم والتهذيب والتصوف الاسلامي النزيه ، عكف مؤسسوها تحت الصبر والاحتساب على بذل الغالي والرخيص في ميدان الدعوة الاسلامية دون مقابل عدا رضا الله وصالح المومنين .

وهنا لا يفوتني ان اسجل حق عدة طرق صوفية سنية سنية ورجالات البطولة والشهامة في حب الله والرسول وبذل الجهد في سبيل نصرتها ، والدفاع عن كرامتها ، والاهتداء بهديهما ، وتكوين وتمرين الآلاف المؤلفة من المسلمين على نهج السنة النبوية ، والاعتصام بحبل الله المتين ، والقيام بالشعائر المقدسة ، ورهن الانفس والاموال وكل عزيز وغال في سبيل الاعتزاز بالاسلام النقي النزيه على المذهب السلفي والتضحية من اجله ، لا يفوتني أن أصرح بأن هؤلاء من صميم رجال السلفية ، ومن الرعيل الاول في صفوف المسلمين ،

ولا يخرج عن هذا النطاق الا الضالون المبالغون في الخذلان ، والمتمسكون بحبل الشيطان .

ثم جاء عهد الشيخ جمال الدين الافغاني قدس سره ، ومن سديد نظراته للسلفية قوله ، ان اخطر ما تستعمله الامم الاجنبية في الشرق ، العمل على اضعاف اللغة القومية وقتل التعليم القومي الاصيل ، والتنفير من آداب الامم الشرقية لتحل محله لغتها وآدابها . والحال أنه : (لا جامعة لقوم لا لسان لهم ، ولا لسان لقوم لا أدب لهم ، ولا عز لقوم لا تاريخ لهم) ثم يقول عن نفسه : لقد جمعت ما تفرق من الفكر ، ولممت شعث التصور ، ونظرت الى الشرق واهله ، فاستوقفني الافغان ، وهي أول أرض مس جسمي ترابها ، ثم الهند وفيها تثقف عقلي ، فايران بحكم الجوار والروابط ، فجزيرة العرب من حجاز مهبط الوحي ، ومن يمن وتبابعتها ، ونجد والعراق وبغداد وهارونها ومامونها ، والشام ، ودعاة الامويين فيها ، والاندلس وحمراؤها ، وهكذا كل صقع ودولة من دول الاسلام وما آل اليه امرهم ، فالشرق شرق خصصت له جهاز دماغي لتشخيص دائه وتحرير دوائه ، فوجدت اقتل ادوائه داء انقسام اهله ، وتشتت آرائهم ، واختلافهم على الاتحاد ، واتحادهم على الاختلاف ! فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيههم للخطر المحدق بهم ، ومن اقواله السديدة في السلفية : ان التفرقة بين اهل السنة والشيعة احدثتهما اطماع الولاة لجهل الامة ، وجميعهم يومنون بالله وبالقرآن ورسالة محمد صلوات الله عليه ففيم الخلاف ! ؟ ولم القتال ! ؟

ثم ياتي دور عالم سلفي مجدد هو الشيخ محمد عبده وعلى نهجه ظهر عدة علماء بالشرق والغرب ، واعلنوا الدعوة السلفية بطرق واخرى ، من بينهم ، وعلى راسهم شيخنا الامام عبد الحميد بن باديس مجدد الثقة بالله في الشعب الجزائري ، بل مرشد الامة المغربية قاطبة بدروسه وتلاميذه وصحفه وكتبه وجمعيته ، فالدرس بمنزله الذي كان يعد معهدا علميا زاخرا بالطلاب والمستفيدين ، ومدرسة سلفية تجدد الدعوة الاسلامية ، وتلهج بروح الايمان بالكتاب والسنة والرجوع اليهما في كل الاتجاهات ، وكتابته في الصحافة والمجلات والمؤلفات كلها كانت عبارة عن مدرسة متنقلة سائحة تهيج وتموج وتهدي وترشد هنا وهناك ، تلج كل البيوت والمنتديات ، وتخلق الفكرة السالمة في الاوساط ، وتوضح المواقف الواجب اتخاذها تجاه خصوم الاسلام ، والمخالفين لنهج السنة،

اما جمعيته ، جمعية علماء المسلمين الجزائريين فقد شرقت وغربت وانشات المدارس والمنتديات وجيشت جيوش الكفاح والنضال بكافة انحاء الجزائر ، بل احتلت أرض فرنسا « الخصم اللدود » فاسست بها الاندية والجماعات ، ونظمت اسس الدعوة المحمدية بين المسلمين المغتربين هناك ، وكان هذا السيل الجارف الذي ينشره ابن باديس واخوانه بشتى الطرق والوسائل يفوح عبيره بارض المغرب ، وتزدهر به جوانبه ، ببعض علماء السلفية المسلمين ، وما الاستاذ الجليل وزير القصور الملكية سابقا الفقيه العلامة سيدي محمد المعمري (الزواوي رحمه الله والاستاذ الخبير الخريت حبيب المصلحين قاطبة ورجل العبقرية الفذة مترجم القرآن الكريم الى اللغة الفرنسية سيدي أحمد التجاني اطال الله حياته الا رجال بررة من خيرة رجالات جمعية العلماء ، التي ازدهرت بها اسواق العلم والادب والكفاح بل الجهاد المستميت ضد العدو الجاثم على صدور المغاربة والجزائريين معا (فرنسا) بسلاحها الثار ، سلاح التشكيك ونشر المبادىء الهدامة بين صفوف الطلاب ، وادخال الرعب والذهول في قلوب ضعاف الايمان ، وعديمي الثقة بالله ، ولا ريب ان لمولانا محمد الخامس طيب الله ثراه ، نفحة من هذا الاريج العطر ، فلقد تعلم واخذ عن الرجلين العظيمين السابقي الذكر ، كما أخذ عن جهابذة علماء السلف بالمغرب كالشيخ العظيم المحدث الشهير والداعية الاسلامي السني السلفي الذي كرس حياته في السفر والحضر وفي كل المجتمعات والمنتديات وبالليل والنهار والذي لا يخلو مغربنا العظيم شرقه وغربه شماله وجنوبه من تلامذته ومريده (أبي مدين شعيب الدكالي تغمده الله بواسع فضله ، وكالعلامة المناضل البطل الشريف سيدي محمد بن العربي العلوي رحمه الله) وغيرهم ، فالدعوة السلفية في عصرنا اصبحت تسير سيرا حثيثا وتفتح اذهان الامة ، وتطهرها من الخرافات ، وبسبب هذه التلمذة بلغ الحال بسيد البلاد اصدار الظهير الشريف الشهير ضد هذيان الطرق الضالة ، التي كانت تسم الاسلام باوصاف هو منها براء ، وعنها معرض واليها خصم عنيد .

ان دراسة المذهب السلفي يتكون من افكار سلفنا الصالح بتعاقب الازمان ودراسته لا تخرج عن دراسة الكتاب والسنة والاهتداء بهديهما والوقوف عند امرهما ونهيهما ، فمنذ تعرفنا على التشريع الاسلامي قرانا رسالة ابن أبي زيد القيرواني بالعقيدة السلفية وتلقينا عن عدة علماء بررة معاني السلفية دروسا وسلوكا ، انها

ليست بدعا من القول ولا مذهبا جديدا حدث في الاسلام بل السلفية الاعتصام بالتوحيد الخالص لله الواحد القهار احياء الامجاد الاولى لظهور الاسلام القدوة الصالحة بمؤسس الشريعة الاسلامية الارتواء من حياضه الغزيرة الفياضة الصافية ، ومجلة الشهاب الغراء لسان جمعية العلماء التي براسها مترجمنا مجدد الدعوة عبد الحميد بن باديس قدس سره ، كانت لسان هذه الدعوة وبواسطتها كنا نستيقظ من الغفلة فكانت مجتمعات الطلاب تدرس هذه المجلة النيرة الموقظة وكانت كتابة ابن باديس وصحفه تضيء لنا الطريق السوي وتقوي شعورنا بعظيم المسؤوليات الملقات على عاتق العلماء والطلبة وسائر طبقات الامة ، ومنها تعرفنا على ان كل نهضة قومية لا يمكن أن تشيد مكينة ومتينة وراسخة الا اذا اقيمت على دعامة الدين واللغة واحيائهما والحياة بهما كوسيلة فعالة لبعث امة وايقاظها من غفلتها . واخراجها من الظلمات الى النور .

فياما اروعه واجله وهو ينشد في حفل عام ينادي فيه النشء وكانه ينظر بنور الله الى ما سيكون في المستقبل والمستقبل القريب :

يا نشء أنت رجاؤنا
وبك الصباح قد اقترب

خذ للحياة سلاحها
وخض الخطوب ولا تهب . .

واذق نفوس الظالمين
السم يمزج بالرهب

واقلع جذور الخائنين
فمنهم كل العطب

من كان يبغي ودنا
فعلى الكرامة والرحب

أو كان يبغي ذلنا
فله المهانة والحرب

هذا نظام حياتنا
بالنور خط وباللهب

حتى يعود لقومنا
من مجدهم ما قد ذهب

هذا لكم عهدي به
حتى اوسد في الترب

فاذا هلكت فصيحتي
تحيى الجزائر والعرب

وزيادة في تخليد شخصية الامام ابن باديس نستمع لصيحته هنا الى ابيات انشاها لدعوته وشاعت وذاعت بين الطلبة وغيرهم كنشيد لمدرسته ، لناخذ نظرة واقية عن هذا الشيخ الهمام الذي كان يعبر اصدق تعبير عما ينتظر بلاد الجزائر من امجاد واعياد حيث يقول :

اشهدي يا سما
اشهدي يا سما

واكتبن يا وجود
اننا للحمى

سنكون الجنود
فنريح البلاد

ونفك القيود
ونذيق الردى

كل عات كنود
وننيل الرضى

من وفى بالعهود
ويرى جيلنا

خافقات البنود
ويرى نجمنا

للعلا في صعود

ان هذا النشيد ليعبر اصدق تعبير عن مستقبل بلاد الجزائر الحبيبة . موهبة من الله نطق بها ، لم تمض اربعة عشر عاما على وفاته رحمه الله حتى هبت الجزائر باكملها تجاهد صفا واحدا لتفك عن البلاد القيود ، والاغلال وتذيق الردى كل عات كنود . طب نفسا وقر عينا ايها الداعي الى العزة والشرف . فلقد حقق الله آمالك واصبحت امة الجزائر التي عشت لها خادما ومرشدا طيلة حياتك حتى لقيت ربك ، دولة عربية اسلامية يفخر بها القريب والبعيد والصديق ، ثم في جوار الله قرير العين مثلوج الفؤاد ، وانا لعهدك لحافظون وعلى نهجك نهج الكتاب والسنة سائرون ولخدمة المصالح العليا للامة الاسلامية منفذون .

سلا : الحاج أحمد معنينو



للأستاذ محمد بن محمد التطواني

— 3 —

حقيقة وجود الله من خلال ملكوتـه :

تكلمنا فى المقال السابق عن حقيقة وجود الله سبحانه من خلال ملكوته ، وتطرقنا للحديث عن مسألة الصدفة ، وبينا بأن هذه الحياة تضم عددا كبيرا من الناس بلغ بهم الكفر والجحود الى ربط مسألة الصدفة باسباب وجود هذا العالم ، وما فكرة الصدفة فى الواقع الا معنى من المعاني الخاطئة التي توهمها الانسان ، اما لقصوره وعجزه او تعنته وعناده ، ليحاول بها أن يبعد الفكرة القائلة بوجود الخالق المبدع ، الذي أوجد هذا العالم كيف شاء ، فلو كان هذا الكائن المفكر قد رجع الى نفسه بالتأمل فى محتواها والبحث فى جوهرها لاكتشف لا محالة القصد الحكيم ، والغاية المثلى ، التي خلق لها ومن أجلها ولأيقن دون مراء أن الصدفة وهم خاطىء ، وطريق مسدود لا يؤدي الى غاية أو هدف .

ان خلق الانسان لم يكن عبثا ، وانما هو وجود غاية فى الحكمة ، ولكن الحكمة البالغة لا يكشف مراميها الا ذو العقول الراجحة والافكار المتفتحة ، وما كان بصرنا الذي نلتقط به صور هذا العالم الا وسيلة من الوسائل المباشرة التي تمكننا من مشاهدة حكمة الخالق من المخلوق وآيات عظمة الله التي لا تحد بحدود ولا تقاس بمقياس .

فحكمة الله سبحانه تتجلى لنا فى الصور المختلفة لهذا العالم فهي تبدو فى الامور الصغيرة التي نراها ملء أعيننا ، والاشياء الكثيرة التي بلغت من الكبر حدا لا يحيط به البصر ، والظواهر الغريبة التي كنا نجهلها لولا تقدمنا الكبير فى مجال صناعة المناظير الدقيقة التي تم اختراعها حين بلغ الانسان مبلغا لا يستهان به من التقدم الفكري والتطور الحضاري .

وما تزال اشياء اخرى رغم المجهود الفكري المبذول فى ميدان الاكتشاف ، بعيدة عن متناول البصر ، اذ لم يكشف العلم عن دقائقها ومكنونها بعد .

فالحكمة الالاهية المعجزة تتضح للعالم الطبيعي حين يسلط منظاره ليتتبع ابسط صور الحياة متجسمة فى شكل « الاميبا » مثلا ، وهو حين يتتبع مراحل تكوينها ، او يعمل على تشريحها ، يدرك عندئذ قوة التدبير الخفي الذي وضع سلفا فى تركيب كل كائن من الكائنات بدون ميز بين فصائلها وانواعها ، فلكل نوع وسائل دفاعه ، والسبيل الميسر لمد وجوده وبقائه، فلم هذا الانسان بعد كل ما رآه ويشاهده لا يريد أن يكون الا متنكرا وحده للجميل ، جاحدا دون سواه نعمة الله فى نفسه ، وفى كل جارحة من جوارحه ؟ بعد أن أصبح اليوم يدرك القوة الخارقة المعجزة التي تتحكم فى مصيره وتسيطر على وجوده ووجود كل المخلوقات التي تحيط به .

وكنا فى مقالنا السابق قد تناولنا الحديث باختصار عن ماهية الكون وبذلنا جهدا متواضعا فى نفض الغبار عن أصله ، وكذا عن أولية نشأته وحاولنا

فى عجز ظاهر وتقصير واضح ان نشير الى الاثر الالاهي الذي يبدو لنا جليا فى ذواتنا اولا ، او فى كل ما يمتد اليه طرفنا من مظاهر وصور واخيرا فى هذا النظام القار الذي ينتظم فى سلكه هذا الكون العظيم المليء بالآيات ، الحافل بالعظات والذكريات .

وبما ان المقال لطوله كان يتطلب تجزئته ، فقد ارتأينا ان نجعله فى ثلاث مقالات ، واليك ايها القارىء الكريم المقال الثاني من الموضوع الثاني .

مولد ارضنا :

تعددت نظريات العلماء المتخصصين فى شؤون الكون وتضاربت فيما بينها حول تحديد كيفية مولد عالمنا الارضي ، هذا العالم الصغير، بل المتناهي فى الصغر ، الذي ارتبطنا به منذ كان وجودنا شيئا معلوما وامرا واقعا ، هذا العالم ، الذي خرجنا منه لنعود اليه ثم لنخرج منه من جديد ، فبيننا وبينه صلة لا تعادلها صلة ، فارضنا هي امنا الاولى ، اذا جاز لنا ان نقول بالازدواجية فى معنى الامومة فلن يذهب بنا الاستغراب بعد اليوم أي مذهب حين نرى الدماء تهرق والارواح تزهق من اجل حفنة تراب او قطعة ارض ، ذلك لان الرباط الذي بيننا وبين هذه الارض رباط وثيق الصلة لانه ينبثق من معاني الوجود ، فهو بذلك اقوى رابطة تربط بين عناصر مادية اجسامنا وعناصر مادية الارض ، ولاجل ذلك فقد وجه العلماء انظارهم اليها باحثين عن اصلها باذلين وقتهم وفكرهم كما بذل الناس ارواحهم وما يزالون يبذلون الانفس فى سبيل الذود عنها أو الاحتفاظ بأكبر جزء من رقعتها ، ومهما كانت النتائج التي حصل عليها العلماء فى هذا المضمار قليلة وغير مقنعة، فان الذى يعنينا بعد كل هذا المجهود هو ان محاولات العلماء لم تنقطع ، فهم ما فتئوا يكررون المحاولات ، وينفقون من أوقاتهم ما يملكون من ساعات اليوم لكشف الغطاء ولا مراء فى ان العلماء سيبلغون اهدافهم ويحققون امانيهم ، ثقة منا فى العلم وفى قوة العقل البشري الذي يملك فيما يملكه من قدرات وغرائز ونوازع ، غريزة حب الاستطلاع ، هذه الغريزة القوية التي لن تدعه يستسلم بل ستحثه وتلزمه وتعلمه فى نفس الوقت كيف يعيد الكرة ويكرر المحاولة ، حتى يصل فى النهاية الى الهدف الذي رسمه لنفسه ، مهما كان الطريق وعرا وشاقا ، ونحن فى سعينا هذا لا يهمنا ان نحدد الزمن لتحقيق هذه الآمال التي تراود افكارنا وتداعب عقولنا خصوصا اذا علمنا ان قانون الجاذبية وغيره من القوانين والضوابط العلمية الاخرى ظلت مبهمة وبعيدة عن متناول العقل ، حتى ظهرت لنا فجأة وبدون سابق انذار ، فسجلها العلماء وعملوا بمقتضاها ، فلقد رأى من قبل العالم الشهير «نيوطن» تفاحة تسقط على الارض ، فالهم بهذه الحركة المعتادة والتي لا تهزنا عادة لتعودنا على ظاهرتها أن يضع هذا العالم قانونه الشهير فى الجاذبية .

انه معنى يحمل الايحاء الخفي الذي دفع كثيرا من العلماء الى الابداع والاختراع ، وانه لنفس الايحاء الذي وجه النحلة نحو الزهرة اليانعة لترشف لك منها عسلا صافيا سائغا شرابه .

اما عن مسألة ولادة أرضنا فسنحاول أن نسوق بعض النظريات لبعض العلماء ، هؤلاء الذين سحرتهم هذه القبة الزرقاء فجذبت اليها ابصارهم ، وشدت آثارها عقولهم ، واستنزفت آياتها وقتهم ، عسانا أن نحصل فى النهاية على فكرة مجملة ومختصرة عن مولد عالمنا الارضي هذا العالم الجميل المليء بآثار الله وآياته المحكمة الخالدة .

1 ـ نظرية ايمانويل « كانت »

يمكن اعتبار نظرية هذا الفيلسوف أنها اول فكرة أثارت انتباه علماء الفلك والمتخصصين فى شؤون هذا الكون الى البحث الجاد فى اسباب نشأة عالمنا الارضي، فهذه السماء بجلالها وهيبتها وبهائها وروعتها وبما احتوت عليه من البراهين والآيات الباهرات ، فهي بعظمتها وبما تبثه فى افئدتنا من معاني الوحدة والخشوع تستوقفنا احيانا للتأمل واستخلاص العبرة والمغزى ، ولكن هذا التأمل العابر ، قليلا ما نتعداه ، ونادر منا من يتجاوز مداه ، ليواصل نشاطه وسعيه وبما يتوفر عليه من ذكاء ثاقب وذهن وقاد ومواهب خاصة الى مجال الدراسة العلمية البحتة ، تلك الدراسة الشاقة العسيرة التي لن يقدم عليها الا اولئك الذين امتزج فكرهم بدقائق هذا العالم فحاولوا تفهم اسراره وفك ما استعصى من الغازه وحل ما تعقد من امره .

فاصل عالمنا الارضي فى نظر «كانت» يعود الى سحابة غازية كانت تحيط بالشمس ثم انفصلت عنها بحكم السرعة الهائلة لدوران الشمس التي يعود اصلها الى كرة من الغاز .

هذه هي فكرة الفيلسوف الالماني الكبير باختصار وقد وجدت هذه الفكرة فى المستقبل من يعضدهـــا ويوسع من مفهومها من امثال العالم الرياضي الفرنسي « لابلاس (1) » .

2 ـ نظرية شمبرلين وبولتن :

مضمن هذه النظرية ان نجما اقترب من الشمس اقترابا جعل بعض الاجزاء منها تنتشر فى الفضـــاء لتتجمع من بعد فى شكل كرات مستديرة متخذة لهـــا مدارات حول الشمس .

3 ـ نظرية سيرهارولد جيفريز :

هناك شبه واضح بين النظرية السابقة ونظريـــة « جيفريز » الا ان وجه الاختلاف بينهما يبدو فى كون النجم الذي مر بالشمس لم يقف عند حد الاقتـــراب ، وانما اقترب من الشمس حتى احتـــك بها احتكاكـــا خفيفا مما ادى الى تناثر بعض الاجزاء من الشمـــس منفصلة عنها .

ومما لا شك فيه ان النظريات التى اسلفنا الكلام عنها تفتقر الى سند علمي يتضح لنا اكثر من هذا النظام العام الذي يشمل كل ذرة فى هذا الكون ، اذ لا بد أن يكون من وراء هذا التنسيق المحكم مدبر حكيـــم ، فليس من المنطق فى شيء ان يكون اقتراب نجم من الشمس قد هيأ من قبل كل هذه الترتيبات ، واخـــذ علما بالفوضى أو الحوادث التي يمكن أن تحـــدث فى المستقبل نتيجة هذا الاقتراب أو الاصطدام الخفيف الذي تم هكذا بالصدفة او العفوية كما يتوهم بعض الواهمين ، دون حساب مدبر ومقياس متعمد خصوصا ونحن على علم بالنتائج التي كشفت لنا عن الخط الذي تسير عليه بعض الكواكب أو المدار الذي يدور فيه كل سيار تابع للشمس بحيث لايزيغ عن طريقه اويحيدعن خطته المرسومة له منذ بلايين السنين (2) فاذا علمنا ان الشمس تملك قوة السيطرة على ما حولها بفعـــل الجاذبية التي ركزت فيها ادركنا عندئذ صنائع اليـــد الخفية العليا التى وضعت لكل شيء حسابه الموزون حتى لا تعود هذه السيارات الى الشمس من جديد او تنفلت من منطقة سيطرتها لتضل عائمة فى فضاء غير محدود ، ومن ثم فاننا سوف لا نعلم الظروف الطبيعية التي ستتعرض لها ارضنا ، اذا ما فقدت مميزات قربها من الشمس ، هذا القرب الذي قدره العلماء بنحو مائة وخمسين مليونا من الكيلومترات (150 مليون كلم) فيا له من قرب بعيد يفصل بين أرضنا والشمس لتكون هذه الارض صالحة للحياة ولوجود الانسان واستقباله بما يحفظ سلامته ووجوده من الموت والانقراض من اول وهلـــة .

4 ـ نظرية الدكتور لينلتـــون :

ذكر الدكتور « فرنربودلر » فى كتابه « الى عالم آخر » ص 289 نظرية للدكتور لينلتون تقول : « بأن الشمس كانت فى بدايتها أحد عضوين يكونان نجمـــا مزدوجا ثم اصطدم العضو الآخر بنجم وانفصل هـــذا العضو عن الشمس وانضم الى النجم الآخر ، اما مـــا تبقى من الحطام فهو الكواكب عينها » .

وتفتقر هذه النظرية الى ما افتقرت اليه النظريات السابقة رغم ان صاحبها حاول كما بين ذلك الدكتور « فرنر » ان يتفادى جميع الاعتراضات والانتقـــادات التي وجهت الى النظريات السابقة . فكل نظرية تتحدث عن انفصال العالم او تجزئته الى هذه الملايين التى لا تحصى من النجوم تبقى فى آخر المطـــاف رهينـــة بالتدابير الفعالة والتنظيمات المقننة لها من قبـــل ، لدوام صلاحيتها من جهة والابقاء على استقرارها من جهة اخرى ، وهذا ما اغفله المتحدثون عـــن كيفيـــة انفصال عالمنا الارضي حيث انهم لم يعيروا هذا الجانب اي اعتبار ، وحسبوا ان المادة يمكنها ان تقوم من تلقاء نفسها بوضع نظام قار عجز عن فهمه هذا الانسان الذي يأبى ان يعترف ويؤمن بالحقيقة الالاهية الكبرى .

ومتى رجع هذا الكائن الى المنطق السليم والقول الحق فانه لا محالة سيهتدي الى الصواب .

---

(1) لابلاس عالم رياضي وفلكي من نبلاء فرنسا . ازداد بنورماندي سنة 1749 وتوفى سنة 1827 . اعتنى هذا العالم بشؤون الفضاء والميكانيكا وله فى ذلك مؤلفـــات .

(2) قدر علماء الطبيعة عمر الارض بنحو اربعة بليون ونصف بليون من السنين . (4ر5 بليون سنة) (ومنهم من قدر عمر الكون بخمسة بليون عام) .

5 ــ نظرية السير جيمس جينز :

يرى هذا العالم الفلكي الكبير ان الارض ما هي فى الواقع الا عينة من الشمس انفصلت عنها، ثم تجمدت، ويستدل على ذلك بالعناصر التي تشاهد على سطح الشمس بواسطة مبين الاطراف، ويبين بانها نفس المواد التي تتكون منها الارض، واوضح بانه لا توجد لدينا وسيلة نستطيع بواسطتها ان نتعرف أكثر على المواد التي تتكون منها أعماق الشمس وما تحتوي عليه فى داخلها من المواد والعناصر، وأن ما تحصل لدينا من البحوث التي اجريت فى هذا الحقل تدل دلالة قاطعة على أن المواد التي ترى على سطح الشمس هي نفس العناصر التي تتكون منها طبقات الارض، ويقول السير جيمس بالحرف الواحد: « انه لا يوجد سبب يحملنا على الظن بأن جو الشمس يحوي أي مادة لا وجود لها على الارض ».

6 ــ نظرية العالم الطبيعي فيكتور فايسكوف :

لهذا العالم ايضا وجهة نظره فى خلق أرضنا، ذكرها فى كتابه المفيد « المعرفة والتساؤل » صفحة 221 تقول هذه النظرية: « يمكننا أن نتابع تاريخ المادة على الارض منذ كانت فى سحابة من الايدروجين الخالص أصلا الى حالتها الحاضرة، فالسحابة تركزت فى نجوم، وحتما انفجر نجم واحد على الاقل من هذه النجوم، وانتشرت مادة الانفجار فى سحابات ايدروجينية أخرى، كونت بدورها نجوما مرة أخرى وكانت الشمس احد هذه النجوم، وأثناء تكون الشمس تجمعت كميات صغيره من المادة فى جوارها المباشر وكونت الكواكب التي استبقت العناصر الثقيلة بصفة خاصة ».

ويستطرد العالم فايسكوف قائلا: « من المحتم ان عملية خاصة من نوع ما حدثت عندما تكونت الشمس من السحابة الايدروجينية المشوبة الاصلية، وتسببت هذه العملية فى وضع قطع صغيرة من المادة فى مدارات حول الشمس، فنحن نعلم أن الشمس يحيط بها تسعة كواكب أصغر منها بكثير ».

ويتخيل « فايسكوف » هذه الطريقة او العملية التي ادت الى خلق ارضنا فيقول فى نفس الصفحة: « وفيما يلي طريقة من الطرق التي تصلح لتخيل اصلها، فعندما انكمشت السحابة الغازية وكونت النجم لا بد انها خلفت وراءها قطعا صغيرة من السحب، وتجمعت هذه القطع تحت تأثير التثاقل وكونت الوحدات الصغيرة التي تدور الآن حول الشمس ككواكب لها، وطبيعي أن هذه الاجزاء المتخلفة تكونت اصلا من نفس المادة المتكون منها باقي النجوم ».

اذن فأرضنا ليست الا جزءا من الاجزاء المتخلفة تم تكوينها من نفس المادة التي خلق منها النجم الاصلي الاول، وعلى هذا المنوال، يمكننا أن نعتبر بأن الكون كان فى بدايته مركزا فى كتلة واحدة تركيزا خارقا لكل عادة معروفة، وان هذه الكتلة كانت تحتوي على جميع العناصر التي تم اكتشافها على ارضنا حتى الآن، أو ربما كانت تحتوي على عناصر أكثر مما هو معروف لدينا، لان بقاء العناصر وضمان وجودها فى أي كوكب من الكواكب رهين على ما يبدو بالظروف الطبيعية التي تكتنف جو هذا الكوكب أو النجم، ولاثبات هذه الحقيقة نستدل بما ورد فى كتاب « الكواكب التسعة » للعالم « الان نورس » هذا الكتاب التي جعله فى متناول قراء العربية الدكتور محمود خيري، يقول هذا العالم فى الصفحة 97: « واذا لم تكن هذه الغازات الثقيلة قد تسربت الى الفضاء وتخلصت من قوة جذب (عطارد)، فانه يكاد ان يكون من المؤكد انها تسربت الى جهات أخرى. فكل غاز من الغازات قادر على أن يتكثف بتأثير الضغط او فى درجات الحرارة المنخفضة. ومن الممكن أن يتشتت أي غاز بطبيعته ويزداد هذا التشتت كلما ارتفعت حرارته. فاذا عرفنا أن درجة الحرارة فى الجزء المعتم على سطح الكوكب، تصل الى درجة الصفر المطلق، فمن الممكن أن نتنبأ بثقة كافية بأن جميع هذه الغازات الثقيلة قد تحركت، أو فى طريقها الى الانتقال من الجزء الحار الى الجزء البارد المعتم ».

ويستطرد هذا العالم موضحا انتقال بعض الغازات بحكم الظروف الطبيعية التي تعمل على نقلها فيقول فى الصفحة الموالية من الكتاب: « وبمجرد وجود هذه الغازات فى الجزء البارد، فانها لن تتمكن من الهروب منه مرة أخرى، الا ان درجات الحرارة عند حافة الاجزاء الباردة لا تبقى ثابتة على قدر معين، فهي تزداد كلما اقتربت الشمس مما قد يدعو الى

وجود تيارات عنيفة من الابخرة المتطايرة من الغازات السائلة متدفعة الى البقاع الباردة لتستقر فيها » .

لقد كان سعينا من وراء ذكر هذه النظريات هو ان نستخلص فكرة ولو موجزة عن مولد عالمنا الارضي، هذا الميلاد الذي اختلفت في استقصاء حقيقته الافكار فما اهتدت بعد الى صواب ، فليس المهم ان نعرف كيفية نشوء ارضنا ولكن الاهم من هذا كله هو ان ننظر بعين التعظيم والاكبار الى عمق القوانين المحكمة التي هيأت ارضنا واعدتها اعدادا كاملا وتاما لاستقبال معنى الحياة ثم لاستقبال هذا الانسان الذي أكسب الوجود معنى وقيمة .

وخليق بنا ونحن نتحدث عن ميلاد ارضنا ان نفتح كتاب الله ونقرا منه ما يبصرنا بحقيقة الوجود ، واذا بصرنا وفكرنا يقفان في خشوع امام هذه الآية الكريمة التي وردت في سورة الانبياء حيث يقول جل من قائل : «اولم ير الذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون » . انها آية تلفت النظر الى نقطة البداية ، وكم من آية نمر عليها معرضين ، واذا هذه الكلمات تقص علينا في ايجاز امر هذا العالم ، فاذا السماوات والارض كتلة واحدة متصلة ببعضها متحدة فيما بينها ، فلا سماء حينئذ ولا ارض ، وانما هي المادة التي نفذت فيها كلمة الله العليا فكانت بأمره صالحة للبناء ، انها مجموعة من العناصر متراصة ملتحمة ، وقع قول الله فيها فما كان منها الا ان تجزأت وانفصلت مع تدبير من الله لا يدانيه تدبير ، فاذا هذه الكواكب تسبح ، وهذه الارض في الفضاء تعوم دون سند أو عمد ، واذا الشمس « تجري لمستقر لها » واذا جميع الموجودات قد اخذت طريقها الذي رسمه لها الخالق الاعظم سبحانه . فهل آن لهذا المخلوق ان يهتدي وهو يشاهد ملء بصره معالم القدرة الالاهية ، وقد احاطت بكل شيء فحفظته من التناثر والانهدام والفناء ، ام ان هذا المخلوق لا يريد أن يكون الا مسيئا على عادته في معاملاته مع الخلق ؟؟ !!

ما أعظم شانك يا الله ، وما أحاط هذه النفوس التي لا تريد أن تسمو بمعرفتك الى الاعالي فاستكانت لذلها وضاعتها ورضيت بالمهانة حين اختارت طريقها منهجا وسبيلا ، بدل أن تقف وقفة المتعلم المتفكر فتتلمس من آياتك وبراهين وجودك ما يرفعها من وهدتها التي ترزح تحتها . فلقد توهم من قبل جهلة قريش ان كتابك الحكيم ليس منك ، وزعموا حين عجزوا عن الاتيان بسورة منه انه سحر ، ولكنه الكمال المطلق الذي تقف العقول امامه مشدوهة حائرة، ولكنه الاعجاز حين تتعثر الافكار عن ادراك مغزاه وفهم مراده، اما أولئك الذين فتحوا قلوبهم له فقد آمنوا ، وما كان لهم ان يزيغوا او يضلوا ولن توجد في الدنيا قوة تستطيع أن تزعزع ايمانهم وثقتهم في ربهم ، لقد تمكنت حقيقة الله الكبرى من نفوسهم واستحوذت على افئدتهم فاطمانوا بها ولها ، بعد حيرة طويلة وضلال بعيد عاشوه من قبل .

ان صوت « بلال » رضي الله عنه ما يزال يجلجل ويهدر قائلا وقد اخذ منه العذاب مأخذه . احد . احد . احد . احد . وفي هذا الوقت الذي كان فيه صوت الحق ينادي كان كثير من الناس يهربون من صوت ضمير الحق أيضا ملتجئين الى خيال يخلقونه بأوهامهم المريضة باحثين عن مقعد ليستريحوا عليه مبتعدين من صيحات الواقع ، فلطالما تنكر الناس لربهم فما افادهم تنكرهم وما هداهم سبيل الرشاد ، بل ظل صوت الحق ينادي العقول جيلا بعد جيل وامة بعد امة مخاطبا ضمائر الناس قائلا : من خلق الكون واوجده من اعماق المجهول والعدم ؟ ومن حفظه من الزوال منذ القدم ؟ ووضع له هذه القوانين المحكمة التي ابقت عليه وصانت اجزاءه خشية التبدد والفوضى ؟؟ !!

افلست جاحدا ايها الانسان ، ان لم تقل ملء قلبك وروحك ملء نفسك وجوارحك انه الله الله الله .

لكأني بك وانت تردد هذه الكلمة العظيمة قد بدات تكتشف نفسك وتميط لثام الغموض عن سر وجودك وتدرك الغاية من وراء خلقك واخذت تهتدي الى حقيقتك وموضعك من هذه المخلوقات الكثيرة التي تحف بك ، واذا الاشياء العظيمة باعتقادك في ربك اخذت تصغر في عينيك ، واذا العلل الواهية التي كنت تعلل بها خلق هذا العالم قد اخذت تزول وتنقشع كما تنقشع لمة الظلام عن وجه الشمس المضيء واذا المظهر الالاهي يتوهج نوره بين ضلوعك فينير جوانب قلبك ، واذا معالم هذا الكون قد غارت كلها واختفت صورها من عينيك لتظل معالم الحقيقة الالاهية وحدها تمد قلبك نورا وتختمه ايمانا ، ولكأني بك وانت في هذه اللحظة التي حولت مجرى حياتك قد افتقدت الاحساس بنفسك ووجود ذاتك ، لقد اصبحت في هذه البرهة العابرة من الزمن ، روحا خالصة من كل مادة وأمسى قلبك بعد سواد خيم عليه طويلا ، صافيا صفاء قلوب الانبياء ، فلما تجلت الحقيقة الالاهية عليه ابصرت

ما لم تبصره من قبل ، وبلغت بمناجات ربـــك شأوا سامقا فى السمو ورايت فى ذلك الملكوت الاقــدس الاسمى روح السعادة ينبض بالحياة كقلبك ولمستـــه هنالك بيديك بعد أن كان فيما قبل معنى وحلما عزيزا ، ورايت بشعورك الذي صاحب فكرك الجمـــال كلــه متجسما فى ايمانك بربك ، وكان هذا الايمان الـــذي لامس حواشي جنانك مطية وبراقا حملت عليه الى دنيا اخرى غير دنياك وعالم مثالي لا يلحق الا بهذا الايمان ولا يصل الانسان اليه الا اذا اكتسى بحلته وهنالـــك تصبح هذه العوالم الذي تحيط بك ، مصابيح تدلـــك آياتها الى وجود ربك معك فى كل مكان تحط فيـــه رحالك. فهل ايقنت ايها الانســان ان لك مكانة عظيمة عند بارئك لو انت حافظت عليها وصنتها من الانحدار ؟ ، أم انت لا تدري أن هذه الارض لم تخلق الا لـــك لتكـــون خليفة الله فيها تنشر بين ربوعها صوت الحق والعدل الالاهـــي .

الا ما اتفه هذا الانسان حين يتهرب من الامانة التي طوق نفسه بها ، وما أعظم هذا الكائن المفكر حين يكون جديرا بتحملهـــا .

معذرة ايها القارىء لقد جنحت بنا اعتقاداتنـــا فكتبنا ما أملاه الخاطر حروفا جاءت كما ارادت لا كما اردناها ان تكون فلنعد الآن الى ارضنا الصغيرة ولنحاول أن نتعرف على حجمها وكبرها ونحن نتتبع اقدار هذه النجوم التي تتلألا فى السماء . ان حجمهـــا يتضاءل ويصغر حتى لكأنها ذرة تافهة تسبح فى الفضاء تعجز ابصارنا ان تهتدي الى مكانها او حجمها ، فان عظمة الله المتجلية فى عظم المخلوقات لم تعرف منها بعـــد الا نزرا يسيرا ولم تنل من معرفتها الا حظا قليلا .

ارضنا ذرة هذا الكون :

كلما ارتفعنا فى الفضاء وحلقنـــا فى الاجـــواء مبتعدين عن الارض الا وتضاءلت فى اعيننا كثير مـــن الاشياء العظيمة القدر ، ويمكننا أن نلاحظ هذه الحقيقة فى كثير من الاشياء ، فمن صومعة عالية يمكننا ملاحظة كثير من هذه الصور ، فهؤلاء الاشخاص الذين يملأون الطرقات غدوا ورواحا ، تضاءلت اجسامهم فى اعيننا وهم لا شك سيلاحظون نفس الملاحظة اذا ما صوبـــوا نظرهم فى اتجاهنا ، ونستطيع ان نتجاوز هذا المدى الصغير والذي هو فى متناول الجميع اذا ما امتطينا الطائرة ، ان صورا فى هذا الوقت بالذات تتناهى فى الصغر فى لحظات قليلة لتتلوها صور الطبيعة ، فهذه اشجار باسقة طواها البعد ، وهذه جبال شاهقة حالت بيننا وبين ملاحظتها بعد المسافة فحسبناها سهـــولا منبسطة ، وهذه مظاهر مختلفة ومتنوعة لم نعد نتبين منها شيئا ، او نتذكر منها معلوما .

فماذا يمكننا ان نتخيل من معالم الارض لو ركبنا صاروخا من هذه الصواريخ التي تزور القمر ، اننـــا ونحن فى سفرنا نحو القمر ، تأخذ صورة الارض فى التقلص والانكماش ، فلا نكاد نطأ باقدامنا سطح القمر حتى تصبح هذه الارض فى حجم الشمس حين نراها من الارض سابحة فى الفضاء ، فاذا كانت الشمـــس ، وحجمها يفوق حجم الارض بنحو المليون وثلاثمائة الف مرة لا تبدو لنا من الارض الا كما يبدو القمر ليلة النصف مع الفرق الهائل بين حجميهما وبعد المسافة بينهمـــا بالنسبة للارض ، وعندئذ يجوز لنا ان نقول بأن أرضنا لن تكون أكبر من حجم بيضة حمامة حين نشرف عليها من سطح الشمس ، وكلما توغلنا فى أعماق الفضاء ، الا وانعدمت فى اعيننا دلائل الصورة الصغيرة بالتدريج حتى تنمحي بالمرة . فلو كان رواد الفضاء يملكون آلة اقوى من صاروخهم واسرع ، واكثر أمانا ولطفا لرأوا صورة الشمس على كبر حجمها قد غابـــت عن البصر واحتجبت عن الرؤية ، فالشمس التي تلعب دورا هاما وخطيرا فى حياتنا ، وفى نمو اجسامنا ونباتات ارضنا ليست الا نجمة صغيرة غير مرموقة من بين ملاييـــن النجوم التى تعج بها مجرتنا المعروفة بدرب اللبانة او سكة التبانة (3) كما سماها بذلك العرب من قبل . ولندع الآن الفرصة للعالم الطبيعي الاستاذ فيكتـــور فايسكوف ليتحدث لنا فى ص 20 من كتابه « المعرفة والتساؤل » عن المجرة ، يقـــول هـــذا العالـــم : « ... ومستعمرة النجوم التي تكون مجموعتنا المجرية هي الوحدة التالية فى الكبر من المحيط الكوني الذي

---

(3) ذكر العالم الجليل الدكتور احمد زكي فى العدد 141 من مجلة « العربي » الغراء الصادر فى سنة 1970 ما نصه « واسموها درب اللبانة Milky Way والعرب فاسموهـــا درب التبانـــة ، والتبان بائـــع التبن ، خالوا ان التبانة حملوا تبنهم فـــوق السمـــاء فتساقط منه حتى ملأ الطريق وبذلك كانـــت المجـــرة .

نعيش فيه ، فلقد بدانا باعتبار الارض دارنا ، ثم كانت المجموعة الشمسية هي الدار ، والآن يتحقق لنا أن الشمس بكواكبها ما هي الا جزء صغير من مجموعة كبيرة تبلغ الملايين من النجوم داخل مجرتنا » .

الى قوله : « لنلق بأنظارنا مرة اخرى نحو السماء المرصعة بالنجوم من خلال منظارنا المكبر ، اننا نرى بلايين النجوم التي تحتويها مجرتنا » .

ويعبر عالم آخر هو الدكتور « فرنر بودلر » فى كتابه « الى عالم آخر » عن العدد الذي تم اكتشافه من النجوم حتى الآن بقوله : « ان المجرة التي تحوي ارضنا تتركب من 100 الف مليون نجم من النجوم الثابتة ، والكون يحتوي على 100 ألف مليون مجرة من هذه المجرات ، أي ان مجموع شموس الكون قد يصل الى ما يقرب من 10.000 تريليون أو بالارقام « واحد وأمامه 22 صفرا » .

وكل هذه التقديرات فى عد النجوم وحسابها لا تحمل الصدق بالمعنى الصحيح فهي لا تتعدى أن تكون مجرد تقديرات نسبية تقريبية . فلقد كان الانسان الى عهد قريب — اي قبل اكتشاف المنظار — لا يدرك هذه الحقيقة التي يعيش اخبارها اليوم ، فهو بالامس كان يظن ان عدد نجوم السماء لا يتعدى العشرة آلاف أو اكثر من ذلك او اقل بقليل ، فلما تقدم العلم ، وظهر علم الفلك المجهري على يد العالم الشهير جاليليوجاليلى اخذت حقائق الكون تبدو جلية اكثر فأكثر ، وبدت معالمه أوضح مما كانت عليه فى الماضي ، واستطاع علم الفلك أن يخطو فى مدة وجيزة وقصيرة ما لم يستطيع من قبل أن يحققها ، فهذه نجوم ما كنا نراها من قبل اصبحت ترى الآن واضحة ولامعة ، وهذه سدائم حلزونية الشكل كبيرة الحجم ضاربة فى اغوار المكان البعيد ، ما عرفناها الا حين اخذ العلم يخطو خطواته الجبارة ، فكانت المناظير التي تم اختراعها وسيلة فعالة ساعدت على التعرف على جوانب اخرى من العظمة الالاهية المتجلية فى هذا الكون ، وكلما دفعتنا الحاجة التي تعتبر بالنسبة لنا أم الاختراع وكلما قوي هذا الدافع فى أنفسنا الا وضاعفنا من تقوية الوسائل التي نشرف بواسطتها على احوال عالمنا الكبير . كليس منظار « مونت بالومار (4) » هو آخر حلقة فى مجال اختراع المناظير الضخمة ، فلقد سبق هذا الاختراع الكبير اختراع مناظير أخرى ، كمنظار جبل ولسن مثلا ، وغيره من المناظير الكثيرة التي تتفاوت قدراتها وقواتها بمقدار الخطوات التي خطاها العلم وكذا التقدم الذى احرز عليه العلماء فى علم الفلك .

وما يزال الانسان رغم خطواته العملاقة — فى حاجة ماسة الى معرفة اكثر وادق عن هذا الكون ، فهو لم يتعد بعد عتبة الطريق الطويل المليء بالمشاق والصعاب ، وهو لاجل ذلك سوف يضاعف جهوده ويواصل المسيرة ، ويعمل حثيثا لتقوية الوسائل التي يستخدمها فى ميدان الاكتشافات العلمية .

فصناعة الطائرات مثلا ، كغيرها من الصناعات الاخرى التي عرفت تطورا كبيرا ما تزال تعرف مزيدا من الجهود ، ولا ادل على ذلك من التحسنات التي تدخل فى صناعتها بدون انقطاع ، فلنحاول الان مع انفسنا ان نتخيل صورة او طيار وهو يحاول ان يطير بجناحيه الاصطناعيتين محاكيا الطيور وقد القى بنفسه من اعلى الجبل ظانا انه سيلتحق بأول فوج من يلقاه من النسور ، وبين هذا التطور العظيم الذي وصله هذا الكائن اليوم بمواهبه الفكرية وبما يملكه من قدرات عقلية اتت اكلها وثمارها فى مختلف الميادين التى جرب حظه فيها ، أفلا يعتبر هذا نصرا وظفرا نال شرفه هذا الكائن العاقل . وهل يمكننا ان ننكر فضل هذه الطيور التي افادتنا الكثير وعلمتنا كيف نحاكيها ونعمل على تقليدها ، لقد نجح هذا الانسان وفاق بعقله هذه الميزة التي كانت الطيور تتميز بها عليه ، فاقها حين أراد ذلك واستطاع أن يحلق فى اجواء عليا ليست فى متناول الطيور نفسها ، واشبع فى نهاية المطاف رغبته المكبوتة وطموحه المتزايد الذى لا ينتهي عند حد ولا يقف عند غاية معينة .

ومن حسن حظ هذا الكائن المتطلع دائما الى حب الكمال أن تشوفه الى المعالي او تحليقه فى الاعالي جاء مقترنا ومتوجا بغايات أكثر عمقا وأبعد مدى ، فها هي السماء باقمارها وشموسها وكواكبها ونجومها تجذب

---

(4) منظار مونت بالومار من اقوى المناظير التى تم اختراعها ، وهو يساوي 10.000 مرة قدر ما لمنظار جاليليو من قوة ، أي مليون مرة قدر ما للعين المجردة ، وقد كلف اختراعه نحو ستة ملايين من الدولارات ويوجد هذا المنظار الضخم على قمة بالومار بكاليفورنيا، ويبلغ ارتفاعه 5900 من الاقدام. لمزيد من التفاصيل راجع اذن كتاب « الى عالم آخر » « لفرنربودلر » .

فكره اليها منذ القديم لتوحي اليه من جديد نفس الايحاء الذي اوحت به اليه هذه الطيور، وها هو اليوم وبعد كفاح مستميت وجهود متلاحقة لا تعرف التأني قد حقق أول رغباته بزياراته الى القمر بعد أن رسم الطريق اليه ، وهي ليست الا خطوة أولى لا شك أنها ستتلوها خطوات وخطوات ، فمجال الفضاء واسع ومتنوع ، وما على الانسان الا يجرب ويحاول ، فالدرب طويل والميدان متسع .

لقد كانت هذه الاضواء المختلفة المنبعثة من هذه الكواكب بمثابة الاغراء لهذا الكائن ليعمل على توثيق صلته بها ، وهو فى كل يوم يكتشف الجديد ، ويزداد بهذا الجديد اعزازا واكبارا ودهشة مما يرى من الآيات البينات .

لقد علم ان ارضه اصغر بكثير من هذه الشمس فلما نمت معلوماته اكثر ادرك ان المجموعة الشمسية بما فيها هذه الشمس الدائمة النور لن يكبر حجمها مجتمعة ببعضها حجم ذرة غير مرئية ، وها هو اليوم وبعد تقدمه فى مجال صناعة المناظر التي كشفت له عن حقائق مذهلة ومروعة بدأ يصدق بأن مجرتنا المتكونة من ملايين النجوم لا تعد ذا شأن كبير اذا ماقدرناها بباقي المجرات الاخرى التي تفوق الحصر لكثرتها ، وعظم اقدار نجومها .

فاذا كانت شمسنا التي نصطلي بها تبدو للناظر كبيرة الحجم اذا ما قورنت بأحجام هذه النجوم الخافتة الضوء . والتي لا نراها الا عبارة عن نقط مضيئة فما ذلك الا لقرب أرضنا من الشمس وبعد النجوم الاخرى عن أرضنا بمسافات خيالية بحيث نجد أن الارقام التي عرفناها لا تفي بالبيان عن كشف ابعادها .

وللتذكير ببعض المعلومات فى هذا الشان يجدر بنا ان نفتح من جديد كتاب السير جيمس جينز ونقرأ معية بعض الحقائق الواردة فى الصفحة 91 من كتابه « النجوم فى مسالكها » ، فلعلنا بذلك نستنتج من مفهومها ما يرشدنا الى فهم بعض أسرار هذا الكون الكبير . يقول هذا العالم وهو يصف لنا سعة بعض النجوم :

« ... هناك نجوم اخرى كمنكب الجوزاء هي من العظم بحيث يمكن ان يزج فيها بملايين كثيرة من نجوم كالشمس فى الكبر وزيادة ، فهي من العظم بحيث لو وضعت احداها موضع الشمس لوجدنا انفسنا فى داخلها ، لان نصف قطرها أكبر من نصف قطر فلك الارض، فلنتصور مرة اخرى ان الشمس تمثالها حمصة ، عندئذ يكون أصغر نجم مثل نجم « ثان مانن (5) .

فاذا كانت هذه هي حالة الشمس التي تكبر ارضنا بنحو المليون وثلاثمائة الف مرة كما بينا ، فكيف تكون حالة ارضنا بالنسبة لنجم واحد من بين ملايين النجوم ، وهل بامكاننا يا ترى أن نتشخص مقدار حجم الارض بالنسبة لنجم واحد من هذه النجوم العظيمة اذا ما استطعنا ان نقسم الحمصة الى مليون وثلاثمائة الف مرة . افلا تصبح ارضنا فى مثل هذه الحالة رغم جبالها الشاهقة ، وسهولها المنبسطة ورغم بحارها الزاخرة وقفارها المترامية ورغم انف الحضارة الانسانية كلها غير ذرة تافهة لا تستطيع قوة بصرنا ان تلتقط صورتها وكيف تكون حالة الشمس بسياراتها وما يدور فى فلكها من أقمار اذا ما وضعنا فى الاعتبار أقدار هذه النجوم العملاقة .

ان هذا العالم العظيم ما يزال يبهرنا بأعاجيبه وتبهرنا آياته المحكمة ، فلا نحس بعدئذ بهذا الغرور الذي اوحت به الينا افكارنا او بمظاهر هذه الحضارة التي نعمل على تشييد بنائها اننا نحس ونحن نتتبع عظمة هذا الكون أننا نزداد صغارا واضمحلالا خصوصا ونحن نعتبر أن الشوط الذي قطعناه فى مجال صناعة المناظير لا يزال قصيرا ، هذه المناظير التي كشفت لنا عن غرائب الكون وعجائبه وأماطت لثام الحقيقة عن مظاهر العظمة فيه . اننا لم نرتو بعد ، فافكارنا ما تزال تتطلع الى الجديد بشوق ونهم . فلنعد الآن مرة اخرى الى كتاب السير جيمس انه يناديتا بهذه العبارات « ... لقد أصبحت النجوم التي نبحث فيها الان ، ذات قدر عظيم ، ومن امثلة ذلك نجم منكب الجوزاء او الف الجبار ، وهو من الكبر قدر الشمس 25 مليون مرة ، وان كان من المرجح انه فى المادة قدر الشمس اربعين مرة ، ومثل اكبر من هذا هو « الميرا » او قيطس ، فانه من الكبر بحيث لو قذفت فيه (30 مليون شمس) لوسعها ، ومعظم هذه النجوم هو من الكبر بحيث يسع احداها فى داخله مليون شمس (6) على الاقل » .

---

(5) اكتشف هذا النجم مؤخرا وهو اكبر من الارض بقليل .
(6) الشمس تكبر الارض بمليون وثلاثمائة الف مرة.

ويذكر الدكتور أحمد زكي في كتابه « مع الله في السماء » ص 169 ما نصه :

« ... فالنجم العملاق احمر ، فالتماع يخرج من الميل المربع من سطحه اصغر ولكن جملة التماعه كبيرة تدل على سطح هائل ، ومن امثلة هذا « منكب الجوزاء» ذلك الذي ذكرناه سالفا ، وذكرنا أنه عند كتف الجبار في كوكبته . ان قطره يبلغ 460 مثلا من قطر الشمس. فحجمه قارب ان يكون مائة مليون من حجم الشمس فانظر كم من شموس تعبىء فيه ! وفي العمالقة ما هو اكبـــــر » .

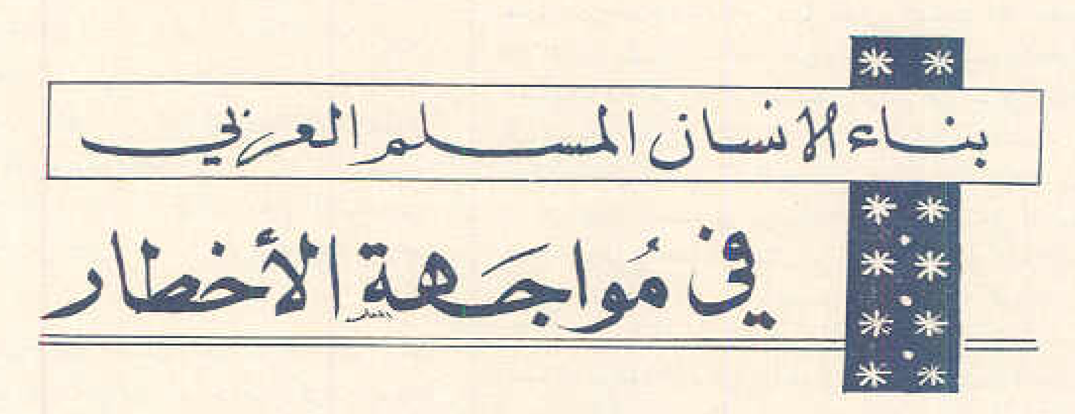
لقد عد العلماء نجوم السماء فما عرفوا حقيقة الرقم بعد ، وحسبوا أجرامها فما وقفوا على جلية الامر بعد ، وهم في كل مرة يطالعوننا بارقام يقولون بانها ليست نهائية وانما هي عندهم صورة تقريبية ، ويقوي العلماء من طاقات آلاتهم فتطالعهم السماء بالجديد فيزدادون اكبارا وتعظيما لامر السماء ، ويصوبون مناظيرهم نحو سديم فيصرحون بأنه يجري في الفضاء بمقدار 50 الف ميل في الثانية الواحدة ، ويؤكدون بان منظار المائتي بوصة سوف لا يستطيع متابعته بعض مضي ساعات قليلة من الوقت ، ان منظارهم عاجز عن ملاحقته ومعرفة اتجاهه ، لقد غار السديم في اعماق الفضاء النائي البعيد الى حيث لا نعلم له مسكنا أو مكانا ، ودهش السماء مما رأوا فاخذوا يرددون قائلين ان عدد نجوم السماء يمكن ان يساوي ما على شواطىء البحار من حبات الرمال ، أو عدد قطرات المطر، ان كل نجم يحتوي على طاقة كبيرة يمكن ان تنشا عنها ملايين النجوم، ولاتعجب بعدكل هذا فالفضاء يتسع لاكثر مما تسمع، وامام هذه المظاهر التي تستوجب الذهول لعظمتها ، فان العلماء لا يستطيعون أن يكتموا دهشتهم واعجابهم الشديد مما يرونه بأعينهم، وهم لا يملكون بعد ذلك الا ان يطاطئوا هاماتهم . لقد اصبحت الحاجة تدعو الان الى اختراع منظار آخر يكون ابعد مدى من المنظار المشيد حاليا على جبل بولمار 7) ، ان هذا الجهاز الضخم لم يعد يقوى على متابعة السدم الهاربة في الفضاء اللا محدود ان قدرته الهائلة لم تعد اليوم تفي بالمطلوب وتحقق المرغوب ، ولعل العلماء يبحثون أو هم في طريق البحث عن وسائل اخرى اكثر جدوى ، واجدى نفعا ، في الوقت الذي تتضح لنا فيه بعض حقائق هذا الوجود يتنبه العقل البشري من غفلته ويستيقظ من طول رقدته ليطرح هذا السؤال . من خلق هذه العوالم فابدع خلقها واحسن صنعها ، وهيا لها المرافق والوسائل ومهد لها الطرق والسبل ؟ . ويظل هذا السؤال تردده الافكار والعقول ، فاذا بصوت الحق يجيب واذا بأجرام السماء تردد كلها في هيبة وخشوع ورهبة وخضوع قائلة : انه الله ، الله ، الله ، الحقيقة الكبرى التي تنتهي عندها جميع الحقائق ، الله الحقيقة التي تكبر معانيها في فم الجاحد فتعقل لسانه ان ينطق بها ، الله ، الحقيقة المشعة بالنور التي تسع ذكرها القلوب المؤمنة بها فتضيء بعد ظلمة وتهتدي بعد تيه وضـــلال .

ما اعظم ملكك يا الله ، وما اكثر علمك ، واغزر حلمك واوسع رحمتك ، وما اصدق هذه الكلمات التي اتلوها بلساني وتخطها يميني ويشهد بها قلبي ، فاذا انا اقرأ « قل لو كان البحر مددا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » .

انها كلمات الحق لمن عرف بقلبه وبصره حكمة الله متجلية في خلقه فآمن بربه ايمان المخلصين الذين ما بدلوا كلمةالله منذ وعوها، بل حفظتها افئدتهم،عندما نقشها على قلوبهم قلم التدبير .

ســـلا : محمد بن محمد التطواني

(7) لقد امكن للعلماء ان يتتبعوا بمنظار جبل بولمار اماكن جد نائية ومناطق تبعد عن الارض بنحو 700 مليون سنة ضوئية مع العلم بان الضوء يقطع في الثانية الواحدة 300 الف (كلمتر) ، راجع اذا رغبت في مزيد من الايضاح (كتاب الى عالم آخر) لفرنربو دلـــر .



بناء الانسان المسلم العربي في مواجهة الأخطار

للأستاذ أنور الجندي

هذا، محاولة خطيرة تجري عن طريق الفلسفات والنظريات المطروحة على المسلمين من خلال دراسات العلوم الاجتماعية : تلك هي تغيير مهمة الانسان في الحياة وتغيير وضعه بانزاله عن مكانته وفصله عن رسالته ودفعه الى عالم التمزق والصراع واليأس والتشاؤم والخوف من الموت والاندفاع وراء الاهواء واللذات والمطامع اندفاع المصارع الذي يزعجه ان تنتهي الحياة قبل أن يعب كأسها حتى الثمالة ومن وراء ذلك اعتقاد بأن الموت نهاية الحياة .

— * —

تلك هي الدعوة المطروحة على الفكر البشري كله اليوم ، بعد أن بلغت تطورات الفلسفة المادية غايتها من خلال ما طرحته الفرويدية والماركسية والوجودية من آراء وعقائد ، خلعت الفكر الغربي عن أصوله المتصلة بالدين والاخلاق ، ودفعته دفعا الى الوثنية التلمودية التى تمد جناحيها اليوم على الانسان والحضارة والمجتمعات الغربية كليا من خلال مضامين العلوم الاجتماعية من ناحية والتفسير المادي للتاريخ من ناحية اخرى ، خطوة بعد خطوة فى سبيل تحطيم الانسان : عدة الحضارة والمجتمع ، والقوة التى تحمل امانة الحياة واستخلاف الارض .

وما يطرح فى الفكر البشري كله ، ينتقل الى عالم الاسلام والعرب بسرعة فائقة فيتركز فيه ، ويحاول أن يزيح امامه القيم والعقائد والمفاهيم الذى قام عليها بناء المجتمع الاسلامي . فان لم يستطع ازاحته فلا اقل من أن يهزه هزا شديدا ، (اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم ، واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر) ولا ريب ان توقيت دفع هذا الفكر الى المجتمع الاسلامي العربي مرتبط اشد الارتباط بالخطر الجاثم وبالازمة الكبرى وبالتحدي الخطير : خطر الغزو الصهيوني الاستعماري بما يحمل من ورائه من ابعاد خطيرة يعرفها كل من تابع مطامع التلمود والبروتوكولات .

ولا ريب ان اخطر ما تحمل هذه الدعوة الى المسلمين والعرب :

هو محاولة تحطيم قدرة الامم على المقاومة عن طريق تدمير الانسان فى نفسه وعقله وجسمه . ان هذه المذاهب الفلسفية التى تطرحها مدرسة العلوم الاجتماعية التى يسيطر عليها الفكر التلمودي اليهودي (دور كايم ، ليفي بريل) والتى تستمد اصولها من فرويد وماركس : هذه المذاهب فى الاخلاق والنفس والاجتماع انما تريد أن تحطم كيان الانسان القادر على المقاومة ، الذى بناه القرآن ليكون درعا للامة وحصنا للفكرة .

ولقد دعا الاسلام دعوة حاسمة الى التحذير الى التشبه بالآخرين ، او الى الاخذ والتقبل بمنهج الغير فى الاخلاق والعقيدة والاجتماع (وان جاز الاخذ

بالعلوم الرياضية والطبيعية) وحرص على تمييز شخصية المسلم وبناءها على نحو خاص ، قائم على الايمان بالله، والثقة به، وببيع نفسه له، والاستشهاد فى سبيل رسالته وحماية ارض الفكرة ولقد شن الاسلام حربا لا هوادة فيها على التقليد والتبعية ، ودعا الى التميز الوضح والذاتية الخاصة ، وبنى فى المسلم ذلك المزاج الخاص الذى صنعه التوحيد والايمان بالغيب والبعث والقائم على اساس لمسئولية الفردية والالتزام الاخلاقي .

ولقد اتى المسلمون من هذه النقطة الخطيرة : نقطة فقدان التميز بينهم وبين غيرهم فى العادات والتقاليد رغم التحذير الشديد . ولم يقع المسلمون فى ذلك الا فى فترات الضعف والتخلف ، فهو سنة من سنن العجز والقصور « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذرعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وقد جاء ذلك متابعة من المغلوب للغالب ومن خطأ الظن بأن ذلك يلحقنا بهم ويعطينا القوة والسيادة .

وقد كانت هذه نظرية الذين تابعوا النفوذ الاجنبي وتسلموا مقادة الشعوب فى فترات الاحتلال والاستعمار ثم ثبت زيف هذه الدعوى وكذبها فانها لم تسلم الضعفاء الى قوة بل زادتهم ضعفا حتى جاءت حركة اليقظة فنبهت الى هذا الخطر ودعت الى التماس طريق الاصالة فهو وحده الذي يحقق استعادة المكانة وتحقيق الوجود المتميز .

ولقد كان لسقوط « الانسان » فى عالم العرب والاسلام فى دائرة التقليد ابعد الاثر فى تجاوزه لمعالم شخصيته الاصيلة ، وقيمه الحقيقية، ومن ثم تكون احساس بأن الحياة ليست الا متعة تحقق الرغائب والاهواء ، دون ان تحمل معها مسئولية الانسان الذي استخلف فى الارض لعمرانها وبنائها .

ومن ثم تخلف عالم العرب والمسلمين ، لان الانسان انصرف الى مطامعه ، وزخارف الحضارة التى طرحت فى طريقه ، مما حقق خسارة بالغة فى بناء الامة وتأخرها عن ركب النهضة الذى سار فيه العالم كله وبلغ الغاية فى القوة والسيادة . بينما تخلف المسلمون الذين قدم دينهم الى البشرية كلها : تحرير الانسان من عبودية المجتمع وتحرير الفكر من عبودية الوثنية .

ان موجة « التقليد » التى تمر بعالم الاسلام اليوم هي اخطر العوامل التى تركز وجود النفوذ الصهيوني والاستعماري وتزيده قوة وتحول دون « التبعية » : والتبعية فقدان للشخصية وتلاشيا انحساره السريع ، ذلك لان « التقليد » هو مصدر لها أمام شخصية الغاصب الغريب .

ومن نقطة استعادة الشخصية ، واعلاء الذاتية العربية الاسلامية ، والتماسها فى مختلف امور الثقافة والتربية والعلم والقانون ، يبدا الطريق الى دعم الكيان وتركيزه ودفع اخطار الغزو الاجنبي عنه واقامته بالحق قوة ومنارا للبشرية كلها .

واول معالم استعادة الشخص هو التماس منهج القرآن فى بناء الفكر : وفهم حقيقة الانسان كما فهمه المسلمون الاولون : جسد وروح ، ومادة وعقل ، وبناء متكامل لا صراع فيه بين الروح والمادة، ولكن لقاء وتوازن .

واذا كانت أزمة الفكر الغربي كله ، وأزمة الحضارة البشرية الآن ، هذه الازمة التى تلقي ظلالها على محيطنا العربي الاسلامي ، انما تصدر عن الانشطارية فى النظرة ، واعلاء شان المادة والجسد وحدها وانكار الجانب الآخر كله بما يحوى من عواطف ومشاعر وروح واشواق وجدانية ونفسية ، فان النظرة الاسلامية الاصيلة انما ترد الامور الى اصولها ، تكاملا بين الروح والمادة والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة .

وهذا هو العطاء الحقيقي الذى يستطيع ان يقدمه الاسلام للبشرية الحائرة اليوم، والمسلمون احق الناس به اولا ليتحرروا من دائرة التقليد ، وليكونوا اصحاب القدوة الحقيقية واصحاب العطاء الحق .

ان الغرب فى صفوة علمائه يعلمون هذا الخطر، ويعلمون الحقيقة :

يقول اندرو كونواي ايفي فى كتاب « الله يتجلى فى عصر العلم » : ان النواحي الروحانية والاخلاقية فى حياة الانسان وما ينبغي ان تفسله ، لها اهمية بالغة بالنسبة لسلامة الانسان ورفاهيته ، وهي اهمية تفوق اهمية معرفته وسيطرته على الطبيعة غير الانسانية .

« ان المشكلة العظمى فى الوقت الحاضر (بعد ان بحثت اسباب الحياة ووصلت الى غايتها) هي مشكلة اخلاقية ودينية فهي تدور حول معرفة كيف

تستخدم الطاقة الذرية لتحقيق صالح البشر ورفاهيتهم لا لكي ينزل بهم الدمار » .

— * —

ومن الحق ان يقال ان الانسان الغربي قد أصبح مزهوا بانه حقق الانتصارات المادية التي وصلت به الى تحطيم الذرة ، ، ولكنه في الجانب الآخر جانب الانسان فقد عجز تماما ان يعمل شيئا او ان يستكنه هذه الطبيعة البشرية فيقدم لها الامن والسكينة والامان . وهو حين اقتحم مجال البحث فيها اعتمد على منهج العلم المادي في تقدير ما هو غير مادي . وحاول تطبيق قانون الطبيعة على الانسان واتخذ من تجارب الحيوان سبيلا الى معرفة الانسان ، وهو في كل ذلك يقيس الناقص على الكامل والقليل على الكثير ، فالانسان وجود خاص مستقل يختلف عن الجماد والحيوان ولا تصلح موازينهما في قياسه او البحث عنه ، انه يزيد تلك الروح ، تلك القوة العاقلة ، تلك القدرة المفردة التي ميزه الله بها عن سائر خلقه ، وبها حمله الامانة ، وناط به المسؤولية الفردية والالتزام الاخلاقي ومن هنا فقد فشلت دراسات الباحثين الماديين الذين حاكموا الانسان الى قوانين المادة فللانسان عالمه وله منهجه الخاص في دراسته وفهمه .

ولم يقم منهج في دراسة الانسان وفهمه ، أصدق من منهج القرآن ، ولم يكشف منهج عن حقيقة الانسان في مطامعه واهوائه ، وفي ايمانه وتقواه ، كما كشف القرآن عنه ، وسيظل الباحثون عن الانسان في تيه من الخطأ والانحراف ، حتى يلتمسوا منهج القرآن في فهم الانسان .

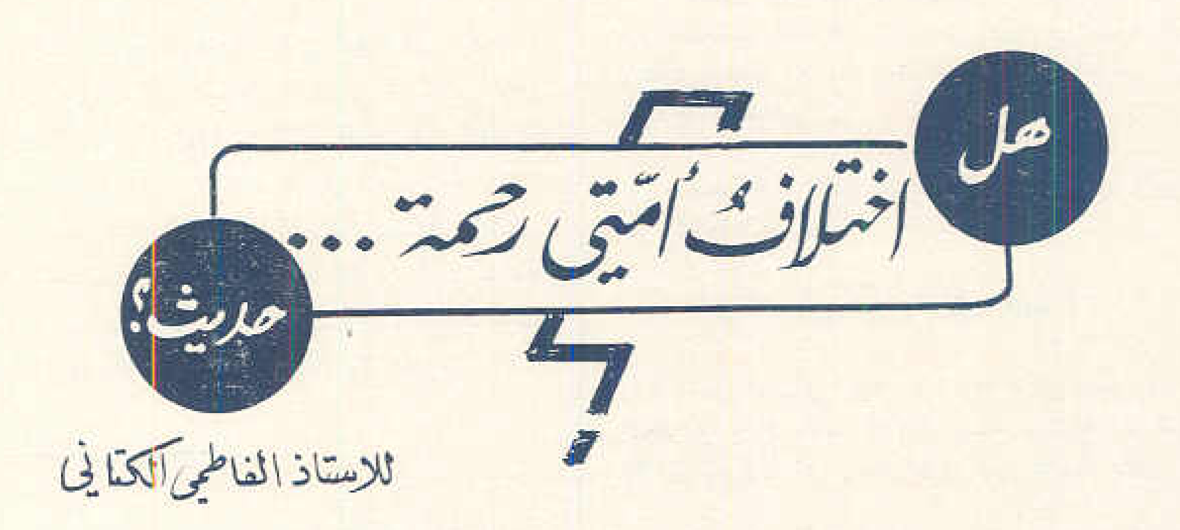
والانسان في بناء الامم قوة ضخمه ، والمسلمون والعرب اليوم لا يجدون طريقهم الى البقاء في مواجهة اخطار الغزو والابادة الا ان يلتمسوا مفهوم القرآن في دراسة الانسان ، وفي محاولة بناء الانسان على النحو الذي قدر له ، الله تبارك وتعالى ، حين أعده للاستخلاف في الارض وحماية الرسالة ، والذود عن الامانة وفي مواجهة الاخطار التي تتعرض لها دعوة الله .

والمسلم هو الانسان الذي اختاره الله لحمل امانة الدين الحق ، في مواجهة الاهواء والاخطار والتحديات التي تواجهها (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) .

ومن هنا فلابد من مواجهة نظريات مدرسة العلوم الاجتماعية بمنهج اسلامي واضح في بناء الانسان المسلم من خلال الاخلاق والنفس والاجتماع ، بما يجعله قوة صامدة تغالب الاحداث وتقدم في الشدائد وتقدم الروح في سبيل الحق وتؤمن بالموت في سبيل الله ، ولا تهاب أحدا ، بل تتقدم لتأخذ حقها وتحتفظ به رباطا في الثغور ، ويقظة في مواجهة الخطر الدائم المتربص .

ان شباب هذه الامة هو عدة القوة في مواجهة العلوم الاجتماعية الغربية فانه سوف لا يكون الا قنطرة الخطر ، فانه ترك تحت تأثير مذاهب وفلسفات مدرسة يعبر عنها النفوذ الصهيوني ويستشري ويمتد ويثبت اقدامه في قلب عالم الاسلام والمسلمين ، فالحذر الحذر .

القاهرة ــ انور الجندي



كثيرا ما يجري على السنة الناس انه حديث ، وبعض الناس يذكره ولا ينسبه لا على انه حديث ولا على انه ليس بحديث

والشعبيون الذين يجالسون العلماء ويلازمون مجالس العلم يذكرونه كذلك بلغتهم العامية (اختلاف العلما رحم) (1) مقتصرين عليه من غير ان ينسبوه حديثا سيما اذا سألوا عالما من العلماء عن حكم نازلة نزلت بأحدهم فأجابهم عنها بجواب ثم سألوا عالما آخر عن نفس النازلة فأجابهم عنها بجواب آخر مخالف لما اجابهم به الاول ، وكان فى اختلاف الجوابين فسحة لهم فيذكرون ذلك .

والحقيقة انه لا ذكر لذلك اللفظ فى الصحيحين ولا فى غيرهما من باقي الكتب الست ولا فى غيرها من الكتب التى اعتمدها المحدثون فى الدرجة الاولى او اعتمدوها فى الدرجة الثانية .

وقد ذكر فى كتب اخر لا تصل الى تلك الدرجة وبعدة الفاظ نذكر منها ما يلي : ففي سنن الدارمي توفي سنة 255 هـ / 868 م الباب 51 من المقدمة مالفظه (لا باس من الخلاف بين الفقهاء) .

وذكره البيهقي فى الرسالة الاشعرية ـ بدون سند ، بصيغة ـ روى ـ بلفظ « اختلاف امتى رحمة » (2) .

واورده نصر المقدسي فى كتاب الحجة من غير سند .

وأورده الحليمي ـ من كبار علماء الشافعية بما وراء النهر ـ فى كتاب الشهادات من تعليقه .

واورده امام الحرمين والسبكي وولده التاج (3) .

واسنده البيهقي فى المدخل من حديث ابن عباس مرفوعا بلفظ (اختلاف اصحابي رحمة)

واسنده الديلمي فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس باللفظ الاخير ايضا ولا اغادر هذا الموضع قبل ان اشير الى بعض من ذكره من علماء المغرب فى كتبهم .

---

(1) بسكون الفاء وقصر العلماء وترخيم رحمة باسقاط التاء من آخره لغة عامية .
(2) هو لفظ العنوان .
(3) ليسوا بمحدثين فالتنصيص عليهم بجمع النظائر

فقد ذكره شيخ الجماعة بفاس ابو محمد جعفر ابن ادريس لكتاني الحسني توفي سنة 1323 هـ / 1904 م

وذكره شيخ الجماعة بفاس ايضا ابو العباس احمد ابن محمد ابن الخياط الحسني الزكاري توفي سنة 1343 هـ / 1925 م ذكره الاول فى كتابه المسمى (مواهب الأرب (4) فى السماع وآلات الطرب) وذكره الثاني فى اختصاره لهذا الاخير وسماه (اختصار مواهب الارب) قالا فى آخر صفحة من الكتاب ما لفظه (وفى الحديث ـ اختلاف امتي رحمة ـ) هـ كلاهما من غير سند ولا تخريج .

بيـــان درجتـــه :

والآن وبعد ما عرفت من خرجه من المحدثين أو من نص عليه من العلماء انتقل بك ايها القارىء الكريم الى بيان درجته حسب نصوص الحفاظ والمحدثين فيه .

قال الحافظ العراقي فيه : انه حديث ضعيف.

وقال ابو زرعة ولد الحافظ العراقي : رواه آدم بن اياس فى كتاب العلم والحلم بلفظ (اختلاف اصحابي لامتي رحمة) وهو مرسل (5) ضعيف .

وقال بن سعد فى الطبقات نقلا عن القاسم بن محمد : انه ضعيف

قال الحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي توفي سنة 911 هـ / 1504 م : لعله خرج فى كتب الحفاظ التى لم تصل الينا .

فقد تبين لك من خلال عرض كلام الحفاظ والمحدثين فيه انه :

1) حديث
2) روي بعدة الفاظ .
3) انه ضعيف .

الا الحافظ السيوطي الذى لم يجزم بالضعف وترجى وجوده فى كتب الحفاظ المتقدمين .

فنقول للحافظ السيوطي الا يكفيك الدارمي من المتقدمين الحفاظ وقد نص عليه فى كتابه السنن وبذلك يتحقق لك ما رجوته من وجوده فى كتب الحفاظ المتقدمين .

وبعد هذا الفت نظرك ايها القارىء لمن طعن فيه ثم ارد عليه طعنه .

طعن السبكي فيه وابطال كلامه :

قال السبكي فيه : « انه ليس بمعروف عند المحدثين ، ولم اقف له عند سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع » اي وبناء عليه فهو حديث باطل

نقول للسبكي كيف تزعم انه غير معروف عند المحدثين وقد عرف عند اولئك السابقين فى العرض فى صدر المقال أم كيف تزعم أنك لم تقف له على سند وقد تقدم فى العرض ان الحافظ ابا زرعة ذكر ان سنده مرسل .

وبعد هذا نقول للسبكي انك لست من المحدثين الذين لهم المرجع فى اثبات الاحاديث ونفيها فانت لك اختصاصك تسأل فيه والحديث له اهله يسألون عنه، وعليه فكلام السبكي باطل فيه .

فالذي يتلخص من هذا كله انه حديث ضعيف وكلام السبكي فيه لا اعتبار به لانه منتقد كما علمت وباطل .

ما معنــى الحديــث ؟ :

قال امام الحرمين والحليمي ان الحديث يحمل على اختلاف الامة فى المناصب والدرجات والمراتب ذلك أن من الامة آمرا ومنها مأمورا بينما فيها العالم والمتعلم والرئيس والمرؤوس وكل فى منصبه الذى يخالف منصب الآخرين ، وبهذا الاختلاف وقعت الرحمة للامة ، فلو لم تختلف مناصب الامة لما امكن تعايشها .

(4) طبع بالمطبعة الحجرية .
(5) المرسل ما سقط من نسب الصحابي .

وقال جمهور المحدثين : ان الحديث يحمل على اختلاف المجتهدين في احكام الفروع التي يجوز الاجتهاد فيها .

مثلا الامام ابو حنيفة ذهب الى ثبوت الشفعة بالجوار بينما الامامان مالك والشافعي ذهبا الى عدم ثبوتها بالجوار وكل له حجة من السنة على ما ذهب اليه .

ومن تزوج امرأة ثم اراد ان يجعل ضرتها خالتها او عمتها فمذهب الامام مالك وغيره المنع ، ومذهب الخوارج الجواز وكل له حجة على ما ذهب اليه ، فحجة من يمنع الجمع بين المراة وعمتها او خالتها في عصمة واحدة حديث الترمذي (لا يجمع بين المراة وعمتها او خالتها) وحجة المجيز ان القرآن اقتصر في منع الجمع على الاختين « وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف » (6) فيفهم منه انه ما عدا الاختين جائز جمعه في عصمة واحدة بما فيه المراة وعمتها او خالتها .

وهذا النوع من الاختلاف كان في زمن النبي (ص) واطلع عليه واخره ، ففي سنن ابي داوود عن قزعة قال : خرجنا مع النبي (ص) في رمضان عام الفتح فكان رسول الله (ص) يصوم ونصوم حتى بلغ منزلا من المنازل فقال : « انكم قد دنوتم من عدوكم والفطر اقوى لكم ؛ فاصبحنا منا الصائم ومنا المفطر ، فهذا الحديث قد اختلف الصحابة في فهمه فمن الصحابة من فهم منه الفطر وتمسك به بناء على ان فطره يزيده قوة وصومه يؤدي به الى ضعف ، وفهم صحابة آخرون منهالصوم وتمسكوا به بناء على ان صومهم لا يضعفهم وفطرهم لايزيدهم قوة ، ولم ينكر النبي (ص) على اي واحد من الفريقين فهمه فدل على ان مثل هذا الاختلاف مشروع .

بل نجد في حديث آخر ما هو اخص من هذا واصرح وهو التنصيص على وجود الخلاف وان له حكمه الخاص به .

ففي الحديث الذي اخرجه الدارقطني في سننه (7) عن عمرو بن العاص « اذا حكم الحاكم فاجتهد فاخطأ فله اجر واحد ، واذا حكم فاجتهد فاصاب فله اجران » ففي هذا الحديث التنصيص على ان المجتهد يصيب ويخطيء وهذا عين الاختلاف فاذا اصاب كان له حكم ومعاملة واذا اخطأ كان له حكم ومعاملة وفي كلتا الناحيتين مقدس معترف بعمله بشرط ان يعمل مستطاعه للتوصل الى الصواب وليوافق الواقع .

ومن الباطل ان نقول ان المجتهد اذا ظهر له فهم في آية قرآنية او في حديث نبوي يلزم باقي المجتهدين ان يفكروا بمثل تفكيره وان يقولوا بمثل قوله حتى تتحد المذاهب وتجتمع الافكار الاسلامية على فكر واحد وعلى رأي واحد .

ومما يدل لاختلاف المذاهب زيادة على ما سبق ما رواه البيهقي من حديث ابن عباس مرفوعا «اصحابي بمنزلة النجوم في السماء فبايهم اقتديتم اهديتهم»

واخرج البيهقي في المدخل ان عمر بن عبد العزيز قال : « لا يسرني أن أصحاب محمد لم يختلفوا لانهم لو لم يختلفوا لم تكن رحمة » .

وقد قال ابن قدامة — حنبلي — « ان اختلاف الائمة رحمة واتفاقهم حجة » .

وقد قال مالك للرشيد لما اراد ان يحمل الناس على الموطا : « لا تفعل يا أمير المؤمنين لان الصحابة افترقوا في الآفاق وحدثوا فعند اهل كل مصر علم وقد قال النبي (ص) « اختلاف امتي رحمة » .

واعلم ان ائمة الاجتهاد يجب الاعتقاد فيهم بأنهم على هدى من الله وعلى محجة بيضاء منهم الائمة الاربعة والسفيانان وداود الظاهري واسحاق بن راهوية والاوزاعي وغيرهم وغيرهم ..

وقد تلقى الائمة مذاهبهم بالقبول وانخرطوا فيها متبعين لنظامها واصولها وفروعها واعتمدوا عليها في دينهم وفيهم من انتقل عن المذهب الذي انخرط فيه اولا واستبدله بغيره لانه ظهر له افضلية المنتقل اليه .

---

(6) سورة النساء الآية 23
(7) كتاب القضاء

واليك بعض العلماء (8) الذين انتقلوا من مذهب الى مذهب مع بيان المذهبين :

اسم العالم	المذهب الاول	المذهب الثاني
1 ـ الخطيب البغدادي	حنبلي	شافعي
2 ـ الآمدي	»	»
3 ـ ابن دقيق العيد	مالكي	»
4 ـ ابو حيان	ظاهري	»
5 ـ السمعاني	حنفي	»
6 ـ الطحاوي	شافعي	حنفي
7 ـ ابن عبد الحكيم	»	مالكي
8 ـ ابو ثور	حنفي	شافعي
9 ـ عبد العزيز بن عمران	مالكي	شافعي
10 ـ ابن فارس صاحب المجمل	شافعي	مالكي
11 ـ ابن الدهان	حنبلي	حنفي
12 ـ ابن برهان	»	شافعي
13 ـ ابو جعفر بن نصر	»	»

هذه شخصيات لامعة فى التاريخ ثلاثة عشر قد انخرطت فى مذهب رضيته لدينها ولعبادة الله على نظره ثم استبدلته بمذهب آخر اختارته لنفس الغاية اقتصر عليها ، والذين فعلوا ذلك سوى من ذكر كثيرون ، فاذا اردت ان تطلع على اكثر مما ذكر هنا فارجع فى ذلك الى كتب الطبقات خصوصا طبقات الشافعية

وقد فسر بعض المحدثين الحديث بتفسير ثالث هو اختلاف الامة فى الاتجاه فهذا يتجه الى الثقافة والعلم والآخر يتجه الى القضاء وفصل الخصام بين الناس بينما غيرهما ينتهج نهج التجارة وربح الاموال وآخرون يفضلون الصناعات والصناعات انواع كذلك كل طائفة ترشح نوعا من الصناعة وباختلاف هؤلاء رحم الله الامة اذ لو اتحد اتجاه الامة الى ناحية مختارة لها وعطلت غيرها لتعطل الكثير من مصالح المسلمين وانك لترى فى العصر الحاضر ان الناحية التى اهملها المسلمون ولم يشتغلوا بها ضاع عليهم منها مصالح كثيرة ولكن العالم الاسلامي قد اصبح اليوم يراجع بعض النواحي التى كان الاهمال فيها سابقا وبهذا التراجع وبمثله فى جميع نواحي الاهمال تعم المسؤولين رحمة الله سيما فى النواحي الحربية والتدريب عليها بنظامها الحديث وفق الله المسؤولين .

هل الحديث يتعارض مع القرآن ؟

ورد فى القرآن آيات تقتضي عدم الاختلاف قال سبحانه : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات (9) وقال : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (10)

فكل من الآيتين تنهى عن الاختلاف وتذمه بينما الحديث الضعيف يشجعه ويحث عليه ويعده رحمة من رحمات الاله سبحانه فقد تعارضا القرآن والحديث الضعيف وتعارض كهذا يجب القضاء عليه وازالته او يجب ابطال الضعيف منهما وهو الحديث اذ هو الذي يمكن التغلب عليه بالابطال مثلا دون القرآن فيما اذا لم يمكن الجمع بينهما .

ويمكن الجواب عن التعارض بحمل الحديث على محمل وحمل الآيتين على محمل آخر . فالحديث الضعيف السابق يحمل على احدى المحامل الثلاثة تفسير امام الحرمين تفسير الجمهور التفسير الثالث والآيتان القرآنيتان تحملان على الاختلاف على الانبياء وفى الحديث (انما هلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على انبيائهم) .

فاس ـ الفاطمي الكتاني

(8) النووي فى فيض القدير .
(9) آل عمران الآية 103 .
(10) نفس السورة الآية 105 .

القراآت القرانية واللهجات العربية

للدكتور الراجي التهامي الهاشمي

– 5 –

26 ـ لفظة « **احزنــه** » الموجودة فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، سيما فى الآيــات : « ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر ، انهم لن يضروا الله شيئا ، يريــد الله الا يجعــل لهم حظــا فى الآخرة ، ولهم عذاب عظيم » (1) . و « قال انــي ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون » (2) . و « انما النجوى من الشيطــان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئــا الا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنــون » (3) . و « لا يحزنهم الفزع الاكبر ، وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون » (4) . وهي الآيات التي اشــار اليها الامام الداني قائلا : « نافع ولا « يحزنك » (5) و « ليحزنني » (6) و « ليحزن الذين » (7) بضم الياء وكسر الزاي ، حيث وقع ما خلا قوله فى الانبيــاء « لا يحزنهم » (8) فانه فتح الياء وضم الزاي فيه ، والباقون كذلك فى الكل » (9) .

وهذا ما اكده ابو حيان حين قال : « وقرا نافع يحزنك من أحزن وكذا حيــث وقع المضــارع الا فى « لا يحزنهم الفزع الاكبر » فقراه « من حزن » كقراءة الجماعة فى جميع القرآن . يقال حزن الرجل اصابه الحزن وحزنته جعلت فيه ذلك وأحزنتــه جعلتــه حزينا » (10) .

ولكن ابا جعفر خالف هذه القراءة التى اجمع عليها القراء السبعة وجعل على المادة الموجودة فى سورة الانبياء رباعية ، فضم الياء وكسر الزاي (10).

---

(1) السورة الثالثة آل عمران الآية 176 .
(2) السورة الثانية عشرة الآية 13 .
(3) السورة الثامنة والخمسون المجادلة الآية 10.
(4) السورة الواحد والعشرون الانبياء الآية 103.
(5) وهي التي فى سورة آل عمران .
(6) اثبت آياتها اعلاه وهي فى سورة يوسف .
(7) اشرت اليها اعلاه وتوجد فى سورة المجادلة .
(8) وهي الآية 103 من هذه السورة وقد نقلتها اعــلاه .
(9) التيسير فى القراءات العشر السبع صفحة91 السطر الثامن عشر .
(10) البحر المحيط الجزء الثالث صفحة 121 السطر الثامن والعشرون .

هذه القراءات تؤكد لنا ما قاله اليزيدي (11) : « حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم وقد قريء بهما » . واكد هذا ابو حيان حين صرح « لا يحزنهم (12) مضارع احزن وهي لغة تميم ، وحزن لغة قريش (13) » .

ومما اثار انتباهي هنا ان الامام نافع رضي الله عنه هو الوحيد من بين القراء السبعة ، بله العشرة ، الذي يقرا هذه الكلمة بضم الياء – الا في موضع واحد فيقراها بالفتح كما راينا – بينما كان من المنتظر ان يقع العكس ، فيقراها هو بالفتح، ويقراها غيره بالضم ، او بالاحرى يقرا بها حمزة والكسائي وخلف وسيما عمرو بن العلاء ويعقوب .

ويحق لسائل ان يسالني لماذا ترى ذلك ؟

اجيب : اتفقنا منذ قليل على ان احزن التي تعطينا القراءة بضم الياء تميمية . وبما ان قبيلة تميم كانت تسكن في وسط الجزيرة وشرقها مع اسد وطي وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب ، وانها نزلت بعد الفتح الى العراق كما بين ذلك جورج زيدان حين قال (14) :

« فجاشت عوامل الحسد في نفوس القبائل التي كان لها شان في الجاهلية وضاع فضلها في الاسلام ، وخصوصا اهل البصرة والكوفة لان اكثر العرب الذين نزلوا هذه الامصار جفاة لم يستكثروا من صحبة الرسول ولا هذبتهم سيرته ولا ارتضوا بخلقه، مع ما كان فيهم من جفاء الجاهلية وعصبيتها. فلما استفحلت الدولة ، اذا هم في قبضة المهاجرين والانصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل واهل الحجاز ، فاستنكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لانفسهم من التقدم بانسابهم مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس بن ربيعة وكندة وتميم وقيس من مضر . » فقد كان اذن من الطبيعي ان يقرا نافع ، وهو مدني ، بما ساد في بيئته الحجاز ، وان يقرا الآخرون ، اي حمزة ، وهو قاريء كوفي ميال للغة التميمية ، والكسائي الذى ورث امامة القراءات بالكوفة بعد حمزة ، وان يقرا خلف العاشر بعدهما بما ساد في بيئتهم المتاثر بلهجة تميم .

وبما ان هذه القراءات التي اشرت اليها هي قراءات متواترة غير شاذة فقد دل ذلك على ان الصيغتين ، الرباعية في تميم ، والثلاثية عند قريش لغتان فصيحتان . وهو ما اكده ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد حين قال : « وحزنه الامر فهو محزون واحزنه لغتان فصيحتان . واكثر كلامهم رايت فلانا محزونا ولا يكادون يقولون محزنا » 15).

وما دمنا نتحدث عن مادة « حزن » عند بني تميم ، فلا باس ان نشير الى انه يوجد في بلاد بني تميم موضع يسمى بـ « الحزن » (16) بفتح فسكون وهو امر يبعث على التامل .

كما يجب ان نعلم ، من جهة اخرى ، ان القبيلة التي تسكن الحزن تنسب الى قبائل بني منقر من بني تميم طبعا ، وتكون مع قبائل جندل وصخر وجرول ما يسمى بـ « الاحجار » (17)

27 – « **الحمد لله** » بكسر الدال لغة تميمية. اخبرنا العلامة عبد الرحمان السيوطي ان ابن درستويه قال في شرح الفصيح : « وتميم تقول الحمد لله بكسر الدال ، ولا خير فيها » (18) .

نستنتج من هذا التعليق امرين : اولهما ، ان بني تميم الميالة ، كما راينا ، الى النطق بالخشن ، الصعب ، الممتنع ، سايرت عادتها المتاصلة فيها فغيرت حركة الاعراب لتجانس حركة البناء ، مقيسة

(11) الجوهري الصحاح الجزء الخامس صفحة 2098 السطر الرابع من العمود الثاني .
(12) يتحدث هنا عن هذه التي توجد في السورة الواحدة والعشرون الآية 103
(13) البحر المحيط الجزء السادس ، ص 342 ، السطر الثالث والعشرون .
(14) تاريخ ادباء اللغة العربية الجزء الاول صفحة 208 .
(15) الاشتقاق ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون طبعة القاهرة 1378 – 1958 صفحة 100 السطر السابع عشر .
(16) نفس المصدر اعلاه ونفس الصفحة السطر الرابع عشر .
(17) نفس المصدر السابق صفحة 250 السطر الا ول .
(18) المزهر الجزء الاول صفحة 225 السطر التاسع .

على « ابل » و « اطل » مع الفارق الكبير . ثانيهما انها لغة لا خير فيها . واذا كانت ، وهي لغة يتعامل بها الناس في شؤون دنياهم ، لا خير فيها ، فما بالك وهي تقرأ في الكريم ؟ . .

ومع انها لا خير فيها ، ومع انها قراءة شاذة، فقد قرأ بها زيد بن علي رضي الله عنه (19) ، والحسن البصري (20) ، في الوقت الذي يقراها ابراهيم ابن عبلة (21) « الحمد لله » بضم اللام اتباعا لضم الدال (22) .

اما ان يقرأ بها الحسن البصري فهذا امر لا غرابة فيه ما دام امام البصرة ، وما دامت البصرة متأثرة بقبائل وسط الجزيرة التي نزلت بها ، وهي في معظمها من تميم (23) . واما ان يقرأ بها زيد بن علي ، فهذا امر لا غرابة فيه ايضا ، وهو الذي اقام بالكوفة طويلا ، والكوفة معقل هذه القبائل التي كانت تميل الى التعقيد في النطق لانهم «بقوا جفاة لم يستكثروا من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ولا هذبتهم سيرته » (24) واما ان يقرأ ابراهيم بن ابي عبلة بالصيغة التي رأينا ، وان كانت بعيدة عن لهجة تميم ، فهذا فيه نظر . وذلك لامرين : اولهما ان ابن ابي بعلة ، بخلاف القارئين السابقين ، دمشقي ، ولهذا ابتعد عن القراءة بالكسر . فلماذا يا ترى يتميز عن قراء بيئته بروايته لقراءة الضم ؟ وثانيهما ان كلمته التي بلغتنا عنه تجعلنا نحتاط لهذا الامر كثير الاحتياط . لقد قال : « من حمل شاذ العلماء حمل شرا كبيرا » .

ومع هذا كله نعرف ايضا انه « له حروف في القراءات وختيار خالف فيه العامة » (25) وان كنا نعرف ان في صحة اسنادها نظر .

ولقد حاول ابو الفتح عثمان ابن جني تخريج هاتين القراءتين فقال عن قراءة الضم انها « قراءة البادية» (26) ووصفهما معا بأن قال : وكلاهما شاذ في القياس والاستعمال » .

ومعلوم ان ابن جني سبق له قبل ان يكتب محتسبه ان تعرض لهذه القراءة فصرح بانها من « اضعاف الحركة لتقرب بذلك من السكون » (27).

وهو متأثر في ذلك بما رواه سيبويه وسجله في كتابه في باب « هذا باب ما يتقدم اول الحروف وهي زائدة قدمت لاسكان اول الحروف فلم تصل الى ان تبتديء بساكن فقدمت الزيادة متحركة لتصل الى التكلم » (28) . حيث تحدث عن مثال شبيه بما وقع في قراءة الحمد لله . وهو المثال الذي اعتمده ابن جني ليبرر اتباع لام « الله » لحركة دال « الحمد » والمثال هو (اضرب الساقين امك هابل) الذي يقرأ بكسر ميم « امك » اتباعا لكسرة الهمزة .

وليس في هذا في نظر ابن جني الا اخلالا بالاعراب ذلك انه يقول : « وقد دعاهم ايثار قرب الصوت الى ان اخلوا بالاعراب » (29) .

ويظهر ان ابا حيان لا يرضى عن هذه القراءة الشاذة ، قراءة كسر الدال ، ذلك انه يصرح :

---

(19) يقال له زيد الشهيد . التهذيب صفحة 109 ومقاتل الطالبين صفحة 127 والاعلام الجزء الثالث صفحة 98 .

(20) توفي سنة 110 ، انظر شذرات الذهب ، الجزء الاول ، صفحة 136 .

(21) توفي سنة 153 او 52 او 51 . ترجمته في غاية النهاية الجزء 1 ص 19 .

(22) انظر المحتسب الجزء الاول صفحة 37 السطر الثاني .

(23) اللهجات العربية للدكتور ابراهيم انيس 60 — 61 من الطبعة الثانية .

(24) تاريخ آداب اللغة العربية لجورج زيدان الجزء الاول ص 208 .

(25) انظر غاية النهاية في طبقات القراء الجزء الاول صفحة 19 .

(26) المحتسب، الجزء الاول ، ص. 37 ابتداء من اول الصفحة .

(27) الخصائص ، الجزء الثاني ، ص. 144 ، السطر الحادي عشر من الطبعة المصرية .

(28) انظر الكتاب ، الجزء الثاني ، ص. 271 ، السطر الثاني عشرة من الطبعة الاولى ببلاق سنة 1317 .

(29) اورد ابن جني هذا المثال في كل من المحتسب الجزء الاول ص. 38 ، السطر العاشر ، وفي الخصائص الجزء الثاني ص. 145 ، السطر الخامس .

« واتبع ابراهيم بن ابي عبلة ميمه (30) لام الجر لضمة الدال كما اتبع الحسن وزيد بن علي كسرة الدال لكسرة اللام وهي اغرب لان فيها اتباع حركة معرب لحركة غير معرب » (31) .

واما قراءة «الحمد لله» باتباع حركة لام « لله » لحركة الدال فيقرأ بها ، كما قلت ، ابراهيم ابن ابي عبلة ، ويعللها الزمخشري فيقول : « والذي جسرهما على ذلك – والاجتماع انما يكون في كلمة واحدة ، كقولهم منحدر الجبل ومغيره – تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالها مقترنتين . واشف القراءتين ، قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن » (32) .

ولا ادري ماذا يقصد بهذا الكلام لان القراءات كلها مروية عن رسول الله وليس لبشر فيها يد ، من زيادة ، ونقصان ، وتبديل ، وتغيير ، وتقديم وتأخير . ومن هنا لا يحسن ان يفاضل انسان بينها مضيفا التغييرات الى البشر . ولا يدخل تحت هذا الكلام الا القراءات المتواترة وبعض القراءات الشاذة. اما اللحن الذي وقع فيه بعض القراء ، فانما هو لحن سبق لسانهم اليه ، وليس من القراءات في شيء ، كقراءة الحسن البصري «ص والقرآن» (33) بضم نون القرآن و « ما تنزلت به الشياطون » (34) اجراه مجرى (35) الجمع المذكر السالم رغم ان صورة مفرده تكسرت بسبب مجيئه جمع تكسير . وكقراءة سابق الاعمى «الخالق الباريء المصور» (36) بفتح الواو المشددة . وكقراءته « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا » (37) بفتح تاء مضارع « تنكحوا » .

وكقراءة الحجاج بن يوسف التي اخبرنا عنها الجاحظ (38) . كان الحجاج يقرأ « ان من المجرمون منتقون » (39) .

28 – كلمة **« الحوب »** في قوله تعالى « وآتوا اليتامى اموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ، انه كان حوبا كبيرا » (40) ، تميمية حين تقرأ بحاء ممدودة بضم (41) .

هذا ما رواه ابن منظور ويظهر ان الصواب هو ان بني تميم تنطق بها مفتوحة ، وان الضم نطق اهل الحجاز ، وذا ما اكده الامام ابو حيان في بحره (42) والشوكاني (43) . وان الضم لا يكون الا في نطق اهل الحجاز .

« والحوب بالضم الاثم والحاب مثله » (44).

وله معان اخر ، وقد تقلب واوه ياء عند ما تنطق بها القبيلة مكسورة الاول . قال ابو يوسف يعقوب ابن اسحاق السكيت مشيرا الى بعض معاني هذه الكلمة ، والى قلب الواو فيها ياء : « ويقال

---

(30) هكذا في النسخة التي بين يدي وهي نسخةطبق الاصل للطبعة الاولى التي امر بطبعها السلطان الجليل مولاي حفيظ ولا ادري ما يقصده ابو حيان بهذا الكلام .
(31) البحر المحيط الجزء الاول ص. 18 السطر 21 .
(32) الكشاف الجزء الاول ص. 8 السطر العاشر .
(33) السورة 38 ص . الآيتان 1 و 2 .
(34) السورة 28 الشعراء الآية 210 .
(35) الجاحظ البيان والتبيين الجزء الثاني ص. 219 تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون .
(36) سورة الحشر ، الآية 24 .
(37) السورة الثانية ، البقرة الآية 221 .
(38) « البيان والتبيين » الجزء الاول ، ص. 218 .
(39) سورة السجدة ، الآية 22 .
(40) السورة الرابعة النساء، الآية 2 .
(41) « اللسان » الجزء الاول ص. 340 طبعة بيروت 1374 – 1955 .
(42) « البحر المحيط » الجزء الاول ص. 161 السطر الثالث .
(43) « فتح القدير » الجزء الاول ص. 419 السطر 22 .
(44) الجوهري « الصحاح » الجزء الاول ص. 116 السطر الاول من العمود الثاني .

لفلان في بني فلان حوبة . وبعضهم يقول حيبة فتذهب الواو اذا انكسر ما قبلها . .» (45)

ومن معاني هذه المفردة ايضا ما اشار اليه ابن السكيت حين قال (46) : « وحوبة الرجل : امه وقال بعضهم (47) حوبة »

وتستعمل للدعاء على الانسان بالبلاء والامر العظيم . قال ابن السكيت في الباب الذى عقده تحت هذا المعنى : « ويقال الحق الله به الحوبة وهي المسكنة والحاجة » (48) .

وما يرويه الامام الكبير ابو حيان وهو يحاول ان يوضح الفرق بين الحوب المفتوحة الحاء والحوب المضمومة الحاء من الناحية النحوية يحطم الفرق الموجود بين لغة تميم وغيرها ، فيقول : « وقيل الحوب بفتح الحاء المصدر ، وبضمها الاسم » (49) .

واما قراءتها فبيانها كما يأتي :

ا ــ الجمهور يقرأها بضم الحاء (50) .

ب الحسن البصري يقرأها بالفتح ، مصدر حاب حوبا (51) . وهي لغة تميم على مشهور القول .

ج ــ ابي بن كعب يقراها « حابا » (52) على المصدر .

(29) « حــوث » بدل « حيث » لغة تميم (53) .

هذه المفردة ادخلها في عداد المفردات الغريبة التي تحتاج الى مزيد من البحث لتتضح جميع استعمالاتها .

ذلك انها مفردة مستعملة في القرآن الكريم (54) الا انني لم اجد بعد من قراها بالواو على النطق التميمي ، وان كان بعض المفسرين (55) اشاروا الى كيفية التلفظ بها في هذه القبيلة دون ان يطلعونا على من قرا بها . ولعله لم يقرا بها احد . كما ان بعض العلماء اشاروا اليها اشارة خفيفة (56) .

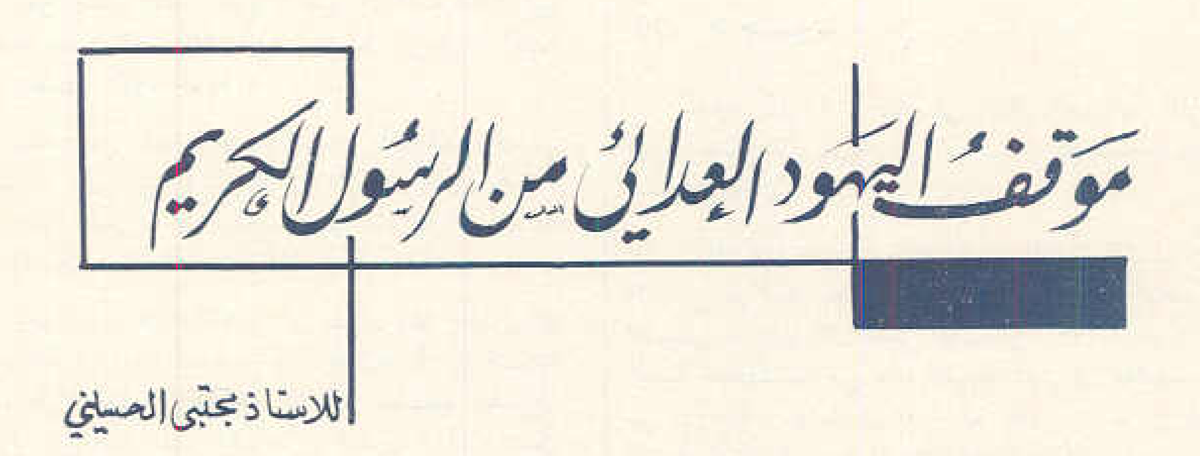
قال السيوطي : « ويقال في حيث حوث » ولم يبين القبائل التى تنطق بها .

ــ يتبـع ــ

الدار البيضاء ــ د. الراجي التهامي الهاشمي

---

(45) « اصلاح المنطق » الطبعة الثانية لسنة 1375 ــ 1956 المصرية ص. 117 ابتداء من السطر الثامن عشر .
(46) نفس المصدر ص. 114 السطر السابع .
(47) لو كان اصحاب المطولات يوضحون « قولهم البعض و « من العرب من يقول » لاستطعنا ، بعد التنقيب، ان نتمكن من معرفة لهجات قبائل العرب بشيء من الدقة .
(48) « كنز الالفاظ في كتاب تهذيب الالفاظ » لابي يوسف يعقوب ابن اسحاق السكيت هذبه ابو زكرياء بن علي الخطيب التبريزي . ضبطه ، وجمع رواياته الاب اويس شيخو اليسوعي . طبعة بيروت سنة 1895 ، ص. 574 ، السطر الاول .
(49) البحر المحيط ، الجزء الثالث ، ص. 150 السطر 29 .
(50) نفس المصدر ، الجزء الثالث ، ص. 161 السطر الثاني .
(51) الكشاف ، الجزء الاول ص. 359 ، السطر الثالث .
(52) فتح القدير ، الجزء الاول ص. 419 ، السطر 22 .
(53) الدكتور صبحي الصالح « دراسات في فقه اللغة » طبعة دمشق 1379 ــ 1960 ، صفحة 97 في بدايتها .
(54) ذكرها الكتاب الكريم 41 مرة .
(55) ابو حيان (البحر المحيط) . قال عنها هذا الامام : « ويجوز الحوث بالواو وبالحركات الثلاث » . دون ان يشير الى القبيلة التى تنطق بها على هذا الشكل .
(56) انظر « الكفاية في علم الرواية » للخطيب البغدادي ص. 182 طبعة حيدر آباد سنة 1357 .
(57) « المزهر » للسيوطي ص. 473 السطر 13.



للاستاذ مجتبى الحسيني

يحسب بعض الناس : ان الحرب الدائرة الآن بين العرب واليهود هي : حرب بين القومية العربية من جانب والقومية اليهودية من جانب آخر ، وان سبب العدوان الصهيوني الآثم انما هو : حب التوسع القومي اليهودي على حساب الدول العربية ، باعتبارها دولا عربية فقط !

هكذا .. يحسب بعض الناس . ولكن الحقيقة هي : ان حافز اليهود على العدوان المتكرر انما هو الحقد الديني اللئيم الذى طبعت عليه جبلاتهم ـ منذ يومهم الاول ـ والذي ورثوه عن آبائهم الاقدمين .

فالحرب الحاضرة هي : حرب بين الاسلام واليهودية بالصراحة وبدون نقاب ، ولو كانت البلاد العربية الثلاثة تعتنق دينا غير الاسلام لما كانت ترى العدوان ، ولو كانت فلسطين بلدا بوذيا ـ من باب المثال ـ لما اقتطعها الانجليز لليهود ، ولما اصر اليهود هم انفسهم على استيطانها وغصبها من قبل ان ياتي وعد (بلفور) المشؤوم . .

والدليل على ان هذه المعركة المصيرية الفاصلة هي معركة الاسلام واليهودية امور :

اولا : ان الطابع العام للغرب فى هذه القضية هو : تأييد اسرائيل المطلق ، والتنديد بالدول العربية اجمع ، على اساس من ان انتصار الدول العربية انتصار للاسلام ، ودحرها دحر للاسلام . ومن اجل ذلك : هبت الجماهير المسيحية فى الغرب ـ بالاضافة الى الدول الاستعمارية المسيحية ـ مرة واحدة لنجدة اسرائيل فى المجالات الدعائية والمادية والعاطفية ، والترحيب بعدوانها الغاشم على الدول العربية ، مع ان العداء بين اليهودية والمسيحية امتن من العداء بين المسيحية والاسلام ، ومع ان الدول العربية ـ باعتبارها عربية ـ لا عداء بينها وبين المسيحية ابدا ، فتحالف اليهودية والمسيحية ضد الدول العربية دليل يكفي عن الف دليل .

ثانيا : تصريح موشي ديان « وزير الدفاع (!) الاسرائيلي » عند احتلال اليهود للقدس الشريف : « باننا قد اخذنا ثار خيبر » كما نقل ذلك احد الرؤساء العرب فى بعض خطبه .

ثالثا : ان اليهود اخذوا يقتلون الشيخ الفاني ، والمراة العجوز الهرمة ، والطفل الصغير ، ومن لم يحمل السلاح بدون سبب اصلا الا الحقد الديني البغيض الذى يملا قلب كل يهودي فى العالم . وقد نقل بعض اللاجئين كيف ان جيش العدوان الاسرائيلي كان يفتح النار فى مدينة القدس الشريفة (التى يقدسها مئات الملايين من البشر) على الزائرين الكرام الذين وفدوا من بلاد اسلامية غير عربية لزيارة الاماكن المقدسة فى الاردن .

ومن هذه النقاط الثلاث نستكشف : ان الحرب الضارية بين اسرائيل والدول العربية ، ليست الا نتيجة للحقد الديني اليهودي اللئيم الموروث من الآباء والاجداد السابقين، وكدليل على ذلك نحب أن

نستعرض فى ايجاز مختصر موقف اليهود العدائي من الرسول الكريم ، ومن الاسلام والقرآن والمسلمين منذ البعثة الشريفة الى ان سمت يهودية خبيثة النبي العظيم فى ذراع شاة .

بشرت التوراة الاصلية (التى انزلت على النبي موسى) بالرسول الكريم ، وحددت صفاته وعلاماته، وبينت مكان بعثته وبلد الهجرة ، والزمن التقريبي لظهور الاسلام .

واظهر اليهود الاشتياق الشديد لرؤية النبي الجديد المبشر به فى كتابهم السماوي واكدوا الشغف الى الايمان به ، والانضمام تحت لوائه ، ونصره بالغالي من كل شيء .

وحيث كان اليهود يحملون فى باطنهم الحقد الاسود للبشرية جمعاء ، ويعتقدون : انهم ابناء الله الاعزاء ، وبقية الناس من سلالات البغال والحمير ، فقد كانوا دائما وابدا ــ يؤذون الحضريين والبدويين، واهل القبائل المحيطة بهم بأنواع الاذى ، ويتربصون بهم الدوائر ، ويخلقون كل يوم لهم شرا جديدا !

وكانت قبيلتا (الاوس والخزرج) من مشركي العرب ، وكانتا ــ كبقية جيران اليهود ــ هدفا لاعتداءاتهم المتكررة ، وغرضا لمؤامراتهم المتسلسلة ، ولما كانت القبيلتان من القوة والمنعة ما تسخر بقوى اليهود ، وتستهزيء بعددهم وعدتهم ، فقد كانتا تحرزان النصر النهائي فى حروبهم مع اليهود ، وتحطمان قواهم المعنوية والمادية ، وتلحقان بهم خسائر فادحة يرزحون تحت وطأتها الشهور الطوال !

وكان اليهود ــ على سبيل الاستمرار ــ يهددون الاوس والخزرج (الذين كانوا مشركين فى ذلك الوقت) بالنبي الجديد الذى اعتبروه نبيهم المبعوث فى المستقبل ، ويحذرونهم من انه على وشك الظهور، وانه سوف ينضم اليهم ، وينصرهم من قبل السماء، ويأخذ بثأرهم من الاوس والخزرج .

وايضا : كان اليهود فى حروبهم العدوانية هذه يستنصرون بالرسول الكريم ويقولون : « اللهم افتح علينا ، وانصرنا بحق النبي الامي ، اللهم انصرنا بحق المبعوث الينا » .

ولكن ، عندما بعث محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واخذ يبشر بالاسلام الحنيف ، ورأى اليهود انه عدوهم الاول الذى سوف يحارب عقائدهم العفنة ، واحلامهم السفيهة ، وسجاياهم المنجهية ، وصفاتهم الرذيلة ، واستغلالهم للناس ، وامتصاصهم لدماء الفقراء والمساكين ، واحتكاراتهم لمواد الحياة الضرورية ، وما الى ذلك من قائمة الصفات الشريرة التى تجتمع بحق فى كل يهودي فى العالم سابقا وحاضرا .. اقول : عندما قرأ اليهود فى النبي الجديد : انه سيحاربهم اشد حرب حتى يستقيموا او يقتلون ، عند ذلك كفروا به اشد الكفر ، وناصبوه العداء ، وتربصوا به وبدينه وبالمسلمين الدوائر ، حتى قال القرآن الكريم فيهم « لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا » مع انهم كانوا يعلمون علم اليقين : بانه هو النبي المبعوث الذى انتظروه ــ بزعمهم الكاذب ــ اعواما وسنينا ، ومع ان كل يوم جديد من ايام الدعوة الاسلامية كان يكشف لهم عن دليل جديد ، ويقدم اليهم بينة قائمة ، وبرهانا واضحا منيرا ، وفى ذلك يقول الله تعالى فى القرآن : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » .

— * —

واذا اردت ان تعرف موقف اليهود العدائي من الرسول الكريم ، وكيف انهم كانوا يثيرون المشاكل ، والاضطرابات ، والحروب فى المدينة المنورة (منذ الهجرة المقدسة الى وفاة النبي العظيم) فلا عليك الا ان تعرف : ان مدة اقامة الرسول الكريم فى المدينة المنورة شاهدت بضعا وثمانين غزوة وسرية لم يقد النبي العظيم بنفسه الا الاقل منها الذى يبلغ عددها ثمانيا وعشرين غزوة وسرية فقط ، ولم تكلف كل واحدة من هذه الغزوات والسرايا الرسول الكريم شيئا كثيرا بالنسبة الى ما يعرف عن الحرب من الشدة والقسوة ، وانما التي كلفته كثيرا .. وكثيرا .. هي اثنتي عشرة منها وهي ــ على حسب التسلسل التاريخي ــ : بدر الكبرى ، بنو قينقاع ، احد ، بنو النضير ، بنو المصطلق ، الخندق ، بنو قريظة ، ذو قرد ، خيبر ، حنين ، الطائف ، وتبوك .

وكان اليهود السبب الوحيد فى اربع من هذه الحروب التى هي : بنو قينقاع ، بنو النضير ، بنو قريظة ، وخيبر . والتى تبلغ ثلث عدد المجموع .

وقد اشتركوا فى حرب الخندق مع بقية اعداء الاسلام فاثاروها هم بالشراكة مع المشركين ، وشنوها حربا ضارية على المدينة المنورة بمن فيها .

— ❋ —

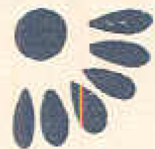
ولا يهمنا استعراض اسباب ، وتفاصيل ، ونتائج الحروب اليهودية – الاسلامية بعد ان ذكرها التاريخ فى اسهاب ، ولكن المهم : ان نذكر – فى ايجاز – كيف ان اليهود سمموا الرسول الكريم ، وتحملوا بذلك افظع جريمة فى الدنيا ، وجعلوا هم بانفسهم طوق اللعنة فى اعناقهم الى يوم القيامة !!

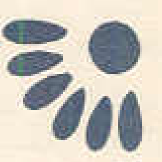
فقد روى ما مضمونه : « ان امراة يهودية من خيبر دست السم فى ذراع شاة وقدمتها الى الرسول الكريم كهدية ، وعندما لاك النبي منها شيئا اخبرته – بطريق المعجزة – بانها مسمومة ، فتركها ، وكان ذلك السم الزعاف يؤثر فى جسمه الشريف يوما بعد يوم حتى سبب وفاته ، وكان يقول فى مرض الوفاة : ان كل نبي او وصي نبي لا يرحل من الدنيا الا شهيدا » .

لبنان – بيروت : مجتبى الحسيني



ابحاث ودراسات











وصلت الى بغداد بعد عشر سنوات من مغادرته لها الى منصب وزير لبلاده الشام بعد ان كان بأرض الرافدين رئيسا للبعثة الدبلوماسية السورية ، عشر سنوات مرت ولكن ذكره الجميل في المجتمع العراقي لم يترك البلاد ، فقد عرفه الى جانب السفراء والوزراء عدد كبير من رجالات الفكر والادب والشعر ظلوا يعطرون المجالس بالحديث عن فوائده وموائده ، وعن خلقه الكريم النبيل .

والحقيقة ان شخص الاستاذ خليل لم يكن غريبا عني فقد كان شرف التعرف عليه عندما أديت زيارة خاصة أليه في دمشق اثناء عودتي من مؤتمر الادباء المنعقد بالكويت سنة 1958 تناولنا فيها حديثا شيقا ما زلت اجتره كلما شعرت بشوق الى تلك الديار ، لقد كان الرجل مثلا صادقا لما ينبغي ان يكون عليه العلماء الافذاذ من اطلاع غزير وانقطاع للبحث ونظر بعيد لحقائق الامور .

وبالرغم من ان الرجل تقلد مناصب سياسية سامية في حياته فكان سفيرا مفوضا لبلاده بالخارج، وكان وزيرا مرتين : تارة للتربية واخرى الشؤون الخارجية الا ان كل ذلك لم يملأ قلبه بقدر ما ملاه حب الكتاب وحب الاخوان ولذلك فهو صادق مع نفسه اذ يقول :

أنا لست أعنى بالسياسة ، انما
هي نفثة من ذي جوى منهوك

عمل امينا للمجمع العلمي بدمشق قبل ان يتقلد رئاسته ، وكان في الوقت ذاته عضوا لمجمع اللغة بمصر كما كان عضوا للمجمع العلمي العراقي.

اعتكف على دراسة المصادر القديمة فحقق ديوان ابن عنين الدمشقي وديوان علي ابن الجهم ، وديوان ابن حيوس (بالياء) وديوان ابن الخياط الى آثار فريدة اخرى تتناول الجاحظ وابن المقفع وابن العميد والصاحب والفرزدق ...

وقد اتحفنا المجمع العلمي العربي بدمشق ، اليوم ، بديوان العلامة لراحل الذى اشرف على طبعه والتعليق عليه الاديب الكبير عدنان مردم بك نجل المرحوم خليل ، وقدم للديوان صديقنا الدكتور صليبا عضو المجمع العلمي العربي فكان وفيا في التقديم ، مبرزا في التعريف بزميله لذى كانت تربطه به صلات وصلات ، ومن غير جميل يعرف عن خليل ؟ لقد كانت مقدمته دراسة مستوعبة مركزة لشاعرية الفقيد ونفسيته ومناهجه في الحياة ... واسهم اخونا الدكتور سامي الدهان رحمه الله بدوره في تقديم الديوان فحاول أن يقدم الشيخ مردم في ترجمة مفصلة ، ابتداء من دراساته الدينية الاولى ، الى ان انطلق يحقق ويعلق وينشر، الى نضاله ومتابعته من طرف الاستعمار الاجنبي ، الى انكبابه على وضع اسس البحث للاجيال القادمة ، الى تنقله عبر الاقطار بعد ان توجهت اليه الانظار ، الى ان عاد الى بلاده يخدمها بكل ما يملكه من نفس ونفيس .

لقد اخرج الديوان اخراجا بديعا ورائعا حقا – وكنت اتمنى – وما ازال – ان يصل الديوان الى كل بيت من بيوتنا نحن الذين تربطهم بالشرق آصرة الوجود والخلود ، فان المواضيع التي تناولها ليست وقفا على دمشق ولا بعلبك ولا بيغداد ولا القاهرة .. ولكنها مواضيعنا نحن كذلك ، فكلنا عاش فترات النضال والكفاح ، وكلنا يعيش على مقدسات الآخر ، وبالتالي فان كل وحد من ابناء هذا المغرب يحس جيدا ، وبنفس الحرارة ، ونفس الحماس ما كان يحسه شاعر او كاتب من ابناء ذلك المشرق ..

وابادر الى القول بأن شاعرية خليل مردم كانت محل اجماع من لدن كثير من الرواد الذين قرأوا له او سمعوا عن ادبه واجتمعوا به ، وقد كان في صدر الذين تحدثوا عنه الامير شكيب ارسلان الذي يحليه في تواضع بهذا الغرر :

.. كم هام قلبي بالخليل ابن مردم
هناك الهوى العذري قد صحب العذرا

اجل سراة الشام بيتا ، وانه
لاحدثهم سنا واكبرهم قدرا

وارجحهم ذرعا واطولهم يدا
واكرمهم نجرا واصدقهم فجرا

أتاني قصيد منه يبغي اجازتي
وهل لضئيل النجم ان يقبس البدرا

وكيف يجيز المرء من بان شاوه
عليه ؟ وهل للفتر ان يعدل الشبرا ؟

وجاء بشعر كدت عند نشيده
أشكك هل بالشعر جاء أم الشعرى

وعندما زار الشاعر العراقي الكبير معروف الرصافي الاستاذ مردم في الشام صحبة الشيخ عبد القادر المغربي قال هذا الاخير للرصافي: دعه يسمعك شيئا من شعره ، واشار الى خليل ان يتلو بعض شعره على العادة المتبعة في مجالس العلماء وكبار الرجال فاستجاب خليل للطلب ، واندفع الرصافي – وهو المشهور بتحفظه في تقدير نتاج الادباء – اندفع



شاعر الشام الاكبر خليل مردم بك وسفير سوريا بالعراق ووزير خارجيتها

يستزيد خليل من شعره مستحسنا ما يردده من جميل النظم (1) .

واني في هذه العجالة اليوم لا اريد اكثر من اثارة الانتباه الى هذا الاثر الفذ الذي قدمه الينا مشكورا المجمع العلمي بدمشق في جملة ما قدمه من تحف وروائع ولكني مع ذلك سالتقي مع استاذنا خليل مرة اخرى عندما اقوم باستعراض نماذج من شعره روجتها مجالس بغداد قبل ان تظهر على الديوان ، ورددتها محافل الادب والعلم هناك قبل ان تصلنا منتظمة مرتبة منسقة مجموعة مشروحة.

لقد احتفى العراق بالاستاذ جميل قبل ان يلتحق بمهمته في بغداد ، وكان من المع المبادرات والالتفاتات التي آثره بها احتضانه من قبل المجمع العلمي العراقي عضوا مراسلا له ، وتلك مزية كبرى لم يحظ بها الا ثلة من العلماء في العالم العربي من امثال عبد القادر المغربي ، ومحمد كرد علي ومحمد بهجة البيطار وعبد ربه ...

---

(1) جريدة (الحارس) البغدادية ، السنة الاولى ، العدد 16 بتاريخ 12 مارس 1953 ، وقد كان يصدرها الصحفي المعروف الاستاذ صبيح الغافقي آنذاك .

كان على صلة مستمرة في بغداد بالشيخ الكبير السيد محمد رضا الشبيبي نظرا للصداقة التي كانت تربطهما معا منذ نهاية الحرب العالمية لاولى ، كما كان على علاقة متوالية بالشيخ العلامة محمد بهجة الاثري عافاه الله ..

واذا كان من الملاحظ لدى السفراء اعرب وجود تقارب تلقائي بين الدبلوماسيين السوريين واللبنانيين في كل بقعة فان صلة الاستاذ خليل مردم بمعالي السيد كاظم الصلح الذي اصبح سفيرا لبلاده في بغداد منذ 3 نونبر 1953 كانت من المتانة بمكان نظرا لما يجمعهما ، اضافة الى علاقة الجوار، من هواية ادبية طاغية .. كان مردم طرزا فريدا من نوعه في الرقة والخلق والنبل يفيض الدفء على المجالس التي يحضرها ويضفي عليها من سحر حسه ومعناه ..

ولنتناول من بغداد يانع هذه المقطعات الجميلة التي قراها له اخوة هنا فتاثروا بنصها ومضمونها وعدوها من التراث الذي تغنوا به على مجلاتهم وصحفهم ..

لقد حفظ الناس هناك قصيدته بعنوان (الطفل) التي كانت جريدة (الحارس) نشرتها له في عددها الصادر يوم 15 فبراير 1952 . وهي من القصائد التي ظهرت بالديوان المتحدث عنه والتي قيل فيه انها نظمت بالاسكندرية منذ سنة 1926 ؟ ويلاحظ ان المنشور منها في جريدة (الحارس) كان مختارا من قبل الشاعر نفسه كما يشهد ذلك خطه بأنامله على ما ترى في الصورة المصحوبة .

الطفل

أملٌ تدركه العينُ وأينْ ... بعد إدراك المنى قرةُ عينْ
صورةٌ من صور الله التي ... خلصتْ من كل تحريفٍ ومَيْنْ
ولدي شطرُ فؤادي انما ... بكَ أنشا الله خلقي مرتينْ
كان لي قبلكَ نفسٌ فاذا ... أنا مذ أهلَلتَ أحيا باثنتينْ

. . . . . .

هَشَّ لما دغدغته أمُّهُ ... ودنا من وجهها بالراحتينْ
مَنْ رأى عيسى يناجي مريما ... أو رأى الزهرا يناغيها الحسينْ
واذا ما عبستْ في وجهه ... عبثاً أو دفعته باليدينْ
جمع الأنفَ وضمَّ الشفتينْ ... وزوى اللحظَ وبين الحاجبينْ
وبدا الغيظُ ولو دافعه ... والحيا في وجهه ممتزجينْ

. . . . . .

سُنَّةَ البدر أرى في وجهه ... وبعينيه التلاوة الفرقدينْ
أشقرُ الشعرِ على جبهته ... طُرَّةٌ من ذهبٍ فوقه لجينْ
ما على الناظرِ لو عَوَّذَهُ ... بالمثاني السبع او بالسورتينْ

وقصيدة الطفل هذه الاسكندرانية البغدادية تعبر عن العاطفة المرهفة التى كان يتمتع بها خليل كاب ، كما انها تصور بدقة وسلاسة كذلك ملامح الطفل عندما يشعر بتغير فى الاجواء التى من حوله، والقصد بالطفل الى ابنه هيثم الذى توفى شابا . يقول خليل :

امل تدركه اعين واين
بعد ادراك المنى قرة عين

صورة من صور الله التى
خلصت من كل تحريف وشين

ولدي ! شطر فؤادي ، انما
بك انشا الله خلقي مرتين

كان لي قبلك نفس فاذا
انا مذ اهللت احيا باثنتين

— ❊ —

هش لما طفلته امه
ودنا من وجهها بالراحتين

من راى (عيسى) يناجي (مريما)
او راى (الزهرا) يناغيها (الحسين)؟

واذا ما عبست فى وجهه
عبثا او دفعته باليدين

جمع الانف وضم الشفتين
وزوى اللحظ وبين الحاجبين

وبدا الغيظ ولو دافعه
والحيا فى وجهه ممتزجين

— ❊ —

سنة البدر ارى فى وجهه
وبعينيه التلاف الفرقدين

اشقر اللون على جبهته
طرة من ذهب فوق لجين

ما على الناظر لو عوذه
بالمثاني السبع او بالسورتين

وفى بغداد ايضا حيث يحن المرء – مهما كان مركزه ومهما كثرت وسائله ، الى اهله والى متعلقاته، نجد له قصيدة اخرى ولكنها ليست فى الطفل اي طفل بل فى حفيده من بنته الست اميمة حرم السيد وائل احمد قدري ، والقصد الى احمد الذى يدرس الطب بالشام اليوم (1) :

يشغلني بحبه
احمد عن كل أحد

اذا تناغينا معا
لم تدر منا الوالد

اعيد ما يقوله
وان اقل شيئا يعد

مصفرا مزحما
ويكتفي ويقتصد

وان رآني مقبلا
زفزف زنديه ومد

ولم يزل مزقزقا
كأنه طير غرد

ضممته وضمني
حتى التقى فم وخد !

قبلني واحدة
قبلته بلا عدد

يريد ما راى وما
طالت يداه او وجد

(1) كل حفدة الاستاذ خليل مردم بك ، فى حياته ، من ابنته أميمة شقيقة الست فاطمة حرم الاستاذ فخري شيخ الارض سفير المملكة العربية السعودية ، ولاحمد المذكور اخ هو السيد زيد الذى يدرس الحقوق بين ظهرانينا بجامعة محمد الخامس .

حتى اذا ما نالـه اب
تولى عليـه واستبـد

نظارتـي او ساعتـي
يأخذهـا ولا يـرد

وربما اغتـاظ ـ اذا
منعتـه شيئـا وصـد

بينـا تـراه وادعـا
اذا بـه ظبـي شـرد

عوذتـه بالـمورتيـ
ـن وقل هو الله احـد

احـب اولادك مـن
انـت له اب وجـد

اسبابه اكثـر في الـ
ـقربي واعلـى واشـد

اعرقهـم بنـشـوة
اعاقهـم بالقلـب يـد

ليس احـب من ولـد
للأب الا ابـن الولـد

واذا ما ودع خليل بيته مرة من المرات الى سمر ممتع فانه يمسي ذلك الفنان المبدع الذي يندمج مع الحسن والجمال ويتحسس مباهج الحياة واشراقات البسمة ، واعتقد ان قصيدته بعنوان (ليالي بغداد) من اجمل واروع ما انشد في بغداد الجديدة فعلا بكل لحن ونغم ، في كل زمان ومكان ، واذا كان القاريء ، اي قاريء ، يمكنه ان يدرك من خلال الكلمات قوة التعبير وجماله معا ، وصدق الاداء وبلاغته معا ، فان الذين عاشوا ليالي بغداد سواء في صيفها او شتائها ربيعها او خريفها ليشعر بانه انتقل فعلا من حيث هو الى مجلس من مجالسها الدافئة الندية الفنية الشادية العطرة .

لنستمع الى الاديب السفير يقول وكأنه يتحدث بلسان السابقين واللاحقين :

ليـاليك يا بغداد في الحسن كالفجـر
معـطرة الانفـاس طيبـة النشـر

وللنور والسحر المبيـن سوادهـا
كذاك سواد العين للنـور والسحـر

وما روعة الاشراق او رونق الضحى
بأحسن من لالاء انجمـها الزهـر

ففي كل شطـر من صفـاء سمائـها
يلاقيك وجـه بالطلاقـة والبشـر

وما القبة الزرقـاء لـولا نجومهـا
ولولا ازدهـار للهـلال وللبـدر

وبعد هذا يرسم الاستاذ خليل مردم صورتين ناطقتين لنهر دجلة : احداهما نهارية والاخرى ليلية ليتخلص من ذلك للفت النظر الى ان بغداد ما تزال هي هي : انشودة الغزلان والسلوان ورحلة ممتعة دائمة في الف ليلة وليلة من النشوة والمفاجأة والحلم اللذيذ . .

اذا الريح مرت فوق (دجلة) رفرفت
باجنحـة فيها الـزوارق اذ تجـري

وبات شعاع النور في المـاء شعلـة
تشب باحشـاء الميـاه وتستشـري

ورب فتى امسى على الشـط منشـدا
«عيون المها بين الرصافة والجسـر(1)»

---

(1) اشارة الى بيت الشاعر علي بن الجهم صاحب القصيدة المشهورة :

عيون المها بيـن الرصافـة والجسـر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

وقد كثر التضمين والتلميح لهذه الرصافية ،واذكر من ذلك ما ورد في قصيدة للاستاذ الشاعر المحامي انور عبد الحميد السامرائي القيت في جمعية المؤلفين والكتاب مساء يوم 13 ـ 3 ـ 1972، وذلك في الشعر الذي يشير فيه كذلك الى الدكتور زكي مبارك في (ليلى المريضة بالعراق).

« هاد ! ويا نجمة كانـت ببغـداد ترعى الاحبـة مـن قـاص ومن دان
الكرخ يشهد والجسر الذي رقصت امس عليه (مهـا) في خيـر فستـان
كان «الزكـي» بليلى امـس مفتتنـا ماذا تقول وانت العاشـق الثانـي
الجمع يشهـد والتلفـاز ايدهـا بـان حبـك مفتـون « ببغـدان »

فاوردني ما قد تحاميت ورده
زمانا، وهاج الوجد والشعر فى صدري

فيا ليلة من دونها (الف ليلة)
شاذكرها بالخير ما مد فى عمري

شهدت بها ما يملأ النفس بهجة
ويقضي على العينين والقلب بالأسر

واذا تصدى الاستاذ خليل يرحمه الله لوصف جمال الحسان فانه كذلك يحلق ويتوفق ويتفوق ، وهو الذى يعرف عن تلك الوجوه النضرة التى تظهر من خلال العبايا السود وكأنما هي باقة من ورود فواحة يعلوها خفر الاعراب ان هي كانت عربية ولثغة الاعجام ان هي انتسبت الى جهات اخرى :

كان الحسان الغيد يخطرن بيننا
ملائكة الرحمن فى ليلة القدر

فكم غادة تصبي الحليم بسحرها
تضيء ظلام الليل كالكوكب الدري

تفتح اعلى الثوب عن غض جسمها
كما انشق كم الزهر عن ناضر الزهر

تقلص عن صدر وظهر سواده
كما انشق ليل عن عمود من الفجر

تشبث لما زل اعلاه عنهما
بناهد ثدييها ودار على الخصر

تموج دون الكشح وانداح ذيله
فكانت كمن يطفو على لجج خضر

يزيد بريقا عقدها فوق نحرها
فنور على نور حلاها من النحر !

اذا ارطنت كانت لكسرى وقيصر
وان اعربت فهي الصريحة من فهر

ارى سهري فيها الذ من الكرى
بعيني طليح من سهاد ومن سكر

ويظهر ان ايام خليل ببغداد كانت بالنسبة اليه، وفى ظروفه الخاصة بمثابة فترات استجمام واستحمام انشغل بها عن المضاعفات التى عرفتها سوريا على ذلك العهد ، ولذلك فانه فى آخر هذه القصيدة لم يتردد فى الاعتراف بانه سوف يظل وفيا الذكر لياليها وقبابها الزبرجدية المتلألئة :

وما انس من شيء فلا انس ليلة
تبسم فيها الافق عن بارق يسري

بدا من اهاضيب السحاب كأنه
خوافق رايات على عسكر مجر

تألق فى الافق الشامي موهنا
يضيء ويخبو كالمشير الى أمر

فحيى قبابا فى العراق منيفة
وايقظ من نوم (با الهول) فى مصر

رجوت لبغداد رجاء المحب ان
تعود لياليها بايامها الغر !

وهكذا فلم تحركه اجواء اوربا بما عرفه الناس عنها من مغريات ولكن جو بغداد بما عرف عنه من عرف عنه دفء وحرارة ، وما يضمه من مفاتن خفية هو وحده الذى هز مشاعره المسكوبة فى ذلك البديع من الشعر الساحر عن القول .

وبالرغم من انه انشد قصيدته البغدادية تلك وهو ما يزال بالعراق اوائل 1953 لكنه لسبب او آخر لم ينشرها ــ حسب علمنا ــ على اعمدة جريدة او مجلة ولو انه كان يناسم بها الخلص من اصدقائه والاقرباء من جلاسه ، وبعكس ذلك نقرا له فى صحيفة (الحارس) السالفة الذكر بالعدد الصادر يوم 12 دجنبر 1953 القصيدة التالية :

قالت : شهدت القوم ذا
ت عشية يتناشدون

شعرا كرنات المثا
ني يستخف السامعين

حتى اذا رق الحدي
ث عن المنى وعن الشجون

الله يعلم ما ذكر
ت سواك حين علا الحنين

قل لي بربك ، سحر شع
رك وحيه انى يكون ؟

— * —

فأجبتها بابي وامي
تعلمين وتسألين ؟

السحر من سحر العيـ
ـون وعندك الخبر اليقين

والوحي من وحي الجفـ
ـون وما اخالك تجهلين

فتبسمت خفرا وقا
لت : عندك السر المصون

والاستاذ خليل الى جانب حديثه عن الفن والجمال هناك نراه فى مناسبة اخرى يرسم صورة كاريكاتورية هزلية لمخلوق غريب تخيله او اصطدم به فعلا ، وفى الناس – فى كل مكان وزمان – نجد طائفة من الصور تصبح بمنزلة (ديكور) تتميز به بعض المحلات او المقاهي او الازقة والاسواق ؛ لنستمع الى الدبلوماسي مردم وهو يمسك ريشته ليقدم لنا هذا المخلوق :

احفى شواربه واحيته معا
ارايت راس التيس ساعة يسمط

ومشى العرضنة حاسرا عن راسه
فكانه اذ ذاك قرد اشمط

ويشير اذ يهذي بعشر اصابع
يدور مثل ابي الرياح ويلبط

وكلامه متقطع بسعاله
كالعير يبهر فى النهيق فيمعط

فكانه بضجيجه وعجيجه
ذو جنة بقيوده يتخبط

— * —

لم يحكه فى القبح الا كالح
سمج الجبلة بالنذالة مفرط

قد جف من ماء الكرامة وجهه
لكنه قحة ولؤما ينقط

جهم كظل الصخر من يره يقل
هو وجه ميت فى السخام محنط

فاذا تمعر او تكشر ضاحكا
فكانه من وجهه يتغوط !

واذا تنحنح فى الكلام حسبته
ثورا يخور على العليق ويتحط

قصائد لا تتعدى الخمس اثناء مقامه فى بغداد ولكنها فرائد ظهر فيها ابا جديرا بالابوة يرى فى طفله استمرارا لكيانه فهو يحنو عليه ويتصابى معه، ويتصور فى طلعته البدر وفى التلافه الفرقدين .. كما ظهر فيها فى الوقت ذاته ابا مكررا او جدا بالتعبير القديم . وهنا نلاحظ درجة اعلى من التعلق والانشغال ... فهو لم يعد سفيرا ولا وزيرا يزن الكلام ويحترم مخارج الحروف ويتجنب مكرر القول ولكنه ينزل الى حيث يستحسن بل يجب النزول : يناغي حتى لا تدري من هو الصغير اخليل الجد ام احمد الحفيد ؟ يلثم ولا يشبع من اللثم . ويضم وينسى انه ضم ! نظارة الشيخ وهي عيونه ، يسلمها املا فى أن تسلي الصغير ، والساعة وهي التي تضبط اوقات التزامات الدبلوماسي تمسي اداة لعب بيد الصغير ..

ويودع جو البيت لنجده ساهرا مع ليالي بغداد الحالمة ، يصف صفاء سمائها وتألق نجومها ، دجلتها وقد انعكست عليها انوار شارع ابي نواس فجعلت منه منارة داخل مغارة يربط بين عهد مضى لبغداد وعهد حاضر لها ، كلاهما يحاول الابقاء على الصلات ، ونشترك الشاعر المبدع هناك فى ليلته التى اختصرت الف ليلة ، مع ملائكة الرحمان وصبا النشوان ، مع « التفتح » و « التقلص » و « التشبث » و « التموج » .. مع مناغاة نديم تغيب عنه قواعد الاعراب احيانا ليجد نفسه حينا آخر متحدثا بلسان الروم وفارس ! ليلة استعذب فيها سهره .. ولم يكترث فيها لشكوى جفنيه !

ونترك هذا الميدان الى آخر ، الى الهجو ان شئت ان تقول فنجده يبرع فى اداء رسم لاذع لانسان اقرب الى التيس منه الى الحيوان الناطق ، زينته تقرف ، وخطواته تقصف ، وحديثه هذيان ، وصوته نهيق ، وخلقته سمج ، وروحه كالصخر ، ضحكته قذرة ، وهمسته افلاس !

ذلك خليل من خلال هذه البغداديات ، ولو انك صحبته فى رحلته الطويلة فى خلايا ديوانه لرايت الوانا اخرى ممعنة فى الجدة ومتقنة الطراز ، ومن اجل ذلك فانه ولو ان الموضوع يقيدنا لكننا مع ذلك

سندعو القارىء للبقاء معنا قليلا في تصفح بعض ذلك التراث الجليل .

اقرا قصائده في الوصف والوطنيات والنسيب والاجتماعيات والاخوانيات والمراثي والاسلاميات .

واقرا على الخصوص من قصيدته (البرلمان) هذه الابيات :

البرلمان ، وهل أتاك حديثه
وحديث من فيه من النوام ؟

ملك الحياء عليهم أبصارهم
فعيونهم بمواطىء الاقدام

حقروا نفوسهم فلم ترفع لهم
أيد لرد تحية وسلام

عكفت زواياه على اصنامهم
من لي بابراهيم للاصنام ؟

واقرا من قصيدته (الحلف والجار) التي نظمها في اعقاب حوادث الاسكندرية :

اجارك الله ، هذا الحلف والجار
عليك — لا لك — اعوان وانصار

هم حكموا ، فاذا التحكيم عندهم
تحكم واذا التخيير اجبار

الخصم يحكم والقاضي بها همل
والحق يصرع والبهتان سوار

اذا المحامي أعان الخصم في ترة
فليت شعري ممن يدرك الثار ؟

ولم تمنعه وطنيته الصادقة وصراحته المعهودة ان يتوجه بالخطاب ، الى الرئيس آنذاك بهذا العتاب (1) :

يا لابس الثوب مزهوا بجدته
انظر فقد علقت في ذيله النار

عساك تزعم ان الامر بت به
من دون علمك : ما في ذاك اعذار

يقضي على حقنا بغيا وليس لنا
علم ، لعمرك هذا الهون والعار

ويل الضعيف واف للقوي اذا
لم يبق للعدل ايراد واصدار

اذا الممالك لم ترفع قواعدها
على الاسنة فالبنيان منهار

واقرا في قصيدته : (واعربيتاه) هذه الابيات :

هجروا من الكلم الصحاح سخافة
واستبدلوا بعرابها اعلاجها

لم يتركوها بعد ذاك وشأنها
بل اجهزوا كي يطفئوا وهاجها

هذي اللغات على حداثة سنها
امسى جوادي تاليا هملاجها

— * —

واضرب بطرفك هل ترى من امة
عقدت على هام المجرة تاجها

الا وللغة المقام المجتبى
جعلوا الى هام السها معراجها

والى هنا عقل البكاء لسانها
والحزن حتى ما تسيغ مجاجها

لله مرتجا عليها في الاسى
ما كان أبين في الاسى ارتاجها

فاقصوا معي نذر الدموع على التي
رتجت عليها الحادثات رتاجها

واقرا من قصيدته (لوجه الوحدة) هذين البيتين :

قالوا: وفي الدين بون دون وحدتنا
الى متى باسم هذا الدين نقتسم

لئن اصروا على اهواء انفسهم
لا الدين يبقى ولا الدنيا ولا الشيم

(1) مجلة البعث العربي ، للاستاذ الحاج نعمات العاني، السنة الاولى، العدد الاول 15 دجنبر 1951 .

واقرا من قصيدته (شكوى الدهر) هذه الابيات :

الى الله اشكو البث والحزن، وحده
فاني لقد ضاقت علي مذاهبي

واسلمني دهري لكل ملمة
وانكرني صحبي وادنى اقاربي

وكل خليل كنت آمل وده
نأى ثانيا عطفيه عني بجانب

واقرا من رسائله الشعرية الى الامير شكيب ارسلان هذين البيتين :

اجزني امير الشعر بالشعر انني
اراني لم اسلك به مسلكا وعرا

رددت عليه حسنه بعد ما زوى
قرونا فاضحى غصنه بك مخضرا

واقرا رسائل الامير اليه مداعبا حول هوى رجال الاربعين وجواب خليل عليه .

واقرا من قصيدته نفحة نبوية يخاطب فيها الرسول صلى الله عليه وسلم :

يا رسول الله شكوى
ذي شجون وظلامه

نحن فى الشام نقاسي
فوق اهوال القيامه

ما لنا من امرنا حتى
ولا مثل قلامه

اخذوا الامر واعطو
نا (المعالي) و (الفخامه)

هل يصير الهر ليثا
حين تدعوه اسامه ؟!

ولنذكر اخيرا ان النشيد الذى حفظناه فى المدارس الوطنية والذى جعلته سوريا نشيدها الرسمي لم يكن الا نفحة زكية من نظم خليل رحمه الله :

حماة الديار عليكم سلام
ابت ان تذل النفوس الكرام
عرين العروبة بيت حرام
وعرش الشموس حمى لا يضام

تلك مقتطفات جد مختصرة من شعر الاديب المجمعي الدبلوماسي السياسي ؛ قصدت بها فقط دعوتك الى قراءة ديوانه لتحيى مع الشعر النافذ الصادق الهادف .

الرباط ـ د. عبد الهادي التازي



سادتي الاساتذة الاجلة .

هناك نظرية عند أصحاب اللسنيات الحديثة (الاتجاه البنوي) تدعى أن الانسان لا يتكلم باللغة ، بل اللغة تتكلم فيه ، أو تتكلم به .

وسواء قبلنا او رفضنا هذه النظرية ، فلن يمكننا ان ننكر أننا فى بعض الحالات : نتكلم فنقول اكثر مما كنا نريد قوله . لذا ما اخالكم الا متفهمين ما قد تجدونه فى هذا الحديث من جراة ، انها حديث عاشق حبب اليه أنن يتحدث عن حبيبته ، اقتداء بفضيلة الاستاذ الجليل محمد بهجة الاثري فهو لم يتمكن ، فى افتتاح هذا المؤتمر المبارك ، من كتمان سر حبه العميق لعزيزتنا المشتركة .

لكن ، رغم هيامنا بلغة الاجداد والمجد والكرامة يجب الا نغمض أعيننا عما نظلمها به ، وعما تظلمنا به .

ومن لم يذق ظلم الحبيب كظلمه
حلوا ، فقد جهل المحبة وادعى

— ◆ —

للمشاركة فى الكتاب التكريمي للاستاذ الدكتور ابراهيم مذكور ، حررنا بحثا عنوانه : « ما الانسان ؟ » فحللنا ثمانية تعاريف ، من بينها واحد مشهور هو : « الانسان حيوان ناطق » وبعد النهاية من كتابه الموضوع : ظهر أننا لم نعن بهذا التعريف بالقدر الكافي من العناية ، لذا اخترنا فرصة اليوم لتناول هذه النقطة بشيء من التحليل ، شاكرين للاساتذة الخالدين ما سيتفضلون به من ملاحظات تعيننا على تعميق هذه التأملات المتواضعة (2) .

— ◆ —

اللغة اداة تفكير وتواصل ، اي من صميم ما يحدد كيان انسانية الانسان . لذا ، لا يمكن التعرف على الانسان خارج الحقل اللغوي ، كما لا يتصور وجود لغة دون اناس يتكلمونها . وهذا الارتباط يخولنا ان نؤكد : أن الانسان لغة ، ولازمة هذه القولة هي : اللغة من كيان الانسان ، فلا انسانية بدون لغة .

— ◆ —

كثيرا ما تصدى المهتمون بقضايا اللسان العربي، بدافع من المحبة والذاتية ، الى نوع من التمجيد والحماسة فى اظهار قداسة لغتنا ، أكثر مما تصدوا ،

(1) المؤتمر ، القسم الثاني : البحوث (1) صفحة 27

(2) نعتبر حديث اليوم ذيلا وتكملة للموضوع المشار اليه عن الانسان .

بدافع الموضوعية ، الى اعتبارها بعـــدا من ابعـــاد الشخص ، فلم يظهروا علاقاتها بالواقـــع الانسانـــي والمجتمعي .

سنضع اشكاليتنا فى نطاق الشخصانية الواقعية، لان هذا الاتجاه الفلسفي يبحث عن وسائل تحقيـــق الانسان : فيحرص على ابراز خاصيات الشخـــص الحاسمة التي تجعل الكائن البشري يتناسق فى العالم، ومـــع العالـــم .

فلا بد من التنبيه الى تفاهة كل محاولة لتعريف الانسان من جانب واحد ، يجب أن نعتبر الانسان كائنا متكاملا، لا يحدد من واجهة واحدة، لان واجهاته كثيرة، متفرقة ، متباينة ، بل احيانا متناقضة . لكن ، بالرغم من تشعب الجوانب وعدم الوحدة والانسجام الكامل، تبقى اللغة اداة لاجلاء الانسجام والتناقض ، ووسيلة العمل للوصول الى الاول والتغلب على الثاني .

— ◆ —

كل التعاريف التي اعطيت لـ « انسان » بقيـــت دون الوفاء بتخصيص محمولات مفهومه الحاسمـــة ، باستثناء واحد منها ، يظهر لنا انه قمين بأن يقترب من ذلك . هذا التعريف هو : الانسان حيوان يتكلم . .

— ◆ —

الكلام اهم خاصيات الانسان ، وعماد الكلام هو اللغة، بدونها لا نطق، ولا منطق ، ولا حوار مع الطبيعة، ولا تواصل بين الاجيال وبين العصور ، هذه هي الابعاد الافقية للشخص .

بدون اللغة ، كذلك ، لن يتمكن الشخص مـــن معرفة ابعاده العميقة (مثل : الحريـــة ، والقيـــم ، والتملك) (3) . وبما ان اللغة ملتقى مجموع ابعـــاد الشخص ، وجب أن تتبوأ الرتبة الاولى فى البحث عن الانســـان :

انها جوهر الكلام والنسق الـــذي تصبح فيـــه المقاطع الصوتية هادفة ، تواصلية .

— ◆ —

الفيلسوف ليس بالرجل الاختصاصي (بالمعنى التقني) ، ولا بما يسمى ، فى الاصطلاح المعاصـــر ، بالمثقف . انه رجل التامـــل ، أو ان شئتم : انـــه الاختصاصي فى « الاوليات » . مهمته أن ينـــزل الى العناصر الاولى للكائن والى الاسس التي ينبني عليها التفاهم والتواصل بين الناس . انها مهام جد ضخمة ، واللغة وحدها الوسيلة والمحج ، ومما يزيد فى صعوبة الفلسفة ، ان الفيلسوف يستعمل ، كذلك ، اللغة لفهم كينونة اللغـــة .

البناء : مثلا لا يضع الحجر والجبـــس والمـــاء والآجر كما تيسر ، بعضها فوق بعض ، بل يعمل على ان يحصل بين تلك العناصر المختلفة تلاحم خاص ، وتناسق تام ، بحيث تضمحل « شخصية » الحجر ، وشخصية الرمل ، وشخصية اللبنات ، لينتج عـــن انعدام وجودها الذاتي كائن جديـــد ، هو الجـــدار : الجدار ليس الحجر ، ولا الرمل ، ولا الماء . . . ولكنه كل هذا وزيادة ، وتلك الزيادة سلبية ، لانها نكـــران فردية الاجزاء فى حقيقة الكل .

كذلك الانسان : انه يتكون من عناصر ، ولكنها ليست هي اياه ، وليـــس هو اياها .

وبالنسبة للغة ، نفس الحال : اللغـــة مقاطـــع صوتية ، تفاهم وسوء تفاهم ، معان عن الواقع واخطاء، صدق وكذب ، حروف مجهورة واخرى مهموسة . . . كل هذا فى اللغة ومن اللغة ، ولكنه ليس هو اللغة . هناك ، فى ظل المقاطع ، ووراء المعاني : حياة وانفاس، وقوى تؤكد وجودها بما تحملها اللغة وبما لا يظهر من خلال شفافية اللغة .

— ◆ —

لعالم بيولوجي شهير كتاب عنوانه : « الانسان هذا المجهول » حقا : هناك جهل بالانسان ، ولكـــن الانسان يعي جهله ، لانه يتكلم عنه ، أي يجسده لغويا، لانه يضيء الجهل بالفاظ تخرجه من ظلام الغموض الى وضوح الوعي الذي يحدد مدى الجهل ويخطط طرق القضاء عليه . فدور اللغة ليس تعبديا ، وان كان من

(3) للتفرقة بين الابعاد الافقية : والابعاد العمقية ، كتابنا : De l'Etre à la personne, Paris, P.U.F. من ص 133 الى 338 .

اللزوم التعبد باللغة ، عن طريق الحوار الداخلي (المناجاة) والخارجي :

« اياك نعبد .

واياك نستعين .

اهدنا الصراط المستقيم .

صراط الذين أنعمت عليهم .. » (4)

— ◆ —

الميثولوجيا (5) تعابير عن واقع واحساسات تعجز عن توضيحها اللغة ، كما تثبته سيكولوجية الاعماق ، وتعتبر بعض الاتجاهات البنيوية المعاصرة ان الميثولوجيا نظام الحياة الذهنية والوجدانية لدى الشعوب ، وعلى الخصوص الشعوب البدائية .

والامة العربية التي ليست في طور البدائية ، تعامل اللسان العربي كما لو كان أسطورة ميثولوجية . فلقد رسخ في ذهنية أوساط العامة ، وحتى عند بعض المغفلين من الخاصة ، ان اللغة العربية « لغة أهل الجنة » خلقت كاملة ، وقواعدها قارة ، نحوا وصرفا ... لذا كل من اراد محاولة اصلاح نزلت به صاعقة اللعنات من كل صوب . كذا ايقونا نعتقد ان لنا لغة ، وهي ليست لنا جميعا بالتساوي : انها لغة نخبة قليلة في المحظوظين يستعملونها في الكتابة والمحاضرات الرسمية . اما الجمهرة الساحقة منا ، فتكتفي بمتعة الاستماع الى رنات عذبة ، تنمو عذوبتها بقدر ما تبقى بعيدة عن افهامنا . لقد حرمنا لغتنا حرمانا لاننا حرمنا عليها الحركات تحريما ، فأعدمنا نصف عناصر كل لفظة . ان اللفظ المكتوب معطوب 50 ٪ ، واما الكلام المنطوق فدارجي ...

— ◆ —

كل امة لا تستطيع ان تغذي ذاتيتها من التاريخ القومي الا بواسطة اللغة المشتركة بين المنطوق (الاجيال المتواجدة) والمكتوب : أي تاريخ الاجيال السابقة ، فشعوبنا في معظمها امية ، اي غير قادرة على التواصل بالمكتوب ، بماضي الاجيال السابقة ، فتعليمها الكتابة والقراءة يقتضيه اشراكها في الانتاج الوطني ، ولكن يقتضيه بكيفية أكثر الحاحا تأصيلها في كيان مجتمعي حضاري تاريخي . قد يكون الامي على هامش الانتاج ، وقد يعتبره الاقتصاديون والسياسيون عاهة ، ولكن اذا اعتبرنا الامية من منظار انساني ، برزت مخيفة : انه اجرام أن نترك امة ، تتعدى 100 مليون نسمة ، منفصلة عن تاريخها ، منشقة في خاصة من الخاصيات الحاسمة التي تحدد انسانية الانسان : هل تستحق أن تسمى « امة » مجموع شعوب لا تتلاحم مع ماضيها ، فضلا عن ان تستقرئه ، ولا تفهم الحاضر لغربتها فيه ، لا تخاطبه ولا يخاطبها ؟ ان الذي فقد لغته ضاعت منه الانسانية . يصبح الكائن انسانا عندما يقدر على ان يتعرف ذاته فيغيرها ويقيمها ، طبقا للصور : النماذج التي يكونها عن الوسط ، وطبقا للصور الذهنية والقيم ، ففي اللغة يتجسد ويؤول كل ذلك ، وبها يترجم ويتبلور في الوجدان . ان اللغة تلتقط الواقع و « تقرؤه » : من الامام والخلف ، ومن الداخل والخارج . صرح بعض فلاسفة اليونان بان « الانسان الذي لا يعيش داخل المجتمع انما هو حيوان أو اله » .

— ◆ —

اذا كان هذا هو دور اللغة ، فما بالنا بأمة لم يجرؤ ذووها الواعون على اثبات الحركات على الحروف ؟ انهم يفضلون الراحة ، مع كتابة الفاظ مبتورة في لغة سكونية (يرضى عنها الفخامات والخواجات) على اصلاح يحي حضارة ، ويؤنس شعوبا تعيش في غربة عن التاريخ ، منشقة في كينونتها (6) .

— ◆ —

الانسان عالم غامض ، مجهول ، ولكنه اكرم عوالم الكون :

« ولقد كرمنا بني آدم .

---

(4) قرآن : سورة الفاتحة .
(5) علم الاساطير : تاريخ عجائب الآلهة والابطال في العصور القديمة .
(6) ندعو الى وجوب وضع الحركات على الحروف ، على الاقل في الطور المدرسي ، الابتدائي والثانوي ، وفي الصحافة اليومية والكتب الموجهة الى العامة . فهذه مرحلة حاسمة في محاربة الامية .

وحملنا في البر والبحر .

ورزقناهم من الطيبات .

وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (7) .

وهذا التفضيل الذي يمتاز به الانسان على بقية المخلوقات ، يتجلى في قدرة الانسان على خلق المعاني ، اي في القدرة على تسمية الاشياء لتمييزها والتصرف فيها ، مما يعجز عنه الملائكة أنفسهم .

« واذ قال ربك للملائكة :

اني جاعل في الارض خليفة .

قالوا :

اتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟

قال :

اني اعلم ما لا تعلمون .

وعلم آدم الاسماء كلها .

ثم عرضهم على الملائكة .

فقال :

انبئوني بأسماء هؤلاء ، ان كنتم صادقين .

قالوا :

سبحانك لا علم لنا ، الا ما علمتنا .

انك انت العليم الحكيم .

قال :

يا آدم ، انبئهم بأسمائهم » (8) .

يظهر ان « سمى يسمى » و « اسم » من نفس الجذر الذي اشتق منه سما يسمو ، وسمو وسماء .

— ◆ —

الالفاظ عناصر بدونها لا يتكون كلام ، ولكن الكلام ليس مجموعة من الالفاظ . ان كل لفظ مشكلة في ذاته ، ما دام يحمل معنى ، او معاني ، والمعنى قوة تربط بين الانسان والعالم ، وبين الناس فيما بينهم ، فكيف تكتسب اللفظة معناها ، اي القدرة على الارتفاع من الحركة الفموية الى الادراك المفهومي ؟ ان النطق بكلمة ، أو كلمات ، لا يكفي لان يصبح لنا مفهوم أو مفاهيم .

للكلمة قوى لا قوة واحدة ، من بينها تلك التي تخول اللفظ الانتقال من المحسوس الى الرمزية ، مثلا في الشعر وفي النثر الفني ، وتخوله تجاوز المعنى العام الى المعنى الاصطلاحي الخاص . فلكل كلمة تاريخ يمتزج بتاريخ الكائن المتكلم . المفردات أودية وأنهار تسيل بدم وعرق وشعور الجنس البشري ، بحيث لا نعرف أنفسنا الا بواسطتها . فتعريف الانسان بالمتكلم ، او الناطق ، لا يقبل الا من هذا المنظار . لذا كانت الفلسفة ، بوصفها تأملا في هوية وماهية الانسان ، مضطرة لان تبدأ بدراسة الكلمات وتحديد معانيها للتعبير عن بعض جوانب الانسان .

— ◆ —

دور الفكر ليس أن يبرهن وحسب ، بل كذلك أن يلتحم مع المفاهيم ليدوتها (9) . ليحياها . لقد قررت الاختبارات السيكولوجية أن ثمة علاقة متينة بين القدرة اللفظية عند المرء وبين نجاحه في الحياة العامة والخاصة . فنمو الذكاء ، لدى الاطفال ، يزداد مع نمو قدرتهم التعبيرية ، اذ لا تفكير بدون كلام ، وان غنى اللغة اساسي لتمتين قوة الفهم . فحتى المونولوغ يعتمد على لغة ، فهو « حوار » داخلي يستعمل الكلمات كما لو كان امام الانا مخاطب خارجي . فالاصم الابكم ضعيف الفهم وضعيف التفكير : فهو لا يتأمل بالمعنى الصحيح ، لان التأمل يحدث حركات عضوية ، انه « حديث » حواري مع النفس ، وكل حوار يتوقف على كمية كلامية . فالحصيلة الفكرية رهينة بالقوى التعبيرية الى حد ان جل المتفوقين في ميدان ما ، تكون ثروتهم اللفظية وفق المعتاد . فالكلمة دائما صدى ، او انعكاس ، او امر (رغبة او نفور) . انها تخلق الاتصال النفساني في الانا ذاته ، وبين الانا والانوات الاخرى . اللغة تجعل الحياة الذاتية حياة مشتركة ،

---

(7) قرآن : الاسراء : 70 .
(8) قرآن : البقرة : 30 ، 31 .
(9) نقترح ذوت يذوت في مقابل Subjectiver .

او « اشتراكية » . فحتى كلمات الادعية والصلـــوات ترمي الى خلق ترابط بين الأنا والتعالي .

الكلمات تفتض صميمية الأنا ، على أي مستوى تبـــوات .

— ◆ —

اللغة كائن يتأسس بناؤه على الكلمات ، ولكنـــه كائن يتعدى الكلمات بمجرد ما يتصل بعضها ببعـــض (نحو ، صرف ، بلاغة ، بديع ، منطق ...) . بالرغم من هذه « العلوم » الآلية ، فاللغة لا تفي بحاجاتنـــا التعبيرية ، لذا نفتقر الى استعمال الرموز ، والخلـق الفني ، على اختلاف اشكاله (الموسيقى ، المسرح ، التصوير ، النحت ، الرسم ...) . وهناك آخر ، هو الرمزية العلمية ، كما في الرياضيات والمنطق الجديد.

ارتباط الفلـسفة باللغة وطيد ، الا ان الفيلسوف لا يهتم بالالفاظ الا بقدر ما تتصل بكائن تاليفي يتجاوزها بتكرانها : الكلمة ايجابية في فرديتها ولكن لها غايـــة تتعداها ، ان « غاية » الالفاظ أن تصبح لغة ، ومـــن وظيقة اللغة ان تدخل في نطاق لسان ، على اعتبـــار وجود فرق بين لغة (Langage) ولسان (langue) .

اللغة من جذر (ل. غ. و.) :

اللغو = التشويش (لغا = قال ما لا يعتد به من القـــول) :

« وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القـــرآن ، والغوا فيه لعلكم تغلبون » (10) .

نفس المعنى في الآية 225 من سورة البقرة :

« لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكـــم » .

وهذا يخالف جذر (ل. س. ن.) :

« وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ، ليبين لهـــم » (11) .

ان التواصل المباشر المبين يكون باللسان اكثر منه باللغة . واللسان قوي للاقناع والدفاع عن المبادىء والمواقف . فموسى يصرح بانه يخاف مجابهة فرعون وقومه ، لذا يرجو أن يصاحبه اخوه هارون، لان هارون: « هو افصـــح مني لسانا » (12) .

— ◆ —

هناك فرق آخر : بين لغة وكلام (او حديث) . فعندما اعتبر اللغة موضوعا للتفكير العلمي تصبح لسانا. اما عندما ، استعملها ، فاني ازمنها ، احينها (اي ادخلها في نمط الوقت الحالي) : اجعلها كلاما لي (اي كلامي) فحديثي ، او تكلمي ، يجعل اللغة شيئا محسوســـا يتدرج في الزمان وينبض حياة ، فيه تتفجر حياتـــي الذهنية ووجداني .

عندما اقول : « احب اللغة العربية » ، احـــدث بكلامي علاقات بين مفردات متفرقة ، فهناك آلاف من اللغات كما هناك ملايين من الاشياء التـــي توصـــف بـ « عربية » ، الا ان الزواج بين « لغة » والمحمـــول « عربية » اتى مني فانا الذي حققته بكلامي ، ثـــم ان لفظ « لغة » لا ــ زماني ، فباستعمال « احب » زمنته .

كل لفظة تتركب من بنية ومن حدث ، وبتفاعلهما الداخلي يتكون نسيج الكلام (13) .

— ◆ —

باللغة يحصل التواصل والائتناس ، ولو اختلفت الاجناس ، وبعدت المسافات ، ففي اواخـــر القـــرن الماضي ، حكى (Romanes) في كتابه تطور الذهنية عند الانسان ، ان (Mallery) اجرى تجربـــة في 6 مارس سنة 1880 ، بالولايات المتحدة ، على جماعـــة غير مثقفة من الصـــم ــ البكم تنتمـــي الى الجنـــس الابيض ، وعلى جماعة من الهنود الحمر ، فلاحظ ان كل جماعة تتوفر بكيفية تلقائية ، على لغة كلها حركات دون الفاظ ، ولكنها مشتركة بين الجماعتين ، مما يسر التفاهم بينهما ، كان هذا التفاهم بتعبير مباشر بسيط:

(10) قـــرآن : فصلـــت : 26 .
(11) قرآن : ابراهيم : 4 .
(12) قـــرآن : القصـــص : 34 .
(13) يفرق القاضي عبد الجبار بين صوت وكلام (المغنى ، ج 7 ص 6 الى 13) .

فغرك كف اليد اليمنى بكف اليد اليسرى معناه : « لا شيء » ، اما ضغط كف اليد اليمنى على كف اليسرى، ووضع ابهام كل واحدة على ظهر اليد الاخرى ، فقد فهم منه : « نحن أصدقاء » (14) .

تدعي المدرسة الجشطالتية (Gestalt) السيكلوجيا المهتمة بالصيغ والاشكال) أن الفرد ، جزء عضوي ضمن كل ، فلا بد لدراسة الجزء من دراسته داخل اطاره الطبيعي ، كذلك نفعل عندما نفسر الاشياء : لا نفسرها تفصيلا واجزاء ، بل كلا ومجموعا، فالتفكير تفكير في الكليات لا في الاجزاء .

يرى (Kohler) الالماني ، رئيس هذه المدرسة، كما يرى أتباعه ، ان من الخطأ ان نحلل الاجزاء لندرك الكل . فلا يفهم الجزء الا في علاقاته مع الكل : فحينما يرى الطفل حيوانا ، لا يكون ادراكه له جزءا بعد جزء : الارجل ، والذنب ، الرأس (واجزاء الراس كالاذنين ، والعينين ...) ، ثم بعد ذلك تحصل للطفل صورة كلية مجموعة عن الحيوان ، لا بل ان الطفل يبدأ بادراك الكل قبل فهم الاجزاء ، فالتجربة تتركز في الاحساسات القادرة على أن تتداعى مع غيرها في ترابط تنشأ عنه تجارب جديدة وفكرات مركبة .

— ◆ —

اذا طبقنا هذا على موضوعنا ، جاز أن نقول : ان اللسان العربي ليس ابجدية ، او مجموعة لهجات ، وليس هو ما بين ضفتي القاموس المحيط وما جاء عند سيبويه والخليل وغيرهما . انه تاريخ ووجدان ، انه انسية (15) وقد تجسدت في الثقافة العربية الاسلامية. فاللسان العربي لا يحيا ولن يحيا الا داخل ميدانه الطبيعي ، مثله كمثل السمك الذي يموت خارج الماء .

قد فطن الفلاسفة الى علاقات اللسان بالمحيط الثقافي ، فانكبوا ، بفضول ملحاح ، على التأمل في اللغة من المنظار الشامل .

— ◆ —

هذا نموذج من طرق التفكير والادراك ، وهناك نماذج كثيرة متغايرة ، نذكر منها المنهج الذي اتبعه سقراط .

الطريقة السقراطية ، طريق السخرية و « التوليد » ، يرمي سقراط من وراء المناقشة الى ابراز خطأ الافكار التي تروج في خاطر المخاطب ، فيعينه على اكتشاف عجزه ، من هذا العجز ينقاد المحاور الى استنتاج منطقي هو انكار فكرته ، أو الشعور بتناقضها .

اذ ذاك يتدخل سقراط ليمهد لمحاوره طريقا فكريا آخر يستولد به الحقيقة ، مستغلا استعداداته العقلية الخاصة ، ليخرج من الشك ويصل الى اليقين . ومهمة سقراط هي وضع السؤال وقلب الجواب على كل وجه حتى يظهر فساده ، هكذا تبقى الاسئلة تتولد، الى ان يعترف المحاور بأنه لا يعرف شيئا ، ويبدأ البحث عن الحقيقة . فالوعي بالجهل مخصب .

اذا تساءلنا كيف تخرج للوجود نتائج « التوليد » كان تساؤلنا في الواقع هو : كيف نعبر عن الافكار .

— ◆ —

مشكلة التعبير من أصعب مشاكل البحث في الانسان ، وقد رسمنا بعض خطوطها في عرض تشرفنا بالقائه على مجمعكم الموقر ، في السنة الماضية (16) نكتفي الان بالاشارة الى نوع من انواع التعبير : الشعر.

— ◆ —

عارض (سارطر) كل أنواع الثنائيات ولم يحتفظ الا بوحدة : المنتهي — واللا منتهي — ان الكائن كله في الظاهرة التي يتجلى فيها وبامكان المتناهي ، هو ايضا، ان يتجلى ويظهر . فالوجدان أو الذات ليس شيئا من الاشياء (فهو ليس جوهرا ، ولا قوة ، ولا مرآة تعكس المادة ...) بل ان الشعور معدوم ، وانما يحيا من الموجودات .

---

(14) انظر كتابنا : « من المنغلق الى المنفتح » ص 179 — 180 (القاهرة ، الانجلو) .

(15) Humanisme.

(16) « الانسان والتعبير » ، الجلسة السابعة ، 1971 .

نظرية (سارطر) هذه لا تفسر لنا كيف يحصل الابداع الفني . كيف يقول المحب الشعر وهو بلا شعور ؟ فالموجودات الخارجية لا تستطيع ان توحي الى اللا موجود . أتأثر بمنظر ، ويزعزعني موقف او ظاهرة ، ولكن الشعر لا يصدر الا عني انا ذاتيا . الشعر شعوري ، وقد تعالى عن المعطيات الخارجية : اللغة ، والصناعة ، والايقاع ، والعروض ... موجودات مكتسبة ، ولكن الشعر يعتمد عليها ويتعداها ، والا كان مجرد نظم ، وكانت كل القصائد عن الحب ، مثلا ، من قالب واحد ، لا شخصية تميز بينها ، لا ذاتية فيها ، اي لا شعر اطلاقا . فلا بد من التفرقة بين عامل الجبلة وعامل الاكتساب . (سارطر) نفسه يؤكد أن الشعور في حركة مستمرة تلقى به نحو الاشياء ونحو ذاته ، دون أن يستطيع الاتحاد بهذه أو بتلك ، هذه الحركة هي التعالي، وهل الشعر الا تطلع نحو تجاوز الموجودات للتعبير مما يتجاوز الذات الشاعرة وما يحيط بها من اشياء ؟

يخلق الشعر عالما ، لا من العدم ، ولكن من الوان الشعور التي تنبت في أعماق الموجود ، وتثبت وجود الموجود في الوجود ، لان القصيدة هي المكان الذي تصعد فيه طاقات الكون نحو اللغة ، فاذا كان الشعر متعاليا ، كانت اللغة متعالية بالطبع ، فكما جاء في كتاب « الشعر » لارسطو : « الشعر اكثر قرابة بالحكمة » واكثر قيمة من البحث التاريخي ، ذلك أن الشعر يتحدث بالاحرى عن الشمول ، في حين أن التاريخ يتصل بالخاص .

الشعر فن ، وعلم ، انه سلاح جهاد : فهو فن ، اذ يتغلب به على العراقيل التي يلاقيها التعبير وهو علم، لكونه يسبر اغوار الكائن ـ الكل .

فن وعلم ، اذن : الشعر وحدة بين الذوق والفكر، بين الهوى والعقل ، بين الوجدان والنشاط . الشعر متحرر من المثالية والمادية ، والواقعية والموضوعية والبرغماتية ... انه كلي ، وحدة الكلمات . انه الذكرى (اي الماضي) ، والاضواء (اي الحال) ، والنزع (اي المستقبل) . هو كل هذا لان الفن خلاق، والابداع الاصيل يخلق زمانه انطلاقا من نظرة انسية وثقافية ، انه الابن والاب للزمن .

غير ما مرة حاول الرسام الشهير (ديغاس) « صنع » قصائد ، فلم يوفق فتحدث يوما في ذلك مع الشاعر (ملارمى) ، ثم ختم حديثه قائلا :

« واغرب ما في الامر أن لي أفكارا كثيرة وبالرغم عن ذلك فان ما أصنعه ليس بشعر » .

فاجابه (ملارمى) :

« ان القصيدة الشعرية لا تصنع بالافكار ، ولكن بالكلمات ! » .

نعم ، المادة الاولى التي يعتمد عليها الشاعر هي الالفاظ ، لكن كل فرد يحيا بالكلمات : يتنفس ، ويأكل، ويشرب ، بالكلمات ، ومع ذلك ليس الناس شعراء ! فكما ان البحار والانهار والبحيرات تجري بماء مشترك بين الجميع ، كذلك الكلام يتركب من حروف الابجدية المشتركة ، ومن الكلمات المتداولة والمتجمعة في قواميس اللغة . والقواميس تحت تصرف جميع الناس ، ومع ذلك ...

لذا ، يمكننا ان نقول ان السر الغامض الذي يحاصر الفكر الانساني في هذا العالم ليس علاقة الكائن بالزمان (نظرية هايديغر) ، وليس في علاقة الكائن بالحرية (نظرية سارطر) بل في ارتباط الانسان باللغة.

والزمان ، اما ، ديمومة (اي كيف صرف ، كما وضحه برغسون) ، واما كم (الزمان القابل للعد الفزيائي) . الاول صميمي في ذات واعية (ولا وعي دون تعبير) ، والثاني انما تتحمله الذوات لانه خارج عنها ، ومع ذلك وضعت له رموز ، ومقاييس ، واسماء. وبالنسبة للحرية ، نعرف انه لا توجد « الحرية » ، بل حريات (17) ، من انواعها الكثيرة ، حرية الضمير ، وحرية الفكر ، وحرية التجارة ، وحرية التنقل ... فقد تمنعني التقنيات التشريعية او ظروف صحية او غير ذلك من ان امارس هذه الحرية او تلك ، بل قد تحرمني الظروف كل الحريات،ورغم ذلك ابقى موجودا، اجاهد من اجل استعادة الحرية السياسية او حرية الصحافة او التجارة ... معنى هذا انه ، رغم قيمة الحريات في الحياة ، قد لا تتوفر في فترة مؤقتة ، ومع ذلك لا ينتهي الوجود بتوقفها . أما اللغة فتنبع ، كما وكيفا ، من جميع الذوات : كل ذات لا تعني ذاتيتها

— ◆ —

(17) انظر كتابنا : « من الحريات الى التحرر » ، القاهرة ، دار المعارف 1972 .

الا اذا كانت مقرا للغة والمستهلكة لها باستمـــرار . « اتكلم » ، اذن احيا ، الكلام ليس هو ما ضد السكوت، بل النسق الفكري والوجداني الذي تنتظم فيه (وبه) علاقات الكائن البشري بتشخصه ، أي ارتباط الانـــا بذاتيته ، وبالمجتمع ، وبالثقافة . فالثقافــة خلــق مستمر يسهم فيه كل واحد بحركات (والحركة اجوبة بأعمال تعبيرية تصدر عن الجسد) ، او بالكتابـــة او بالنطــق .

الثقافة وجود واع أكثر منها معلومات تتناقــل وتتوارث ، كما تتناقل بعض الامتعة العتيقة . الثقافة العقل والذوق فى تفاعلهما مع الطبيعة ، وفى تفاعــل الذوات فيما بينها . فالقصيدة ، مثلا تستلزم وجــود الاخرين امام الشاعر . انها فعل يتجه داخل الغيــر ليمتزج بمشاعره وتمتاز الثقلات القومية ، بعضها عن بعض ، بالقدرة على التعبير عن مد وحدة التفاعل .

فظاهر ان الثقافة ترمي لان تكون تعبيرا صادقا ودقيقا عن الواقع فى تحديده وحدته .

— ✻ —

اوردنا قولة سابقة اثبتنا فيها ان الذي يستطيع ان يقول : « أتكلم » هو الذي يستطيع ان يقول : « اني احيا » . واللازمة لذلك هي : أحيا ، اذن : اتكلــم ، ونتيجة لذلك ، يجوز لنا أن نصــرح : الانسان هــو الحيوان — اللغة ، اي حيوان يتكلم .

الجزائر : محمد عزيز الحبابي

— ✻ —

مناقشة وتعليق على البحث ، من طرف أعضاء مجمع اللغة العربية ، تحت رئاسة الدكتور طه حسين :

الدكتور طه حسين رئيس المجمع : نشكر الزميل على هذا البحث القيم . وقد سبقنــا ارسططاليــس فعرف الانسان بأنه حيوان ناطق . والان ، هل لاحد من الزملاء تعقيب على الحديث ؟

الدكتور ابراهيم انيس : سيدي الرئيــس ، لا يسعني الا الاعجاب، كل الاعجاب ، بهذه الكلمة العظيمة، والبحث القيم . وبوصفي لغويا كنت اتمنى لو استطعت ان اعبر عن أهمية اللغة بالنسبة للانسان كما عبــر الدكتور الحبابي فى كلمته .

وقد طبع لي كتاب منذ سنة او سنتين بعنــوان « اللغة بين القومية والعالمية » ، وجعلت اللغة هي كل شيء فى تكوين القومية ، وجعلت محور الكتاب كلــه حول هذه النقطة ، وكنت اظن أنني قد غلوت فى هذا ، ولكني بعد ان استمعت الان الى كلمة الدكتور الحبابي ، اعترف أن اللغة لا تخلق القومية وحدها ، بل تخلــق الانسان نفســه ، لاننا دائما نقول : ان اللغة هي التــي علمنا الله ، ولا اتفق مطلقا مع أولئك الذين يأفكــون فيقولون أن الانسان قد استمد اللغة فى نشأته مــن اصوات الطبيعة ، بل أن الله القادر سبحانه ألهمه هذه القدرة على ان يخلق اللغة ، وان كان قد استغل اصوات الطبيعة فى بعض كلماتــه .

والذي لا اوافق الدكتور الحبابي عليه هو انه قد انتقص من الامي فقال : انه غير متكامل الانسانية . ثم قال : ان الامي ، متى كان قادرا على الكلام وعلى التعبير عن نفسه ، فهو متكامل الانسانية ، وان الكتابة والقراءة ليس لهما اية أهمية فى كل ذلك ، بل قيل فيما مضى ان السر فى موسيقية اللغة العربية هو امية العرب قبل الاسلام ، فقد اعتمدوا على آذانهم وعلى السنتهم فكانت لهم اللباقة والذلالة بالاعتماد على الوسيلة الطبيعية التي وهبها الله لنا ، وهي الاذن — وحدها — فى اللغة ، فكان لهم بذلك موسيقية اللغة العربية .

الدكتور مهدي علام : اضيف الى ما تفضل بــه الزملاء من شكر الدكتور الحبابي شكرا آخر ، وأعبر عن امتناني لعنوان المحاضرة الذي كان يبدو امرا غريبا فى تعريف الانسان بأنه حيوان يتكلم مقتبسا هذا من قوله تعالى : « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان» وهذا اقوى دليل على أن الانسان الحقيقي هو الانسان المتكلــم .

الدكتور محمد كامل حسين : لا اريد ان اتعرض الى العمق الفسيح الذي تكلم فيه الدكتور الحبابي ، فقد عودنا هذا العمق فى كل ما يكتب .

أما تعريف الانسان فلا بد أن يكون متعارفا عليه ، والانســان عند المفكرين هو الانسان المفكر والمتكلم ، ولكن عند رجال الدين : الانسان هو الرجل الذي يعرف الحلال والحرام .

هذا هو المعنى الذي ورد فى الكتب السماوية ، فقد ذكرت أن الانسان هو من عرف الحلال والحرام ، والخبيث من الطيب .

الاستاذ محمد بهجة الاثري : أود ان اعرف الدليل على انالانسان من عرف الحلال والحرام .

الدكتور محمد كامل حسين : الرجل الـــذي لا يعرف الحلال والحرام ، في نظر رجال الدين ليـــس انسانا . فليست اللغات مجرد تعبير ، انما هـــي أداة تفكير ، وهي عنصر من عناصر التكوين الفكري للامة ، وليست مجرد التعبير عنه ، ولذلك نرى الاختلاف فيها يدل على اختلاف العقلية في الامم المختلفة .

ومما يدل على ان ذلك طبيعي في الانســـان ان اللغة شيء منظم ، وهذا دليل على ان التفكير الانساني منظم ، كما ان الرياضة والحساب دليل على ان الانسان تفكيره منظـــم .

كذلك اللغة تدل على أن أصل جوهر التفكيـــر الانساني منظم ، ولكنه اقل دقة من النظام الرياضي .

وفي اللغة العربية ، يصعب ان نقول : ان لالفاظها تاريخا لانه جرت العادة على أن كل جديد في معنى كلمة يقال عنه خطأ ، ولذلك لا ارى من الســهل ان نجد معجما تاريخيا للغة العربية .

اللغة العربية ، بصفتها صورة من صور اهلها ، كانت في أول أمرها لغة الخاصة ، ومن هنـــا كانـــت صعوبتها ودقة تعابيرها . ويجب ان تكون اللغة التـــي نعبر بها مختلفة بعض الاختلاف عن اللغة التي كانـــوا يتكلمون بها ، لانها لا تحيا الا اذا كانت صورة من تفكير أهلها لذلك ما زلت اقول : ان اللغة العربية اذا اردنا ان نحافظ عليها فلا بد أن نفرق بين الافصح والفصيح وبين الاصح والصحيح ، حتى لا نقع في العامية التي لا ضابط لهـــا .

الدكتور عبد الرزاق محي الدين : البحث الفلسفي الممتع الذي سمعناه كان يهدف بالدرجة الاولـــى الى تقييم اللغة وأثرها في الانسانية والانسان وضـــرورة تطورها بتطور الانسان لانه لا انسانية بلا لغة ولا لغـــة بغير انسان ، ونحن نوافق على هذا . وانما التطور الذي يبغيه لم يكن واضح الابعاد فقد يكون تطورا عشوائيـــا وسريعا ، وقد يكون تطورا متدرجا ونحن نعيش عصر صراع مع لغتنا ، لان فيها كميات من الالفاظ الداخيلة، والاساليب الدخيلة ، واذا أردنا ان نستجيب لهـــذه التطورات بسرعة تكون في الواقع قد امتنا لغتنا ولـــم نحيهـــا .

فمهمة المجتمع هي مسايرة التطور ، والاخـــذ بالتجديد ما أمكن مع المحافظة على اللغة .

واذا كان قصد الزميل تطور الحفاظ على اللغة فاظنه ما نحن فيه ، واذا كان يقصد التطور السريـــع والتجديد الذي يؤدي بعد فترة الى ضياع معالم لغتنا فلا اعتقد انه يريده ولسنا على استعداد لقبوله .

الدكتور محمد عزيز الحبابي : ليس لي تعليق في الحقيقة ، ولكنه تدقيق صغير . فانا لم اقصد بلفظـــة امية عدم القراءة والكتابة ، بل اعطيتها مفهوما أشمل ، يعني عدم القدرة على التعبير . في المغرب يقولون : « أمي مثقف » ، فصانع الصناعة التقليدية مثــلا كان يخرج في الصباح الباكر ليصلي صلاة الصبح ، ويجلس في حلقة في المسجد يستمع الى فقيه ، فيتعلم الفقه والحديث وهو لا يحسن القراءة والكتابة .

وكذلك في الظهر وفي العشاء ، فكانت المساجد هي « الجامعة الشعبية » ، وباللغة المصرية « النادي » .

واذا دخل الرجل الى بيته حكى لزوجته وبناته ما قاله الفقيه ، فهو يعرف الكثير عن السيرة والحديث وعلوم السلف ، ولكنه لا يحسن القراءة والكتابة .

فالكتابة والقراءة وسيلة للوصول الى شيء ، فاذا استطاع الوصول المباشر الى المفهوم فهو مثقف .

اما فيما يتعلق بالتطور ، فانا لا اقصد الفوضى بل اقصد التطور والتقدم الطبيعي للعربية .

لقد ذكرت شيئا عن التطور حيث قلت : نريـــد ان نجعل شعوبنا تتواصل لتصل بين الاجيال السابقة والاجيال المتواجدة ، او المتعايشة ، وعلى ذلك يرقى العربي ، ويستطيع ان يقرأ ويعرف ما يحيا به ، وعلى ذلك نحن متفقون ، لا خلاف بيننا .

الدكتور طه حسين : معنى كلمة (الاميـــة) في الاصل ، هي ان العبريين كانوا يطلقونها على كل مـــن ليس يهوديا ، أو من اناس خارج اليهودية .

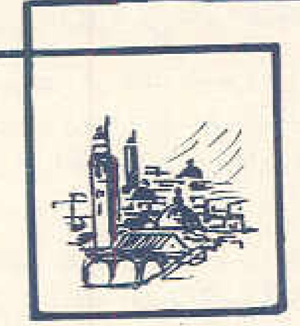
أما استعمال كلمة أمي بمعنى لا يقرأ ولا يكتـــب فهذا استعمال جديد .

فمثلا النبي الامي يعني النبي الذي هو من اصل عربي والذي هو من أمة اخرى ، فكلمة الامي بالمعنى القديم هي هذا ، وعلى ذلك لا ادري لماذا استعملنا كلمة الامية بمعنى الجهل بالقراءة والكتابة ، فقد ذكروا ان الذين يحسنون القراءة والكتابة ما داموا ليسوا عبريين فهم (أميون) سواء قرأوا وكتبوا او لم يقراوا ولـــم يكتبوا ، ولانهم قالوا : «ليس علينا في الاميين سبيل» .

على هامش تأسيس مدينة فاس

نشأة المدن

أسبابها وبواعثها



للأستاذ عبد العلي الوزاني

ظاهرة نشأة المدن عبر مراحل التاريخ ، ليست الا نتيجة لعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ، تفاعلت وتداخلت وتبادلت التأثير ، الى الحد الذي يجعلها تتبلور فى هيكل مدينة ، تتمثل فيها تلك العوامل، وتكون انعكاسا لها ، ترد اليها عند التحليل والتعليل، وبعد أن تستوي ظاهرة المدينة كصدى لتلك العوامل وتجسيم لها ، تصبح هي بدورها ذات آثار محسوسة فى كل من السياسة والاقتصاد والاجتماع ، بحيث تكون علة فى نفس الامور التي كانت باعثة على نشأتها .

وقد يكون مؤسسوا المدن فى التاريخ القديم والوسيط مدركين لبواعث تأسيسها ، فيقدمون على عملهم عن بينة من أمرهم ومن حقيقة دوافعهم ، وقد ينقصهم الوعي بهذه الدوافع ، ولكن ذلك لا يعني أن الدوافع غير موجودة ، فكثير من حركات التاريخ وردود أفعاله ، أثر فيها زعماء وقادة وجماعات بأسرها ، دون أن يكونوا مدركين لحقيقة كل الدوافع التي تحركهم ، خصوصا اذا كانت الدوافع شديدة التعقيد ، متشعبة متشابكة ، متصلة برواسب بعيدة القرار .

وجدير بالذكر ، ان ادراك البواعث ، عند القيام بعمل من الاعمال الكبيرة ، ذات الاثر الضخم ، فى مجرى تاريخ قوم معينين او اقوام كثيرة ، يجنب الشعوب خطر الوقوع فى كثير من الازمات المفاجئة ، ولا يعطي الاحداث فرصة التحكيم فيها وتوجيهها الى حيث لا تعرف اين تسير ، بل تكون — اي الشعوب — هي المتحكمة فى الاحداث ، والموجهة لها . كما انها تتمكن من جعل منشآتها متفقة والاغراض المقصودة منها ، والبواعث المدروسة التي اوحت بها .

ونعود على بدئنا لنتساءل : ما هي بواعث نشأة المدن ؟

ان لهذه الظاهرة باعثا سياسيا ، وثانيا اقتصاديا وثالثا اجتماعيا ، باعتبارها البواعث الرئيسية . ونبدأ بالباعث السياسي فنقول : لقد اقترن تأسيس مدن كثيرة عبر مراحل التاريخ بقيام الدول ونشأتها . فكل دولة تقوم ، لابد أن تتخذ لها مركزا للحكم ، او مقرا للسلطان او الامبراطور ، أو دارا للخلافة او عاصمة للدولة أو غيرها من الاسماء والعناوين . وذلك لعدة اعتبارات منها اعطاء الدولة الناشئة صورة جليلة مهيبة ، فى نفوس الناس وعقولهم ، بما يقام فى المدينة من منشآت عمرانية عالية ، وأسوار حصينة منيعة ، ومرافق عامة تشهد بعزة الدولة واقتدارها الكبير . ومنها شد انظار الشعوب الى عواصم حكمها، واشعارها بالتبعية النفسية والسياسية لها ، تتلقى عنها القرارات والقوانين ، وتصدر عن ايحائها ، وتسير وفق سياستها ، وبمرور الايام تصير المدينة العاصمة رمزا للدولة، تحمل طابعها، وتكتسي حلتها، فتكون قلب الوطن النابض ، ورئته الحية ، وشرايينه المتدفقة ببواعث الحياة . ومن ثم يكون المواطنون فى

هذه الدولة ينظرون الى مركز الحكم ، على انه القاعدة العتيدة ، التي لا يتصور جهاز للحكم بدونها . ولهذا ارتقت العواصم فى نظر الشعوب التابعة لها ، الى مقام الزعامة السياسية ، بالنسبة الى بقية تراب الوطن .

ويتصل بتلك الاعتبارات تحويل انظار شعب من الشعوب من جهة الى اخرى من مراكز الحكم . فقد اسس الفاطميون — مثلا — مدينة القاهرة لتحويل انظار المصريين وغيرهم من بغداد عاصمة الدولة العباسية ، الى المركز الجديد للحكم الفاطمي ، كما انشا العباسيون انفسهم بغداد ، لتحويل انظار الشعوب الاسلامية عن دمشق عاصمة الامويين . والامويون انفسهم اتخذوا دمشق عاصمة لهم ، لصرف انظار المسلمين عن مركز الحجاز الذي كان يحتل مقاما دينيا عاليا كان له اثره الكبير فى مركزه السياسي .

ومنها — اي الاعتبارات — تأسيس المدن من اجل اعطاء الحكم مظهره الحضاري ، القابل لاحتواء سائر الاجهزة والمؤسسات السياسية والادارية الساهرة على تسيير الشؤون العامة ، كالمحاكم ودور الشرطة والادارات الحكومية ومناطق الحراسة العسكرية وما اليها . ومن اجل تحصين الدولة ضد اعدائها المتربصين بها فى الخارج ، خصوصا فى العصور الوسطى القديمة التي كانت الفتن فيها تعم اقطارا عديدة ، الامر الذي يضطر كل دولة الى تحصين نفسها ببناء المدن المنيعة باسوارها العالية ، وابوابها الضخمة ، ذات المتاريس المتينة ، والمعززة بالحاميات القوية ، وابراج المراقبة الشامخة ، ومن البواعث على تأسيس المدن ، تقوية الروابط بين الحاكمين والمحكومين . فقد جرت العادة قديما بأن تكون عواصم الدول ومراكز حكمها ، هي التي تضم اكبر عدد ممكن من انصار الدولة واشياعها المخلصين الذائدين عن حوزتها ، والذين ربما كان الكثير منهم ممن قامت الدولة بجهودهم . وعنها يصدرون عندما يتوجهون الى الاطراف والنواحي الاخرى ، قصد نشر الدعوة للدولة الناشئة ، وجمع الناس من حولها ، وتوحيد الصفوف خلفها .

ولهذا نرى فى جميع حقب التاريخ ان انصار الدولة الجديدة الموجودين فى نواح نائية ، غالبا ما يلتحقون بعاصمة الحكم ، ليكونوا للدولة درعا واقيا عندما يحدق بها خطر ، وان كان كثير من الانتهازيين يندسون بينهم لاغراض فى نفوسهم منها ما هو قريب ومنها ما هو بعيد .

كما يتصل بالباعث السياسي انشاء المدن من اجل تثبيت أقدام الغزاة فى الارض التي احتلوها وطردوا اهلها منها ، او دافعوهم بالمناكب ونشروا فيهم الرعب لاجلائهم عنها . ذلك انهم يعرفون جيدا ان انشاء المراكز العمرانية والمناطق السكنية ، هو الضمان لاستقرارهم فى الارض ، وفرض سيطرتهم عليها ، كما انه خير دعوة توجه الى انصارهم فى الخارج ، قصد موافاتهم اليها رغبة فى الاستيطان . وما هذه الوحدات السكنية التي انشاها الغزاة الاسرائيليون وينشئونها فوق الارض العربية المحتلة ، الانواة لمدن كبيرة حسب المخططات الاسرائيلية ، كما تقام المدن من طرف المهاجرين الى ارض يقل فيها عدد السكان من اجل الغرض نفسه ، وهو فرض السيادة على الارض .

ونظرا لكون الشواطيء والمواقع المتاخمة لدولة اخرى ، وكذا جميع مناطق الاطراف الواقعة قريبا من حدود الدولة ، كثيرا ما تتعرض لاخطار آتية من الخارج فان الدول الناشئة فى العصور الوسطى والقديمة ، كانت كثيرا ما تتجنب اقامة عواصمها فيها ، لكونها مهددة بالغزو الاجنبي ، اما عن طريق البر ، أو عن طريق البحر ، او طريقهما معا . واذا ما كتب للغازي ان يضع اقدامه على قاعدة الحكم ، سهل عليه وضعها فى بقية اجزاء الوطن . اذ يتمكن بذلك من اضعاف الروح المعنوية للسكان ، وبث الرعب فى نفوسهم ، وحملهم على الاستسلام . فاذا نحن اخذنا عواصم المغرب كمثال لذلك ، وجدنا ان فاس ومكناس ومراكش ، قد اتخذت عواصم فى حقب مختلفة من تاريخ المغرب،لكون مواقعها بعيدة عن مناطق الاطراف، وبالتالي بعيدة عن متناول الغازي الاجنبي . وقد يظن ان موقع مدينة مراكش الذي هو الى الجنوب ، من مناطق الاطراف بالنسبة الى الوطن المغربي ، الا ان المتأمل فى خارطة جغرافية المغرب التاريخية ، على عهد المرابطين والموحدين ، يجد ان مراكش بعيدة عن مناطق الاطراف ، لكونها محصنة بما يقع وراءها من مناطق شاسعة تمتد مئات الاميال ، وتتصل بالصحراء المغربية الموغلة الى جبال درن . وهذا لا ينفي كون بعض العواصم قامت عبر مراحل التاريخ على بعض مناطق الاطراف كالشواطيء . فقد كانت مدينة طنجة عاصمة الحكم الروماني فى المغرب ، كما كانت الاسكندرية التي اسسها الاسكندر المقدوني عاصمة

لمصر في عهود سابقة ، بالرغم من وقوع المدينتين على شواطيء بعض البحار التي كانت مجالا لصراع دولي كبير . ولعل التجربة المريرة للدول التي أسست عواصم حكمها على الشواطيء وبعض التخوم ، هي التي حدث بدول اخرى ناشئة ، الى تأسيس عواصم حكمها بعيدا عن مناطق الاطراف .

على انه ينبغي الا يعزب عن بالنا ، ان لقوة الدولة او ضعفها ، أثرا في اختيارها لموقع عاصمة الحكم . كما ان للظروف العالمية ، وما بين الدول والشعوب من علاقات السلم والحرب اثرا في ذلك . هذا بالاضافة الى الاحوال الداخلية للدولة وما يكتنفها من ظروف وملابسات . فالدولة عندما تكون عظيمة الثقة بتفوقها العسكري ، وطاقتها البشرية ، لا يخيفها اقامة عاصمتها على الاطراف او على الشواطيء ، اما اذا كانت ناشئة او ضعيفة ازاء جار قوي يخشى جانبه ، او كانت الطرق المؤدية اليها محفوفة بالمخاطر ، فهنا نراها تفضل انشاء العاصمة في الداخل ، وقد تنقلها من موضع الخطر الى موضع آخر بعيد عن مصدر القلائل والمخاوف ، ومعنى ذلك مرة اخرى ان الباعث السياسي يلعب دورا كبيرا وخطيرا في تأسيس المدن، لدرجة انه ربما كان يحتل الدرجة الاولى من بين البواعث الاخرى ، الا انه لا يقف بمعزل عنها ، وانما هو متصل بها اتصالا وثيقا ، ملتحم بها ، يأخذ منها ويعطيها ويتبادل معها التأثير ، بحيث لا يمكن فهمه فهما عميقا دون الرجوع اليها ، قصد فحصها واستكشاف ما بينها من علاقات ، تجعل منها وحدة لا يمكن فصل اجزائها بعضها عن بعض فصلا نهائيا . وهي خلف جميع الظواهر التاريخية التي منها انشاء المدن . واذا كنا قد تناولناها واحدا بعد الآخر ، فليس ذلك لكونها تنفصل في واقع الطبيعة ، وانما لتسهيل الدروس ، وتناول الموضوع الواحد جزءا جزءا حتى تبرز فكرته بشكل واضح في آخر الامر .

هذا الباعث السياسي يسانده باعث آخر هو الباعث الاقتصادي الى جانب الباعث الاجتماعي ، في مسألة انشاء المدن ، وهي بواعث تتكامل فيما بينها لابراز ظاهرة المدينة الى حيز الوجود ، فماذا يراد بالباعث الاقتصادي ؟

ان ظاهرة نشأة المدينة هي نتيجة انتقال من اقتصاد القرية الى اقتصاد حضارة المدن ، من اقتصاد البداوة الى اقتصاد الحضارة . فعندما يتضح حجم اقتصاديات القرية بزيادة المحصول الزراعي ووفرته ، وتقدم مستوى عيش السكان ، وانتشار الرخاء المادي، يكون من الطبيعي حينئذ ان يفكر في البحث عن اطار حضاري اكثر تقدما ، لاستيعاب المتطلبات الاقتصادية المتزايدة ، وللاتساع للحاجيات المادية الكثيرة . وكل الشعوب مرت باقتصاد القرية ، قبل وصولها الى اقتصاد المدينة . وكلما تحولت القرية الى مدينة ، كان هذا التحول مبنيا على اساس من الاقتصاد ، بالاضافة الى العوامل الاخرى المشار اليها .

بيد انه ينبغي الا يفهم من هذا ، ان كل قرية تحققت لها الكفاءة الاقتصادية ، لا بد ان تتحول الى مدينة . ذلك ان العامل الاقتصادي ليس هو العامل الوحيد في انشاء المدن او نشأتها ، فلا بد من توافر العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية مجتمعة كي تخطو القرية هذه الخطوة الحضارية الكبيرة . انما لا يمكن ان نجد قرية تحولت الى مدينة الا اذا كانت على جانب كبير من الازدهار الاقتصادي .

وجدير بالذكر ان الرخاء الاقتصادي الباعث على انشاء المدينة قد لا يكون في نفس الموقع الذي يقع الاختيار عليه لانشائها فيه . وانما تكون الدولة او الجماعة التي تقدم على هذا العمل ذات امكانيات اقتصاديات غير عادية ، بمعنى ان هناك نوعين من المدن : مدن تنشأ نشأة تلقائية ، بدافع من نشاط سكان القرية ورخائهم المادي وبحثهم عن اطار حضاري أوسع . ومدن اخرى تقوم الدولة بانشائها بعد ان لم تكن . وهي اما ان تعمد الى قرية فتطورها من حيث هيكلها المادي وشخصيتها المعنوية ، بما تنشئه فيها من مرافق عامة ، ومؤسسات اجتماعية وثقافية . واما ان تعمد الى مكان خال نهائيا او شبه خال من السكان، فتؤسس فيه المدينة ، ابتداء من اللبنة الاولى . وكلتا الحالتين ، اي حالة النشأة التلقائية للمدينة ، وحالة انشائها بعد ان لم تكن شيئا ، متأثرتان بالدافع الاقتصادي الذي نتحدث عنه . وقد عرفت بقاع كثيرة من العالم هذين النوعين من المدن ، عبر مراحل التاريخ المختلفة .

وليس هذا فقط هو ما يدخل تحت الباعث الاقتصادي ، ولكن هناك أمر آخر ، وهو ان انشاء المدن من شأنه ان يجذب رؤوس الاموال الصغيرة والمتوسطة والكبيرة اليها ، بدافع من بحث أصحابها عن الامكنة المكتظة بالسكان ، حيث يتسع مجال

المبادلات التجارية ، ويكبر حجم الاستهلاك الفردي ، وتنتشر القوة الشرائية . وهذا من شأنه ان يقوي اقتصاد الدولة ، ويزيد في رخائها المادي ، ويعدد مصادر ثروتها المادية . فهي تفرض على سكان المدينة ضرائب متفاوتة تابعة لتفاوت مستوياتهم المادية ، كما انها تجد سوقا كبيرة لترويج منتجاتها هي نفسها ، تبيع فيها ما تغله عليها اراضيها من حبوب زراعية . وكذا الفائض من ثروتها الحيوانية ، بالاضافة الى ما قد تنتجه من أدوات الحضارة المتلائمة والطور الحضاري الذي تمر به . واذن فتأسيس المدن ، وتشجيع الناس على استيطانها ونقل نشاطهم الاقتصادي اليها ، من شأنه ان يطور حجم اقتصاد الدولة ، ويفتح أمامه مجالات واسعة للعمل والاستثمار . وبناء على ذلك ، فليس انشاء المدن مجرد ظاهرة ترفيهية ، وانما هو ضرب من النشاط الاقتصادي البعيد المدى ، له مردوده الكبير ، وعوائده الناجحة الكثيرة . وبالرغم من انشاء المدن فان اعتمادها على اقتصاديات القرى والبوادي غير منقطع . فالمدن تمد القرى والبوادي بالادوات الاستهلاكية وخصوصا الصناعة منها ، كما تمدها بالخبرة في بعض الميادين التقنية ، نظرا لما تتوفر عليه المدن عادة من قدرات تقنية في مختلف المجالات . والقرية وكذا البادية تمد المدينة بكل ما تحتاج اليه من البان ولحوم وخضروات وحبوب وما اليها . وحتى في عصرنا هذا الذي بلغت فيه المدينة مستوى عاليا من الكفاءة الاقتصادية ، فان اعتمادها على اقتصاد القرية غير منقطع في المجالات التي ذكرتها . ويظهر ان المدن سائرة نحو التخصص في الصناعة ، على حين ان القرية ستبقى محافظة على طابعها الزراعي الاصيل .

هذا ولا يعزب عن بالنا ان هناك من المدن الشهيرة ، تلك التي لعب الاقتصاد فيها دورا اكبر ، حتى لربما كان اقوى من العامل السياسي الذي ألمت بجوانب منه ، وهي المدن التي كانت في أصلها مركزا تجاريا اخذ يتطور مع مرور الزمن وازدياد النشاط التجاري قوة وتمكنا واتساعا ، الى ان اصبح مدينة واسعة الارجاء ، غاصة بالسكان ، مستبحرة العمران.

وهنا نذكر على سبيل المثال المراكز التجارية التي انشأها الفينيقيون على بعض الشواطىء المغربية، والتي كانت نواة لمدن طنجة ومليلية والعرائش . الامر الذي جعلها مثار تنافس استعماري ، اذ كانت عدة دول أوربية قد حققت تقدما محسوسا في الصناعة ، فانشأت الاساطيل التي تسير بقوة البخار ، ضاربة بها عرض البحار ، بحثا عن أسواق خارجية لمنتجاتها الصناعية واستكشافا للمواد الخام ، والتماسا لمناطق النفوذ ، وهذه المدن التي كانت نواتها الاولى مراكز تجارية ، عرف بعضها كثيرا من تقلبات المد والجزر ، واضطراب الميزان التجاري واستقراره بين فترة واخرى . خصوصا عندما دخلها الاجانب فربطوها بتقلب الاحوال الاقتصادية في بلدانهم الاصلية ، وبذلك صارت متأثرة الى حد بعيد بالاقتصاد العالمي . ومن هذه المدن ما ضعف نشاطه التجاري ، الذي عرفه حقبة طويلة من تاريخه ، بناء على انه هو الرئة التي كان يتنفس بها ، وبناء على انه يكون الخيوط الرئيسية في نسيجه العام . وبعضها فقد هذا النشاط بالمرة ، وهذا امر راجع الى تقلبات السياسة ، وقوة الدولة وضعفها، وتحول الطريق التجاري من جهة الى اخرى ، وطبيعة تحركات السكان ، وفتح مراكز تجارية جديدة ذات امكانيات ضخمة ، وما الى ذلك من العوامل المؤثرة في ازدهار النشاط التجاري في بعض المراكز وضعفه أو انهياره في اخرى . ويمكن لمن اراد ملاحظة ذلك ، ان يتتبع المراحل التي قطعتها مدينة تجارية عريقة كطنجة عبر مراحل التاريخ ، منذ ان كانت مركزا تجاريا صغيرا الى الوقت الحاضر ، يرى كيف تاثرت هذه المدينة القديمة بالعوامل الانفة الذكر او بالبعض منها ، من حيث نشاطها التجاري العريق .

هذا الضرب من المدن ، كان هو الملتقى التجاري الواسع للبضائع المحلية والاجنبية ، يقوم بدور التصدير والاستيراد ، ويفتح نوافذ على العالم الخارجي ، اذ يحمل الى المواطنين في الداخل الوانا من الحضارات المادية لدول وشعوب اجنبية ، نظرا لوقوعه على شواطىء بحار عظيمة تتصل بأوطان كثيرة، تجوبها اساطيلها حاملة السلع والبضائع ، وحاملة الدمار والخراب ايضا الى جميع المدن التجارية الشاطئية . فلا غرو اذا كانت هذه المدن صلة وصل بين حضارات مختلفة ، تلقح بعضها ببعض ، وتطعم شيئا منها بشيء آخر . وغير خاف ان هذا الوصال المادي المبني على أساس المعاملات التجارية ، هو المقدمة الطبيعية للوصال الفكري والروحي المبني على أساس تبادل ثمرات العقول والافكار .

هذا وتجدر الاشارة الى ما بين العامل السياسي والعامل الاقتصادي من ترابط وتكامل في هذا المضمار، فالاقتصاد له اثر كبير في صناعة السياسة ، والسياسة

لها أثر كبير بالاقتصاد ؛ وكثير من التحركات السياسية فى التاريخ ، لا يمكن فهمها بعمق الا بردها الى العوامل الاقتصادية . وكثير من المشاريع الاقتصادية فى القديم والحديث ، يبقى الوعي بها ناقصا ، ما لم يرجع فى تعليلها الى البواعث السياسية . وبخصوص انشاء المدن الذي هو صلب هذا الحديث ، تجد تلاحما كبيرا بين السياسة والاقتصاد . فانشاء الفينيقيين لمراكز تجارية على بعض السواحل المغربية — مثلا — هل كان بمعزل عن التأثر بالنوايا والمقاصد السياسية ؟ والا مما معنى تحول معاملتهم التجارية للاهالي المغاربة الى استعمار له ناب عضوض ومخلب حاد ؟

بعد تناول الباعثين السياسي والاقتصادي على تأسيس المدن او نشأتها ، نجد انفسنا امام الباعث الاجتماعي وجها لوجه . فما علاقة ظاهرة المدينة فى انشائها او نشأتها بالاحوال الاجتماعية ؟ نستطيع باديء ذي بدء ان نقول : ان انشاء المدينة او نشأتها كان قمة استقرار مجتمع انساني فى مكان معين ، وفى حدود مكانية معينة . فقد مرت على الانسانية حقب من تاريخها كانت خلالها فى تنقل مستمر ، تحت تأثير شتى العوامل الطبيعية والبشرية ، فكانت القيم والافكار والمعتقدات هي الاخرى مضطربة متقلبة لا تكاد تستقر على وضع واحد او اوضاع واحدة . ولما تمكن الانسان من اختراع الزراعة وتكوين الاسرة ، بدا يسلك سبيله الى نوع من الاستقرار النسبي . بمعنى ان حياته الاجتماعية اصبحت متأرجحة بين التنقل والاستقرار . وما ان وصل الى هيكل القرية ونظام القبيلة ، حتى كانت عوامل الاستقرار متغلبة عنده على عوامل التنقل . فجل القرى تبقى مستقرة حقبا متطاولة من الزمن . ولكن ربما يطرا ما يجعل الهجرة منها واخلاءها امرا حتميا . فقد ينفجر بركان قريب منها ، او تهددها السيول ، أو تتعرض باستمرار لغضبة البحر اذا كانت على شاطيء شديد الشراسة ، او تصبح هدفا لغزو تقوم به ضدها جماعة او جماعات مجاورة ، والحال ان الهيكل البسيط للقرية ، وحواجزها المادية البسيطة ، لا تستطيع وقايتها من شر هذه العوامل المعاكسة ، مما يضطر سكانها الى الهجرة . الا انه ينبغي الا يغلب عن اذهاننا ان هذه التحديات قد تحمل سكان القرية على التفكير فى حمايتها وتحصينها ضد الآفات المحدقة بها ، حتى تتمكن من الصمود فى وجهها . ولعل هذا يتفق مع ما ذهب اليه المؤرخ البريطاني توينبي من أن مواجهة الانسان للتحديات الطبيعية والبيئية هي التي انتجت الحضارة . اذن فقد كان الاستقرار المتأتي فى ظل نظام القرية ، مهددا وغير مضمون الاستمرار ، نظرا للأخطار التي تحدق به ولاقبل له بمواجهتها والصمود امامها . ولكن عندما تمكن الانسان من انشاء المدينة كان قد بلغ قمة الاستقرار الاجتماعي والسكني . ذلك ان المدينة كانت قلعة حصينة ضد جميع الآفات . وبالفعل ، فان المدن المؤسسة فى التاريخ القديم والوسيط كانت على شكل قلاع ، اذ ان الذين اسسوها راعوا فى تكوينها ان تكون حصنا حصينا ضد الآفات الطبيعية والبشرية . وبهذا يفسر ارتفاع أسوارها ، وصناعة موقعها ، وضخامة ابوابها ، بحيث تكون حامية لاستقرار سكانها ، مانعة لمجتمعهم من التعرض لهزات عنيفة تعصف به ، وتهدد بالانحلال ، وهذا معنى ما قلناه من ان انشاء المدينة كان قمة الاستقرار الاجتماعي للانسان .

وهنا اجدني مضطرا الى ازالة التباس قد يتطرق الى مفهوم الاستقرار الاجتماعي . وبيانا لذلك اقول : ان هذا الاستقرار الموصوف بأنه اجتماعي ينصرف الى معنيين عند اطلاقه . المعنى الاول هو هذا الذي شرحناه ، من انه ثبات مجتمع معين فى مكان معين داخل حدود معينة ، بعيدا عن عوامل التنقل والترحال والمعنى الثاني هو ثبات النظم والعادات والقوانين من الوجهة الاجتماعية وعدم تعرضها للتشتت والاضطراب وتبعا لهذا المعنى قد تجد المجتمع قارا من حيث مكانه ومساحته الطبيعية وابعاده البشرية ، الا انه متقلب فى قيمه وهياكله ومفاهيمه .

ولما كان انشاء المدينة أو نشأتها قمة الاستقرار الاجتماعي بالمعنى الذي نقصد اليه في هذا المضمار ، فانه كان من جهة اخرى قمة استقرار آخر هو استقرار القيم والنظم والعادات وما اليها . ولاول مرة فى التاريخ تتحصن هذه الامور ضد عوامل الاضطراب ، كما يتحصن المجتمع المادي ضد عوامل الانحلال والتدهور والفناء . وهذا علة ما تجده من ان نظم وعادات المدن فى تلك العصور ، كانت قادرة على البقاء زمنا طويلا . فغالبا ما يكون الاستقرار المعنوي تابعا للاستقرار المادي ، فاذا اضطرب هذا الاخير ، اصابت الآخر عدوى اضطرابه .

الا ان المدن قد لا تبقى دائما بمعزل عن القلق والاضطراب ، ولو بلغت حصانتها المادية ما بلغت من

الكفاءة والمقدرة . فقد تحدث حروب كبرى تهدد امنها وسلامتها ، وقد تهدد وجودها نفسه ، كما حدث لمدن شهيرة في التاريخ ، نذكر منها قرطاجنة في حروبها مع الرومان ، ومدن بابل وآشور في العصور القديمة ، اثناء حروب طاحنة مشهورة في التاريخ . ومن هذه المدن ما زال بالفعل ، ولم يبق منه الا اطلال ، ومنها ما اعيد ترميمه وبناؤه ، ليواصل حياته ويصل حاضره بماضيه مما لم تذكره منها . بيد ان مثل هذه الاخطار التي قد تتعرض لها المدن ، لا تعني دائما زوال الشعوب القاطنة بها ، فكم مدن تحطمت على رؤوس اهلها فلم يهاجروا منها ، وانما ظلوا متمسكين بالارض ، يواصلون حياتهم بين الخرائب والانقضاض والاطلال ، الامر الذي يدل على ما جذرته المدن في اعماق نفوسهم من ميل قوي الى الاستقرار والاصرار على التمسك بالارض . ذلك ان المدينة تقوي الشعور بالانتماء الى الوطن ، بل هي التي تعطي للوطن مفهومه الواضح الدقيق . فالشعور الوطني بدا يتكون عند الانسان منذ التاريخ الذي اخذ فيه يرتبط بقطعة من الارض ويتمسك بها . وبما أن ارتباطه بالمدينة يجسم قمة استقراره الاجتماعي كما سبق أن أوضحت ، فان شعوره الوطني تبلور في نفسه بشكل واضح ومركز ، بعد تمرسه بالحياة داخل المدينة . وليس معنى هذا ان سكان القرى والبوادي السابقة على المدن في التاريخ لا وطنية لهم ، وانما معناه ان الوطنية بدأ الشعور بها ضعيفا يتناسب مع نسبة الاستقرار الاجتماعي ، ثم اخذ يتدرج ويتسع شيئا فشيئا ، ولم يبلغ درجة عالية من النضج ، الا بعد نشأة المدينة والتمرس بالعيش المستقر فيها .

ولا يخفى ما بين نشأة المدينة وبين نمو المجتمع من صلة قوية . وليس نمو المجتمع مقصورا على ازدياد عدد السكان كما قد يتبادر الى الذهن ، بل كثيرا ما يكون المجتمع ذا اعداد كبيرة من الافراد تقدر بالملايين وعشراتها ، ومع ذلك فهو بعيد عن النمو الاجتماعي الحقيقي . واذن فالنمو الاجتماعي كثيرا ما يكون شيئا آخر غير تفجر السكان ، الذي ربما كان هو نفسه من اكبر عوائق نمو المجتمع ، وحينئذ يراد به ازدياد قدرات المجتمع ومهاراته وقابلياته العامة . بحيث تكون فيه اليد التي تبني ، واليد التي تصنع ، والراس الذي يفكر ويخطط ، ثم الوسائط التي تحول الافكار والمخططات الى عمل . والعمل يكون متوسلا اليه بادواته ووسائله الخاصة . وهذه تحتاج في ايجادها الى الوان من المهارة المكتسبة بالجهد والخبرة والمران ، وهكذا يمكن ان نتصور ان بناء مدينة أو نشأتها بطريقة تلقائية ، يكون مبنيا على اساس وفرة عدد من الصناعات الكثيرة المتشابكة لكي ينهض البناء . فما ان يصل الانسان الى طور تأسيس المدن حتى تكون المهارات والصناعات عنده قد عرفت شيئا من الاستقلال عن بعضها بمعنى ان كل مهارة أو صناعة تنقطع لها طائفة من افراد المجتمع ، لاتقانها واحترافها كوسيلة للحصول على الطعام . ففي مجتمع القرية السابق على مجتمع المدينة ، كان الفرد غالبا ما يجمع بين عدة صناعات دون تخصص . بحيث كنت تجده يقتطع الحجارة وقطع الطوب من مكان معين ، ويتولى بنفسه أو بمعاونة بعض اقاربه أو اولاده نقلها الى مكان آخر ، ثم يشرع في بناء مسكنه بيده ، ويقطع الاخشاب ليصنع منها العوارض والاضلاع والابواب . وما زال الناس الى ايامنا هذه في كثير من القرى والبوادي يفعلون نفس الشيء ، مما يعتبر صورة ولو معدلة عن القرية التاريخية السابقة لتاسيس المدينة . واذا كان طور انشاء المدن ، هو طور استقلال الصناعات في التاريخ الانساني الاجتماعي ، فهذا الاستقلال هو من اهم مظاهر نمو المجتمع ، بمعنى تفتح طاقاته وقابلياته وكفاءاته . ومن المعلوم ان استقلال الصناعات عن بعضها ليس الا تعبيرا عن تزايد حاجيات اجتماعية كثيرة . اذ من غير الممكن ان يتخصص عدة افراد في صناعة او حرفة ، دون ان يكون ذلك مرتبطا باقبال الناس عليها وعلى مثيلاتها . وهكذا يمكننا ان نفهم ان ظهور البناء المحترف ، والنجار المحترف ، والصباغ المحترف ، ومن اليهم ، دليل على ان هناك عددا كبيرا من الناس أخذوا يهتمون بالبناء والنجارة والصناعة والاعمال المرتبطة بها في انشاء بيوتهم واصلاحها وتوسيعها وتزيينها . ولولا ذلك ما ظهر محترفون في تلك الصناعات وامثالها ، وعندما يبدأ الناس في الشعور بضرورة التوسع به البناء مع اتقانه ، وفي جمع ادوات حضارية صناعية داخل بيوتهم ، فذلك هو مبدأ تحول القرية الى مدينة . ومعنى ذلك مرة أخرى ان نشأة المدينة مرتبطة بنمو المجتمع بالمعنى الذي شرحته .

وعندما يحس المجتمع القروي الناضج بنموه وتفتح طاقاته وملكاته على ذلك النمو ، يحس في نفس الوقت ، وبطريقة تلقائية ، بأن مجتمع القرية قد استنفد اغراضه وان لا بد من تحول اجتماعي عام ، بالتحرك نحو اطار أوسع للهياكل الاجتماعية ، في الحيز المادي والمجال المعنوي ، وحينئذ فليس البناء

والطرق والمرافق العامة هي وحدها التي ينالها التحول ، بل حتى القيم والعادات والنظم . وان كان هذا التحول لا يتم بين يوم وليلة ، وانما يحصل خلال عقود من السنين . فليس أبطأ من تغير الشؤون المعنوية للانسان ، عبر مسيرته التاريخية .

وقد اقترن ظهور المدن التاريخية بازدياد الجنوح الى الملكية الفردية وتغلبها على الملكية الجماعية . نعم كانت هناك ملكيات فردية قبل ظهور المدن ، الا انها كانت نادرة ، ولا يقرها المجتمع غالبا ، ولذلك كان اصحابها من ذوي القوة والبأس الشديد لحمايتها والدفاع عنها وفرضها بالقوة . ولكن لما ظهرت المدينة اصبحت قلعة الملكيات الفردية ، على حين القرى والبوادي بقيت خاضعة لنظام الاراضي الجماعية زمنا طويلا ، قبل أن تبدأ فى تقبل فكرة الملكية الفردية . وذلك لاختلاف نظام القرية والبادية عن نظام المدينة من الوجهة الاجتماعية ، وفى اطار الظروف التاريخية المشار اليها .

فاس : عبد العلي الوزاني





للأستاذ عبدالرحمن بنعبدالله

من الحقائق التي لا تقبل الجدل ان المستشرقين ينقسمون الى منصفين ومجحفين ، فمنهم من خدم الاسلام واوقف حياته على الاهتمام به ، ومنهم من رفع معاول الهدم والتحطيم وابان عن تحيز سافر وافتئات بين . والذي يثلج الصدر ان المنصفين اليوم ، بحمد الله ، كثيرون وان المجحفين قلة يكاد لا يكترث احد لاقوالها ومزاعمها . وكان فيما نعلم — أول من انبرى لقضية الاستشراق والمستشرقين من كتاب النهضة امير البيان شكيب أرسلان الذي فضح مؤامرات بعض المستشرقين للتنقيص من شان الاسلام والتحامل ، دون داع أو مسوغ ، على القيم الاسلامية ، منددا بجهلهم للحقائق التاريخية التي لا يرقى اليها الشك مما نجم عنه فتح باب البلبلة والتضليل في وجه شباب الامة الاسلامية . بيد أننا نعتقد أن التعميم في هذا المجال مدعاة للافتئات أيضا ، اذ كلما تقدمت السنون الا وتحولت نظرة المستشرقين الى الاسلام والمسلمين من التحيز والمشايعة الى الرغبة في الانصاف وجلاء الحقيقة التاريخية خالية من شوائب الاغراض والاهواء.

والحقيقة ان الحروب الصليبية بما ادت اليه من احتكاك واتصال مباشر بين الطرفين المتنازعين في الشرق قد اسهمت الى حد بعيد في تنشيط حركة الاستشراق . يقول الاستاذ نجيب العقيقي : اذا كان الشرق قد خاض غمار اربع حملات صليبية فان ايام السلام التي كانت تفصل بين المعارك او تتخللها قد اتاحت للصليبيين فرصة الاتصال بنصارى الشرق ثم بالمسلمين فتطببوا عليهم وأنسوا بهم واخذوا عنهم ، فقلد الصليبيون العرب في تقلد الدروع الخفيفة واستخدام الموسيقى العسكرية واصطنعوا السيوف والرماح واخذوا عنهم فن بناء الحصون واحتفار الخنادق واقامة الاستحكامات واستعملوا النار لنقل اخبارهم في الليل والحمام الزاجل لنقلها في النهار ، واستعانوا بالابرة المغنطيسية (وقد اخذها العرب عن الصينيين) وبنوا على الهندسة الشامية فرصفوا قصورهم بالفسيفساء ونقشوها ولونوها واثثوا دورهم بالطنافس والنمارق والسجاد والرياش والخزف وتزيوا بزي العرب فاستبدلوا ملابسهم بملابس شرقية فضفاضة واسعة الاكمام زاهية الالوان موشاة منمقة ودخلت كلمات كثيرة في لغاتهم كأسماء الآلات الموسيقية واسماء الملابس المنسوجة : دمشقي ، موصلي ، واسماء الالوان : آزير ، اموازي سفران . . .

وكان من أثر هذا الاتصال ايضا ان ارسلت اوربا سفراء لها في الشرق فاقتبسوا عادات الشرقيين فدخنوا الافيون والنرجيلة وشربوا القهوة ومنهم من استشرق الى أبعد من ذلك فاعتنق الاسلام ونال خطير المناصب (راجع :
(Martins : L'Orient dans la littérature française XVII[e] S.
ورفيع الالقاب . كما لحقت بسفير تركيا احدى حسان باريس ، وتزوجت سفير فارس البارسية « كيتا » واسلمت ورجعت معه الى فارس .

ومنذ الحملة الصليبية الرابعة ، انفردت ايطاليا باعمالها عن بقية الصليبيين واشتغلت بتحسين علاقاتها التجارية ، فباتت البندقية صلة الوصل بين الشرق والغرب ، وتكلم أهلها اللغة العربية حتى سقوط القسطنطينية في قبضة محمد الثاني سنة 1453

فاضافوا التركية الى اللغة العربية . وحين تألفت حملة نابليون الى مصر، اصطحبت بعثة علمية قوامها المستشرقون والمترجمون من امثال روفائيل الراهب وميخائيل الصباغ ونقولا الشك ... فكانت آخر الحملات التي اتصل بها الغرب بالشرق اتصالا لم ينفصم من بعده ، وكان من اثرها انتشار الثقافة الغربية في الشرق وازدهار الاستشراق في الغرب .

وقد اتخذ الاستشراق لغة القرآن مكان الفارسية والسريانية والقبطية واليونانية واللاتينية من فارس الى جبال البرانس حتى انها تجاوزتها الى غيرها من اللغات الاوربية فاستوعبت تراث الاسلام استيعابا لم يتهيأ لمعظم اللغات الشرقية التي دان اهلها بالاسلام كالفارسية والتركية والاوردية ، او لاخواتها من اللغات السامية كالعبرية والسريانية والكلدانية . فكونت في العصر الوسيط حلقة بين تراث اليونانية القديمة وبين اللاتينية الحديثة ارست عليها أوربا نهضتها وابدعت منه تراثا ، حتى اذا تهيأت لنا استعادته بنينا عليه نهضتنا .

وظهر على طرفي النهضتين : الشرقية والغربية نفر من المستشرقين ، فتناولوا تراثنا بالكشف والجمع والصون والتقويم والفهرسة ، ولم يقفوا منه عندها فيموت بين جدران المكتبات والمتاحف والجمعيات وانما عمدوا الى درسه وتحقيقه ونشره وترجمته والتصنيف فيه : في منشئه وتأثره وتطوره وأثره وموازنته بغيره ، موقفين عليه مواهبهم ومناهجهم وميزاتهم ، مصطنعين لنشره المعاهد والمطابع والمجلات ودوائر المعارف والمؤتمرات ، حتى بلغوا فيه ، منذ مئات السنين وفي شتى البلدان وسائر اللغات ، مبلغا عظيما من العمق والشمول والطرافة واصبح جزءا لا ينفصل عن تراثنا ولا تؤرخ الحضارة الانسانية الا به ، وقد عرف العرب اصالتنا فيه ، كما لا تصلنا بالعصر الحديث ، علوما وآدابا وفنونا ، صلة اشد من لغات الغرب ، وطبيعي ان الحضارة الانسانية لا تقوم لها قائمة الا على التعاون في نشر ذخائر كل امة في العلوم والفنون والآداب ، على تنوعها واوجه الشبه والاختلاف فيها ، تعاونا يقصر المسافات النفسية بينها تقصير المخترعات للمسافات الجغرافية ، لخلق تضامن وجداني فكري خلقي ، في ائتلاف صادق شامل مستمر .

واذا كان بعض المستشرقين قد شطوا فيما ذهبوا اليه من كتابات مغرضة ، مما سنأتي على ذكره بشيء من التفصيل فيما بعد ، فان كثيرا منهم قد التزموا جادة الصواب ، ونخص بالذكر منهم : السير وليم جونز الذي عاش ليخدم الشرق في القرن الثامن عشر (1746 – 1794) . كان اسعد حظا من زملائه لان والده كان استاذا لامعا في ميدان الدراسات الثقافية العليا . وعلينا ان نتذكر ان حياة العلماء لم تكن حتى عهد قريب جدا – حياة سهلة ، فالتعليم العالي كان وقفا على الاثرياء ، والطبقة الارستقراطية وحدها هي التي كانت قادرة على دفع نفقاته الباهظة لمتابعة البحث والتنقيب ، ومن اجل ذلك ، كان دخول محيط الطبقة المثقفة أمرا صعبا للغاية اما بالنسبة لهذا المستشرق فان الفضل في تثقيفه راجع الى والده الذي مهد له طريق الحياة والعمل وهو ما يزال طفلا صغيرا ، وقد اخذ (أي الوالد) يرتقي ببطء من ابن مزارع الى محاسب شركة بحرية بلندن الى بحار الى معلم ، حتى اصبح نائب رئيس الجمعية الملكية وصديقا حميما لكل من العلامتين نيوتن وهالي . ولما توفي سنة 1749 ترك اكبر مكتبة تحوي افضل الكتب الخاصة بالعلوم الرياضية ، وما لبث الفتى ان لفت الانظار اليه بسرعة لتفوقه على زملائه . ومن حسن حظه ان المدرسين في الكلية اعتنوا به شخصيا عناية كبيرة ، كما تعلم الفرنسية والايطالية ومبادىء اللغتين العربية والعبرية في اوقات فراغه ، واتقن فيما بعد اللغتين العربية والفارسية واحسن معرفة الحروف الصينية وتكلم اللغات الالمانية والاسبانية والبرتغالية بطلاقة ، وفي سنة 1768 حصل على الليسانس من جامعة اكسفورد ولما سمع ملك الدنمرك بسعة اطلاعه أعطاه مخطوطة فارسية نادرة عن حياة « نادرشاه » ليترجمها ، فلما اتمها ولاقت ترجمته اعجابا وتقديرا كبيرين وقف جهوده خلال السنوات التالية على الموضوعات الاسيوية وبالاخص ترجمة الشعر وشرحه ، وفي سنة 1771 صدر كتابه عن قواعد اللغة الفارسية فسهل به تعلم هذه اللغة على جميع طلابها . وبعد ثلاثة أعوام وجد وليم جونز مكانه الحقيقي في هذه الحياة وبنى له سمعة خالدة ، اذ ظهرت له باللغة الانجليزية ترجمة للمعلقات العربية الشهيرة ، كما صدرت له أبحاث ودراسات حول المسائل التي استأثرت باهتمامه كنظام الوراثة والوصية في الشريعة الاسلامية ، وصار الى جانب ذلك يترجم القصص والاساطير الهندية . وفي شهر ابريل من سنة 1794 فارق هذه الحياة بعد ان خلف بها ذكرا حسنا ، فقد كان عالما فذا باللغات ، اذ اتقن 13 لغة والم بعشرين لغة أخرى . وسعة معلوماته لا يكاد احد يتصورها ، يضاف الى ذلك اسلوبه الرائع

فى الكتابة وعمق تفكيره ، ويمكن اعتباره ابا لمدرسة التخصص التي تتلمذ فيها مستشرقون اعلام برعوا فى ميدان الدراسات الشرقية وفلسفتها . وأفضل ما قدمه ويليم جونز انه وضع قواعد البحث العلمي الدقيق للموضوعات الشرقية ، بينما كان سابقوه ومعاصروه ايضا يتخذون القصاصين رواة الاخبار مرجعا وموردا لمعلوماتهم .

والواقع ان الاستشراق قد ظهر أول ما ظهر بالرهبان ، اذ اشتهر منهم جربر الراهب الفرنسي الذي قصد الاندلس فيمن قصدها طلبا للعلم . وحذا حذوه فى مختلف ارجاء أوربا وامريكا رجال اوقفوا حياتهم على قضايا الاستشراق ، على تعدد المذاهب والنزعات .

ولم يبزغ القرن التاسع عشر حتى كان فى مكاتب اوربا مائتان وخمسون الف مجلد ، واشهر خزائنها : باريس ــ برلين ــ لندن ــ فيينا ــ ليون ــ أكسفورد ــ لينجراد .

والف علماء فرنسا سنة 1878 جمعية لنشر المخطوطات الشرقية فى مكتبة باريس ، وفى سنة 1820 انشأ المستشرقون الفرنسيون الجمعية الاسيوية تحت رعاية الدوق « دور اليان » وبرئاسة « دى ساسي » .

واصدروا للجمعية مجلة « Le Journal Asiatique »

عنيت بالعرب والعربية عناية شديدة فحققت فى تاريخهم قديما وحديثا وذكرت ملوكهم وخلفاءهم واخبارهم وانسابهم وبحثت فى اديانهم وشرائعهم ومذاهبهم ونحلهم كالاسلام والنصارى والدروز والاسرائلية والوهابية والنصيرية والاسماعلية ، وتناولت علومهم من فلسفة وطب وعلم وفلك وادب ودرست جغرافيتهم كبلاد الحجاز واليمن والاندلس وسوريا عدا ما كانت تنشره صحيفة العلماء الفرنسية (La Revue des Savants) .

ويأتي على رأس المستشرقين الالمان كبير شعراء المانيا : « جوهان ولفجانج جوته » الذي عكف منذ صباه ، حتى آخر ايامه على دراسة تاريخ الشرق وآدابه ، فى شتى الوانه ، وعلى اختلاف اوطانه وتناول العرب فى جاهليتهم ، كما تناول الاسلام وشخصية محمد عليه السلام فى الكثير من كتاباته . فى نقده الادبي ، وفى ادبه المسرحي ، وفى اناشيده واشعاره ودواوينه ، فالف قصة « يوسف واخوته » و « نشيد الانشاد » وعكف فى فرانكفورت عام 1772 على تلاوة القرآن فى ترجمة المانية ، انجزها يومئذ مستشرق من ابناء بلدته ، وما اتم تلاوة القرآن حتى اقتبس بعض الآيات القرآنية ، نقلا عن الترجمة الالمانية . ولقد ظل جوته طويلا ، يمعن فى دراسة القرآن امعان الباحثين وهو يقول ان القارىء الاجنبي قد يمله لاول قراءته ، ولكنه يعود فينجذب اليه ، وفى النهاية ، يروعه ويلزمه الاكبار والتعظيم . ويتمثل تأثره العميق بالقرآن روحا وتعبيرا فى كتابه الشهير « الديوان الشرقي للمؤلف العربي » وما من شك فى أنه تأثر ايضا الى حد بعيد بسيرة النبي للمؤرخ العربي ابي الفدا التي ترجمت الى اللاتينية فى غضون القرن الثامن عشر حتى انه قال :

اذا كان الاسلام معناه التسليم
فاننا لا محالة أجمعين
نحيا ونموت مسلمين

وكذا جاءت تمثيليته عن « محمد » التي استهل النظم فيها سنة 1773 بفضل « المناجاة » . ولجوته جولات موفقة معروفة فى ميدان الاستشراق اتسمت بالجنوح الى الانصاف والميل عن الهوى والاغراض . وليس لنا ، فوق ذلك ، ان لا نتوقع ممن ليسوا على دين الاسلام ان يتحدثوا عن صاحب الدعوة الاسلامية كما نتحدث نحن المسلمين بل حسبهم ، وهذا قصاراهم ما كان من هدمهم الخرافات المزرية التي أشيعت عن محمد فى العالم المسيحي ، وما كان من اظهارهم محمدا ، للعالم المسيحي ، مومنا صالحا يعبد الله ثابت اليقين ، مجاهدا ارادت مشيئة الله أن تتخذه من المرسلين لنشر عقيدة التوحيد فى العالمين . وفى هذا يقول المرحوم الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى نشأة وتطور الاستشراق : فمن كتب عن محمد عليه السلام فى القرن العشرين ، علم انه مطالب ، بحكم العصر الذي يعيش فيه ــ أن يقول شيئا يوافق العلم ولا ينسب الى التعصب والجهالة فلا يزن محمدا بميزان غير الذي يزن به الرسل والانبياء من سائر الملل والدعوات . ومن لم يكن من هؤلاء الكتاب مرتزقا بالدين فهو يخجل من التحامل على صاحب دين كبير لغير سبب، الا انه ولد على غير دينه . وهو يبريء عقله من وصمة التعصب الضيق بمحاولة الانصاف ما استطاع . بل وجد من أولئك الكتاب من يثيره ان يسمع احدا يعيب النبي وان كان ذلك العائب من ابناء القرون الوسطى . ففي احدى روايات برناردشو رجل يعيب على النبي انه راعي ابل « فيجيبه صاحبه ان اتباع محمد قد تعلموا منه درسا غير الذي تعلمته من دينك ، فانهم يسمون

تلاميذ السيد المسيح بالحواريين ، وكان في وسعهم ان يقولوا عنهم انهم جماعة من الصيادين ! » .

ولقد تقدمت الدراسات التاريخية في القرن العشرين ، وتتبع الاوربيون أصول حضارتهم فعرفوا انها مدينة بالقسط الوافر للحضارة الاسلامية وان عصر العرب في الاندلس كان من العصور الذهبية في تاريخ القارة الاوربية ، وعمل رد الفعل عمله فكان أشد الناس اعجابا بالحضارة العربية أولئك الكتاب الذين نشأوا في الاندلس نفسها ، وفتحوا عيونهم حيث بلغ التعصب على العرب غاية مداه . فاذا قرأت كاتبهم الاشهر « بلاسكو ابانيز » لمست في كلامه حزنا عميقا على زوال الحضارة العربية من الاندلس وحنينا واضحا الى العهد الذي ازدهرت فيه تلك الحضارة .

ونقصد بالمرتزقة بالدين اولئك الذين يصرون على بضاعة العيب والتجريح ، وليس يعني ذلك ان رجال الدين الاوربيين جميعا ينكرون فضل النبي ويستبيحون العيب فيه ، فان هذا الخلق الشائن محصور في طلاب الرزق بالدين ... اما العلماء الدينيون فمنهم اناس يحاسبون ألسنتهم وأقلامهم ويجتهدون في قول الحق على حسب طاقتهم حتى ان أحدهم وهو الدكتور بوكيه Bouquet قد صنف كتابا في الاديان المقارنة فقال عنه : انه نشر في الشرق مثلا أعلى للحكم وللاخلاق الانسانية أوسع وأنظف واحدث وأقوى من امثلة الدولة البيزنطية ..

ويؤكد « ألفرد غليوم » أستاذ الدراسات الشرقية بجامعة لندن أن علينا من المبتدأ ان نقرر شيئا هاما ، هو ان محمدا كان واحدا من أعلام التاريخ العظماء وكان يقينه الغالب أنه لا اله الا الله وانه يدعو الى ملة واحدة، وكانت قدرته على التدبير بين المشاكل المعقدة التي كانت تواجهه قدرة خارقة بلا مراء ، فما استطاع عربي بقوة الجيوش والدواوين ان يجمع قومه كما فعل . فان قيل ان العالم الاسلامي عند وفاته كان عالما صغيرا بالقياس الى دولة خلفائه ، فالجواب على ذلك ان عوامل الشقاق جميعا كانت كامنة في بلاد العرب أيام حياته فلم يظهر منها شيء حتى فارق الحياة .

وقد ساعد على تغير النظرة الى الدعوة الاسلامية وصاحبها في القرن العشرين تبادل البعثات وتوفر وسائل السياحة والتجوال وتقدم أساليب النشر والطباعة وتقارب المسافات مما ادى الى اختفاء الخرافات المغرضة والاراجيف المضللة .

واذا كان العالم الحديث يسعى جاهدا لاعتماد دين عالمي يقوم على النزعة الانسانية ، فان رسول الاسلام قد قدم للانسانية جمعاء منذ اربعة عشر قرنا من تاريخ الانسان دينا يتجه الى البشر في كل شبر من بقاع المعمور وتنم قواعده ووصاياه على مدى مرونته وأهليته لاستيعاب وامتصاص الحضارات على تباينها واختلاف مشاربها،مع الاخذ بكل جديد من مستحدثات هذا العصر . وتلك المزية الفضلى لدين الاسلام الذي كان موضع انتقاد المستشرقين كما كان محل اعجابهم وتقديرهم حتى ان كثيرا منهم قد اعتنقوه .

الرباط : عبد الرحمن بنعبد الله

أهم مصادر البحث :

(1) المستشرقون : تأليف نجيب العقيقي – الجزء الثاني
(2) مجلة « العالم » – غشت 1959 – صفحة 23 (العدد الثالث – السنة الثامنة)
(3) مجلة « الافكار والفنون » – العدد الخاص 1963 – 1965 – ص 37
(4) الرسول في كتب الغرب الحديث : تأليف عباس محمود العقاد .



قضية إحراق مكتبة الاسكندرية

للاستاذ محمد المنتصر الريسوني

يحاول بعض المستشرقين فى اتهاماتهم العديدة ان يجعلوا الاسلام عدوا لدودا للعلم ، وهذا أمر اصبح ظاهر البطلان لا يقره الا رجل نخر الحقد قلبه واعمى بصيرته بعد ان قال القرآن والحديث كلمتهما فى القضية فلم يدعا المجال لاي حاقد لتشويه الحقائق كما يشاء ، ورغم ذلك فالدسائس تتوالى عن طريق الطعن فى الشخصيات الاسلامية التى رعت منهج الاسلام خير رعاية ، وذلك حين اتهم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه باحراق مكتبة الاسكندرية اثناء فتح عمرو بن العاص مصر وبجانب هذا الطعن يرمي الحاقدون من وراء ذلك وصم الفتح الاسلامي بالسلب والنهب والهمجية .

وقد روج لهذا البهتان جرجي زيدان وطه حسين (1) فى حين هذا الاخير - يعني طه - مفكر لم يكن يصعب عليه تحري الخبر التاريخي وهو الذى تشكك فى كثير من القضايا الادبية والتاريخية ولم يقبل بسهولة - حسب المنهج الذى اتبعه فى دراساته الادبية والتاريخية - الاخبار التى هو بصدد التصدي لها فى دراسته ، فكيف رضي لنفسه ان ينقل هذا الزعم ، من غير ان يستعمل منهجه المفضل .

والحقيقة ان الدكتور طه حسين ايام تطلعه الى حياة المجد لم يكن بالرجل الذى يعمل من اجل تنقية التراث بروح مخلصة لدينه لكونه كان فى تلك الفترة بالذات متبهرا بثقافة الغرب غثها وسمينها .

وترجع حادثه حريق مكتبة الاسكندرية كما فى راي الحاقدين واتباعهم الى فتح عمرو بن العاص لمصر ، ومعتمدهم فى ذلك ما رواه عبد اللطيف البغدادي فى كتابه (الافادة والاعتبار) حين قال «ارى انه هو الرواق الذى كان يدرس فيه ارسطو طاليس ، وانه دار العلم التى بناها الاسكندر وفيها كانت خزانة الكتب التى حرقها عمرو بن العاص باذن عمر بن الخطاب » (2) .

وبعده جاء القفطي فذكر فى كتابه (تاريخ الحكماء) قول البغدادي وزعم أن يحيى النحوي الاسقف قرأ كتب الحكمة فأنكر التثليث واصبح صديقا لعمرو بن العاص وطلب منه الكتب الموجودة

(1) انظر : (الجندي انور) « الاسلام والثقافة العربية فى مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب» 364 مطبعة الرسالة

(2) نفس المصدر السابق ص 367 .

فى مكتبة الاسكندرية لينتفع بها فاستشار عمرو عمر بن الخطاب وامره باحراقها (3) .

ثم اورد ابو الفرج بن العبري (Bar hebraeus) وهو مسيحي يهودي الاصل الخبر فى كتابه مختصر الدول) مسهبا وزعم (ان رجلا من اهل الاسكندرية يسميه العرب حنا الاجرومي طلب الى عمرو ان يعطيه ما فى المكتبة من المخطوطات فكتب عمرو الى الخليفة يستأذنه فى هذا ، فرد عليه عمر بقوله : اما ما ذكرت من امر الكتب فاذا كان ما جاء بها يوافق ما جاء فى كتاب الله فلا حاجة لنا به واذا خالفه فلا ارب لنا فيه واحرقها) (4) .

ويضيف ابو الفرج الى هذه الاسطورة ان عمرا امر بالكتب فوزعت على حمامات المدينة البالغ عددها اربعة آلاف حمام لتوقد بها فما زالوا يوقدون بملفات البردى والرق ستة اشهر) (5) .

وعبد اللطيف البغدادي الذى روى هذا الخبر ربما يكون قد استند فيه عند زيارته لمصر على بعض اقوال الرعاع من العامة دون تمحيص وليس هذا غريبا على من زعم ان ارسطو كان يدرس فى الاسكندرية .

واما يحيى السالف الذكر واتصاله بعمرو فالامر لا يستند على اساس تاريخي لان يحيى عاش قبل الفتح الاسلامي بقرن كما يقول المستشرق يوسف فورلاني .

ومما يوهن هذا الزعم ان عمرو بن العاص قبل دخوله الاسكندرية اعطى لاهلها احد عشر شهرا لا يدخلها الا بعد انتهاء هذا الاجل المقرر ، وكان من المنطقي — لو كانت المكتبة موجودة — ان يغتنم الرومان هذه الفرصة فينقلون الكنوز العلمية التى توجد فى مكتبة الاسكندرية ولا يتركونها للعرب ، ونضيف الى هذا ان عمرو بن العاص لو احرق الكتب خشية تسرب افكارها لعقول المسلمين ما وزعها على الحمامات لتحرق مدة ستة اشهر — كما جاء فى كلام ابن العبري — وهي مدة كافية لان تتعرض للسرقة فتصبح فى متناول الايدي ، وهذا تناقض واضح فى القصة وتهافت بين بالقياس الى ما عرف به عمرو من ذكاء يعصمه من الوقوع فى امثال هذه الاخطاء البسيطة والبسيطة جدا .

واذا نحن بحثنا عن هذا الخبر لدى المؤرخين وكذلك غير المسلمين من اليونان والاقباط واليهود ممن عاشوا قبل عبد اللطيف البغدادي، ومن اولئك : أوتيكوس كبير اساقفة الاسكندرية الذى اسهب فى وصف الفتح للاسكندرية ولم ينبه الى هذه الحادثة، وليس من المنطق فى شيء ان يسكت هذا المؤرخ عن مثل حادث الاحراق وهو فى معرض الحديث عن فتح عمر لمصر .

اذا من احرق مكتبة الاسكندرية ؟..

سؤال الجواب عليه بسيط ، ذلك ان التاريخ ينص على ان مكتبة الاسكندرية انشئت لنقل الآثار اليونانية الى مصر وقد دهمتها محن كثيرة فى ايام الرومان فضاعت بين النهب والاحراق ، وحين جاء يوليوس قيصر الى الاسكندرية سنة 48 ق م قامت معركة بحرية احرقت من جرائها دار صناعة السفن وما حولها من المباني ومنها مكتبة الاسكندرية التى لم يبق منها الا النزر القليل الذى وضع بمعبد (سيرابيس) وهذا المعبد نفسه شب فيه الحريق فى عهد الامبراطور ثيودسيوس الذى امر بهدم المعابد ومنها معبد (سيرابيس) ومكتبته .

ونظرا لكل هذه الحقائق الدامغة فان علماء أوروبا لم يجدوا بدا من الاعتراف بادانة الرومان ، لذا نورد اقوالا لهؤلاء كحجة على الحاقدين الذين يرسفون فى اغلال الثقافة الغربية . يقول ول ديورانت (... فان معظم المؤرخين يرفضون هذه القصة ويرون انها من الخرافات الباطلة ..) (6) ويقول آلبرسيم (لشد ما استحكم الوهم التاريخي زمنا بشأن عمرو وخزانة الاسكندرية وهاهو الآن آخذ بالاضمحلال ، اما انا فقد اغتبطت بما سنح لي من الفرصة فكنت من العاملين على مكافحة هذا الوهم واثبت بالبراهين التى وصلت يدي اليها ما اعتقدت انه هو الحقيقة ..) (7) ويقول المؤرخ لوكلير : (ان مكتبة الاسكندرية لم تبق الى عهد الفتح

---

(3) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة .
(4) انظر (ديوارنت) ول ، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ص 262 — 263 ج 13 .
(5) راجع نفس المصدر السابق والصفحة والجزء.
(6) انظر قصة الحضارة ص 263 ج 13
(7) انظر محمد كرد علي (الاسلام والحضارة العربية) ص 20 ج 1 ط مصر — 1934 .

الاسلامي لمصر حتى يقال ان العرب احرقوها) (8). ويقول فليب حتى – على ما له من هفوات – في كتابه (تاريخ العرب) (اما القصة التي تقول ان عمرا أحرق مكتبة الاسكندرية باشارة من الخليفة واحمى بها حمامات المدينة مدة ستة اشهر فينكرها البحث العلمي .. الخ) (9) .

واولئك الذين يتشدقون في اقوالهم عن الاسلام وموقفه من العلم افتراء ، لم لم يندددوا بما عج به تاريخ اوروبا من مطاهدات للعلم والعلماء وتقتيل لاحرار الفكر الذين قالوا بنظريات رآها رجال الدين المسيحي مناقضة للمسيحية ، وقصة جاليلو اسطع برهان على التخلف الفكري الذي عاشته اوروبا ردحا من الزمن ، ولم لم يندددوا ايضا بما فعله الصليبيون في طرابلس الشام خلال الحروب الصليبية عندما احرقوا مكتبتها بامر الكونت برتران، وما قام به المسيحيون حين دخولهم غرناطة حيث اشعلوا النيران في عدد كبير من الكتب العربية بامر الكردينال (خيمينس) الذي لم يكتف بذلك فقط ، وانما اعطى اوامره لابادة عصارة الفكر الاسلامي في المسلمين الثقات وغيرهم وجدناهم لم يشيروا اليه، جميع البلدان الاندلسية .

والمسيحيون معروفون بهذه الجرائم الفادحة سواء في العصور القديمة او الحديثة رغم ادعائهم القيادة الحضارية ، وليس ادل على ذلك من ان الفرنسيين عندما استعمروا الجزائر ما تورعوا عن احراق الكتب في قسطنطينة . ولا تزال في القرن العشرين هذه العقلية المسيحية البسيطة سائدة في بعض مناطق الارض تشجعها القوى الامبريالية والصهيونية فلا ترعى حرمة للعلم ولا تحترم القيم الانسانية ، من ذلك ان جيش ماركوس في الايام الاخيرة اضرم النار في الجامعة الاسلامية في الفلبين ومكتبتها دون ان نسمع استنكارا لهذه الجرائم التي تقوم بها الصليبية ضد مسلمي العالم ، ويحسن هنا ان نورد الخبر كما جاء في جريدة العلم في الصفحة الاسلامية تحت عنوان (جيش ماركوس يحرق الجامعة الاسلامية في الفلبين ومكتبتها) (10) : « قامت السلطات العسكرية الفلبينية في الفترة الاخيرة بالاقدام على ارتكاب جريمة اخرى في سلسلة جرائمها لابادة المسلمين ومحو الشخصية الاسلامية في البلاد ، فاحرقت مبنى الجامعة الاسلامية الفلبينية الاهلية وقد اتت النيران على اقسام الجامعة وفصولها كما قضت على المكتبة الكبرى الجامعة والتي كانت تحتوي على مجموعة كبيرة من التراث الاسلامي والمراجع والمؤلفات الاسلامية » .

اذا فالامر الآن واضح لا يحتاج الى اكثر مما قلناه .

– يتبع –

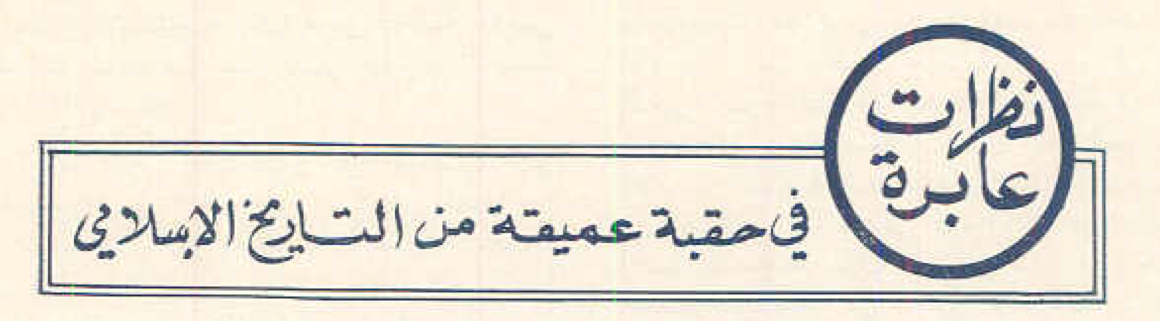
تطوان – محمد المنتصر الريسوني

---

(8) راجع مقال : هل احرق العرب مكتبة الاسكندرية بمجلة الهلال العدد الخاص عن ادب البحر صفحة 128 ، جمادى الاخيرة 1392 ، وفيها اقوال اخرى عن مكتبة الاسكندرية واردة في دائرة المعارف الفرنسية والبريطانية .

(9) راجع ص 222 ج 1 ط بيروت 1958 .

(10) انظر جريدة العلم السنة 27 العدد 8315 – الخميس فاتح ربيع الاول 1393 .



للأستاذ عبد الحق بن عمرو

من الواضح الجلي ان النصف الاخير من القرن الثالث والقرن الرابع الهجري عرف في تاريخ الاسلام والمسلمين من الحركات والتقلبات في جميع الميادين السياسية والاجتماعية والفكرية أخصبها وأعمقها وأشدها وأقواها .

فبعد ان كانت المملكة الاسلامية تكون دولة واحدة وتخضع خضوعا عاما شاملا للخليفة في بغداد يعين باستقلال تام ولاتها ويجبي خراجها ويدير ادارتها وينظم قضاءها ويجند أجنادها ويهيمن على جميع مرافقها ـ اذا بهذه المملكة بعد هذا العصر ـ ولاسباب متعددة متنوعة ـ تتعرض لتقلبات وانقسامات جعلت الولاة والامراء يحذر بعضهم بعضا، بل ويضرب بعضهم بعضا مما غدت معه هذه المملكة عبارة عن دويلات تتنوع وتتعدد ، وتختلف فيما بينها وتتحارب وتتكفل كل واحدة منها بميزانيتها وتنظيم جندها وتسيير ادارتها ووضع قضائها وسك نقودها وما الى ذلك مما يقتضيه تكوين الدولة من مرافق . وحتى اذا اعترفت دويلة من هذه بدويلة اخرى ، فانما هذا الاعتراف يأتي صوريا ومن اجل بعض الاعتبارات النفعية .

وسجلت صفحات التاريخ وقائع بين هذه الدويلات ، اريقت فيها الدماء واطمعت الاعداء في المسلمين وجعلتهم يرنون بعين الشره الى خيراتهم، بل ويتجراون بصفة عملية على الغزو لاشفاء غليلهم في السلب والنهب ، الشيء الذى فوت على المسلمين ما كان لهم آنذاك من هيبة كانت قمينة بالاعجاب ، وجعل قادتهم مقهورين خائفين وقد يقنعون من الخلافة باسمها ومن الرئاسة برسمها .

على أن هذا التقسيم لم يكن شرا كله خصوصا بالنسبة لبعض الجهات النائية ؛ نذكر منها على سبيل المثال « الاندلس » فان استقلال الامر بها قد مكنها من أن تزدهر وتتمدن وتحقق المدهش والعجيب في كل ميدان حضاري ، ونفس الشيء حدث بمصر وقد استقل بها الطولونيون والاخشيديون والفاطميون ، فلقد ازدهرت فيها الحياة ازدهارا ذكره التاريخ وحققه ربما لم يكن بالامكان أن يحدث لولا هذا التقسيم ـ وهذا ما حدث أيضا في فارس وبلاد ما وراء النهر وقد استلم مقاليد الامور بها الساميون .

وهذا التلمح للمزايا التي تمخض عنها هذا التقسيم ما كان ليصرف انتباهنا عن الويلات التي ادى اليها والعواقب الوخيمة التي أسفر عنها ، فانه أضعف المسلمين وقد كانوا قوة تهاب ، وكتلة لا تغلب أمام عدوهم الذى يتربص بهم الدوائر ، يتجلى لنا هذا اذا ايقنا بأن هذه الدويلات لم تستطع ان تتفاهم ولا ان تتعاون لاجل وضع نظام مشترك على الاقل يجعلها بمقتضاه تواجه الغارة وتقاوم الهجمات ، فعلى العكس وجدت بينها علاقات ، ولكن للعداء وللحرب وللتصادم .

واذا كانت هذه بعض نتائج هذا التقسيم في الميدان السياسي ، فالامانة التاريخية تحتم علينا الاعتراف ببعض ما اسداه من نفع في الميدان العلمي والادبي والفكري بصفة عامة .

فانه بموجبه لم يعد للمسلمين مركز علمي واحد هو (بغداد) ، ولا ينبوع واحد يستقون منه جميعا هو الفكر العربي وحده ، كذلك حقق هذا التقسيم نشاطا ملحوظا في ميدان الترجمة جعلت المسلمين تقع عيونهم على ذخائر امم اخرى مختلفة في هذا الميدان ، وخاصة امة اليونان واستوجب كذلك نوعا من التنافس ، فان التفاخر بين امراء هذه الاقطار اضاف الى التفاخر بعظمة الجند وزخرفة المباني وبهاء العمران : التفاخر بالعلماء والادباء والدعوة الى المناظرات العلمية والمساجلات الادبية ودراسة النظريات والمباحثات .

ونتج عن هذا ان اصبح لكل اقليم شخصية متميزة في العلم والادب ، مما اثبت للمتأمل أن الحياة العلمية في هذه الحقبة لم تتبع الحالة السياسية ، اذ كما رأينا ساءت هذه وازدهرت الاخرى وكان العالم اذا لم ينجح في الميدان السياسي وخاف على مصيره، فانه يفر منه الى الميدان العلمي فيلقى فيه جو الهدوء والاستقرار ، ويجد فيه الحمى الذي يساعده على ان يرقي علمه وبحثه ، تعصف المواصف في الميدان السياسي ويسود الجو الاضطراب والفوضى وهذا العالم لا يهمه في حياته الا علمه وبحثه والشواهد على هذا من تاريخ العلماء كثيرة ـ وقد اكتوى بالسياسة علماء بارزون كالصولي والصابي وابن العميد ورغم ذلك ضربوا بسهم وافر في قضايا الفكر فأفادوا الاجيال المتعاقبة بروائعهم الخالدة ومبتكراتهم النفيسة في هذا المضمار : مضمار التثقيف والعلم وشؤون الفكر .

واذا حولنا نظرنا عن هذا الجانب الى الجانب الاقتصادي في هذه الحقبة لنلقي عليه بعض الاضواء الكشافة ، فسيلفت نظرنا في البداية ان الثروة طيلة هذه الفترة من التاريخ لم تكن موزعة بالمقياس العادل وبالكيفية المتوازية ، بل يأخذنا الدهش ونحن نرى الحدود العظيمة والفواصل العريضة فيها بين طبقات الناس ، فحال الواحد منهم اما في بؤس مفرط واما في ترف يبلغ المنتهى ، وهذه الحالة الاخيرة كانت من حظ الخلفاء والامراء ومن يدور في فلكهم من علماء وادباء وتجار وندماء ومضحكين ، بينما الحالة الاولى كانت هي حالة السواد الاعظم من الناس ـ على ان من كان غنيا من سواد الناس لم يكن يتوفر على المناعة ضد التقلبات الاقتصادية غير الطبيعية . فقضبة من ذوي سلطة كافية لان تنزل به الى الحضيض الاسفل من الفقر ، تنزله اليه مصادرات غير مشروعة ومتابعات عدوانية وسلب ونهب مقيتان .

وبالرغم عما في هذه الحالة من عيوب ، فلن تصرفنا عن اعطاء بعض الوصف لمظاهر ذلك الترف المدهش العجيب ، فانها مثال رائع حي ناطق بما وصلت اليه عبقريتنا في ميدان الهندسة والعمران .

ان ذلك الترف تمثل بالدرجة الاولى في تلك القصور التي تعددت اشكالها وتنوعت اسماؤها ونطقت تنوه بمهرة الفعلة والصناع، وانطلقت قرائح الشعراء والوصاف الذين استهوتهم محاسنها وبهرتهم محتوياتها فنظموا في وصفها الروائع مما زخر به الادب العربي وتباهى .

فحول قصر للمعتضد العباسي اسمه «الثريا» قال الشاعر ابن المعتز :

حللت « الثريا » خير دار ومنزل
فلا زال معمورا وبورك من قصر
فليس له فيما بين الناس مشبه
ولا ما بناه الجن في سالف الدهر

وفي وصف قصر آخر للمتوكل اسمه «العروس» قال ياقوت : « ولم يبن احد من الخلفاء بسر من راى من الابنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل فمن ذلك القصر المعروف بالعروس انفق عليه ثلاثين الف الف درهم الخ »..

والمستكفي استعمل في بناء قصره «التاج» الآجر من قصر كسرى ، وكانت وجهة التاج مبنية على خمسة عقود كل عقد على عشرة اساطين وكانت غاية في السعة والضخامة .

وحول قصر آخر للمتوكل اسمه « الجعفري » قال علي بن الجهم :

وما زلت اسمع ان الملوك تبني على قدر اقدارها
واعلم ان عقول الرجال تقضى عليها بآثارها
فلما راينا بناء الامام
راينا الخلافة في دارها
بدائع لم ترها فارس
ولا الروم في طول اعمارها

كذلك لا يعزب عن بالنا ما قاله البحتري من قصائد تبثت على مر الزمان روعتها في وصف بركة المتوكل في قصره ـ وكذلك يسترعي انتباهنا ما قاله « الخطيب البغدادي في قصر المقتدر بالله وما حواه من مظاهر الافتتان من آلاف الخصيان والغلمان ومن الخزائن والآلات المرتبة والستور وصنوف الحرير والديباج ـ ومن دار الشجر المكونة من الفضة والتي عليها الاطيار المصنوعة من الفضة والتي تصفر صفيرا معجبا ، بالاضافة الى صور الفيلة والخيل والجمال والسباع الى غير ذلك مما أعتبر خير وصف لقصور الخلفاء في ذلك العهد .

ودفعت (المهتدي) نزعة من الزهد الى التنقيص من مظاهر هذا الترف والى التقليل مما هو من محتوياته من لباس وفراش ومطعم ومشرب ، بل والى مد اليد لكسر ما كان منها من الذهب والفضة ـ كما خفض صوائر الموائد وحمل الناس على ان يسيروا في هذا الاتجاه ، فما استساغت نفوسهم ذلك ، ولما راجعوه في الامر ، اجابهم : انه يريد أن يحمل الناس على سيرة الرسول وخلفائه من بعده ـ فما اقتنعوا بالفكرة ، اذ صعب اقتلاع العادات المستحكمة في النفوس والمتأصلة في الطباع ـ وكانت النتيجة ان ثاروا عليه ثم قتلوه ولما يقض في الخلافة أمدا طويلا .

وسار في ركب الخلفاء في هذا الترف والبذخ وزراؤهم والمقربون اليهم ، فشاد الوزير ابن مقلة قصرا ربى فيه اصناف الحيوانات ، فتكاثرت به وتنوعت وادهشت الناس غرابتها وبهرتهم روعتها وما تلقاه من عناية بالغة من هذا الوزير اليقظ المتفتح الذهن .

كذلك الوزير ابن الفرات ملك من الضياع واقام في قصره من مظاهر الترف ما قدر بآلاف الدنانير وبلغ من بذخه ان كان لا يأكل الا بملاعق البلور ، بل كان يجعل لكل لقمة ملعقة خاصة .

وقس على هؤلاء حال الوزير ابن طاهر وزير عز الدولة ، وحال ام المقتدر ، هاته التي كانت تنتحل نعالا مطلية بالمسك والعنبر المذاب ، تستعملها لمدة قصيرة وبعدها ترميها فتؤخذ ويستخرج منها العنبر والمسك للانتفاع منهما .

والوزير المهلبي حوت داره فوارات عجيبة يطرح الورد في مائها فتنفضه على المجلس ليقع على رؤوس الجالسين في شكل يبهر .

ودفع هذا الثراء العريض أصحابه الى اقامة مجالس بتلك القصور اسموها « مجالس الشراب » ، رسموا لها القواعد والقوانين والآداب، كانوا يلبسون فيها انفسهم لباسا آخر غير لباس التزمت والوقار أفاض الادباء القول في احداث هذه المجالس ونوادرها وقالوا الكثير عن لهوها ومجونها ووقائعها واحداثها وأخرج المؤرخون هذا الترف الى لغة الارقام ، فذكروا ما خلفه الاثرياء من عروض وتركات بأرقام لم تعرف الا المئات والآلاف من الدنانير .

وما اغفلوا كذلك الصناعات ، لقد اضفوا عليها هي الاخرى من آيات الزخرفة وضروب الابداع ما جعلها في المستوى المتناهي ـ كذلك نالت منهم الاناقة في المعيشة منتهى العناية ، فسنوا لها القوانين واعتبروا مخالفها غير ظريف ونقلوا امرها الى مستوى تأليف الكتب لبيان قوانين الظرف في الزي ، وفي التعطر ، وفي الشراب ، وبيان ما هو ظريف في الرجال لا في النساء ، وما هو ظريف في النساء لا في الرجال وهكذا .

ولم يقتصر امر هذا الترف على اهل بغداد بالعراق وحدهم ، فان الشام هي الاخرى بلغت شأوا بعيدا في هذا المضمار ، وسارت على غرارها كذلك مصر ، فكان للملوك والامراء والاكابر هنا وهناك قصورهم وأثاثهم وزخارفهم واوانيهم ، بزوا بذلك كله كل حضارة ونافسوا به كل تمدن ، وروي الشعر وتلاه النثر العجيب المدهش في وصف ذلك ونعته بكل ما هو قمين به من اكبار واعظام .

وكان المصدر الاكبر لجلب هذه الاموال هو الجزية والخراج اللذان تقع عليهما أيادي الخلفاء يمولون بها المصالح العامة ويخصصون النصيب الاكبر منها للانفاق على المقربين من شعراء ومداح ومضحكين ولشراء معروضات الاسواق من الجرائر والجواهر والجواري والتحف والنفائس وسواها .

وكريمهم ينصب موائده للفقراء يطعمهم كما يمنحهم الهبات والاعطيات لتسد عوزهم وتحسن من حالهم الشيء الذي لفت الانظار الى التزلف على أعتاب هؤلاء المحسنين والتردد على بيوتهم لاخذ نصيبهم من هذا العطاء الشامل ، وتقرب اليهم أيضا العلماء ومدحهم الشعراء وتزلف اليهم التجار ، كل ينشد الفائدة والتسابق الى المنفعة .

كل ذلك وسواد الشعب فقير بائس يعاني الحرمان ويتخبط في مهاوي الفاقة والشقاء ، ووقتما نفد مال اولئك المترفين صادروا اموال الاغنياء ولجأوا الى نهبها . وحالة كهذه تدفع ذوي المال لان يحتاطوا لانفسهم حفاظا على اموالهم ، فيخفونها ولو بالدفن ، ويتظاهرون بالاملاق والعوز ، تحت تأثير هذه الحالة الظالمة .

وواكب هذا الترف فقر مدقع اكتوى بناره عامة الناس واكابر العلماء الذين ظلوا طبعا بعيدين عن عالم الخلفاء والامراء ومن لف لفهم ، نذكر منهم البعض على سبيل المثال تعميما للفائدة :

فعبد الوهاب البغدادي المالكي يبلغ به سوء الحال الى حالة لا يجد معها حتى قوت يومه .

وابو حيان التوحيدي هو الآخر يدفعه فقره الى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة .

وابو سليمان المنطقي كذلك يصفونه بأن حاجته كانت ماسة الى رغيف ومحتاجة الى اجرة مسكن والى وجبتي غذاء وعشاء .

وابو علي القالي البغدادي تضيق به الحال فيبيع كتبه العزيزة عليه لسد مصائب عوزه .

وابو العباس المعروف بابن الخباز الموصلي يقول عن نفسه (من علم حقيقة حالي عذرني اذا قصرت فان عندي من الهموم ما يزغ الجنان عن حفظه) .

والزمخشري يقول عن نفسه شارحا حالته :

غني من الآداب لكنني اذا
نظرت فما في الكف غير الانامل

والابيوردي الشاعر الفقية حكى الخطيب البغدادي عنه ، انه مكث سنين لا يقدر على جبة يلبسها في الشتاء ويقول لاصحابه : « بي علة تمنعني لبس المحشو » « يقصد بالعلة علة الفقر » .

واكتوت بسيئات هذه الحالة حتى الفنون ، فكان الشعراء يسطع نجمهم كلما تقربوا بالمديح فغدا شعرهم كأنه سلعة تباع لكل من يدفع الثمن غاليا ، فتلون الشعر بلون الاستجداء وطغى هذا النوع من الشعر على الشعر العادي الذي ينظم تحت تأثير الباعث النفساني ؛ وحتى العلماء المقربون حظوا بالغنى وتنعموا بأطايب العيش ، وعلى عكسهم البعداء فانهم ارتدوا جلباب الفقر والاملاق وسوء الحال ونكد العيش .

وهذه هي النتيجة الحتمية لحالة تدهورت فيها الحالة الاقتصادية وقد نتجت عنها ويلات اخرى مثلها الترف في الاسراف في اللذائذ والاستهتار وفساد النفس ـ ومثلها الفقر في الحقد والحسد والكذب والخبث والخديعة وسواها من المخازي .

واذا كان الفشل في الحياة قد يسلم صاحبه الى الزهد واقناع النفس بان المال ظل زائل وعارية مستردة وان الذهب يذهب والفضة تنفض وان من حرمه فليطلب نعيم الآخرة ، فقد انبثقت من هذه النزعة الى نوع من التصوف واذا كان ايضا العجز عن تحصيل المال بالوسائل العادية قد يسلم صاحبه الى تعاطي الوسائل العكسية فقد دفعت هذه الحالة باصحابها الى تعاطي الدجل والتخريف ، فظهر التنجيم والاعتقاد في الطوالع والايمان بأنها تسعد وتشقي وظهر ايضا الميل الى الاولياء لاستعمار دعواتهم وابتهالاتهم عساها توصل الى استطلاع الكنوز الدفينة المخبوءة لتخفيف وطأة هذا البلاء : بلاء الفقر المدقع ، كما لعب السحر والشعوذة دورهما في هذا المجال .

ويعسر مع حالة متدهورة كهذه ، الطمأنينة على المال من لدن مالكيه من حيث احترام الملكيات ، لذلك ظلت هذه تحت رحمة الحكام تصادر كلما رنت اليها شهوة ذي سلطة ، كذلك اموال الفتي المتوفى يعبث بها بدعوى انه ليس له وارث معروف او بوضع عراقيل للوارث اذا عرف تجعله يتنازل وينصرف .

وطبيعي أن هذا الاضطراب في الحالة المالية يستتبعه خلل في الدخل والخرج ، فتسوء الحالة العامة وتسن الضرائب الفادحة وتصادر اموال الناس لتلبية الحاجيات وخاصة منها حاجيات الجيش ورجال السلطة ، فيأتي هذا العلاج بمضاعفة المرض واستفحال الداء ويؤول الامر الى الخراب والرجوع الى الوراء .

وانفتح امام صنف آخر من الناس مجال لاخذ النصيب الاوفى من المال عن طريق الاعتزاز بالشرف والنسب ، فجرت عليهم ـ تبعا لذلك ـ ارزاق خاصة واعطيت لهم مناصب رفيعة تناسبهم كنقابة الاشراف.

وآخرون اعتزوا بأنهم من ابناء البيوتات القديمة فاعطيت لهم دور بالبصرة وغيرها وشغلوا بمقتضى ذلك بعض المناصب السامية في الدولة .

وصنف ثالث تباهى بنسبه الفارسي فانتسب لبيت من بيوت الملك او لبيوتات اخرى عظيمة مشهورة فى بلاد الفرس .

وصنف رابع اعتز بمناصب الدولة كالوزراء ورؤساء الدواوين ، فعاشوا كلهم فى عز ومجد .

وبالاضافة الى هؤلاء اعتز آخرون بالدين او بالعلم فافادهم ذلك وحسن من احوالهم المالية والوظيفية ، وعاش بين هؤلاء واولئك عامة الناس الذين لم يعتزوا بشيء فعدوا زبدا يذهب جفاء وكان هم الواحد منهم طعامه ونومه .

وبعد :

فهذه النظرات العابرة للمظاهر الاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية فى حقبة امتدت من عهد المتوكل الى آخر القرن الرابع الهجري قد جعلت عيوننا واسماعنا وذاكراتنا تقع على العجيب المدهش خلال هذه الفترة من تاريخ المسلمين فى اهم عواصمهم وفى عهد اشهر واعظم دولهم وحكوماتهم ..

لقد برزت مواهب واقبرت اخرى ، استفيد من خبرات وغض الطرف عن اخرى ، رفل علماء ومفكرون وشعراء وادباء وفنانون وتجار وصناع ومقربون فى اذيال النعيم وحرم منها نظراء لهم لاعتبارات خاصة ، وبرزت كذلك فضائل وواكبتها رذائل ، ورأينا الحياة العربية وغير العربية فى غناها وترفها من جانب ، وفى فقرها وبؤسها ونكدها من جانب آخر ، ورأيناها فى حالة اللهو وحالة الجد ، وفى سمو الاخلاق ونبلها وتمسك الناس بها وفى انحلالها وانغماس آخرين فى رذائلها ، الامر الذى اظهر بجلاء ووضوح اننا ــ معشر المسلمين ــ اننا منذ كنا وقافلتنا ــ والحمد لله ــ سائرة وحركتنا فى الاخذ والرد لم تعرف التوقف ، نساير الركب فنخطيء ونصيب ، ونهتدي ونضل ، وننجح ونفشل ، فلنا اذن شخصيتنا ولنا فى التاريخ حركتنا ونهضتنا ومدنيتنا وحضارتنا وعلمنا وفننا وادبنا ، فلنحافظ على هذا الرصيد ولننشد المثالية فى كل شيء ولنتطلع بكل شغف الى كل ما يمكن ان يظهرنا فى المنزلة التى تبوأناها منذ كنا خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، وما ذلك على همتنا بصعب المنال ، هدانا الله الى اتباع صراطه السوي وطريقه المستقيم ، انه ولي التوفيق والسلام .

فاس ــ عبد الحق بن عمرو



لمحات ثقافية من العصر العباسي الأول

للدكتور محمد كمال شبانة

كان العصر العباسي الاول من العصور الاسلامية المرموقة ثقافيا ، فقد استقرت احوال الاسلام ، بعد ان هدأت حركة الفتوح التى بها العصر الاموي ، كما ارسى كل من السفاح والمنصور دعائم الدولة ، ونتيجة لكل هذا برز فى العصر العباسي جمهرة من الادباء والفلاسفة والمؤرخين والرياضيين ورجالات الفقه فى الدين، وهؤلاء اسدوا الى الفكر الاسلامي تراثا لم يتسن له من قبل ، كما ضن الدهر بمثلهم من بعد ، بشهادة القدامى من المؤرخين والمحدثين ، بل والمستشرقين على السواء .

ولقد كان من الطبيعي للنهضة العلمية حينئذ ان تجتاز اطوارها ، وان تتمثل تلك النهضة فى جوانب ثلاثة :

1 ـ حركة التصنيف .
2 ـ تنظيم العلوم الاسلامية .
3 ـ الترجمة .

التصنيف :

اجتازت حركة التصنيف مراحل ثلاث متميزة عن بعضها البعض :

فالمرحلة الاولى ، كانت عبارة عن تقييد النص فى صحيفة مستقلة . والمرحلة الوسطى ، كانت تتمثل فى جمع الافكار المتشابهة او الاحاديث النبوية المتماثلة فى كتاب واحد ، اما المرحلة الثالثة ، فكانت مرحلة التصنيف ، وهي اعلا المراحل وادقها، فهي تمتاز عن التدوين مثلا بترتيب الافكار ، وتبويب الموضوعات ، وتنسيق فصولها ، وقد توصل العلماء الى هذه المرحلة فى العصر العباسي الاول ، ففى عام 143 هـ شرع علماء المسلمين فى تصنيف الحديث والفقه والتفسير وكتب التاريخ ، وكان على راس هؤلاء العلماء واشهرهم الامام مالك ، الذى الف « الموطا » فى الفقه ، وابن مالك صاحب «السيرة»، وابو حنيفة الذى صنف الفقه والراي . وكان المنصور فضل ارشاد العمال وتوجيههم ، لما امتاز به من كمال العقل ، والمشاركة الايجابية فى مجالس العلم والادب ..

ولقد اختلف المؤرخون فى تحديد اول شخصية قامت بالتصنيف ، ولكن هذا الخلاف لا يعنينا بقدر ما يعنينا عصر التصنيف نفسه وهو العصر العباسي الاول باتفاق ، حيث كان النضج العلمي فيه نتيجة طبيعية للتطور ، والاحتكاك بالدول المجاورة والاجنبية ، ونشاط حركة الترجمة ، الامر الذى ادى الى ان تسير حركة التاليف خطوات موفقة الى الامام فى شتى ميادين العلوم والفنون والآداب حتى يومنا هذا ..

تنظيم العلوم الاسلامية :

تعني العلوم الاسلامية ما يتعلق منها بالدين ولغة القرآن ، وهي تمثل طبيعة الحياة الاسلامية ، وتعرف عند المؤلفين بالعلوم النقلية ، لقصور مهمة الباحث فيها على النقل والرواية ، كما هو الشأن في احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مثلا ، وكما هو معلوم في رواية الاخبار والاشعار عن العرب في البادية ، سواء اكان سماع الخبر مباشرة ام بواسطة ، « ولكن تسمية هذه العلوم بالعلوم النقلية في هذا العصر الذي ندرسه لم تعد تسمية دقيقة ، ذلك لان علماء هذا العصر استباحوا لانفسهم ان يعتمدوا على العقل والمنطق في التدليل على ما يذهبون اليه ، فاصبح المحدث يحكم على هذا الحديث او ذاك بانه موضوع لانه يخالف العقل والمنطق ، واصبح يفتي في مسالة فقهية لم يرد فيها نص صريح باجتهاده وتفكيره ، وان خالف في ذلك من سبقوه من المجتهدين ، واصبح احيانا يؤول النص للتوفيق بين طوائف النصوص التي يظهر فيها شيء من الاختلاف ، او ليحكم بغير ما سجله النص ، اعتمادا على أن النص روعيت فيه حالة خاصة (1) » ولذلك نرى الاستاذ احمد امين يميل الى هذا الاتجاه من تسمية تلك العلوم بالعلوم الاسلامية ، ويستدل لذلك بعلم الكلام ، وان المتكلمين فيه اظهر عنصر عقلي في الحركة العلمية ، وهم — على حد قوله — لا يميلون كثيرا الى المنقول ، ولا يثقون بكل ما فيه ثقة المحدثين وغيرهم به ، ولهم في التوحيد مذاهب معروفة ، ولاسيما في صفات الله ونحو ذلك ، مما يشهد للعقل في هذا المجال بدور كبير .

هذا ، وللعصر العباسي الاول فضل كبير على العلوم الاسلامية ، ففيه بلغت شأوا عظيما في النظام ودقة البحث والتطور المنهجي ، وها نحن الآن بصدد الحديث عن بعضها :

أ — التفسير :

كان تفسير القرآن قبل العصر العباسي تفسيرا لبعض آياته فقط ، دون ترتيب معين او تنسيق ، وانما دعت الى هذه التفسيرات ظروف وضرورات او اغراض معينة ، اما في هذا العصر فقد تطور التفسير تطورا ملموسا ، واضحى مرتبا منسقا كما يحكي ذلك ابن النديم . فكان ذلك اول تفسير القرآن كله مرتبا حسب ترتيب الآيات ، ونسج المفسرون من بعد على هذا المنوال ، بل زاد فيه المتاخرون كثيرا من المزايا النحوية والبلاغية والفلسفية، كالطبري والنسفي والبيضاوي والقرطبي وغيرهم . .

ولقد وجه علماء الفقه اهتمامهم في التفسير الى استنباط الاحكام الشرعية من القرآن ، كما عنى اللغويون بغريب الالفاظ فيه، واستخرج النحاة الشواهد النحوية منه ، فكان القرآن بهذا زادا مشاعا بين العلماء على اختلاف تخصصاتهم ، كل يجد فيه بغيته ومراده ، وبالتالي كان القرآن مصدرا هاما للعلوم المختلفة . .

ب — الفقه :

يمتاز العصر العباسي بانه عصر الفقه بحق ، فقد عاش فيه ائمة الفقه الاربعة ، ابو حنيفة النعمان 150 هـ) ومالك بن انس (179) هـ) والشافعي (204 هـ) واحمد بن حنبل (241 هـ) وهؤلاء هم اصحاب المذاهب الاسلامية انتشارا في العالم حتى اليوم .

وقد تميزت طريقة كل من هؤلاء الائمة في استنباط الاحكام الفقهية ، ويمكن اجمال اتجاهاتهم في هذا الى طريقتين : احداهما طريقة اهل الراي ، واعتمادها على الحكم من النصوص المروية ، متى لم يكن هناك نص صريح في المسالة ، واما الطريقة الاخرى فهي طريقة اهل الحديث ، التي تدعو الى الوقوف عند حد النص ، وقصدهم بذلك قصر الاحكام الشرعية على المصدرين الاساسيين فقط ، وهما القرآن الكريم والحديث النبوي (السنة) ، ويمتنعون بالتالي عن سلوك طريقة الآخرين في الاخذ بالراي .

وطبيعي ان تكثر الاحاديث بالمدينة المنورة ، لانها موطن الرسول وصحابته والتابعين ، فاخذوا بالنصوص الدينية التي لم تعوزهم في شيء تقريبا الى الراي ، بخلاف العراق الذي جنح اهله الى القياس

(1) احمد امين في « ظهر الاسلام » .

والاجتهاد فى كثير من القضايا الفقهية ، وذلك لقلة الاحاديث المعتمدة لديهم ، ولخوفهم من المطعون فيها ، وعلى هذا وجدت مدرستان للفقه : مدرسة النص ، ومدرسة الاجتهاد. بيد ان الهوة بينهما لم تتسع بمرور الوقت ، فقد قاربت الرحلات بين وجهتي نظر الطرفين ، فقد حمل المدنيون معهم الحديث الى العراق ، وسار العراقيون الى المدينة بفتاواهم واجتهادهم ، وكان فى مقدمة هؤلاء واولئك المرتحلين بعض الائمة انفسهم .

هذا، ويذكر فى مقدمة كتب الفقه التى صدرت ابان العصر العباسي الاول « كتاب الخراج » لابي يوسف تلميذ أبي حنيفة ، وهو مصدر هام فى الاقتصاد الاسلامي ، وكان قد صنفه باشارة من الرشيد ، الذى طلب اليه ان يؤلف كتابا فى تنظيم اقتصاديات الدولة الاسلامية ، وقد اشتمل الكتاب على خطوط عريضة ثلاثة فى هذا الصدد ، وهي :

1 ــ موارد الدولة فى نظر الاسلام .

2 ــ الطريقة المثالية لجباية هذه الموارد .

3 ــ واجبات بيت المال نحو موارده ، ووجوه انفاقها شرعا .

ج ــ النحــو :

ان معظم اساتذة النحو المشهورين يرجعون الى العصر العباسي الاول ، وهم ينتمون الى مدرستين شهيرتين : مدرسة البصرة ، ومدرسة الكوفة ، فالاولى كانت توجه عنايتها الى وضع قواعد اساسية للغة العربية ، محتكمة فى ذلك الى ما اشتهر عن العرب ، فاذا ظهر خلافه كان شاذا ولا مجال للقياس عليه ، واذا ثبت صحة هذا الشاذ حفظوه ولم يقيسوا عليه . ومن اشهر ائمة هذه المدرسة عيسى بن عمر (149 هـ) صاحب كتاب « الجامع » ويقال ان سيبويه اتخذه اساسا ، وبنى عليه كتابه المعروف، وسمى ما شذ عما جاء فى قواعده «لغات»، ومن زعماء مدرسة البصرة كذلك الخليل بن احمد (175 هـ) والاخفش (177) وسيبويه (180 هـ) .

اما مدرسة الكوفة فقد ظهرت فى وقت متاخر عن مدرسة البصرة ، ومؤسسها أبو جعفر الرؤاسي المجهول الوفاة، والكسائي (183 هـ) والفراء (207هـ). وتمتاز هذه المدرسة بانتصار الخلفاء العباسيين لها، ففى عهد الرشيد كانت رياسة مدرسة البصرة لسيبويه ، ورياسة مدرسة الكوفة للكسائي ، وكان الخليفة يميل الى آراء الكسائي النحوية فى كثير من مجالسه وبحضورهما ، ولو استدعى الامر تزوير الحقائق على حد رواية ابن خلكان الشهيرة يومئذ .

هذا ، ولا يخفى علينا ان القواعد التى اعتمد عليها الكوفيون اسهل بكثير مما تمسك به البصريون، حيث ارتضى الاولون كل ما نطق به عربي ، واتخذوه قاعدة بنوا عليها ، ومن ذلك اجازتهم تأكيد النكرة المعرفة ، كقولك : سافرت ليلة كلها ، وحجتهم فى ذلك قول الشاعر :

« يا ليت عدة حول كله رجب »

ولكن البصريون طعنوا فى البيت ونسبته الى عربي ، واضافوا انه لو صح فانه شاذ ولا يقاس عليه ، معتمدين على ان التوكيد يتبع المؤكد ضمن ما يتبع فى التعريف والتنكير على ما هو مشهور . وعلى هذا المنوال جرى الخلاف بين المدرستين فى كثير من مسائل النحو ، وقد تعرض ابن الانباري لمعظم هذه المسائل فى كتابه « الانصاف فى مسائل الخلاف » ؛ ولا شك ان هذه العصبية البلدية من رواسب العصبية القبلية فى الجاهلية الاولى ، والتى بقيت تجري فى العروق رغم مرور ما يقرب من قرنين !!

د ــ التاريــخ :

بدات دراسة التاريخ الاسلامي فى صورة رواية الاحاديث النبوية عن مولد الرسول ونشاته وبعثته ، وما اعترض طريق دعوته فى مكة ، وما لاقاه من ترحيب فى المدينة ، وما الى ذلك من سجل الرسول ودعوته وغزواته واخبارها ، وقد صنفت الاحاديث المتعلقة بتلك الغزوات مثلا فجعلت تحت عنوان «باب المغازي والسير» على ما نراه حتى اليوم فى كتب الحديث الشهيرة كالبخاري ومسلم ، حتى جاء العصر العباسي الاول ، فاخذ هذا العلم مكانته المنهجية الدقيقة ، وكان محمد بن اسحاق اول من وضع فى السيرة ، وهو نفس كتاب السيرة لابن هشام (218 هـ) الذى قدمه الينا مختصرا .

هذا ، وقد الحق المؤرخون المعاصرون للنبي ذكر رسله وسفرائه الى الرؤساء والملوك ، وما كان من امر هذه السفارات ، ثم اضافوا ما كان من

احداث على عهد ابي بكر وعمر ، باعتبار ان سلسلة الدعوة متصلة بالخلفاء ، وتطورت لذلك تسمية السيرة الى التاريخ ، ومن اشهر من الف فيه يومئذ الشيخ محمد بن عمر الواقدي (207 هـ) صاحب كتاب « التاريخ الكبير » ، الذى استقى منه الطبري حتى احداث عام 179 هـ ، وللواقدي كتابات تاريخية اخرى ككتاب « المغازي » ، كذلك يذكر فى هذا الميدان محمد بن سعيد صاحب « الطبقات الكبرى » ذي الثمانية اجزاء ، وقد خصص الاول والثاني منه للسيرة النبوية ، اما الاجزاء الستة الباقية فقد اشتملت على اخبار الصحابة والتابعين.

هـ ـ الترجمة :

يعتبر المنصور صاحب الفضل الاول فى تشجيع الترجمة من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية فى شتى الوان العلوم والفنون والآداب ، فلقد جمع حوله فى بغداد نخبة ممتازة من العلماء ، واغراهم بالحوافز الادبية والمادية فى سبيل النهوض بالثقافة العربية ، فكان من ابرز هؤلاء عبد الله بن المقفع (757 م) وكان على دين المجوسية ثم اعتنق الاسلام ، حيث ترجم من الفارسية كتاب « كليلة ودمنة » المعروف، ثم نقل الكتاب من العربية من بعد الى معظم اللغات الاوربية وغيرها .

ومن مشاهير المترجمين فى عصر المنصور الطبيب النسطوري جورجيس بن بختيشوع (771 م) فقد استدعاه هذا الخليفة من جند يسابور كطبيب خاص له ، ولكن هذا الطبيب سرعان ما مارس فن الترجمة فى ذلك الجو العلمي . ومن المترجمين كذلك الحجاج بن يوسف بن مطر الذى برز اسمه بين سنتي 786 ـ 833 م ، وله الفضل فى السبق الى ترجمة كتاب « العناصر » لاقليدس ، ومن هؤلاء ايضا ثاوفيل بن توما الذي ترجم جزءا من الياذة هوميروس ، وابو يحيى بن البطريق الذي ترجم معظم مؤلفات جالينوس وابقراط .

ولقد قام الخليفة المامون برعاية المجمع العلمي ببغداد ، وكان قد اسسه الرشيد من قبل ، وكان به مرصد فلكي ، ويحتوي على مكتبة عظيمة ، ويعمر بالمترجمين الكبار ، بحيث كان اهم مجمع علمي شيد منذ عهد جامعة الاسكندرية التي شيدت فى النصف الاول من القرن الثالث قبل الميلاد . وقد كان لمجمع بني العباس هذا فضل كبير فى ترجمة الكتب المشهورة من لغاتها المختلفة الى العربية ، وقد رأس هذا المجمع الطبيب النطوري يحيي بن ماسويه الذى عاش بين سنتي 777 ، 857 م ، وقام بترجمة كثير من المؤلفات الطبية المخطوطة بأمر الرشيد، ثم انتقلت رئاسة المجمع الى تلميذ يحيى هذا المسمى حنين بن اسحاق (873 م) ، وقد طاف هذا العالم فى معظم البلاد التى تتحدث باليونانية ، وجلب منها المخطوطات العلمية ، وقام بعدئذ بترجمتها الى العربية ، فعهد اليه الاشراف على هيئة الترجمة فى دار الحكمة ، ومن اشهر الكتب التي نقلها حنين الى لغتنا ـ بمعونة هيئة الترجمة يومئذ ـ كتب اقليدس وجالينوس وابقراط وارشميدس وابولونوس ، بالاضافة الى مؤلفات افلاطون وهي : كتاب السياسة ، وكتاب القوانين ، وكتاب الجمهورية ، وبعض مؤلفات ارسطو والاسكندرية الافروديسي ، كما ترجم للعربية العهد القديم ، وبعض كتب الطب المنسوبة الى بولس الاجيتي .

هذا ، ولا جدال فى ان الكتب الفارسية والهندية كانت اقدم الكتب التي توجهت اليها عناية المشرفين على بيت الحكمة ، والسر فى ذلك يرجع الى ان يحيى بن خالد كان يشرف على شؤون الدولة عامة فى عهد الرشيد ، ولاسيما فيما يتعلق بالشؤون الثقافية ، وكان يحيى هذا فارسي الاصل ، فكان أن بذل جهدا مضنيا بدار الحكمة حين نقل الكتب الفارسية ذات الصبغة العلمية الهامة ، وعهد بترجمتها الى مشاهير المترجمين ممن أتقنوا الفارسية والعربية معا ، ومنهم ابو سهل الفضل بن نوبخت الذى ينوه به ابن النديم فى كتابه « الفهرست » ص 274 حين يذكر انه ينسب اليه نقل العلوم الفارسية الى العربية ، وكذا العلوم الهندية بحكم صلة الفرس بالهنود .

ولقد كان للتراث اليوناني اثر عظيم فى الفكر العربي منذ عهد الرشيد حسبما تتحدث المراجع التاريخية عن ذلك ، فقد روت هذه المصادر أن معظم الكتب التي وجدها المسلمون بانقرة وعمورية وسائر بلاد الروم قد نالتها يد الترجمة العربية فى دار الحكمة ، بالاضافة الى ما جلب من قبرص من كتب الفلاسفة التى نقلت فى عهد المامون على يد كاتبه سهل بن هارون . اما كتب القسطنطينية فقد دخلت فى حوزة العرب على عهد هذا الخليفة ايضا ،

حيث كان يراسل معاصره ملك الروم الذي انفذ اليه كثيرا من مخزونها لديه ، وقام المترجمون في دار الحكمة بنقلها الى اللغة العربية بدورهم .

والسؤال الذي يلح على الباحث في هذا المقام هو : هل كانت همة العرب مقصورة على ترجمة تلك العلوم التي نقلوها من اللغات الاجنبية ؟

والجواب ان هذه العلوم المترجمة للعرب قد ظفرت بعناية علماء العرب تفسيرا وتعليقا واضافة ، ويتضح ذلك جليا لمن يتصفح شيئا من هذه الكتب ، حتى يلمس الجهد العربي بعد الترجمة .

وغني عن البيان أن نذكر ان للعرب فضل الحفاظ على هذا التراث العالمي من ايدي العبث في عصور سادها الظلام ، وقد لعبت الجامعات والمعاهد الاسلامية دورا هاما في خدمة الثقافة العربية، حينما قامت اوربا نفسها بالاستفادة من هذه الثقافة عن طريق ترجمة افكار العرب الى اللاتينية ، فكان ذلك عماد نهضة وثقافة اوربا في العصر الحديث ، ويشهد لذلك معظم مؤرخي الغرب انفسهم ، ومنهم المستشرق بولس في كتابه « الفكر الاسلامي » وجوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » .

وتجدر الاشارة الى ما نوه به الاستاذ فيليب حتى في كتابه « تاريخ العرب » عن اثر الحضارة العربية في الثقافات العالمية والنهضات الاوربية ، حيث يقول :

« ان العهد العباسي ليزهر باليقظة الفكرية التي تمت فيه ، وقد كانت هذه اليقظة ذات اثر بعيد في الحركات الفكرية والثقافية في العالم ، وكانت تعتمد الى حد بعيد على الثقافات الاجنبية ، وبخاصة الفارسية والهندسية واليونانية ، وكان المسلم العربي حاذقا ذكيا ، شغوفا بالاطلاع ، راغبا في الاستفادة والتزود من هذا الزاد الفكري الرفيع، ومن اجل هذا كانت استفادته شاملة ، وانتفاعه واضحا ، وسرعان ما سيطر على ثقافة هؤلاء الاقوام ، واصبح يضع يده على اهم مؤلفات ارسطو الفلسفية » .

د. محمد كمال شبانه

المصـــــادر :

1 ـ حضارة العرب ـ جوستاف لوبون .
2 ـ تاريخ العرب ـ فيليب حتى .
3 ـ الفكر الاسلامي ـ المستشرق بولس .
4 ـ تاريخ الاسلام ـ د. حسن ابراهيم .
5 ـ التاريخ الاسلامي ـ د. احمد شلبي .
6 ـ ضحى الاسلام ، وظهر الاسلام ـ احمد امين .
7 ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ـ كارل بروكلمان .



للأستاذ محمد حمود

كثيرا ما نردد كلمة حقوق الانسان وكثيرا ما نحيي الذكريات لاعلان ميثاق حقوق الانسان كل سنة ولا نرى اي داع يدعونا للتعمق فى مدلول هذا الميثاق والنفاذ الى اعماق محتوياته التى تشع انوارها فى قلوب المستضعفين والمضطهدين فيشرق الامل فى ثناياها وتستنير لهم سبل الكفاح من أجل استرجاع حقوق مسلوبة او حريات مهضومة وكثيرا ما نردد كلمة حقوق الانسان ونرتل نشيدها العذب وننساب فى غمرة من البهجة بهذه الحقوق والانتشاء بما تسكبه فى قرارة النفس وعميق الشعور من فرحة وحبور دون ان نبحث عن مراحل الكفاح التى سبقت هذا الاعلان العالمي ولا المحن التى عانتها الانسانية فى سبيل نيل هذه الحقوق جيلا بعد جيل وقرونا تلو قرون .

ولهذا اراني مضطرا للتعريف بهذا الموضوع والمساهمة فى تحليله فاقسم دراسته الى قسمين : القسم الاول يتعلق بنبذة تاريخية حول المراحل التى سبقت الاعلان العالمي لحقوق الانسان والقسم الثاني ينتظم بيان هذه الوثيقة التاريخية والتعليق على بعض فصولها حتى تتضح معانيها فى النفوس وينجلي ما ابهم منها فى اذهان القراء الكرام فأساهم بهذا البحث المتواضع فى تصحيح الفهم بهذه الحقوق وانارة الطريق امام الفكر الطموح كي تستقيم موازينه ويصح تقييمه للفكر وموضوعاتها والكلمات ومدلولاتها ؛ وأخلص فى النهاية الى بحث وتلخيص مدى تأثير ميثاق حقوق الانسان فى الدساتير الحديثة .

اولا : نبذة تاريخية لحقوق الانسان ..

ارى من الملائم قبل تحليل حقوق الانسان أن اعطي للقاريء الكريم نبذة تاريخية عن كفاح الانسانية فى سبيل الحرية بمعناها الواسع ونيل الحقوق المترتبة عن هذه الحرية واريد أن يكون منطلق هذه النبذة هو القرن الثامن عشر لانه يعتبر قرن الثورات التى انصهرت جميعها فى بوتقة واحدة وتكتلت حولها صرخات المناضلين من اجل اعلاء شأن الحرية وكرامة الانسان .

فقد برزت فكرة حقوق الانسان للوجود بمدلولها الحديث ورات النور خلال القرن الثامن عشر واتخذت هذه الفكرة صبغة سياسية نتيجة النزاعات والحروب التى كانت تعم اقطار المعمور فكنا نرى الكتاب والمؤلفين ينادون بايقاف الحروب بين الشعوب وخاصة شعوب أوربا حيث كانت تسود الفوضى وتطغى فكرة الاستغلال وحب السيطرة على الشعوب الاخرى . وفى هذه الحقبة نسمع الشاعر الفرنسي الشهير فولتير ينادي بأعلى صوته داعيا الى السلم ورد الاعتبار لشخص الانسان فيصف الحرب سنة 1770 بأنها « جريمة شنعاء لا تقل بشاعتها عن بشاعة جريمة السرقة والاغتصاب » ويأتي بعد فولتير

« عمانويل كانت » فينشر كتابه « السلم الأبدي » ويعيب فيه على الدول القوية عدوانهـا على غيرهـا وسلبها الشعوب حريتها واستقلالها . ويصـرخ فى وجه هذه الدول بأنه « لا يجوز مطلقا ان تطغى القوة على الحق » .

ونثب الى القرن التاسع عشر ونجد الصراع يستمر بين المفكرين الداعين الى السلم ومنح الحرية لشعوب العالم والقادة الداعين الى اشتعال نيران الحروب . ومن بين مفكري هذا القرن الداعين الى نشر مبادىء الاخاء والسلم العام « لامارتين » وفيكتور هوجو هذا الذى نادى مؤتمر السلام الدولي قائلا : « ان الحدود الاوربية لتستعبد الشعوب والحكام وان الحدود لاعظم استرقاق شاهدناه فى التاريخ فلتمح الحدود ولتلغ الجمارك وليسترح الجنود » وانسجاما مع هذه الافكار دعا فيكتور هوجو لاقامة اتحاد بين دول اوربا . كما تخيل « جان بودان » قيام جمهورية عامة تؤلف اتحادا دوليا وتسن القوانين التى تكفل النظام وتحقيق العدالة .

وتشرق شمس القرن العشرين وتنشب الحرب العالمية الاولى وتجيء الكوارث الدولية تترى ولم تبق دولة الا واكتوت بنيران هذه الحرب الشاملة فنهض مفكرون مثاليون وساسة محنكون ووضعوا مشروعات لمنع الحروب فكان من اوسعهم نفوذا واعظمهم مكانة رئيس الولايات المتحدة الامريكية ويلسن الذي قال : « هل من سبيل لتآخي الشعوب وتآزرها فتتعاون على الخير بدلا من الشر » وكان من آثار هذا الرئيس الالمعي وضع ميثاق عصبة الامم .

واذا ما عدنا قليلا الى الوراء نجد ان كثيرا من المفكرين السياسيين يعتبرون الثورة الفرنسية هي الشرارة الاولى التى انبثقت عنها حقوق الانسان والمواطن رغم ما صاحبها من مظاهر العنف والارهاب. فقد اثمرة هذه الثورة ثمرات طيبة لصالح تقدم الانسان وتقدم المبادىء الديمقراطية بعدما نال هذه المبادىء المثالية من عنت وركود وتقهقر وجمود . فتقرر نتيجة لهذه الثورة مبدأ السيادة الشعبية او سيادة الامة وطفرت ثورات مماثلة فى كثير من دول اوربا واصبح شعار الحرية والمساواة على كل لسان وتردد صدى حقوق الانسان فى كل مكان. وهكذا نرى النائب البريطاني « ولبرونوس » يكافح من اعلى منصة البرلمان الانجليزي حتى يحصل على قرار بمنع تجارة الرقيق سنة 1806 ـ وتتنافس الدول الاخرى مع بريطانيا للعمل على ازالة هذه الوصمة التى كانت تلطخ جبين الانسان فتتقرر الحرية الدينية وتزول الفوارق المشينة بين المواطنين بسبب الدين او المذهب .

وينتبه المشرعون وعلى رأسهم « بنثام » الى ما فى نظام العقوبات ومعاملات الافراد بالسجون من امور تخل بكرامة الانسان فيطالبون بل يعملون على اصلاحها وسد ما بها من خلل ونقصان . وتعددت مظاهر تكريم الفرد واحترام حقوق الانسان حتى اصبح هذا المبدا من الاسس الراسخة للديمقراطيات الحديثة .

نستخلص من هذه المراحل انه اذا كان الشعب الامريكي قد طالب بالحرية وباحلال نظام ديمقراطي وكافح من اجل ذلك حتى حصل على مطلبه الثمين ، واذا كان الشعب الفرنسي قد اقتفى اثر الشعب الامريكي وسار على منواله ونفض عنه غبار العبودية سنة 1789 حتى اعلن وثيقة حقوق الانسان والمواطن اذا كان هذا وذاك فان ما اعلنته الامم المتحدة يوم 10 دجنبر 1948 لم يكن الا نتيجة منطقية لتلك الثورات التى خاضها الانسان وذاق فيها الامرين .

هذه بايجاز واقتضاب هي المراحل التى قطعت اشواطها الانسانية متجاوبة ومنسجمة للحصول على مبدا حقوق الانسان حتى اتخذ قالبه النهائي بعد الحرب العالمية الثانية وبعد بزوغ هيئة الامم المتحدة للوجود .

ورغم ما نراهمن خرق لمبدا حقوق الانسان فى سلوك بعض الدول الضعيفة الايمان بهذا المبدا فان الاعلان العالمي لحقوق الانسان يعتبر نصرا كبيرا حققته شعوب العالم وفيصلا بارزا بين عهدين عهد تميز بالظلم والاستعباد وعهد اشع بالحرية والعدالة والاخاء بين الشعوب .

ثانيا : وثيقة تاريخية لحقوق الانسان ..

يتكون ميثاق حقوق الانسان العالمي من ديباجة وثلاثين فصلا وتلخص الديباجة معاني حقوق الانسان وتجسد ذلك الصراع الذي مرت منه الانسانية قبل هذا الاعلان التاريخي . ونظرا لاهمية هذه الديباجية اورد نصها الكامل قصد التأمل فى معانيها السامية ومراميها التحررية :

« ان الاعتراف بكرامة بني الانسان المتأصلة وبحقوقهم الثابتة المتكافئة لهو اساس الحرية والعدالة في العالم وانه قد نجم عن اغفال حقوق الانسان وازدرائها اعمال وحشية اثارت سخط الضمير الانساني ، فاعلن الناس ان اسمى ما تصبو اليه نفوسهم هو ايجاد عالم يتمتعون فيه بحرية القول والعقيدة ويتحررون فيه من الخوف والعوز وان حماية حقوق الانسان بحكم القانون امر ضروري حتى لا يدفعه يأسه الى الثورة على الظلم والطغيان كما ان توثيق العلاقات الودية بين الشعوب قد أصبح امرا بالغ الاهمية . وشعوب الامم المتحدة قد أكدت من جديد في ميثاقها ايمانها بحقوق الانسان الاساسية وبكرامة الفرد وقيمته وبحقوق الرجال والنساء المتساوية – واعتزمت العمل على زيادة التقدم الاجتماعي ورفع مستوى المعيشة في ظل حرية شاملة

وان الدول الاعضاء قد اخذت على نفسها عهدا ان تكفل بالتعاون مع هيئة الامم المتحدة احترام حقوق الانسان وحرياته الانسانية احتراما عالميا واقعيا وان من الامور البالغة الاهمية ان يفهم الناس هذه الحقوق والحريات كي يتيسر الوفاء بهذ العهد وفاء كاملا » .

والآن اتعرض الى تحليل مواد الميثاق العالمي مع ذكر بعض نصوصها اذا اقتضى الحال: فقد ضمنت المادتان الاولى والثانية المساواة التامة في الكرامة والحقوق لبني الانسان دون تمييز بسبب السلالة او اللون او الجنس او اللغة او الدين او المعتقدات السياسية . وكانت هذه الضمانة كرد فعل للتمييز العنصري الذى نشأ عن النظامين النازي والفاشي خلال الحرب العالمية الثانية . وتضمن المادة الثالثة حق كل انسان في الحياة والحرية والامن الشخصي وفي ذلك ترديد لصدى انتعاش فكرة الحقوق الطبيعية للانسان فالفرد بالنظر لهذه الفكرة حينما يرى نور الوجود تولد معه حقوق اصيلة لا فضل لاحد عليه في اكتسابها والافراد متساوون في ثبوت هذه الحقوق الطبيعية . واذا كان الفرد حيوانا سياسيا كما يقول علماء الاجتماع ويأنس من طبيعته للحياة في ظل الجماعة فانه يدخل اليها بحقوق طبيعية لصيقة به ولا يجوز ان تسلب منه او تنزع منه بصفة او اخرى . وحرمت المادتان الرابعة والخامسة استعباد الانسان واسترقاقه وتعذيب الانسان بالقسوة التى تتنافى وكرامته وحثت المادتان السادسة والسابعة على ضمان تمتع كل فرد بشخصيته القانونية والمساواة امام القانون ، اما الالتجاء الى المحاكم لرفع اي عدوان على حقوق الفرد التى خولها له القانون او الدستور فذلك ما ضمنته المادة الثامنة من الميثاق .

وقررت المواد التاسعة والعاشرة والحادية عشر المبادىء المعترف بها في جميع قوانين الاجراءات سواء كانت مدنية او جنائية وتتلخص هذه المبادىء في علنية المحاكمة وعدالتها – وعدم جواز اعتقال شخص ما بدون مسوغ قانوني وان الاصل في الناس البراءة حتى تثبت ادانتهم . وهذه المبادىء تتفق وما أثر عن احد كبار المفكرين : « ان الجريمة الكبرى هي ان نعاقب شخصا وبعد فترة تظهر براءته » .

اما ضمان حرية السريرة وحرية التنقل والاقامة وحرية الالتجاء السياسي فذلك ما كفلته المواد الثانية عشر والثالثة عشر والرابعة عشر ، وفيما يخص حق الانتماء لجنسية من الجنسيات فذلك ما كفلته لمادة الخامسة عشر « فلا يجوز حرمان انسان من جنسيته ولا من حقه في تغييرها دون مسوغ قانوني .

وكفلت المادة السادسة عشر حق الانسان في « الزواج وتكوين اسرة دون أن يتعرض هذا الحق لاي قيود منشأها السلالة او الجنسية او الدين واحاطت هذا الحق برضاء الطرفين رضاء كاملا » .

وبهذه المادة يشجب الميثاق كل تمييز عنصري او ديني في بناء الاسرة التى تعتبر النواة الاولى للمجتمع البشري .

وقررت المادة السابعة عشر حق الملكية الخاصة وعدم حرمان الانسان من هذا الحق الا اذا كان يتعارض والمصلحة العامة . كما تكفلت المادة الثامنة عشر بضمان حق الانسان في حرية الفكر والضمير والدين وحرية ممارسة العقيدة والتعبد في الاماكن الخاصة بكل طائفة من مختلف الديانات واكدت المواد التاسعة عشر والعشرون والواحد والعشرون على ضمان حرية الراي والتعبير وحرية الاجتماعات وانشاء الجمعيات ذات الاهداف السلمية وحق الافراد في الالتحاق بالوظائف العامة على قدم

المساواة دون ميز او محاباة . وتعتبر هذه الحقوق من فئة الحقوق السياسية التى يسعى الانسان لبلوغها منذ ازمان وازمان حتى يضمن له حق المساهمة فى تسيير الشؤون العامة بصفة شخصية او تمثيلية .

وفى اطار الحقوق الاقتصادية والاجتماعية اتت المواد الثانية والعشرون والثالثة والعشرون والرابعة والعشرون لتنص على ان كل فرد باعتباره عضوا فى المجتمع له الحق فى الامن الاجتماعي والاقتصادي والثقافي حتى يحصل الاكتفاء الذاتي لكل المواطنين وعلى حق الافراد فى تقاضي اجور متكافئة عن الاعمال المتكافئة ، وعلى حقهم فى العمل وتكوين النقابات بغية الدفاع عن مصالح العمال وكذلك حق الانسان فى الراحة وضمان مستوى معاشي يلائم صحته وصحة اسرته وسيرا مع منطق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية نصت المادة 25 من الميثاق على ما يلي : « لكل انسان الحق فى مستوى للمعيشة ملائم لصحته ورفاهيته ولصحة اسرته ورفاهيتها ويتضمن هذا حقه فى المأكل والملبس والمسكن والرعاية الطبية والخدمات الاجتماعية الضرورية وفى الامن من العطل او المرض او العجز او الترمل او الشيخوخة او غير ذلك من حالات العوز الناشئة عن ظروف لا قبل له بها .

وتضيف هذه المادة : « للامومة والطفولة حق الرعاية الخاصة ولجميع الاطفال سواء كانوا شرعيين أم غير شرعيين أن يتمتعوا على السواء بالحياة الاجتماعية » .

وكذلك نصت المادة السادسة والعشرون على ما يلي : « لكل انسان الحق فى التعليم ويجب أن يكون التعليم مجانا فى مراحله الاولى والاساسية على الاقل وان يكون التعليم الاولي الزاميا والتعليم الفني والمهني فى متناول الجميع وان يتاح التعليم العالي للجميع على اساس الجدارة والكفاءة » .

وتعطي هذه المادة للآباء حق الاولوية فى اختيار التعليم الذى يتلقاه ابناؤهم .

واذا كان من حق الانسان الاشتراك بكامل حريته فى حياة المجتمع الثقافية والتمتع بكامل الحقوق السالفة الذكر كما تؤكد على ذلك المادتان السابعة والعشرون والثامنة والعشرون فعلى الانسان بالمقابل واجبات والتزامات نحو المجتمع الذى اختار الحياة فى ظلاله ومن ذلك الاعتراف بحقوق الآخرين وحرياتهم واحترام هذه الحقوق والحريات والى ذلك تشير المادة التاسعة والعشرون .

ولضمان هذه الحقوق والحريات حرمت المادة الاخيرة اي تفير لنصوص الميثاق يكون من شأنه ان يبيح لدولة او جماعة او فرد الاخلال بحق من حقوق الانسان او حرية من حرياته .

تلك هي اهم البنود الواردة فى ميثاق حقوق الانسان وتلك هي اهم الحريات التى ضمنها لبني الانسان دون اي تمييز فيما بينهم بحسب الجنس او اللون او الديانة وهو بذلك يشكل خطوة عملاقة خطاها الانسان فى القرن العشرين للقضاء على مخلفات ورواسب القرون الغابرة . هذه القرون التى تميزت بنقائص الرق واضطهاد الشعوب والميز العنصري بمختلف انواعه واشكاله — ولهذا نعتبر ميثاق حقوق الانسان ثمرة من ثمرات شجرة الحرية تلك التى اينعت افنانها واشعت انوارها على كثير من دول العالم فى عصرنا الحاضر بعد كفاح مرير وجهاد عسير .

والآن بعد ان عرفنا بالعصور التى سبقت اعلان حقوق الانسان وعرفنا بفصول هذا الميثاق يحق لنا ان نتساءل عن مدى تأثير هذه الحقوق فى الدساتير الحديثة وللاجابة على هذا التساؤل نخص بالذكر بعض الامثلة من الدساتير وعلاقتها الوثيقة بما نص عليه ميثاق حقوق الانسان من حقوق وحريات .

فمبدأ المساواة الذى نصت عليه المادة الاولى من الميثاق تكاد اغلبية الدساتير تتفق عليه وتجمع على الاعتراف به . ففى دستور الولايات المتحدة الامريكية نجد هذا التصدير لدستورها .

« نحن شعب الولايات المتحدة رغبة منا فى تأليف اتحاد اكمل وفى اقامة العدالة وكفالة الطمأنينة الداخلية وتهيئة وسائل الدفاع المشتركة ورعاية الخير العام وضمان بركات الحرية لنا ولذريتنا رسمنا وقررنا هذا الدستور للولايات المتحدة الامريكية » . ويستطرد هذا الدستور ذكر حقوق الانسان بأكملها بما فيها المساواة . ونجد بقية الدساتير الاخرى تعطي نفس الحقوق لمواطنيها ومن ضمنها الدستور المغربي .

واذا كان الميثاق قد ركز على مبدأ سيادة الامة ومبدأ فصل السلط ومبدأ تمتع كل مواطن بعدة حقوق وحريات فقد تبنت الدساتير الحديثة أيضا هذه المبادىء كلها وجعلتها اسسا عامة ومشتركة فيما بينها ـ واذا كان الدستور يعتبر اسمى قانون فى الدولة فان ميثاق حقوق الانسان يمكن القول فيه انه اصبح دستور الدول كلها فى جميع انحاء المعمور واذا كان من خلاف بين هذه الدول فى التفسير والتأويل فمرد ذلك الى الايديولوجيات التى تستوحي منها هذه الدول نظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

فأكرم بالانسان وبحقوق الانسان وبالدساتير التى جعلت من هذه الحقوق منارا تهتدى به فى الظلام الحالك والليل البهيم .

محمد حمود

سيدي اليوم راقد ...

اذا عرضت لي فى زماني حاجة
وقد اشكلت فيها على المقاصد

وقفت بباب الله وقفة ضارع
وقلت « الهي انني لك قاصد »

ولست تراني واقفا عند باب من
يقول فتاه « سيدي اليوم راقد »

المكودي



للأستاذ : عبد القادر زمامه

485 ـ من كسوة الكعبة المشرفة ... !

وجدت فى كناشة بها فوائد ونقول علمية من كتب خطية من جملتها هذا النقل الذي نقله الكاتب من مخطوطة كتاب البيان والتحصيل :

« وفى البيان والتحصيل للقاضي ابي الوليد ابن رشد ... قال ابن القاسم : واخرج الينا مالك مصحفا لجده . فحدثنا انه كتب على عهد عثمان بن عفان . فوجدنا حليته فضة واغشيته من كسوة الكعبة .. !! »

486 ـ عن ابن المناصف ... !

وجدت فى نوازل المعيار للونشريشي ج 10 ص 64 صفحة نقلها المؤلف من كتاب : « تنبيه الحكام على مآخذ الاحكام » تتعلق بآداب القاضي جاء فيها :

« وليجتهد أن يكون جميل الهيئة . ظاهر الابهة !. وقور المشية . ! والجلسة . ! حسن النطق والصمت! متحرزا فى كلامه من الفضول . وما لا حاجة به كانما يعد حروفه على نفسه عدا .. !! فان كلامه محفوظ . وزلله فى ذلك ملحوظ .. ! وليقلل عنه كلامه الاشارة بيده .. ! والالتفات بوجهه فان ذلك من عمل المتكلفين . وصنع غير المتادبين .. ! »

447 ـ ابن سبعين فى الحمام ... !!!

وجدت فى كتاب « فوات الوفيات » ج 1 ص 517 بتصحيح محي الدين عبد الحميد ...

« وخرج معه (ابن سبعين) جماعة من الطلبة والاتباع فيهم الشيوخ . ولما ابعدوا بعد عشرة ايام ادخلوه الحمام ، ليزيل وعثاء السفر ، ودخلوا فى خدمته ، واحضروا له قيما ، فجعل القيم يحك ارجلهم ويسالهم عن وطنهم لما استغربهم .. .! فقالوا له : من مرسية .. !

قال : من البلد الذي ظهر فيها هذا الزنديق ابن سبعين .. ؟ فاوما اليهم ان لا يتكلموا .. ! وقال : نعم ... فاخذ يسبه ويلعنه .. ! وابن سبعين يقول له: استقص فى ذلك .. ! وذلك القيم يزيد فى اللعن والشتم .. ! الى ان فاض احدهم غيظا وقال له : ويحك .. ! هذا الذي تسبه قد جعلك الله تحت رجليه .. ! وانت فى خدمته اقل غلام ... ! فسكت خجلا .. ! وقال : استغفر الله ... !!

488 ـ يتزوج المالكية ... !

وجدت فى نوازل المعيار للونشريشي ج 10 ص 109 سؤالا فقهيا يتعلق بقوم من الاباضية تمسكوا بمذهب (الوهبية .. !) جاء فيه ...

« لان الرجل الوهبي كان يتزوج المراة المالكية لتقوى شوكته بمصاهره اهل السنة ... !!! »

489 ـ هل له رخصة ... ؟

وجدت فى نوازل القاضي ابى عبد الله محمد العربي بردلة ـ رحمه الله ـ ص 222 :

« وسئل الشيخ الخطيب الرحال الحافظ الضابط ابو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي رحمه الله عن الشاعر . هل له رخصة فى وصف الخدود والقدود والنهود ام لا ... ؟!

فاجاب اختلف العلماء فى الرخصة للشاعر فى وصف الخدود والقدود ، فمن مبيح ومن محرم ... !!»

490 ـ عمامة ... !

وجدت فى رحلة ابن بطوطة ص 10 ج 1 من طبعة القاهرة سنة 1377 هـ ـ 1958 م عند ذكر علماء الاسكندرية .

« فمنهم قاضيها عماد الدين الكندي ، امام من ائمة علم اللسان . وكان يعتم بعمامة خرقت المعتاد للعمائم .. ! لم ار مثلها فى مشارق الارض ومغاربها .! عمامة اعظم منها ... ! رايته يوما قاعدا صدر محراب وقد كادت عمامته ان تملأ المحراب ... !!! »

491 ـ السمن ... ! والتبن ... !

ووجدت فى رحلة ابن بطوطة ج 2 ص 200 عند ذكر بلاد الترك :

«وكان من غريب ما اتفق لنا اني بعثت احد الخدام ليشتري التبن للدواب . وبعثت أحدهم ليشتري السمن .. ! فأتى احدهما بالتبن . والاخر دون شيء ، وهو يضحك .. ! فسألناه عن سبب ضحكه فقال : انا وقفنا على دكان بالسوق فطلبنا منه السمن فأشار الينا بالوقوف وكلم والده . فدفعنا له الدراهم فابطا ساعة واتى بالتبن .. ! فأخذناه منه وقلنا لـه : انا نريد السمن .. ! فقال : هذا السمن .. !

« وابرز الغيب انهم يقولون للتبن سمن بلسان الترك .. ! اما السمن يسمى عندهم رباغ ... !!! »

492 ـ اعتكف ... !

وجدت فى مخطوطة انوار التحلي على ما تضمنته قصيدة الحلي ، الخزانة الملكية بالرباط 394 .

« قال أبو علي ابن رشيق :

لهفي على الشعر ثم وا اسفـا
اصبح وجه الزمان وهو قفـا
كم شاعر ياخذ الصلات معـي
لو ادرك ابن المدبر اعتكفـا

ابن المدبر كان كاتب المتوكل العباسي . وكان موكلا بالشعراء ... اذا انشد شاعر قصيدة غير جيدة ارسله مع عونه الى المسجد وامره بصلاة مائة ركعة ..! حتى اذا فرغ قال له : تلك صلتك .. ! »

493 ـ التحنك ... !

وجدت فى نوازل العيار لابى العباس الونشريشي تفسيرا للتحنك يلفت النظر ، ج 10 ص 29

« ... وما أفتى مالك حتى أفتاه أربعون محنكا.! لان التحنك وهو اللثام تحت الحنك شعار العلماء ..!!»

494 ـ عمر بن عبد العزيز فى التوراة ... !!!!

وجدت فى كتاب « الاحكام فى اصول الاحكام » وهو بدائع الامام ابن حزم ج 5 ص 724 الطبعة الثانية

« ... فان ذلك الشيخ قال فى كتاب الفه . وقد رايناه . ووقفنا عليه . وناولناه بيده . وهو مكتوب كله بخطه . ! واقر لنا بتاليفه .. ! وقراه غيرنا عليه .. !

فكان فى بعض ما اورده فيه ان قال :

« روينا بأسانيد صحاح الى التوراة ان السماء والارض بكتا على عمر بن عبد العزيز أربعين سنة .. !!»

495 ـ اصناف الحمق ... !

وجدت فى كتاب « الاحكام فى أصول الاحكام » للامام ابن حزم ج 4 ص 508 .

« قال أبو محمد : اصناف الحمق اكثر من أصناف التمـر ... !!! »

496 ـ غنضـرا ... !!

وجدت فى نزهة الحادي طبعة مجربة ص 232 اثناء الحديث عن المجاهد العياشي رحمه الله ...

« وحدث رجل كان بالاسكندرية انه راى النصارى يفرحون .. ويخلون انفاضهم ... ! فسألهم عن ذلك فقالوا له : قتل غنضرا ... ! ومعناه المجاهد ... !

وكان قتله رحمه الله تاسع عشر من المحرم سنة احدى وخمسين والف .. ! وقد رمزوا لتاريخ وفاته بقولهم : مات زرب الاسلام ... ! باسقاط الف الوصل .. ! »

497 ـ حكمـــة لقمـــان .. !

ووجدت فى مخطوطة « محاضرة النديم »

رب بخيـــل لم يزل يذكر الـــــ
ـــحمية فى اهـــل وغلمـــــان

ويقريء الاضياف مـــن قبـــل أن
يقريهـــم حكـــمـــة لقمـــــان

498 ـ عـــود الســـوء .. !.

ووجدت فى مخطوطة « محاضرة النديم »

قيل لـــي جـــدت بمـــن كنـــ
ـــت ضنينـــا بمكـــانـــــه

قلت عـــود الســـوء يرمـــى
حين يؤذي بـــدخـــانـــــه

499 ـ والبطـــون السمـــان ... !

ووجدت فى مخطوطة « محاضرة النديم »

ويح قلبي وقلب من هو مثلـــــي
من اناس علوا بهـــذا الزمـــــان

لا يعلم .. ! ولا بجود .. ! ولكـــن
بالمباني والبطون الســـمـــان .. !

500 ـ للشغـــــف ... !

وجدت فى مخطوطة « محاضرة النديم » للشاعر ابي عبد الله محمد غريط رحمه الله فى وصف الثغ ..!

والـــثـــغ مبسمـــــــــه
كجوهـــــر فـــى صـــــدف

يسطـــو بعينـــي رشـــــا
كحـــد سيـــــف مرهـــــف

ويخجـــل الـــروض بوجـــ
ـــنة وقـــد اهيـــــف

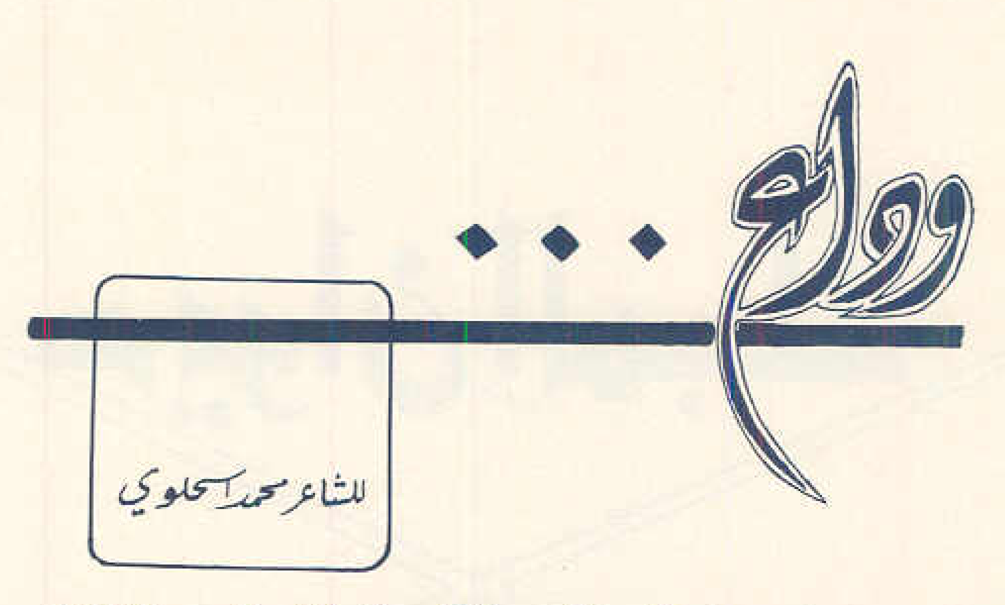
لما جفـــا « الـــراء » غـــدا
« بالغيـــن » عنهـــا يكتفـــي

قلـــت لمـــن تنمـــى فقـــا
ل : انتمـــي للشغـــــف

فاس : عبد القادر زمامة

ديوان المجلة

- وداع ..
- صرخــة افريقيــا ..
- تأمــلات فــى ظــلال الغابـات



القيت هذه القصيدة فى حفلة تابين فقيد العلم والدين سيدي التهامي الوزاني التي اقيمت بمناسبة ذكراه الاربعين بمدينة تطوان ..

اودى الحمام بمن لم يرهب القدرا ... وعاد من كان فى أعماقنا خبرا
النثر وهو ابوه لا يؤنبه ... والشعر يجبن ان يهذي به الشعرا
رزء اصاب سويداء القلوب فلا ... عزاء عنه ولا سلوى لمن صبرا
رزء اصابِ بني الاسلام قاطبة ... وهد منه منارا طالما ازدهرا
اضاء والليل داج فاستضاء به ... بنو الشمال وكان الملهم الخطرا
وليث غاب مهيبا طالما ارتجفت ... له العداة اذا ما هب او زارا
وشعلة تتحدى العمر ساخرة ... بالشيب لا تعرف الاعياء والكبرا !
قد جاهد النفس واستجلى حقائها ... وراقب الله لم يعدل به بشرا
وقاوم البغي والباغون فى صلف ... فلم يخر عزمه يوما ولا فترا
مشى على النهج صوفيا يجمله ... دين متين وعلم طالما بهرا
اذا تحدث لم تنضب روافده ... وان ترسل فى انشائه سحرا
يزهو به العلم والآداب تعرفه ... وضيعها البر فى احضانها كبرا

— ◆ —

اسرى به الموت فى فجر محجلة ... اعضاؤه بمحيا يخجل القمرا
واستقبل الله فى طهر وفى نسك ... كانما كان بالاحرام معتمرا !
بكاه من تجد بالدمع اعينه ... على فقيد ، ومن صافى ومن غدرا
ومن عجائب هذا الموت أن له ... يدا اذا اختلست لم تخطيء الدررا !

عرفته وهو شيخ في مهابتـــــه قد عايش الناس والايام واختبـــرا
فلم يكن فلسفي الطبع منقبضـــا ولا تعالت مزاياه بـــه بطـــــرا
ما كنت اوثر ان القاه وهو فتـــى في ميعة العمر مهزوما ومنتصـــرا
من لم ير الزهر في أولى تفتحـــه يكفيه منه اذا اشتم الشذى عطـــرا !
انغمط الناس أحياء وتندبهــــم موتى ؟ لان لنا في موتهم عبــــرا !
الا نحس بأحباب لنا ملكـــــوا منا المشاعر حتى نفقد الاثـــرا ؟
كأننا في عمى حتى اذا هلكـــــوا قمنا نمجد في ذكراهم الصـــورا !

— ◆ —

لم يدر وهو بفـاس في مآتمهـــا يرثي العميد بأن الملتقى قـــدرا
كأن للموت تارات ترصدهـــــا بسهمه فأصاب القلب والنظـــرا
ضمدت جرحين والايام باقيـــة وشدت قبرين في قلبي لمن قبـــرا
اذا تنهد من في فاس من شجـــن شكا بتطوان دامي القلب أو زفـــرا
ما أضيق القبر أن يطوي شمائلـه كما طواه ! وما أشقى به الذكـــرا !
ما كان رزء لنا بل كان فاجعـــة للدين قرت بها عين الذي كفـــرا
من يبكه اليوم يبك العلم مكتئبـــا والدين مفتربا من هول ما خســـرا
وان تكن ثم عين لا تلاحظـــه فمطرب الحي لا يشجى اذا زمـــرا !
سيعرف الناس يوما اى كارثـــة في فقد من فقدوا واي خطب عرا !!
كالبدر لا يحمد الســارون رفقته الا اذا اسود وجه الليـل واعتكـــرا

— ◆ —

لم يودعوك الثرى يا من رفعتهـــم عن التراب بما علمت او نشـــرا
ما اودعوا القبر الا أكبدا عصـــرت من الاسى وقلوبا صدعها كســـرا
يا راحلا ومقيمـــا في ضمائرنـــا أسديت للشعب ما يستوجب الشكرا
ربيت والجهل قد القى بكلكلـــه والاجنبي يجر الذيل مفتخـــرا
وكم رددت عن الاسلام من شبـــه وكم هديت فكنت الرائد الحـــذرا
والضاد كنت لها درعا وداعيـــة وكنت ، في الحق صداعا به ، عمرا
غادرت والضاد في بحران محنتهـــا ما بين مد وجزر ترقب القـــدرا
وموجة الشك والالحاد عاتيـــة والموت يرسل في فقدانكم نـــذرا
فهل تعوضنا الايـــام ما اخـــذت ؟ وهل ترى العين من أشباهكم صورا ؟

— ◆ —

ان فاتكم ان تروا اغراسكم نضجت   ثمارها وسنى أفكاركم بهرا
فسوف يستقبل التاريخ موكبكم   في الخالدين ويتلى مجدكم سورا

— ◆ —

نم يا ضجيع الرضى في خير منزلة   وانعم قريرا بما تلقاه مدخرا
لا اسأل الله ان يضفي سحائبه   على ضريحك استجدي لك المطرا
فقد تجلت لك الالطاف باسمة   لما توفاك في محرابه سحرا
وقفت ارثيك لا شوقا لمرثية   قد لا تؤثر في من غاب او حضرا
وانما هو دين لاجزاء له   سوى القريض وما ذا يملك الشعرا ؟
راودتها فاستجابت لي شوارده   منقادة لم يطل ليلي بها سهرا
وابعد الشعر عن سخف وعن ملق   ما كان فيضا من الاعماق قد صدرا
لولا مصابك ما صيغت مغلقة   ولا تنفس هذا القلب وانفجرا
لو كان مثلك في شعب له قيم   بكاك بالدم لا بالدمع منهمرا
كم خلد الغرب في دنياه من قزم   لم يات بدعا فاضحى ذكره سمرا
وكم بني ماجد فينا شوامخه   ثم اختفى حلما او حادثا عبرا
فلم تر العين تمثالا يخلده   ولا معاهد تحييه اذا اندثرا
كانني بك تشدو قول خالدنا   وقد ترفع عمن ذم او شكرا
انا نقاتل كي يرضى الجهاد بنا   ولا نقاتل كي نرضى به عمرا
سيان عندك من ألقى مراثيه   ملاحما فيك او في قوله اختصرا
فسوف تبقى على مر المدى علما   وسوف تسطع في تاريخنا قمرا

تطوان محمد الحلوي

بمناسبة الذكرى العاشرة لتأسيس منظمة الوحدة الافريقية



لقد باء الاستعمار بالفشل المــــر ... واصبح فى الاكوان احدوثة الفـدر
وقد صار للاحرار فى كل بقعـــة ... لواء من التوحيد رفرف بالنصــر
ونغمة اهل الحق فى كـل روضـــة ... ترن ، وفى موجاتها نفحة العطــر
وللمغرب الاقصى هنالك صوتـــه ... يندد بالطغيان والدس والمكـــر
وفى كل قطر ومضـــة وطنيـــة ... لمؤتمر الاحرار ، تبزغ كالفجــــر
فلله احرار تسامــوا عقيـــدة ! ... لافريقيا منهم وسـام على الصـدر
ولله ابطال سعـوا نحـو غايـــة ... بها يرفل التاريخ فى النور والبشر !
فيا ايها التاريخ سجـل روائعـــا ... تصور فى أجيالنا روعة الفجـــر
وافريقيـــا بركـان نار وثـــورة ... على الظالم المغرور بالجاه والقـدر
وافريقيا بالرغم من كل غاصـــب ... تحطم اصفاد المهانـــة والقهــــر
وافريقيا نور ، ومشعل نهضـــة ... تلوح للاكوان بالغصـن والزهـــر
تروم نجاة من مطامـــع عصبـــة ... تربت على الاحقاد والظلم والشـر

— ◆ —

ومهما تناءت فى البلاد شعوبنـــا ... فنحن سواء فى الشفاء وفى الضــر
توحدنا حول النضـــال مطامـــح ... نجود عليها بالنفائـــس والعمـــر
فلا فرق فى أجناسنا ولغاتنـــا ... ولا فرق بين البيض والسـود والسمر
فأجمعنا نار على الظلم والخنـــا ... وأجمعنا حصن من الباس والصبــر
ومهما استبانت فى الوجود كسورنا ... فها نحن نسعى بالكسور الى الجبــر
هو الشعب ان شاء الحياة فانـــه ... لذو طفرة عمياء كالموج فى البحــر

وهيهات ان تخبو جمار شعوبنا ، / وان امعن الباغون فى الكذب والغدر
يقولون : انا للتمدن شيعة ، / نساعدكم فى العلم والحق والخير
وقد كذبوا فى قولهم ، وفؤادهم / على فطرة العدوان اقسى من الصخر
يريدون ان تعمى البصائر كلها / وما ربحهم الا التورط فى الخسر
وكانوا ضيوفا ، ثم عادوا بمكرهم / خصوما لهذا الشعب فى السر والجهر
وصاروا قروحا بالصديد تفجرت ، / فياويلهم من ساعة الحق والثار !

— ◆ —

أيذكر الاستعمار جوهر نفسه ؟ / ليدرك مدلول الحماية والحجر !
فسبحان من يحيي العظام رميمة / فتبصر نور الله فى ظلمة القبر !
لقد ضاع للألفاظ معنى نرومه / واخرس نطق الحق بالظلم والقسر
فلا (البرتغال) اليوم يحيا ضميره ! / فهلا له شيء من العقل والفكر ؟
وفى (انكولا) شعب يفيض حماسة / وسكته الباغون بالقمع والزجر
وفى (كينيا) أسد على البغي أشهرت / محاربة الاعداء بالناب والظفر
وافريقيا ضمن (الجنوب) تكبدت / من الويل الوان المهانة والحقر
وفى امة (الطوغو) على الظلم ثورة / تبوح بها الاخبار ، مشهورة النشر
و (نيجيريا) عون على خير طفرة / لافريقيا نحو الكرامة والطهر
وفى حومة (الكونغو) نهوض وصولة، / وقد علت (الفولطا) لتمعن فى السير
وافريقيا السوداء حصن مناعة / تجود على الامجاد بالاسد الغر !
امانا على افريقيا وشعوبها ! / فنهضتها ليست من الحلم والسحر
وافريقيا فى سعيها ونضالها / بابنائها تجتاز طورا الى طور
اتذكر فى (باندونغ) من خير كتلة / لمؤتمر الاحرار ، احدوثة الخبر ؟
وفى (بريوني) قد كان للحق صولة، / وفيه أصيب الظلم فى القلب والنحر !
رجوعا الى الحق المبين لعله / يعود به الطير الشريد الى الوكر
رجوعا الى النهج القويم ، فقد مضى / زمان به الانفاس تخنق بالحصر
رجوعا الى حق الحياة ، فانه / مباح برغم الفتك والردع والحظر

— ◆ —

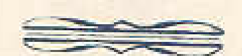
أثرنا اهتماما فى المحافل كلها / وباء دعاة الظلم بالاثم والوزر
لقد خاب الاستعمار وانهد ركنه ، / وصلى لاسرائيل فى وسط الدير

وفى وعد (بلفور) جدد بينهم   وعيد ، وبهتان تفاقم فى العصر
تآخت نفوس الكفر مسعى ونجدة ،   كذاك يحن الصهر فى الهول للصهر
وباءوا جميعا بالهزيمة دائما ،   ونحن هتكنا منهمو هيبة الستر
وافريقيا تزهو بمجد شمالها   وعزمتها سيف لمعضلها يفري
ونحن بحمد الله امة عزة ،   بعون من الرحمان ، مشدودة الازر

— ◆ —

ولكن صوت الحق صار مجلجلا   قويا ، فانعم بالحقيقة من ذخر
وقد اصبح الانسان يرجو حقوقه   ويبذل فى تحقيقها باهظ السعر
هي البكر ان رمت الوصال فديتها   وأرخصت فى ارضائها غالى المهر
تهون على مجد البلاد وعزها   الوف من الارواح ، والانجم الزهر
وفى مثل هذا النصر والعز انثني   انسق باقات الرياحين والنور
واكتب للتاريخ خير قصيدة   تتوج آيات من النثر والشعر

الرباط : محمد بن محمد العلمي



تأملات



للشاعر غزلي محمد

يا جالسا تحت ظلي يستريح بـه   والأيك تعـرف الحانا رخيمـات

بلابل ، صدحت ، جذلى ، مرفرفة   بين الغصون ، بالوان الفراشـات

تسقى من الماء رقراقا ، جداولـه   تنـاب ما بين أزهـار نديـات

من شربه سكرها ، لا من سلافتكم   تعربدون بها من اجـل لـذات

يا مـن تعاطونهـا انما لتلهيكـم   عن التامـل ، ساعـات وساعـات

اتطربون ، وما فى عقلكم رمـق   كانكم خمـر تنهاقهـا : هـات !؟

يا زائري ، خمرتي ماء ، وما رشفت   كملتها شعـة من بنـت حانـات

طابت حياتك فى ظلي ، فمد سحـرا   وفى الاصيل ، تعش احلى سويعات

صبح مندى ، وانسـام ، واوديـة   خير من القصر مختوقا بغـازات

تفيأ الظل ، وانعم ، من خمائلـه   بمنظـر رائـع فـوق الـذؤابات

هناك معرض فن جردتـه لنـا   يد الطبيعة ، كالفنـان ، لوحـات

لكن ، اناشـدك الله العظيـم ، اذا   اقمت سهلا ، فلا تحرق نباتاتـي

او تستلبني وريقـات ، بنضرتهـا   تحلو الحياة الذي حـزن وغصـات

غن الحيـاة ، كما غنت بلابلهـا   واصنع ، كمنقارها ، نايـا وآلات

— ✻ —

تأمل الكون ، هل فيه لاذايـة من   نمل الى نملة ، او ظالم عـات

لا يظلم الليث ، وهو الليث ، قسورة   ولا يغيـر علـى طيـر مهيضـات

الا ليقـات منهـا باليسيـر ، فـلا   تـراه عـات فـاذا بالرشاشـات

لو لم يحس بجوع ، ما سطا سبـع   على ارانب ، او ذئب على شـاة

وارجف الناس فى أشياء تافهـة   فقيل : أظلم من « قانون غابـات »

لو لم يكن فى الغاب ظلم ما رايت به   زهـرا تفتـح للدنيـا ببسمـات

لو ان فى حجر روحا ، لكان اذا … راى صخورا يحيها تحيات

لولا السلام الذى فى الغاب ساد لما … طالت ، وطابت حياة للسلحفاة

هل كاد ذنب لانسان ، فدبر ان … يلقى بيوسف فى تلك الغيابات ؟

لا ظلم فى الغاب ما لم يأته بشر … ليقطع الدوح . لا يصفي لأنات

يغدو عليه لتفحيم الجدوع ، الى … ان يترك الارض ملساء كمرآة ،

الغاب يحلم بالاغصان مخضلة … والناس بالنار ترميها شرارات

تالله . لا نعمة اشهى واطيب من … عيش ، بجنب شحارير طايقات

بين اللقاح ، واطياب ، واودية … وشمس صبح جميل ، بعد جولات

الا ترى الوحش لا تاتي الى مدن … ويخرج الناس افواجا لغابات ؟

كم يبهج النفس ان ترنو الى قمم … بيضاء ، قد نحفت، كالغيد، شالات

واذ يلوحن بالمنديل ، من سحب … لمن هوين من الشم البعيدات

لذا ، افترشن ، للقياهن ، بينما … خضر الروابي . وطرزن الوسادات

وقلن : موعدنا شفشاون . فاذا … ما لا عيون رات ، دورا وجنات

— * —

وربما جاء صياد بأسلحة … تقتل الوحش تقتيل العداوات

كان لا رافة فيه ولا ضررا … منها ، على امة البكم الضعيفات

يا ايها الصائد المحتال ، كف ، ولا … تعلن ، بلا سبب ، حرب الابادات

تظل تطلق نارا . لا تكف ولا … تخشى انقراضا على تلك السلالات

وان فيها لآباء كأسرتنا … وان فيها لاخوانا واخوات

تسعى الى رزقها ، تعطي لنا مثلا … فى الداب ، قاطعة اقصى المسافات

اولا الغراب لما وارى اخاه اخ … ولا راى زمزما شيخ السقايات

كم فيلسوف ، راى نملا ، فأدهشه … نظام جيش واخلاص المليكات

يا ليت ان نساء من مدارسنا … كن اتجهن لغاب مستفيدات

دروس تربية ، فالام حاضنة … صغارها ، لا كما بعض البيوتات

قد اهملت طفلها ، حتى ترعرع فى … حضن الشوارع ، مقطوع العلاقات

فما سمعنا بعصفور تشرد ، لم … يعثر على عمل ، او مات حسرات

او ان زوجته ، خانت ، فطلقها … فذاق ابناؤه ، بؤسا وويلات

— * —

الغاب اقفر من وحش ، فلست ترى … فيلا يصول ، ولا احدى الزرافات

ونتفوا هدهدا مذ جاء من سبا   الى سليمان ينبيه بما ياتي :
..وجدتهم يعبدون الشمس ليس لهم   دين صحيح سوى هذي السخافات
بالقيس، قومي، تريه اليوم فى مزق   يباع للسحر، أشلاء وريشات
فلم يموت ؟ ولم يهجم على احد   بل كان يخرج من خبء دويدات ؟
وقتل اي حياة ، دونما سبب   اليس يدخل فى حكم الجنايات ؟!
وان فى نهينا عن قتلها ، حرما   وتركها حرة تسعى ، لآيات
ولهو نص صريح في حمايتها   يتيه فخرا به خير الديانات

— * —

يا غاب ، جئتك ، لما لم أجد احدا   فى الناس ، يفقه اشعاري وآهاتي
اكلما قلت شعرا قام ارذلهم   مستكبرا وروى عني حماقات ؟
كانني بقريضي ، جئت اسالهم   مالا ، لابني قصرا او عمارات
بيتي من الشعر ابنيه بـ (فاعلتن)   لا بالحجارة ، فى دنيا انطباعاتي
ولن افضل حمراء القصور على   بيت يحلق بي نحو السماوات
يا قوم اني رسول الشعر ، مالكمو   لا تؤمنون ، وهذي بعض آياتي
فآمن الوحش لي لما شرحت له   حب الجمال ، وضل الناس غاياتي
فجئت اسكن فى غابي ، لاسمعه   فني ، ويسمعني ، حتى الثمالات
ومن ورائي ، خلفت الجهول على   (اليوت) يدرسه درس المتاهات
لمثل غربال ميخائيل ، ينخله   كأنه حنظة ، حشو المقالات
اقول شعري لنفسي ، لست اطبعه   ولاوزعة ، حتى قراءات
ما ان نشرت ولا ذيعت من اثر   الا القليل الذى ياتي ولا ياتي
وكل ما جاء تكرارا يضايقني   الا الحبيب ، يناجيني بقبلات
تحت الظلال ، ظلال الغاب وارفة   بحيث ، لا أحد ، من وجهة آت
كم سائل قال لى : هلا طبعت لنا   ديوان شعرك ، نتلوه تلاوات
فقلت: يا سائلي، شعري يعارضني   يخشى عليه من الاعراض ، آفات
شعري ، كهذا الهواء الطلق متسعا   يبغي التمدد ، لا حبس السجلات
يحس فى داخلي دفء فيحذر ان   يصيبه ، خارجي ، برد الاشاحات
تأملاتي فى هذا الوجود على   نهج السليقة ، لا نقل وعادات
لو قد تنكب عني ، او ذوى قلمي   ترى ، ايكتب نقادي ، كابياتي ؟
هيهات، هيهات، ان يرقى اليه فتى   الا الفطاحل، من اهل النباهات

شفشاون — غربي محمد

دراسات مغربية



* أبو مهدي عيسى السكتاني : المثال الحي للعالم المسلم
* من أعلام الادب المغربي : أبو سالم العياشي
* أدباء المغرب في العصر المريني الاول : الاديب الكبير مالك بن المرحل
* آفاق مغربية : الجيش المغربي بين الماضي والحاضر
* جوانب من حياة الفقيه عبد الكريم بن الحسني

أبو مهدي عيسى السكتاني

المثال الحي للعالم المسلم

للأستاذ محمد بن عبد الله الروداني

هو العلامة الجليل القاضي الورع المتقن أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان بن عيسى الرجراجي السوسي السكتاني من قرية « اساكان الطلبة » في سكتانة سوس وهي قرية قد خربت الان ، وليس هو من قبيلة سكتانة القريبة لمراكش والتي بها قبر العلامة الصالح مولاي ابراهيم بن احمد بن عبد الله بن حسين ، كما يظنه بعض من عرفوه قاضيا بمراكش .

ولا نعرف الآن شيئا عن صباه ولكن المفروض عادة ان يحفظ القرآن في قريته « اساكا ن الطلبة » ومعناها الاجمالي قرية الطلبة او واحتهم او ميدانهم تبعا لما تفيده كلمة اساكا التي جعلها تطاول العصور غير مدققة المعنى الاصلي في عصرنا الحاضر ، غير انها على كل حال مضافة الى الطلبة اما لكثرتهم فيها او لتأسيسهم لها ، ومن نبغ نبوغه في فنون العلم لا بد ان يكون قد تزود له في صباه الباكر ، وذلك ما يرجح أخذه القرآن في كتاب قريته ، اذ لا تخلو أي قرية في سوس من كتاب قرآني يتلقى فيه الولدان القراءة والكتابة وحفظ القرآن ، كما لا تخلو فيه أي قبيلة من مدرسة علمية الى وقتنا هذا ، وان كان الامر قد آل الى ما قال الشاعر :

ولكن البلاد اذا اقشعرت
وصوح نبتها رعى الهشيم

ثم المفروض ايضا ان يكون قد اخذ مبادىء العلوم بها ايضا او بما يجاورها من المدارس الكبرى كمدرسة تينزرت ، ولم يفارقها قط الرواج العلمي الى الآن ، وكمدرسة سيدي عياد بن عبد الله السوسي في تاماصت بقبيلة المنابهة ، والمنتظر ان يعرج على تارودانت ولكن هذا لم يثبت لدينا تاريخيا ، غير ان الذي دعانا الى افتراضه هو ان الناس قلما يهتدون لتدوين اخبار الشخص الا اذا فرض نفسه وزاحمهم وظهر بينهم ، والانسان لا يكون كذلك الا في كبره ، وان سوق العلوم كانت نافقة بتارودانت في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين اللذين هما عصره بحجة ان القاضي عبد الرحمان التامانارتي دخلها ذا ذؤابة فلم يبرحها لطلب العلم بغيرها حتى صار قاضيا بها ومؤلفا ، قال في كتابه « الفوائد الجمة باسناد الامة » انه دخلها سنة 992 هـ ووجد بها علماء اجلاء ، وقد ذكر كثيرا منهم ، وذلك هو عصر شبيبة مترجمنا ابي مهدي السكتاني او قبيله بقليل ، كما ان العلامة عبد الله بن يعقوب السملالي الآتي ذكره في تلاميذ السكتاني ، قد لازمها لاخذ العلم سبع عشرة سنة ومنها عاد الى بلاده فأسس مدرسته الشهيرة بتازموت ، واذا كانت تارودانت بهذه المكانة فيبعد ان لا يعرج عليها مثله ، والله اعلم .

اما مراكش فقد ثبت تاريخيا انه دخلها وخالط مجالس العلم بها واخذ عن اكابر علمائها كخطيبها

الشريف ابي عبد الله محمد ابي القاسم الفلالي المتوفى عام 988 هـ، وكمفتيها محمد بن ابي عبد الله الرجراجي المتوفى عام 1022 هـ .

وحيث ان من عادة نجباء الطلبة السوسيين ان يتمموا تعليمهم العالي بفاس فمن الطبيعي ان تطمح نفس ابي مهدي السكتاني الى طلب العلم بها، خصوصا بعد ان اخذ بها علماء كبار قبيل ذلك اصبحوا بعد رجوعهم الى سوس يقتدى بهم علما وعملا . وقد رأيناه هو نفسه يورد اسماء اعلام كبار منهم في رسالة وجهها الى قاضي بلده سكتانة علي ابن الحسن يؤنبه فيها على عدم قبوله لما جرى عليه عمل البلاد قبله ، ودرج عليه العلماء المقتدى بهم ، والغالب ان ذلك كان ايام ولايته لقضاء الجماعة بتارودانت ، لان سكتانة كانت من اعمالها روحيا وزمنيا ، وافتتح الرسالة بقوله :

« وعلى اخينا الذى احب له ما احب لنفسي ونصحت وبينت غاية البيان ، ولكن كما قال الشاعر :

لقد اسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي

الفقيه سيدي علي بن الحسن ، السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، اما بعد ما هذه المراجعات والتعريضات في غير محل ، وكانها تنبيء عن الرضى عن النفس وعدم اتهامها ، مع اني خاطبتك وبينت لك واعلمتك » ثم يقول : « لان البلاد قد تقدم فيها فقهاء اجلة كسيدي الحسن بن عثمان (1) صاحب الونشريسي ، وسيدي احمد بن عبد الرحمن (2) صاحب ابن غازي ، وسيدي عبد السميح التكضيشتي(3) ومن قرا معهم بفاس ، وسيدي علي بن محمد من ازرو صاحب ابن هلال (4) ، والذين من بعدهم كسيدي سعيد الهوزالي (5) .

وقد جاء ذلك في باب « مسائل من القضاء والشهادات واحكامها » من مجموعة فتاويه التي جمعها تلميذه احمد بن الحسن السكتاني الاصل الروداني المولد المراكشي القرار .

وقد اشتهر هؤلاء السادة كلهم في القطر السوسي بغزارة العلم ، ومتانة الدين ، والصرامة في الحق ، والاعتكاف على نشر المعرفة في اصقاعهم السوسية البدوية الوعرة المسالك الخشنة العيش ، فكافاهم الله على هذه التضحية بان انجح اعمالهم وخلدها فكانوا كما قال المعري :

جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم
بعد الممات جمال الكتب والسير

واصبحوا مثالا يحتذى ، وكان على كل ذي طموح بعيد شريف ان ينهج نهجهم ، ولذلك التحق ابو مهدي عيسى السكتاني بفاس ، وثابر فيها على الجد والاجتهاد والاخذ عن المبرزين من علمائها كابي العباس احمد بن علي بن عبد الرحمان المنجور المتوفى عام 995 هـ ، وقد رايناه في حاشيته على صغرى السنوسي يورد كلام شيخه هذا ، وقد يناقشه ، ويثني على حاشيته ويشيد بسعة علمه بكل اجلال ، وكالامام محمد بن قاسم القصار المتوفى عام 1012 هـ وقد اشار في حاشيته على السنوسية

(1) توفي عام 933 هـ وقبره مشهور بقرية تيوت بقرب تارودانت . ص 269 ج 13 (المعسول)
(2) احمد بن عبد الرحمان المسكدادي التيزركيني توفي عام 958 هـ توجد ترجمته كاملة في ص 266 من الجزء 13 من المعسول .
(3) عبد السميح بن محمد بن ابي القاسم الرسموكي توفي عام 915 هـ — صفحة 280 ج 18 من المعسول .
(4) علي بن محمد عبد العزيز ، وكما اخذ بفاس عن الامام ابن غازي وطبقته ، صحبة عبد السميح المذكور قبله ، فقد اخذ ايضا بسجلماسة عن قاضيها سيدي ابراهيم بن هلال وهو الذى جمع فتاويه (صفحة 129 من الجزء الثاني من رحلات « خلال جزولة » للاستاذ المختار السوسي)
(5) هو العلامة الجليل القاضي الصالح قاضي الجماعة بسوس سعيد بن علي بن مسعود بن علي توفي بتارودانت عام 1001 هـ وقبره مزارة محاطة بحائط في المقبرة الكبرى خارج باب الخميس احد ابواب تارودانت ، يزوره الافاضل والعلماء ويقولون ان مزارته لا يدخلها شقي (ص 48 ج 7 — المعسول)

الى انه شيخه بقوله : « ووجد فى بعض ما قيد عن الفقيه الورع شيخنا فى علوم الحديث سيدي محمد القصار رحمه الله الخ » . وكالرجل الصالح ابي الحسن علي بن عبد الله بن مسعود الدرعي والمشهور عند اهل فاس بأبي الحسن الدراوي ، ارسالا للكلام على سجيته لا تنقيصا له كما يعرف من تعظيمهم له ، توفى سنة 1006 هـ ، وله شيوخ آخرون بها لا داعي الى الاطالة بذكرهم .

والآن وقد عرفنا متقلبه ومثواه فى طلب العلم فيليق ان نعرف الدرجة التى حصل عليها فيه ، وقد كفانا تلميذان له بيان ذلك وسجلاه لنا بكل تدقيق ، ومع تقصينا لمعرفة درجته العلمية بالبحث عنها من خلال كلامه فى فتاويه وحاشيته ، فاننا لا نجد اوثق شهادة فيه ولا اعرف بتقويم المعرفة وتقديرها من تلميذيه هذين ، وهما القاضي عبد الرحمان التامانارتي والامام ابي علي اليوسي .

قال التامانارتي فى كتابه « الفوائد » : « كان محققا نظارا فى علم الاصول والعربية والفقه مشاركا فى غيرها من الفنون مشاركة معتبرة فحضرت درسه فى الاصول والفروع وغيرها فرايته مليح التحقيق صحيح التدقيق ، انيق الفهم ، صائب السهم ، قرانا عليه ايضاح المسالك للونشريسي ، فأجاد وأفاد ، وبين القواعد ، وقرب الشوارد ، ولم يظفر اذ ذاك بشرح يعتمده فى حله الا ما تقرر لديه من اصول مسائل المذهب وقواعده ، وما ذلك الا لقوة ادراكه ، واتساع تصرفه » وحسب الباحث بهذه الشهادة من مثل التامانارتي .

اما الامام اليوسي فيقول عنه : « كان امام وقته فى فنون العلم ، مع سمت وهمة ، ونية صالحة فى طريق القوم ومحبة فى اهله ، حضرت عنده جملة من مختصر السنوسي ، وجملة من محصل المقاصد لابي زكري » وقد زادنا اطلاعا على ناحية اخرى فى شيخه هذا تزيدنا اعجابا به وتقديرا ، ومعرفة بسبب التوفيق الذى تكرم به الله تعالى عليه فى كافة اطوار حياته ، وهو انه ذو نية صالحة فى طريق الصوفيين محبة فيهم ، لان العالم اذا اشتغل بالتصوف دل ذلك منه على تخطيه مادية القواعد والنصوص الى روحانية اسرارها والغاية منها ، واذ ذاك يحصل له الاطمئنان الفكري والسعادة النفسية ، ويبلغ الغاية من وجوده ووجود علمه ، ويأخذ فى التخلص من الماضي الداكن بالشكوك الى المستقبل المتلالىء باليقين . وهاته الناحية هي التى عصمت أبا مهدي السكتاني من الانسياق فيما أراد ان يجره اليه يحيا بن عبد الله بن سعيد المناني من الخوض مع الخائضين فى مشاغل الدنيا وفتنها . كما يأتي :

ونجد له تلامذة آخرين حلقوا فى سماء المعرفة بأجنحة العقبان ، وساروا على هديه فى التمسك بالسنة والاشتغال بالتعليم والارشاد وتجنب الفضول، كالامام عبد الله بن يعقوب السملالي (6) ، وعلي بن احمد الرسموكي (7)، ومحمد بن سعيد الميرغيتي (8) وغيرهم ممن لا يقلون عنهم ورعا وعلما وصلاحا ، لا حاجة الى استقصائهم الآن .

اما صناعته فى فتاويه فيلتزم فيها الجد والصدع بالحق فى غير اعتداد بالنفس واغترار بحظها ، مع حسن السبك وتجنب للاسهاب الممل والايجاز المخل ، فقد يأتيه السؤال فى عدة اسطر فيجيب عنه فى سطر او سطرين بما لا يدع مزيدا لمستزيد ، وقد يلقي بالقاعدة الاصولية فى اثناء كلامه عفوا مجردا عن التأويلات والاحتمالات اكتفاء بما لابد منه واجتنابا للتطويل ، اللهم الا اذا كان الامر يستدعي الاقناع والتوضيح ، كما فى مسألة حكم شرب الدخان ، وحكم الخمر اذا جفت فى الثوب هل تزول نجاستها او لا ، وهاتان المسألتان فى أوائل مجموعة فتاويه . سأله عن الاولى امير وقته محمد الشيخ بن زيدان ابن منصور السعدي، وسأله عن الثانية احد كبار فقهاء عصره خارج المغرب وهو سيدي احمد بن محمد العقباني ، اما كتبه التي يردد الاستشهاد بها فهي مثل المعونة للقاضي عبد الوهاب ، والشامل لبهرام ، والجواهر لابن شاس ، والتوضيح لابن الحاجب ، ومفيد الحكام لابن هشام الفقيه ، وقد يستشهد قليلا بمختصر الشيخ خليل تحفة ابن عاصم .

---

(6) نحيل فى هذه الحواشي على اوسع المصادر فى ترجمة الشخص ليطلع منه الكريم على كل من اوردوه اما بايجاز او باسهاب وعبد الله بن يعقوب هذا نحيل فيه على ص 8 — ج 5 من المعسول .

(7) ص 202 ج 11 من المعسول .

(8) ص 185 ج 10 من المعسول وهو مترجم ايضا باسهاب فى الصفوة للافراني .

وقد تضمنت مجموعة فتاويه تأييدات من بعض كبار علماء عصره ، من ذلك ما ورد في باب « الانكحة ولوازمها » من قاضي فاس أبي القاسم ابن ابي النعيم الغساني ، ومن شيخ الجماعة الشيخ احمد بابا السوداني . قال الاول : «الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، جواب الفقيه القاضي سيدي عيسى المسطر اولا ، أعلاه ، عقب السؤال محقق الاصول ، محرر الفصول ، لم يترك لقائل ما يقول ، فلا يعدل عنه ، ولا يطلب سواه ، وكتب عبد الله ابو القاسم بن أبي النعيم وفقه الله »، وقال الثاني : « الحمد لله وحده وسلامه على نبيه الحق الذي لا شك فيه أن جواب الفقيه سيدي عيسى صحيح جار على نصوص المذهب وقواعده ، وبه اقول ، واما ما أجاب به المفتي — يعني مفتي مراكش سيدي عبد الواحد بن احمد الرجراجي ، وقد وقع بينه وبين السكتاني نزاع في القضية المسؤول عنها — فمبني على بحث القرافي وهو معترض عند فحول علماء المتأخرين مردود ، وبالجملة فالحق الذي لا شك فيه ولا ريب ولا ينبغي التوقف فيه ما اجاب به السيد الفقيه العام المحصل صاحبنا سيدي عيسى قاضي تارودانت حفظه الله وادام عافيته ابقاه للاسلام والمسلمين آمين » .

اما حاشيته على السنوسية الصغرى فانها مشحونة بالادلة القوية على تفوقه العلمي في سعة الاطلاع وقوة الحجة ورد الادلة الى اصولها من نوادر الكتب وانفسها ، فوثق بها علماء عصره فمن بعدهم ودرسوا بها قال سيدي محمد بن الطيب القادري في نشر المثاني : « وكان شيخنا الحافظ العلامة سيدي احمد بن مبارك السجلماسي (8) حين حضرت مجلسه في قراءة صغرى السنوسي حدود سنة سبعة واربعين ومائة والف لا يقدم حاشية من حواشي الصغرى على حاشية المترجم — يعني السكتاني — ويثني عليه كثيرا » .

وقد اجمل لنا تلميذه القاضي التامانارتي متقلبه ومثواه في قوله ايضا : « قرا بفاس وغيرها ودرس بمراكش واستقضى ببعض اعماله ، ثم ولى قضاء الجماعة بسوس ودرس بقاعدته تارودانت » ثم اورد ما نقلناه عنه سابقا ثم قال : « ولما قام ابو زكرياء يحيا بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم بالسوس بعد العشرين والف ، وتغيرت الاحوال ، وتتابعت الاهوال ، انتقل لمراكش وقدم فيه للقضاء .

ومن ذلك نعلم ان ابا مهدي رحمه الله قد استقر بعد رجوعه من فاس بمراكش ، ولم يكن غريبا عنها ، فقد تقدم انه أخذ بها سابقا ، وانه اشتغل فيها بالتدريس كما هو شأن العلماء ، ثم تقلد القضاء ببعض اعمال مراكش ، فعلمنا انه قضاء عمل لا قضاء جماعة ، والفرق بينهما ان قضاء العمل يكون قاصرا على مصر اقامة القاضي او قبيلتها ، اما قضاء الجماعة فيشمل محل الاقامة واوسع منه بكثير ، ويماثلهما في الوقت الحاضر حال محاكم السدد والمحاكم الاقليمية ، فكثيرا ما كانت الدار البيضاء من اعمال قضاء الجماعة بالرباط ، وهذا مبحث آخر له محله . وولايته لهذا القضاء الاولى كانت في عصر المنصور ، اما ولايته لقضاء الجماعة بمراكش كما يأتي فقد كانت في عهد زيدان بن المنصور ، وقد كان يحضر مجلس المنصور ويشارك في الابحاث والمناظرات التي كانت تجري فيه ، فقد وردت له فتوى في باب « مسائل الوكالات والاقرار والضمان والديون والمساقاة » من مجموعة فتاويه قال فيها عن سيدي احمد البوسعيدي الدرعي (9) وقد احتج بقوله بعض من استفتوا السكتاني فدحضه هذا ورده قال : « ثم لا ينكر انه امثل طلبة درعة وقد وقعت بيني وبينه مناظرات في مجلس السلطان المنصور مولاي احمد » .

ومن قول التامانارتي « ثم ولى قضاء الجماعة بسوس » نعلم انه لم يكن في سوس قاضي عمل بل اصبح قاضي جماعة ، ويمتد قضاء الجماعة بتارودانت الى ملاصقة مثله بمراكش فكانت سكتانة بلاد ابي مهدي الاصلية عملا من اعمالها ، وقد ادركنا على هذه الحالة بسوس العلامة الشيخ الوقور الصبور العاقل سيدي موسى بن العربي الرسموكي اصلا الروداني قرارا ووفاة (10) ، واذا علمنا ان تارودانت

---

(8) اشهر من ان يعرف به ، وهو مترجم بصفحة 203 الجزء الثاني من سلوة الانفاس للامام ابن جعفر الكتاني ، قال عنه : « وله عارضة في المقابلة بين اقوال العلماء والبحث معهم ويجيب عنهم بمقتضى الصناعة والآلات » .

(9) له ترجمة حافلة في الصفوة للافراني .

(10) ص 5 ج 18 من المعسول .

اهم عواصم السعديين بعد مراكش وفاس ، وانهم كانوا يسمونها الحضرة المحمدية ـ بفتح الميم الاولى مخففة ـ لتجديد كبيرهم امحمد الشيخ الاول لهـا ، عرفنا مكانتها ومكانة قاضيها لديهم . وقد احتفظ قضاؤها بتلك المنزلة الى اواسط عهد الحماية .

ومن قول التامانارتي ايضا : « ودرس بقاعدته تارودانت » نعلم ان القضاء رغم اتساع رقعته لم يكن يشغل ابامهدي رحمه الله عن التدريس كما لم يشغل امثاله من كبار العلماء ، وفي هذا تطور اخذ عنه الامام عبد الله بن يعقوب السابق الذكر والقاضي ابو زيد التامانارتي ، وآخر من جمع في تارودانت بين قضاء الجماعة والتدريس في جامعها الاعظم هو شيخ شيوخنا العلامة الجليل الصالح سيدي الفاطمي الشرادي القاسي المتوفى بفاس في الايام الاولى من المحرم عام 1343 هـ او اواخر ذي الحجة قبله .

اما سيدي موسى الذي سلم قضاء سوس لسيدي الفاطمي ثم خلفه فيها ايضا بعد رجوعه لفاس سنة 1337 هـ فلم يوت ملكة التدريس ويغلب عليه الانطواء على نفسه ، لكن عوض الله له ذلك بقلم بليغ سيال نظما ونثرا مع صرف كثير من وقته في المطالعة والعبادة وتلاوة القرآن ، ونسجل هنا انه ظل في القضاء ازيد من ثلاثين سنة ولم يخلف اكثر من دار سكناه ، وهذا ايضا موضوع اجنبي عما نحن بصدده ولكن الحديث ذو شجون .

اما قول التامانارتي : « ولما قام ابو زكرياء يحيا بن عبد الله » الى ان قال « انتقل لمراكش وقدم فيه للقضاء » فانه مفتقر الى شيء من البيان يكفل به معاصرهما معا العلامة الجليل المؤرخ الصدوق محمد بن عبد الله الافراني في كتابه «نزهة الحادي» اذ قال عند الكلام على يحيا هذا : « وقد وقفت على رسالة كتب بها اليه ـ يعني ليحيا ـ القاضي العدل الفقيه الاجل ابو مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني، وكان يحيا استشار فيما عزم عليه اذ ذاك لانه كان قاضيا بتارودانت فلم يوافقه وابى عليه من مساعفته على ذلك فغضب عليه يحيا حتى انه امر بقتله غيلة فخرج من المدينة خائفا يترقب فسلمه الله وذهب حتى نزل بمراكش » .

وخلاصة امر يحيا انه رجل عالم فاضل محدث شاعر جامع لاشتات الفضائل كلها نسبا وحسبا ، فهو يحيا بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم المناني اصلا الحاحي الداودي ثم السوسي الزداغي قرارا ، وبيته بيت علم وصلاح وهداية وارشاد، اسس زاويتهم جده سعيد بن عبد المنعم على تقوى من الله ، فلما توفي عام 953 هـ خلفه ولده عبد الله ، وقالوا انه اربى على والده في الفضل والصلاح ، فلما مات عام 1012 هـ خلفه يحيا ولده هذا فسلك طريق اسرته وقصده الناس لما كانوا يقصدون له اباه وجده من من علمي الظاهر والباطن ، وخضع له القطر السوسي اجمع ، وامتد اشعاعه الى كافة اطراف المغرب فقد ذكر القاضي التامانارتي في « الفوائد الجمة» ان اهل سلا استصرخوا ابا زكرياء هذا على النصارى بعد العشرين والالف فكلفه بتحرير الاستنفار العام لاهل سوس ، ولما تكاملت له جيوشهم خرج بهم يحيا في جمادى الثانية سنة 1025 فلما وصل ايمن تانوت قرب مراكش وردت رسل زيدان يأمره بالتريث ريثما تجتمع جيوش الغرب كافة فجمده بذلك ثم رجع على عقبه (11) .

ولما قام المرابط ابو محلي على زيدان عام 1020 هـ واخرجه من مراكش واحتل دار الامارة بها وفر زيدان الى آسفي كانه يريد النجاة الى الخارج استنجد به عليه وقصده في بلده سوس فانجده بالجيوش السوسية سنة 1023 هـ وكان من قدر الله ان مات ابو محلي في اول اللقاء عند جبل كيليز فدخل زيدان دار ملكه مراكش ، وانكفأ يحيا بجيوشه الى سوس ، وكان في وسعه ان يستغل مواتاة الظروف ويحتل مراكش ويصبح فيها ملكا كما فعل غيره في اقل من تلك الفرصة مواتية ، ولكنه لم يفعل ، ولا ندري لماذا ، ولا نستطيع ان نقول ورعا ومروءة ووفاء للملك الشرعي زيدان ، والغالب انه لم يكن واثقا من النجاح بين انصار زيدان المتربصين ، وبين اصحاب ابي محلي الموتورين ، زيادة على خدائع زيدان ومراوغاته ، ففضل ان لا يغامر بالسوسيين البسطاء وان يؤخر الظهور بذات صدره الى ان يعود لمعقله وعرين صولته ، ولذلك فانه لم يكد يستقر بسوس حتى

(11) تراجع اخبار يحيا ووالده وجده في « الفوائد » للتامانارتي ، و « ممتع الاسماع » للفاسي ونزهة الحادي والصفوة للافراني ، ونشر المثاني للقادري ، لكن جماع كل ذلك واكثر منه وادق في الجزء 19 من المعسول ابتداء من صفحة 73 .

نادي بنفسه ملكا واحتل مدينة تارودانت وسكن دار الامارة بقصبتها .

وكان قد استشار صاحبنا ابا مهدي السكتاني في اظهار ما عزم عليه في طريقه الى مراكش خارج باب الغزو بتارودانت ـ هو باب تارغونت اليوم ـ فنهاه عن ذلك وبين له ان عزه وعز كافة اهل بيته بالعلم والصلاح سيضمحل اذا خاض به غمار السياسة ، وحذره سوء العاقبة ، ولكنه كان قد صمم على ما اراد واعماه حب الرياسة ، فلما عاد من مراكش وصرح بما اخمر كان مما ابتلاه الله به الفتك بالذين لا يوافقون على رايه ، وفي مقدمتهم قاضي تارودانت ابو مهدي السكتاني فصمم على اغتياله فنجاه الله منه .

ونجد في نزهة الحادي وفي الاستقصاء رسالة ابي مهدي الى يحيا يكرر له فيها النهي ويؤنبه على الانقياد لحب الرياسة ويضرب له المثل بأبي محلى نفسه الذي كانت سمعته في الصحراء وتافيلالت لا تقل عن سمعة يحيا في سوس فلما طمحت نفسه للملك والرياسة ضاع من يده كل شيء حتى هامته ودينه ، فلقي الله ملطخا بالدماء مثقلا بأموال الناس واغراضهم لانه تسبب في الفتنة التي افسدت ذلك لهم وضيعته عليهم .

وهذه الرسالة مفيدة جدا في الدلالة على ورع ابي مهدي السكتاني وتصوفه الصحيح وهروبه من الفتنة ورضاه بما قسم الله له من الحلال الطيب وحراسة الشريعة الاسلامية ومبالغته في النصح ليحيا انطلاقا من هذه المبادىء السامية لولا ان سبق ما سبق في علم الله ، نسال الله العصمة من الشرور والفتن .

ولكن يحيا اعماه حب الامارة واصمه عن نصح الناصحين فسكن دار المخزن بقصبة تارودانت وطلب وفر الاحباس من القاضي التامانارتي لتموين جيشه وكان من تلامذته فولاه القضاء بعد فرار السكتاني وكانت الاحباس اذ ذاك الى نظر القضاة بسوس ففر منه ايضا ، وبقي هو يطفو تارة ويرسب اخرى حتى لقي حتفه سنة 1035 هـ وعاش بعده السكتاني معززا مكرما موفور الدين والعرض نحو الثلاثين سنة .

ومما تدلنا عليه هذه الرسالة ان ابا مهدي لم يستقر بمراكش باولاده واهله بفور خروجه من تارودانت خلافا لظاهر كلام التامانارتي في الفوائد، والناصري في الاستقصاء ، بل ترك أهله واولاده ببلده الاصلي سكتانة ، وذهب الى مراكش ليهيىء بها اقامته ، وكان يتردد الى اهله ويقيم معهم ويأسف لاضطراره لتركهم بالبادية بعد ان الفوا حياة الحاضرة. وكان سكتانة لم تنضم بعد الى سلطة يحيا فكانت اما في قبضة بعض عمال زيدان او في قبضة ابي حسون بودميعة التازروالتي الذي ثار هو الآخر على زيدان قبل يحيا ، ومنه انتزع يحيا تارودانت ولذلك جعل يحيا يترصد مجيء ابي مهدي السكتاني لزيارة اولاده ليوقع به ، واليكم ما يتعلق بهذه النقطة من الرسالة :

« نعم بلغني مع ذلك وجزم بذلك مع بذل النصيحة لك وللامير ـ يعني زيدان ـ اصلح الله الجميع واصلح ذات بينهم انك اخذت علي بالرصد في قفولي لصبيتي والرجوع اليهم رعاية لما يجب ويندب من حقوقهم ، وهل هذا ايضا الا حكم الهوى والشيطان اعندك اكرمك الله ما تستبيح به ذلك مع انني والحمد لله اينما كنت لا اسعى الا في مصلحة جهد الاستطاعة ، او بث نصيحة حيث لا ارى من يبثها ، او اغاثة ملهوف حين تجب اغاثته ، « لئن بسطت الي يدك » الآية ، ولكن الباري سبحانه وتعالى يقول : « ولا يحيق المكر السيىء الا بأهله » وفي التوراة « من حفر حفرة فليوسعها » :

ولا تحفرن بيرا ، تريد اخا بها
فانك فيها انت من دونه ، تقع

فاين وجدت مايسوغ لك ارتكاب مثل هذا قولا او فعلا او اشارة او تلويحا او تصريحا ؟ واي جريمة توازي هذه الجريمة او كبيرة من الاثم اكبر منها ؟ والى الله الموعد « وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون »

ذلك هو يحيا الذي تدلى من قمة الاعتزاز بالعلم والصلاح الى حضيض الاغترار بزينة الدنيا والتهارش عليها ، ومن العجب ان الله كافأه على واده لمجد اسرته في ضحضاح السياسة بأن واد ذكره عند جماهير السوسيين ، فلا يعرف الناس الا اباه وجده يقيمون لهما المواسم الدورية ويفيضون الصدقات عند قبريهما ، اما هو فلا يعرف الا من طي الكتب التي تربطه بالارتطام في حمأة الفشل والاضطرار لاقتراف الاوزار والآثام .

اما القاضي ابو مهدي السكتاني فقد حفظ الله عليه مكانته العلمية والقضائية، فلا يكاد الانسان يطل على تراجمه الوجيزة المكتنزة حتى تمتلىء نفسه روعة وجلالا وحقا وورعا وجدا وصرامة وصراحة، قضى حياته متعلما ومعلما وحاكما بما انزل الله ، قال فيه بعض من ترجموه : « ولما ولى القضاء بمراكش اخذ طريق العدل وحكم بمقتضى الشرع غير مكترث باحد ولا مدلس فى الاحكام وما زال العمل على وفق اختياره فى معضلات القضايا والنوازل » .

ذلك هو القاضي الجليل ابو مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني المتوفي بمراكش عام 1062 هـ ، وقد حدانا الى جمع هذه الفذلكة عنه كوننا وجدنا ترجمته فى « الفوائد الجمة » للتامانارتي و « الصفوة » لافراني ـ ومن سواهما عالة عليهما ـ وجيزة عادية ، فدفعنا فضول الاستطلاع والتقصي الى تصفح اجوبته الفقهية وحاشيته على السنوسية فتجلى لنا الرجل من خلالهما عبقريا رائعا عظيما حريا بقول الشاعر :

لقد وجدت مكان القول ذا سعة
فان وجدت لسانا قائلا فقل

واتمنى ان تتاح لي فرصة اخرى للعودة الى هذه الشخصية السوسية المثالية بحول الله وقوته وفضله وما ذلك على الله بعزيز .

الرباط : محمد بن عبد الله الروداني



من أعلام الأدب المغربي

أبو سالم العياشي (1)

1037-1090هـ • 1628-1679م

للدكتور محمد الأخضر

سبق للدكتور محمد الاخضر ان ناقش في اوائل سنة 1972 بكلية الآداب بباريز اطروحته عن الحياة الادبية بالمغرب ايام الدولة العلوية فنال دكتورة الدولة في الادب بدرجة مشرفة ..
ويسرنا ان ننشر على صفحات مجلتنا فصولا معربة من اطروحة الدكتور محمد الاخضر :

ابو سالم عبد الله بن ابي بكر بن يوسف بن موسى بن محمد بن يوسف العياشي المالكي ، عفيف الدين ، الشاعر الناثر ، الفقيه الصوفي ، الرحالة المشهور ، صاحب الرحلة المعنونة **بماء الموائد** . وبهذه الصفة الاخيرة وجد مكانه في كتاب **مؤرخو الشرفاء** من بين اصحاب التراجم في القرن الحادي عشر الهجري (17 م.) — صفحة 262 — 264 — ، لان رحلته ذات الصبغة الموسوعية تحتوي على تراجم عدد كبير من علماء المغرب ، والمشرق خاصة ، لذلك

سنترك جانبا ناحية التراجم في انتاج العياشي ، وحياته المعروفة ، لنتفرغ الى التعرف على مؤلفاته الادبية والفقهية والصوفية :

1 — في النحو :

— رسالة في معنى لو الشرطية .

2 — في الفقه :

— شرح المحلى لم يكمل .

(1) انظر اخبار العياشي عند :
— ل. بروفنسال ، مؤرخو الشرفاء ، صفحة 262 — 264 ورقم 2 .
— د. م. ا. 2 ، مادة ابن شنب ، (ش. بيلا) 1 : 818 ا و ب .
— ش. بيلا ، اللغة والادب العربي ، ص . 184 .
— م. الفاسي ، الادب المغربي ، ص 533 ب .
— م. الفاسي الرحالة المغاربة ، ص . 22 .
— ع. كنون ، النبوغ المغربي ، 3 : 79 — 155 — 156 .
— م. ابن تاويت وعفيفي ، الادب المغربي ، ص 337 .
— ع. الكتاني ، فهرس الفهارس ، 1 : 118 . و 123 ، 2 : 211 — 213 .
— م. العياشي ، الثغر الباسم .
— ع. العياشي ، الاحياء والانتعاش ، ص. 43 — 171 .
— مخلوف ، شجرة النور الزكية ، ص . 314 .
— م. الحجوي ، الفكر السامي ، 4 : 114 رقم 770 الخ .

– معونة المكتسب وبغية التاجر المحتسب ، وهو رجز نظم فيه بيوع ابن جماعة التونسي (من رجال القرن 7 هـ – 13 م) .

– ارشاد المنتسب الى فهم معونة المكتسب ، وهو شرح للرجز السابق .

– اجوبة الخليل عما استشكل من كلام خليل .

– القول المحكم فى عقود الاصم الابكم .

– العلاوة فيمن ركع فى محل سجود التلاوة .

– المقربات فى اصلاح الوتريات .

– تحرير الكلام فى امر النبي (صلعم) فى المنام

3 – فى علم الباطن :

– الكشف والبيان فى مسالة الكسب والايقان

– الحكم بالعدل والانصاف الدافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سجلماسة من الاختلاف فى تكفير من اقر بوحدانية الله وجهل بعض ما له من الصفات .

4 – فى الحديث :

– المسلسلات العشر المنتخبة .

5 – فى التصوف :

– نظم اصول الطريقة لاحمد زروق .

– اظهار المنة على المبشرين بالجنة .

– تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد فى الدنيا الفانية . (او : رغبة ... فى الاعراض ...)

– سوق العروس وانس النفوس .

6 – فهرست فى كتابين :

– اقتفاء الاثر بعد ذهاب اهل الاثر . ويسمى ايضا مسالك الهداية الى معالم الرواية . او المجالة المرقية باسانيد الفقهاء والمرشدين والصوفية .

– تحفة الاخلاء بأسانيد الاجلاء ، وتسمى ايضا : اتحاف الاخلاء باجازة العلماء الاجلاء .

7 – **مجموع اشعار** يحتوي على 42 قصيدة فى مدح الرسول عليه السلام ، وقصيدة فى صناعة الجدول (2) .

وقبل ان ننتقل الى دراسة اهم مؤلفات العياشي التى هي **الرحلة** نود ان نبرز جانبين يمتاز بهما المترجم .

تصوفه الذى كان له اكبر الاثر على الزاوية الحمزاوية، وهوايته للكتب النفيسة التى ساهمت فى اغناء مكتبة هذه الزاوية التي أسسها والده عام 1044 هـ – 1634 م ، وعرفت فيما بعد باسم ولده حمزة (مجلة تطوان ، 1963 ، ص. 87 .)

ان العياشي العالم المدقق ، والداعية المتحمس للطريقة الشاذلية كان مولعا اشد الولع بسلسلة السند فى الحديث علما بانها كلما علت كانت أصح واثبت . وتلك هي النقطة الاساسية التى عليها مدار النقاد ، ومن بينهم ابن المبارك (المتوفى عام 1156 هـ – 1743 م) الذي كثيرا ما كان العياشي يستشهد بقوله : « لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء » (3). ويقولمعن: «الاسناد العالي قربة الىالله ورسوله»(4). ان رجلا بهذه الدرجة من التدقيق والولوع بالدرس والبحث لم يجد فى المغرب ما يحقق رغبته لا من حيث العلماء ولا من حيث الكتب ، كما صرح نفسه بذلك فى اقتفاء الاثر ، فكان ذلك من الاسباب التى دعته الى الرحلة الى المشرق ، وقد دون فى رحلته الكبرى بتدقيق كل المسائل التى تناقش فيها مع

(2) اكثر مؤلفات العياشي المذكورة هنا ورد ذكرها فقط عند م . العياشي فى الثغر الباسم ، او ع. كنون فى النبوغ المغربي ، او ع. الكتاني فى فهرست الفهارس ، ونشير الى ان للعياشي ايضا اجازة منظومة فى 254 بيتا من بحر الرجز ، وقصيدة اخرى فى 300 بيت فى شيوخه الصوفية والمشارقة والمقاربة – انظر ع. الكتاني فهرست الفهارس .

(3) م. العياشي ، الثغر الباسم ، ص 5 .

(4) المصدر السابق ، ص . 8 .

كبار العلماء والصوفيه فى مختلف البلدان مما يطول ذكره .

وقد سلك العياشي طريق القوم على يد اكبر شيوخ التصوف فى عصره ، كأبي بكر يوسف السجتاني المراكشي الذى اذن له فى لبس الخرقة والجلوس على السجادة لموعظة المريدين (5) ، وابي اللطف الوقائي المصري الذى كناه ابا سالم وقال له: « ان شاء الله فى الدنيا والاخرة » ، والشيخ عمر العلمي المقدسي الذي أعطاه الفوطة ليحتزم بها (6) .

لقد اصطبغت كل اقوال ابي سالم العياشي وافعاله ومؤلفاته بالصبغة الصوفية المبنية على الورع « الذى تساوي أعلى درجاته أحط درجات الزهد » ودفعه الاستخفاف بمتاع الدنيا الى الاعراض عن منصب القضاء فى مراكش حين عرضه عليه سلطان الوقت . وقد سبب له هذا الرفض ان حمل مع اهله الى فاس ليجبر على الاقامة فيها طوال عام 1083 هـ — 72 — 1673 . ومن الاكيد ان سنة الغربة هذه بدت لمترجمنا كقرن من الزمن ، لانه كان قد عبر عن ألمه قبل ذلك بعشرين سنة فى ابيات منها :

ايا ساريا فى الدجى المكفهر
اسار الى الحي ام مبتكر ؟

... غريب بفاس له أنة
يكاد الفؤاد لها ينفطر

اذا ذكر الرقمتين ومن
يحل بوادي الأراك احتضر

وقال فى التنفير من الدنيا :

وهذه الدنيا فلا تثق بها
من سمها احذر فهي خضراء الدمن

ولا تعارضها اذا ولت فكم
من قبل ان تخلق أعيت من ومن (7)

ولم يكتف بهذه النصائح التى قدمها للناس فزاد قائلا :

فان ذا اللب لا يرضى بصحبتها
ولا يثق بسراب قد بدا فيها

فلا جزاها الاله الخلق صالحة
عنا ولا بلغت فينا امانيها

تلاطف العبد احيانا تخادعه
حتى تراه تدانيه فيدنيها

اتنت عليه جران الذل ناسية
للود واستلبت منه اياديها (7)

وفى الوصايا التى وجهها الى المريدين من اتباع الطريقة ، كان ينهاهم عن الاكثار من الصلاة والاشتغال بشؤون الغير ، علما بان ذلك لا ينتج عنه الا الانصراف عن العمل ، وقد نصح احد أحبائه بقوله: « .. ولا تكلف نفسك كثرة الاوراد ولا الصيام ولا قيام الليل ولا الرياضات التى تجد فى الكتب ، فليس ذلك من وظيفك ، بل اجتهد الا يغفل قلبك عن الله ، ولا تزد على الصلوات الخمس وتعلم العلم وتحسن النية » (8) .

تذكر هذه البساطة بمذهب الموحدين المبني على التزمت والرجوع الى قواعد الاسلام الاولى . ويظهر هذا الاتجاه الانتقائي فى الاعتقاد والشعائر ايضا حتى فى ابي سالم العياشي للكتب المتعلقة بالعلوم الاسلامية وعنايته بها ، وفى المكتبة الحمزوية لائحة الكتب التى اشتراها أبو سالم عام 1065 — 1654 م (9) ، الامر الذى يمكن من الحكم على معلوماته فى هذا الموضوع ، من ذلك مثلا المجلد رقم 540 الذى هو تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، والمجلد رقم 398 الذى هو صحيح

(5) ع. المصدر السابق ، ص. 91.
(6) المصدر السابق ص 91 .
(7) م. العياشي ، الثغر الباسم ، ص. 17 .
(8) المصادر السابق ، ص. 19 .
وقد استغرب مؤلف الثغر الباسم من هذه الوصية فاولها بقوله : « وان كان (ابو سالم) يفعل بعض ذلك فى خاصة نفسه ويأمر به بعض اصحابه ، وانما خص صاحب الوصية بعدم الزيادة على الفرائض لضعفه جدا » .
(9) انظر مجلة تطوان ، عدد 8 ، سنة 1963 ، ص. 98 — 99 (مقال م. المنوني) .

البخاري بأجزائه الخمسة . والجدير بالملاحظة ان جميع الكتب من هذا النوع موقوفة على الزاوية لحفظها والاستفادة منها . وقد عني مترجمنا وافراد اسرته العلماء بتكوين هذه المكتبة وتنظيمها ، ولم يقتصر عملهم على احصاء ما يقتنون من مخطوطات ، وتصحيحها او تتميمها ، بل كانوا ينتسخون بأيديهم الكتب التي لا يستطيعون الحصول عليها (10) . وكانت هذه المكتبة محط اعجاب اكابر الادباء والعلماء في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (18 – 19 م) من امثال احمد بن عبد العزيز الهلالي (المتوفى عام 1175 هـ – 1761 م)، ومحمد بن الطيب القادري (المتوفى عام 1187 هـ – 1773 م) وعلي بن احمد الحريشي (المتوفى عام 1145 هـ – 1733 م) ، وابي مدين الفاسي ، المتوفى عام 1181 هـ – 1768 م) ، وعبد الكبير الفاسي (المتوفى عام 1296 هـ – 1879 م)). ورغم ما عانته المكتبة من محن قاسية بسبب اهمال اصحابها ونهب الزائرين لها ، فانها ما زالت تضم عددا كبيرا من الكتب في جميع فروع المعرفة ، كما تدل على ذلك قائمة الاحصاء الاخيرة للمكتبة » .

العياشي الشاعر

اتينا فيما سبق ببعض الابيات الشعرية التي عبر فيها العياشي عن المه ايام مقامه الاجباري بفاس، او حذر من اخطار المظاهر الخادعة للحياة الدنيا . وان هذه الطريقة في التعبير عن الاحساسات ولم شتات الانفعالات بحسب الظروف لهي اهم سمة يمتاز بها الشاعر . ومهما بدا الامر غريبا بسبب ارتباط المترجم برحلته الهامة المكتوبة نثرا ، فان العياشي قبل كل شيء شاعر وشاعر طبعي ، بدا يقرض الشعر وعمره لم يجاوز عشرين سنة ، فنظم اول قصيدة له مطلعها :

امن رسم دار قد عفا وتطوحا
سكبت هواطلا امن جاهل يلحا

امن شغف بحب خود فريدة
اذا مابدت أسبت عقول الورى الرجحا؟(12)

وقد اعتذر شاعرنا عن تقصيره لحداثة سنه ، وربما كان ذلك راجعا الى شدة تواضعه او الى اعتراف حقيقي منه بالعجز :

صفحا بني الادب لا تعجلوا
فان لي معذرة باديه

عذر بني العشرين في قرية
اشبه ارض الله بالباديه

ما عود الشعر سليقته
كرها اتت له به باديه

لا لغة يدري ، وقد غلبت
قدما عليه العجمة الباديه (13)

ان العائقين اللذين تتحدث عنهما هذه الابيات، وهما العيش في البادية ، وغلبة العجمة ، قد تطرق اليهما كتاب آخرون ، فاذا اظهروا الامتيازات التي يتمتع بها سكان الحاضرة في ميدان المعرفة بالنسبة لسكان البادية ، فانهم لا يجعلون حظ هؤلاء اقل من حظ الحضريين ، ولا ادل على ذلك مما وصلت اليه بعض زوايا البادية ، وبخاصة زاوية الدلاء، من درجة عالية في الثقافة .

ان هذه الابيات التي نظمها العياشي ليست سوى عمل شاعر مبتديء ، لا اقل ولا اكثر ، وليس له ان يخجل من محاولاته الاولى ما دام قد ترك لنا ديوانا ضخما مليئا بنفائس الاشعار (14) . واكثر قصائد العياشي في التصوف ، كما قلنا ، وتنتهي كلها تقريبا بوصايا تدعو الى الزهد في الدنيا

(10) نسخ ابو سالم العياشي بيده الجزابن الثاني والثالث من احياء علوم الدين للغزالي ، (رقم 488) ، واحد شروح الحكم لابن عطاء الله .
انظر المصدر السابق ، ص 102 .

(11) المصدر السابق ، ص. 109 – 177 .

(12) م. العياشي ، الثغر الباسم ، ص. 76 .
نظم العياشي هذه الابيات عام 1057 هـ – 1648 م .

(13) المصدر السابق ، ص. 78 .

(14) جمع ديوان ابي سالم العياشي كل من ابن عمه عبد الله مؤلف الاحياء والانتعاش ، وحفيده محمد مؤلف الثغر الباسم . انظر البيبليوغرافيا .

والحذر من مظاهرها الخادعة . فهذا مطلع قصيدة غزلية لا تدع اي شك في عبث الرجل :

ومن عجب الدنيا مهـاة كأنهـا
اذا برزت في الليل بدر تمـام

شغفت بها من خمس عشرة حجة
الاحظها شزرا بغير كلام

والابيات التالية اكثر مجونا :

... فقبلت بدر التم منها واسبلت
على روضة غناء سجف لثـام

فمر بنا واش ولم يدر انني
هناك وقد مازجتها كمـدام

لكن ذلك لم يكن سوى حلم :

... فصلت على جند الغرام بوصلها
ففر وذا في النوم غير حـرام

فان كان حلا يقظة حبذا بـه
وصالا بـه ارجو بلوغ مـرام

وان جمع الرحمن بيني وبينها
اذا كان رجما فالعفاف زمـام

فلا يشتري حـر بلـذة ساعة
عقوبة دهر ليس ذا بكلام (15)

لقد نجح العياشي في التعبير عن المفاجاة في هذه الابيات ، وفي تلطفه باخراجنا من عالم الاحلام الى عالم اليقظة ، كما احسن في وصف الاغراء الذي يتعرض له الانسان بسبب الشهوات الدنيوية ، لكنه عرف اكثر كيف يحطم ذلك الاغواء باستخراج عواقبه الوخيمة .

وقد نظم العياشي الى جانب القصائد الصوفية قطعا شعرية ذات نغمة مؤثرة تتحدث عن الاكتئاب والم الفراق ، كالتي انشدها في توديع زوجته واولاده :

تقول وقد حـل الرحيل أهكـذا
تحملني ثقل الفـراق على ضعف ؟

أتترك افراخا كزغب القطا وما
رحمت بنيك اذ سلوت عن الالف ؟

فقلت لها كفي الملام ، وأعرضت
تخشف النقا تستعرض الدمع بالكف

فودعتها والقلب منطبق على
اساه ، ودمعي لا يمل من الوكـف

عليك سلام لا زيارة بيننا
مع البعد الا ان ازور مع الطيف (16)

تذكر هذه الابيات بقصيدة الشاعر الاندلسي ابن دراج القسطلي (المتوفى عام 421 هـ — 1030 م) في وداع زوجته والتي منها :

الم تعلمي ان الثواء هو الثوى
وان بيوت العاجزين قبور (17)

وهي بدورها تنظر الى قصيدة الشاعر العراقي ابي نواس (المتوفى عام 198 هـ — 814 م) في مدح الخصيب عامل هرون الرشيد على مصر ، ومطلعها :

تقول التي من بيتها خف مركبي
عزيز علينا ان نراك تسير (18)

هذه القصائد لا تختلف في الواقع الا باختلاف أسماء الشعراء والبلدان لشدة الشبه بينها ومطابقة التقليد فيها مطابقة تامة ، وكلها تتحدث عن الصحراء وحياة البادية . فالعياشي يظهر نفس التعلق باحبابه لابسط مناسبة وفي كل مرحلة من مراحل سفره .

---

(15) ع. العياشي ، الاحياء والانتعاش ، ص. 108 .
(16) ا. العياشي ، الرحلة ، 1 : 14 .
(17) انظر القصيدة واخبار الشاعر في ديوان القسطلي ، تحقيق م. ع. مكي ، دمشق 1961 .
(18) انظر القصيدة في ديوان ابي نواس، وعند طه حسين ومن معه ، المنتخب من ادب العرب ، 1 : 108 .

ولما وصل الى فكيك عام 1059 هـ — 1649 قال :

تذكرت اصحابي الذين تركتهم
باسفل من اعلام ملوية الخضر

ففاضت دموع العين تهمي كآبة
ولولاهم ما جادت العين بالقصر (19)

وسيبعث الى أصحابه من الاسكندرية التى وصل اليها عام 1060 هـ — 1650 م بهذه الرسالة التى تعبر عن مدى اخلاصه لهم :

الا ليت شعري هل لنا من معرف
من اخبار من قد حل سفح انفرف ؟

ادام على العهد الذى كان بيننا
أم العهد مذ فارقتهم صار فى ضعف ؟

... وما انس من اشياء لم انس قولهم
وقد جد جد البين هل من مخلف ؟ (19)

وهذا البيت الاخير تقليد لقول الشاعر العباسي أبي العتاهية (المتوفى عام 211 هـ — 826 م)

فما انس من اشياء لا انس قولها
وموقعها يوما بقارعة التمر (20)

تبين لنا هذه الامثلة ان الشعراء المغاربة ، ولو انهم قبل كل شيء فقهاء متمكنون ، وصوفية ورعون ، كانت لهم معرفة متينة بالادب العربي شرقيه وغربيه . والمنتخبات التالية من شعر أبي سالم لا تكتسي اي طابع ديني :

ا — وصف ليلة انس فى شفشاون :

يا ليلة جمع السرور لنا بها
جادت بها الايام فى شفشاون

بلد شمائل اهله من طيبها
طاب المبيت لنا بذاك الموطن

انهاره تصبو لها اشجاره
فلذا توارت عن لحاظ الاعين (21)

يشتمل البيت الاخير على صورة رائعة ويوحي بحسن الذوق فى نفس الوقت .

ب — واخيرا هذا مقتطف من موشح (من مجزو الرجز) يدخله مترجمو العياشي فى باب الهزل :

اقسمت بالخلاق
الملك الرزاق
انك فى الآفاق
كغرة الاصباح

بل انت شمس حسنها
انسان عين عينها
محل صفو منها
من غير ما مزاح

لما بها وجودكم
وعلني موجدكم
نادى الفؤاد جودكم
حي على الفلاح

جميعه لباه
كانه رباه
عجبت من نباه
انك ذو سماح

من هذه اوصافه
فما لنا خلافه
بلى لنا ايضافه
لكثرة الامداح (22)

يصعب بطبيعة الحال ان يحمل مثل هذا الانتاج محمل الجد مع ما اشتهر به ابو سالم من تمسك بالدين ، ويسر على هدي التصوف ، غير ان شاعرنا اراد ، ككثيره من الشعراء ، ان يبرهن عن

(19) ع. العياشي ، الاحياء والانتعاش ، ص. 106 .
(20) انظر القصيدة واخبار الشاعر فى ديوان أبي العتاهية .
(21) ع. العياشي ، الاحياء والانتعاش ، ص. 158 .
(22) المصدر السابق ، ص. 161 .

كفايته بالخوض في جميع ضروب الشعـــر ، ولا ادل على ذلك من ديوانه الضخم الـذي جمـعه ابن عمـه وحفيده ، مشتملا على قصائد مرتبة حسب بحـور العروض ، في جميع الاغراض الشعرية تقريبـا ، لاسيما المديح (23) ، والشكوى ، ووصف الاسفار، والتحسر والم البعاد .

العياشـي الناثــر

تأخذ رحلة (24) العياشي الطابع الموسوعي لهذا النوع من الادب المغربي في هذا العصر ، فبدلا من ان تهتم بوصف ما يمر به الرحالة من بلدان وسكان، من الناحيتين الجغرافية والعراقية (الايطنوغرافية)، نجدها تحتوي على اشعار مناسبات ، ومراسلات ، ومناظرات فقهيـة وجدليـة ، وبخاصـة تراجـم الصالحين والعلماء . ومع ذلك سنورد احد المقاطع القليلة التي تتحدث عن السفر في الرحلة :

« الاقامة بالمدينة . كانت مدة اقامتنا بالمدينـة سبعة اشهر ونصف ، لانا دخلناها ، كما تقدم ، في الليلة الثانية من محرم ، وكان خروجنا منها الى مكة في السابع عشر من شعبان ، وكنا نسكـن اولا في محل نزولنا بجوار مشهد السيد اسماعيل، كما تقدم، وكان افسح الامكنة واوسعها وابعدهـا عن زحـام الناس ،به اخلية للوضوء وبئران كما تقدم . وكـان قيم المشهد احد اصحابنا المغاربة المجاورين ، وهو الذي انزلنا به ، وكان يتولـى اصباحـه وكنسـه واغلاق ابوابه ، ويقبض ما يوتى به من الصدقـة اليه ، ولاه ذلك مفتي المالكية بالمدينـة صاحبنـا الخطيب احمد واخـوه الخطيب عبـد الرحمـن ، لان ولاية المشهد لهما ، فاذا اجتمع من الصدقات ما له بال دفع لهما حصة منه وانتفع بالباقي كما هو شان المشاهد بالمدينة بل وبغيرها » (25) .

في مثل هذه الروايـة يسهـل الاسلـوب ويتبسـط كثيرا ، فيصف المؤلف ادق التفصيـلات التي يلاحظها دون ان يهتم بالترتيب او الاختيار ، وانما يقدمها كما هي دون ان يلجـا الى النســق الاسلوبي المعتاد . ولما كان الامر يتعلـق بمؤلـــف اشرب قلبه حب التصوف والاهتمام بالدين ، فيمكن ان نستنتج انه كان مدفوعا الى ذلك للمحافظـــة على الدقة والحقيقة ، لاسيما وان رحلته تتحـدث عن الاراضي المقدسة وشعائر الله ، وهكذا نجده يجافي كلمة المال في حديثه عن اجرة سادن المشهد ليأتي بدلها بالصدقة . ومن جهة ثانية يفيدنا النص السابق بمعلومات لا يستهان بها عن حالة مساكن المدينـة ، وبخاصة وسائل الراحة التي يبحـث عنها النـاس فيها .

ولكي نعطي فكرة عن النثر الفني للعياشي نقدم في الاخير مقطعا من الرحلة لا علاقة له بموضوعها اطلاقا ، لانه يتحدث عن :

« الجوازات الشعرية . عندما يلحن الانســان في الشعر للضرورة .

ان اللحن لا يسوغ في شيء من الكلام نظمـه ونثره ، الا ان النظم لما كان اضيق من النثر اغتفرت فيه اشياء كثيرة لا يغتفر مثلها في النثر ولا يسوغ، وتلك الاشياء متفاوتة بعضها اخف من بعض ، كقصر الممدود وعكسه ، وصرف الممنـوع من الصـرف وعكسه ، بالنسبة الى التقديم والتاخير والقلب في حروف الكلمة والحذف .. فاذا علم ذلك فارتكاب الشاعر شيئا مما ذكر او نحوه ضرورة لا يسمى لحنا، لان اللحن انما هو ما لا وجه له في العربية ، اذ لم تستعمله العرب ولا قيس على ما استعملته » (26)

تدل المعلومات الواردة في هذا النص على ان التعليم الملقن آنذاك كان على جانـب من العمـق والاحاطة بجميع المواد الدراسية .

وبالجملة ، فان ابا سالم العياشي من ابـرز الشخصيات الادبية بالمغرب ، جدير بالشهرة الذائعة التي له داخل البلاد وخارجها ، مستحق لان يكون موضوع ترجمة خاصة ، باعتباره شاعـرا ناثـرا ، وفقيها متصوفا ، ورحالة جماعا لنفائس الكتب .

د. محمد الاخضـر

---

(23) وذلك مثل ما مدح به شيوخه عبد القـادر الفاسي ، ومحمد بن سودة ، والابـار ، وميـارة ، والشرقي ، وعبد الرحمن ابن القاضي .

(24) « هنا لدرحلة اخرى مكتوبة بشكل رسائل كانت موضوع ترجمة للفرنسية من قبل م. الاخضر (في المؤتمر 4 لاتحاد جمعية العلماء ، الجزائر ، 1939 ، 2 – 671 – 88 »

د : م . ا. مادة ابن شنب ، (بيلا) .

(25) ا. العياشي ، الرحلة 1 : 284 .

(26) المصدر السابق ، 1 : 19 .



الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية في عصره .

للأستاذ محمد العلمي حمدان

تعاونت يد الاهمال والظروف العصبيـــة التـــي عاشها كثير من الادباء والشعراء المغاربة فى ظـــل الحروب والفتنة التى عرفتها عصورهم ، على تغطية اخبارهم فظلوا مغمورين، اخبارهم مجهولة وانتاجاتهم مهملة .

والعصر المريني الاول ، له قصب السبق فـي الكثير من النماذج التى عاشت مغمـورة وطوتهـا بانتاجاتها المبعثرة يد النسيان ، وظـروف نهايـة الموحدين وقيام المرينيين ومن نماذج هذا العصـر التى سأتناولها فى حلقـات ، شخصيـة الاديـب الكبير مالك بن المرحل ، وسنقتصر ، فى حلقتنـا هذه ، على تصوير عصر هذا الاديب والاوضاع التى عاشتها الاقاليم التى درج بها من النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية ، لما لهذه الاوضاع من تأثيـر على اطوار حياته .

الوضعية السياسية :

عاش ابن المرحل فى فترة زمنية صعبة غطت فيها الفتن والقلاقل على ماسواها من الجوانـب الاخرى فى الامة ، وهي فترة نهاية الموحدين وقيـام دولة المرينيين وما سادهـا من ثـورات وحـروب وانقسامات فى رقعة الامبراطورية الموحدية بالاندلس والجزائر وتونس والمغرب . ولسنا بصدد الكلام عن اسباب انهيار هذه الامة او بروز الاخرى بقدر ما يهمنا ما وصلت اليه الاوضاع نتيجة لذلك . يقول صاحب الذخيرة السنية وروض القرطاس (1) فى تصوير الحالة التى آلت اليها الامور بعد النكبة التى بدا بها انهيار الدولة الموحدية وما تعاقب عليها مـن الانحلال حتى وصلت الى ما وصلت اليه سياسيا :

« وكان من سلف وتقدم من ملوك الموحدين اولوا حزم وراي ودين ، الى ان كانت وقعة العقاب التى آذنت لدولتهم بالذهاب ، وذلك سنة تسع وستمائة، فرجع المنصور مهزوما ذا مذلة وانكسار ، فدخـل حضرة مراكش ، ولم يزل ملكه فى نقص وامـره فى ادبار الى ان توفي بها فى الحادي عشر من شعبـان سنة عشر وستمائة مفجوعا ، وولى بعده يوسـف المستنصر ، وكان صبيا هلوعا جزوعا ، لم يبلـغ الحلم ولا جرب الامور فاعتكف فى قصره على اللهو واللعب والخمور ، واسلم الملك لاعمامه وقرابتـه ، وفوض الامور الى وزرائه واشياخ دولته فتحاسدوا فيما بينهم على الرئاسة .. فأضاعـوا الامـور ... وجاروا فى الاحكام ، وولوا امورهـم السفلـة ...

(1) انظر بحثنا بدعوة الحق فى العددين التاسع من السنة 14 الثالث من السنة 15 فيمن يكون صاحب الذخيرة السنية بعنوان : الذخيرة السنيـة قسم مطول من روض القرطاس .

فبدا الفساد فى ملكهم ، والوهن فى دينهم ، وظهر الجور فى احكامهم .. فولت ايامهم » (2)

ولا جدال فى ان مآل الامر الى الوزراء ، وتحاسدهم على الرئاسة ، وقطع الصلة بين الملك المخمر وشعبه والجور فى الأحكام ، وابعاد العلماء، نذير بأفول نجم الدولة ونهضتها ، وبقيام الفتن والثورات ، شعورا بانحلال الاوضاع وعجز المسؤولين ، الامر الذى ادى الى تقطيع اوصال الامبراطورية واستقلال الاقاليم بنفسها : الاندلس وتونس والجزائر عن المغرب ، وقيام منافس خطير ، هم المرينيون « وكانوا طائفة يدخلون بلاد المغرب فى زمان الصيف ليرعوا انعامهم » (3).

ولكن استفحال الامور بالمغرب الناتج عن استبداد الوزراء وتحكمهم وفق اهوائهم ادى الى نهاية خلفائهم بما انتهى به امر خلفاء بني العباس ودولتهم على يد الاتراك والمماليك « فكان اشياخهم يولون سلطانا ثم يخلعونه ويبايعون غيره ، ثم ينكثون عليه فيقتلونه وينهبون امواله ، فسرى الوهن والضعف فى ملكهم ، وصارت ملوكهم ليس لهم حكم فى البوادي ، وطمع الطامعون ، وكثرت الفتن ، ونبذ اكثر القبائل الطاعة فدخلت طائفة منهم المغرب ليمتاروا على عادتهم ، فوجدوا المغرب خاليا من حماته ، فأقاموا بمكانهم ، وبعثوا لاخوانهم بالقدوم » (4) .

كان ذلك سنة عشر وستمائة ، ومن يومها والحرب سجال بين الموحدين والمرينيين الى ان سقطت مراكش سنة ثمان وستين وستمائة كآخر معقل للموحدين ، ما عرفت فيها البلاد سوى الخراب وانعدام الاستقرار ، وتسلط الخوف على النفوس

اما بالاندلس ، فقد استقل القشتاليون نصرهم بالعقاب فزادوا من ضغطهم على المسلمين هناك ، ووجدوا ما يشجعهم من خلافات ولاة الاندلس على السلطة نتيجة ضغط السلطة المركزية ، فتوسعوا ما امكنهم دون مقاومة تعترضهم ، واستولوا على القلع العديدة ، واحتلوا المدن مما اضطر معه العديد من سكانها الى الهجرة لغرناطة او الرحيل الى عدوة المغرب ، فرارا بدينهم واعراضهم واموالهم . وتنافس الامراء فى التنازل للفونش عن القلع والمراكز والمدن ، ليؤمنهم على ما بقي بأيديهم ، وكثرت نداءات الاهالي ، استنجادا بعدوة المغرب ، واستضعف الاندلسيون بدورهم حكام المغرب الموحدين ، فعملوا على التخلص من حكمهم ، وظهر ذلك جليا على يد محمد بن يوسف بن هود ، ومحمد بن الاحمر ، وقام والي الموحدين بتونس ، ابو زكرياء بتلمسان ، وقد اقلق الدولتين المتنافستين معا ، الموحدين والمرينيين ، وكان عاملا من عوامل القضاء على الاولى وزعزعة قوة الثانية فى قدرتها على الاحتفاظ بالمغرب موحدا كما كان فى عهد الموحدين .

وباعتبار مدينة سبتة نقطة المرور الى الاندلس والرجوع منها ، فقد عرفت هذه المدينة نشاطا سياسيا كبيرا ، مما كان يطمع فيها الغالب او المتسلط من حكام الاندلس ، فكانت حائرة بين ولائها للاندلس او خضوعها للمغرب حسب ضعف الدولة او قوتها فى العدوتين ، الامر الذى كان يدفع بولاتها للعمل على الاستقلال والانفراد بالحكم والخروج عن سلطات الوطن المغربي .

وهكذا عرفت سبتة عددا من المستبدين امثال سقوت البرغواطي ، وابا عثمان بن الخلاص الذى اراد لنفسه بعد موت الرشيد ، الملك الموحدي الذى ولاه عليها ، الى ان قام عليه الفقيه ابو القاسم العزفي واستولى عليه ، ثم اقره عليها يعقوب المريني مقابل ضريبة يؤديها للخزينة المغربية .

هذه باختصار الوضعية السياسية فى عصر شاعرنا ابن المرحل مدة خمسين سنة من حياته الغامضة الساكتة (الخاملة) ، تمزيق رقعة الامبراطورية ، وتشتيت شمل المسلمين بالاندلس ، والاستيلاء على بلادهم ، وانعدام الامن وسيطرة الخوف وكثرة الهجرات .

الوضعيـــة الاجتماعيـــة :

من الواضح ان الاستقرار الاجتماعي ، وتوفر العادات والتقاليد الموحدة ، والذى يميز شعبا ما

(2) الذخيرة السنية فى اخبار الدولة المرينية ص22 وروض القرطاس ص 200
(3) الذخيرة السنية فى اخبار الدولة المرينية ص 28
(4) الذخيرة السنية فى اخبار الدولة المرينية ص 29

وبفرده بشخصيته المستقلة ، يأتي مع الاستقرار السياسي ، وان انعدام هذا العنصر ادى الى انعدام العنصر الثاني بانفصام عرى الوحدة التى تجمع بين افراد الشعب الواحد نتيجة تعدد الانتماءات الدينية والاختلافات التى سادت هذه المناطق .

ففي الاندلس ، كان للتهديد الدائم ، والتهييب المستمر من هجومات المسيحيين ، وخشية الاهالي على اموالهم ودينهم مما يهددهم ، من عوامل تشتيت شملهم بالهجرة والاستشهاد فى الحروب والاسر ، والتفكير الفردي فى وسائل النجاة من المصير المرعب، مما ادى الى سقوط الاخلاق وانحطاطها بالعمل مع العدو اتقاء شره ، وخيانة الوطن نتيجة فقدان الثقة بالذات وانعدام الاحساس بالكفاءة الذاتية .

وبالمغرب كان الحذر والحيطة شعار الفترة ، واستغلت المناسبة كما هي العادة فى مثل هذه الاحوال من الخصوم وطغت المصلحة فى ظل الصراع ، كما تميز سكان البلاد بتعدد العناصر واختلاطها ، من بربرية وعربية ومهاجرين اندلسيين يهود ومسلمين، واختلاف مشاربهم هذا ادى الى تعدد العادات وانفصام وحدة الشخصية ، كما كان للمذاهب الفقهية والعقائدية اثره فى هذا الصراع.

اما سبتة ، فقد عرفت عادات قارة تسربت اليها عن طريق الوافدين من الاندلس او المغرب والمستقرين بها ، وسنرى كيف ان المغرب اخذ الكثير فيما بعد من هذه العادات فى الاحتفالات المختلفة الشعبية والدينية وفى اللباس وغيرها . وعلى كل فقد كانت سبتة افضل حالا من غيرها ، لانها لم تكن — كما يقول المثل — لا فى العير ولا فى النفير ، فلا هي اندلس ولا هي مغرب ، بل كانت ملجأ من كانوا يفضلون حياة الدعة والراحة رغم انها لم تسلم كلية كما رأينا فى الحديث عن وضعها السياسي .

وهكذا كان الاضطراب سائدا فى كل الاقاليم فى الحياة الاجتماعية .

الحيـــاة الفكريـــة :

فهل فى هذه الاوضاع السياسية منها والاجتماعية ما يساعد ويشجع الادباء والمفكرين والعلماء على الظهور والانتاج الفكري ؟ وهل ثمة مجال للعناية باهله وشيوخه ؟

مؤكد ان الحركة العلمية والثقافية تزدهر بتوفر الاستقرار والامن على النفس والاهتمام بالادباء والعلماء والعناية بهم حتى يقوموا بدورهم الحضاري فى الامة ، وهذا ما يفسر لنا الصمت الذى صاحب هذه الفترة وقلة الاسماء المثقفة ، ثم الصخب المثمر الذي عرفته اثر عودة الاستقرار الى النفوس باستقرار اوضاع الدولة ، والاسماء العديدة التى صحبته ، ولكن هذا لا يمنع من التذكير بما كانت تعيشه الاندلس من حركة ادبية وشعرية وعلمية ، ان يقف بمجرد نهاية دولتهم اوبدء ضعفها ، ولكن ولا بما كان بالمغرب حيث الاستمرار الموحدي لا يمكن الفوضى والاضطراب ، ولن تزدهر الحياة الثقافية فى هذا الجو .

هذه كانت الاوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية فى عصر ابن المرحل قبل استقرار الاوضاع فى المغرب نهائيا فى ظل المرينيين ، وهذا ما حجبه عنا فى هذه السنين كغيره من ادباء عصره ، دون ان يعرف عنه شيء (خامل الذكر خفي المنزلة) الى ان واتته الفرصة عن طريق ادبه وشعره حين استقرت الاوضاع ، وقد ساعد على ذلك شيء فى ابن المرحل واخلاقه ، هو بعده عن الشهرة ، ونفوره من مساقط النور ، ودخول غمار السياسة كما سنرى فيما بعد.

— * —

وما ان استقرت الاحوال بانتصار المرينيين ، حتى بدات الاوضاع تعرف طريقا مخالفا ، اذ تحددت على اثرها رقعة الوطن بشكله الجديد الذي يقارب مساحة المغرب الحديث ، وبدات العادات الاجتماعية تعرف طريقها الى الرسوخ نتيجة انصهار مختلف الاجناس وعودة الاستقرار ، كما عاد الامن للبلاد بفضل السلطة الجديدة الحازمة وعم الرخاء والخير وكثرت النعم وعاد للنفوس طمانينتها ، وازدهرت الصناعات ونشطت التجارة ، وعرفت الحركة الفكرية من جديد شكلها الذى كان لها قبل الفتن ، ونال الطلبة من عناية الدولة ما اعاد للعلم مكانته بتشجيعهم بالاعانات وبناء مدارس لسكناهم وتقريب العلماء والفقهاء يقول الاستاذ محمد المنوني (5) « فبعد استقرار الامن بالبلاد اخذوا (المرينيون) فى تنفيذ برامجهم فى الدفاع

(5) دعوة الحق عدد 3 السنة 8 ص 80 .

عن الاندلس ، وقد كان نجاحهم اكثر في تشجيع العلم واقامة معالم العمران وبذلك حققوا كثيرا من الآمال التي كان المغاربة يعلقونها على هذه الدولة الجديدة التي عبر عنها الشاعر المغربي الكبير مالك ابن المرحل أثناء قصيدة قدمها ليعقوب بن عبد الحق في التهنئة بفتح مراكش

من سنة الله ان يحيى خليفته
على يديك وان يكفيهم النقما

وان يقيم بك الاسلام من اود
وان يديم بك الاحسان والنعما

وجاء في الذخيرة السنية وروض القرطاس عن يعقوب المنصور حين ارخا لسنة ثمان وخمسين وستمائة « وفيها كان الرخاء العظيم بالمغرب مدة خمس عشرة سنة ، ستة دراهم للصحفة الواحدة من القمح ... الى ان يقول : وصنع المارستانات للغرباء والمجانين وامر الاطباء بتفقد احوالهم واجرى للفقراء مالا معلوما يأخذونه في كل شهر ، وبنى المدارس بفاس ومراكش ، ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والعلم ، واجرى لهم مرتبات في كل شهر ، واقام الدين، وامر بتطهير الايتام وكسوتهم والاحسان اليهم بالدراهم والطعام في كل عاشوراء ، واوقف الاوقاف لاطعام عابري السبيل وذوي الحاجات ، وترك امر سبتة في يد ولاتها العزفيين مقابل قدر مالي يؤدونه للخزينة المغربية » (6) .

وبذلك استطاع المغرب ان يتصرف للدفاع عن الاندلس ، « ففي سنة اثنتين وستين وستمائة جاز المجاهدون وقائدهم ابو معرف محمد بن أدريس بن عبد الحق واخوه الفارس ابو ثابت والحاج المجاهد التاهرتي في ثلاثة آلاف رجل ، وكتب يعقوب الى الفقيه ابي القاسم العزفي صاحب سبتة في تجويزهم وودعهم ودعا لهم وانصرفوا ، وهو اول جيش جاز الى الاندلس من بني مرين » (7) .

وقد ساهم ابن المرحل في استنفار المجاهدين بقصيدة القاها عليهم في جامع القرويين كما سيأتي.

ولعل هذه الاوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية الجديدة التي عمت البلاد وارضت السكان هي التي شجعت ودفعت كثيرا من العلماء والفقهاء والادباء الى الظهور والخروج من زواياهم وانعزاليتهم، واذهب بخوفهم ، فأعاد لهم كمفكرين مكانتهم ، حتى يلعبوا دورهم الحضاري البناء ، وهو يفسر لنا الخصب الفكري وانفجاره وتعدد الادباء في هذه الفترة كما رأينا .

فأين كان ابن المرحل في الفترتين المضطربة والمستقرة بل ومن هو ابن المرحل ؟

ذاك هو موضوع حديثنا في الحلقة المقبلة بحول الله .

فاس ـ محمد العلمي حمدان

(6) الذخيرة السنية ص 100 وروض القرطاس ص 216 .
(7) الذخيرة وروض القرطاس ص 296 .

الجيش المغربي بين الماضي والحاضر

للأستاذ زين العابدين الكتاني

كان الذين كتبوا عن المغرب محللين مظاهر عظمته ، ومميزات عبقريته بل وصموده واتزانه ، دائما يرتكزون على أن الجيش المغربي ظل في مقدمة العوامل المؤثرة بل هو أيضا أساس المؤثرات الاساسية التي لعبت الدور البارز في تطور الوجود المغربي ونمو عبقريته التي كانت مرآة صادقة لكل الحركات والتطور التي عاشها عبر تاريخه السحيق في القدم ، وقد استخلص مؤرخ كتاب (الحضارة المغربية) أن الجيش الوطني مظهر للحضارة ، وقوام السيادة مما يجعل المغرب يفخر على كثير من الدول بأنه من الامم التي ادركت قيمة هذا المظهر وقوامه ، ثم اختار بأصالة واقتناع أن ينصب رئيس دولته منذ قيام الدولة المغربية المسلمة قائدا أعلى للجيش يوجه في الحرب ، ويشرف على التدريب والاستعراض في السلم ، وتلك نتيجة احتاجت كثير من الامم والدول لقرون عدة بعدنا للتوصل الى نتائجها ، وهي نظرية لها أصالتها واعتباراتها في مدرسة العلوم العسكرية ولا أقول بأنها مغربية ولكنها تستمد أصولها وعمقها من الفكر العسكري المغربي كنظرية (الخطة الهلالية) و (خطة التراجع الرادعة) و (خطة الكشف الصامتة) و (خطة اختفاء توزيع الخطة) وهي من النظريات العسكرية الجديدة التي انبثقت في الفكر العسكري المغربي واستعملت في المعركة الكبرى بعد سنة 1953 في وحدات جيش التحرير والمقاومة .

واذا كنت في هذه الدراسة المقتضبة التي اقدمها بهذه المناسبة وذلك للحديث في هذا الموضوع – كما اقترح علي – فانني قد وجدت نفسي بعد تقليب بعض المراجع امام موضوع متنوع الجوانب ، وجميل ، وشائك في نفس الوقت لقيمته الفنية من جهة ، ثم لتوفر العناصر الرائعة التي تحدثنا عن امجاد الجيش المغربي من جهة ثانية والتطور الذي واكب تغيير الدول التي تعاقبت على العرش المغربي خصوصا عصور الدولة العلوية التي وزعت الى مناطق عسكرية وبلغت قلاعها المنتشرة على العهد الاسماعيلي ستة وسبعون قلعة موزعة بمختلف نواحيه ، في حين جهزت وحدات مدفعية (الطبجية) بالبطاريات العصرية ، واصبح المشاة يستخدمون الاسلحة المصنوعة بفاس بينما تذكر الوثائق الرسمية ان الاسطول البحري في عهد سيدي محمد بن عبد الله تجاوزت مراكبه الخمسين قطعة من بينها للاثون (فركاطة) تضم ستين قائدا وسبعة آلاف من البحارة والرماة مما يجعل الوحدة العسكرية كاملة لتجهيز ذات اعتبار بالنسبة للتخطيط العسكري العام في عدد من الدول المتوسطة .

وساحاول هنا ان اعرض صورا أحاول بعض الشيء أن تقرب للقارىء اليوم ما وصلت اليه قواتنا العسكرية من عظمة وقدرة وتفوق ليس من حيث العدد مما يشير ان الخطوات كانت موفقة في كل ابعادها . .

والصور التي اخترت في هذه الدراسة :

1) تتحدث اثنين منها عن السمعة الخارجية الجيش .

2) بينما الصورة الثالثة تشير الى قيمة الصناعة الحربية بالمغرب واهميتها حتى فى بداية القرن الحالي .

3) اما الصورة الرابعة للشكل والاهمية التى كان يمثلها فى اطار الدولة وهذه الصور هي كما يلي :

اولا ـ ذكر العلامة ابن خلدون فى تاريخه ان المنصور الموحدي (595 هـ ـ 1158 م) امد صلاح الدين الايوبي بمائة وثمانين اسطولا لمقاتلة النصارى بفلسطين وقال بالنص :

« وهذا دليل على اختصاص ملوك المغرب يومئذ بالاساطيل الجهادية ، وعدم عناية الدول بمصر والشام لهذا العهد بها » .

ثانيا ـ ينص البند العاشر من المعاهدة الامريكية المغربية (1) الذى وقعها السلطان سيدي محمد بن عبد الله والمولى عبد الرحمان بعد نصف قرن حرفيا على ما يلي :

« انه متى وقع قتال من احد الجانبين مع بعض اجناس النصارى وكان القتال قريبا فى بعض مدن الجانبين فاننا نعين بعضنا على ذلك الجنس حتى يغلب او يذهب » .

ثالثا ـ ذكر صاحب كتاب ونجسجربير المطبوع سنة 1947 :

« انه تأسست بمدينة فاس على عهد عبد الحفيظ لجنة خاصة اشرفت على صنع الذخيرة والسلاح (2) »

رابعا ـ وذكرت عدة مصادر اخرى « انه كانت توجد فى كل جهة دفاتر تحتوي على لوائح جنود القبائل، وكان فيه فى كل قبيلة بجانب السجل الجبائي سجل خاص بالخدمة العسكرية يحرر فى نسختين » .

والحقيقية التى نلمسها من مجموع هذه الصور الاربعة واضحة وهي تكتفي كتعريف عام لمركز الجيش وكفاءته وقدرته ودوره فى مغرب متطور لم يكتف بالبقاء على عناصر مجتمعة وتحيلاتهم ناسين ان الذين كتبوا عن جيش المرابطين قد عرفوه بانه « جيش نظامي جديد درب على الحياة العسكرية ، وانقطع لها » .

وتحدثوا عن جيش الموحدين فاوضحوا بانه اتسم بطابع جديد ضاعف قوته وكتل صفوفه ، واضاف وحداته تدريب ثلاثة آلاف من الطلبة بالاضافة الى العلوم التقليدية كالتدريب المستمر على ركوب الخيل والسباحة والرماية والتجذيف فى البحيرة المؤسسة لهذه الغاية .

السلاح المغربي

ويقول العلامة ابن زيدان فى كتابه (العز والصولة فى معالم نظام الدولة بالحرف :

« كان من جملة ما توجهت اليه عناية ملوكنا العلويين انشاء مصانع بمختلف الايالة المغربية لانتاج البارود لتموين الجيش ، وامداده بما يحتاج منه للدفاع عن البلاد وتوطيد الامن باطرافها ، وقد كانت العناية بهذا الانتاج بالغة الى اقصى حدها الى درجة ان كل مدينة من المدن كانت تتوفر على معامل ومصانع تخرج مقادير كبيرة من البارود ولا تزال اماكنها فى هذه المدن قائمة تعرف بدار البارود ، ففي فاس ومكناس والرباط وطنجة وروادنة وغيرها بنايات بقيت الى الآن تحمل هذا الاسم وتذكر بعظمة منشئها الفطاريف كما كان بمراكش الحمراء معمل هائل لا تزال اطلاله ماثلة للعيان بساحة اجدال ، ويعتبر هذا المعمل من اشهر المعامل قدما واكثرها انتاجا وصنعا ، ويبلغ الحاذقون بصنع هذه المادة اللازمة لكل امة تريد الدفاع عن كيانها انهم كانوا يتقنون فى درجات صنعه واستعماله .

---

(1) نص المعاهدة المغربية الامريكية ـ الشرط العاشر (اتحاف اعلام الناس لابن زيدان) ج : 5 ـ ص : 720 .

(2) كتاب : (الجيش المغربي عبر التاريخ) ص 89 .

ويظهر ان ملوكنا ـ يقول العلامة ابن زيدان ـ كانوا يقصدون بانشاء هذه المصانع المختلفة جعل المملكة فى صف الامم المتحضرة التى يبدو مظهر رقيها من خلال وفرة مصانعها وعنوان تقدمها ، باكتفائها عن سواها وبما تصنعه ايدي ابنائها ..

ولا يعني هذا ان المغرب كان يصنع البارود وحده ، ولكن كانت الى جانب در البارود مصنع السلاح (دور المكينة) وكل الوثائق الموجودة . وحسب اطوار التاريخ المغربي فاننا نجد ان المغرب كان يستخدم :

- السيوف
- والحراب
- والبنادق
- والمدسات
- والآلات المضادة للمدافع
- والالغام .

اما المدافع فقد عرفها المغرب لاول مرة على عهد المرينيين (3) وقد عرفنا آخر مدرسة للصناعات الحديثة الدقيقة اقيمت بالمغرب على احدث طراز على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذى بعث بمعلمي البمب (القنابل) الى تطاوين فكان احدهم يفرغ البمبة من قنطار .

كما بعث معلم الرمي الى رباط الفتح فكان يعلم بها الطبجية من اهل سلا والرباط، وتخرج على يديه نجباء ، ومن ثم توارث أهل العدوتين هذه الصناعة مدة ثم رد اصحاب المدافع والمعاريس الى فاس فاقاموا بها الى ان توفوا ...

وهذا التطور جاء نتيجة لمراحل قطعها المغرب فى عصور واحقاب ومن هذه الصور يحدثنا التاريخ بأنه كان «للسعديين ولوع زائد بتطور الاسلحة حتى قيل انهم كانوا يتوفرون على مدفع يسمى (الميمونة) كان يبث الرعب فى النفوس (4) .. »

ومن خلال بعض النصوص التي وقفت عليها يترجح عندي ان المغرب قد يكون هو اول دولة فكرت فى اقامة القواعد العسكرية الاستراتيجية ، وذلك بالفعل ما نستخلصه من قصة بناء مدينة الصويرة .

ثم ان هذه المدينة باعتبار آخر نجد ان المولى محمد بن عبد الله اختطها واتقن وضعها وتانق فى بنائها ، وشحن الجزيرتين بالمدافع ، وشيد برجا على صخرة داخل البحر ، وشحنه كذلك فصار القاصد للمرسى لا يدخلها الا تحت رمي المدافع من البرج والجزيرة معا وهذه فى الحقيقة صورة من عدد من الصور التى لا زالت قائمة الذات الى يومنا هذا تتحدث عن عظمة هذا الجيش وعبقرية مسيريه واهدافهم الواضحة .

— ❊ —

وكنتيجة حتمية للتطور فاننا نجد ان التراجع الذى اصاب المغرب فى بعض الاحيان كان طبيعيا طبقا لسنة التطور والارتقاء أن يصيب الجيش المغربي هو ايضا لنفس الاعتبارات السالفة ، ولذلك نجد ان معركتين خسرهما المغرب فى إسلي سنة 1845 م مع فرنسا فى الجزائر ، ومع اسبانيا فى تطوان سنة 1860 م قد هزت الفكر المغربي فاعاد النظر فى تنظيم واحداث جيشه ومعداته وتفكيره العسكري كذلك .

ويعتبر الملك المولى محمد الرابع اول ملك فى الحقيقة حاول الخروج بالجيش المغربي من الاسلوب المتوارث فى الشكل فوضع نظاما جديدا وخط له اسلوبا متجددا هو الاسلوب الذى تعهده جلالة الحسن الاول ورعاه .

كذلك نجد ان مفهوم المولى محمد الرابع كان يرتكز على أن نتائج المعارك ليست نتيجة تفوق معنوية الجيش او ضعف معنويته ، ولكنها نتيجة ضعف الاسلوب ومدى صلاحية تطوره وهذا هو اهم مفهوم ادخل النظام العصري على الجيش ، وهذا ما جعلنا ندرك بوضوح ان عهد الحسن الاول قد تميز بعوامل

---

(3) نفس المصدر السابق .
(4) نفس المصدر .

هزت الجيش عامة والجندي المغربي بصفة خاصة من الاعماق باعتبار جلالته عمل على :

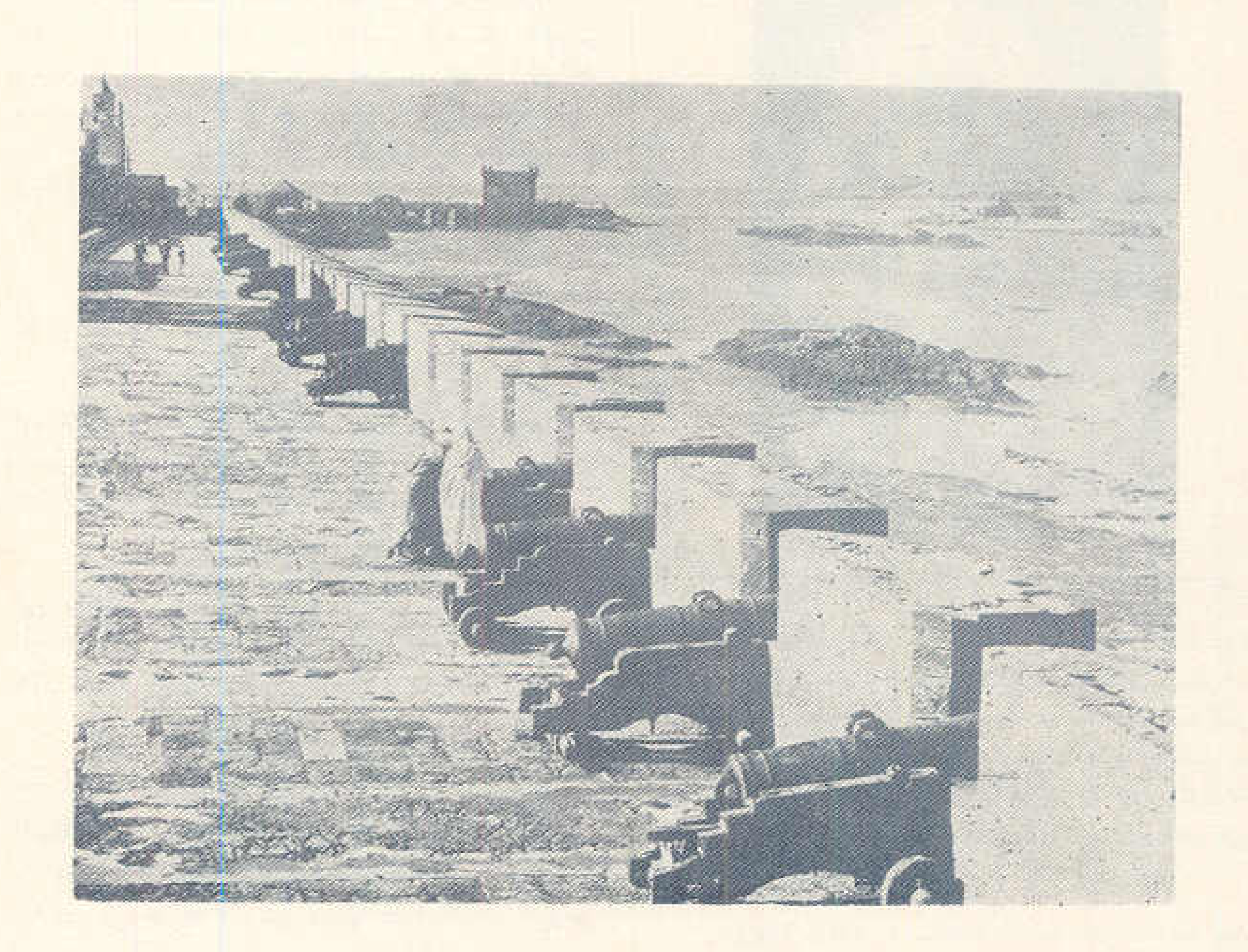
1 ـ تكوين الاطر العسكرية خارج المغرب فى العلوم والفنون الحديثة والتخلص العسكري .

2 ـ اسس المدارس والمؤسسات التعليمية لهذا الغرض كالمدرسة المركزية ومعهد المدفعية بالجديدة .

واذا كانت حركة التجديد هذه قد قاربت فى سيرها قرنا من الزمن فانها قامت بادخال تنظيمات حديثة وباساليب جديدة فان الطابع الـذي يطبع اتجاهنا اليوم فى بناء وحدات القوات المسلحة الملكية هو مشاركته فى البناء الاجتماعي ، باعتبار ان الحرب ضد التخلف هي أول الضروريات الانسانية القضاء على شبح الحروب وويلاتها ، وهـذا هـو الهدف الذى يحدو جيشنا فى نموه اليوم ويمثـل شعار وحداته وانفـاره . وذلـك ما يشـير اليـه الاستاذ احسان حقي فى كتابه (المغرب العربـي) حيث يقـول :

« ويقوم الجيش المغربى باخلاص بواجبه نحو البلاد ، ولن تحتاج الحكومة الى خدماته قط ولكنه يقوم بالاعمال الاجتماعية والعمرانية ، ويشـارك بها متطوعا ، لان الامن المنتشر فى المغرب يكاد يكـون مثاليا » .

سلا ـ زين العابديـن الكتانـي



جوانب من حياة
الفقيه عبد الكريم ابن الحسني

للاستاذ محمد المنوني

حفلت الشهور الثلاثة الاخيرة بوفيات نخبة من علمائنا المأسوف عليهم في مدائن القصر الكبير وفاس وتطوان ، وكان من نصيب مدينة الرباط وفاة عالمها الجليل : سيدي عبد الكريم ابن الحسني، ليلة الاثنين 27 شوال عام 1392 هـ / 4 دجنبر سنة 1972 م .

— ◆ —

وبالتاكيد فان وفاته أحدثت صدمة عنيفة لكل الذين يعرفونه من قريب أو بعيد .

فقد كان فقيدنا يشارك في عدد من العلوم الاسلامية ، ويساهم ـ بحظ موفور ـ في المجالات الادبية ، غير أن الناحية التي برز فيها اكثر هي المادة التاريخية ، وبالتدقيق تاريخ المغرب الحضاري .

ويرجع تكوين ثقافته في هذا الاتجاه ـ بالذات ـ الى مجهوده الشخصي ، حيث انكب على دراسة المصادر التاريخية من حداثة سنه ، واستمر وفيا لها حتى عاقه اشتداد المرض الذي أودى بحياته .

وبلغ به الانقطاع للبحث والتنقيب ، الى ان يخصص ـ احيانا ـ اوقات فراغه من مشاغل التوظيف ، لبروز الخزانة العامة في فترة الظهيرة ، ولا يغادرها الا للعودة الى عمله الاداري ، مضحيا براحته في منزله ، ومستعيضا عنها بالغذاء الروحي عن الغذاء المادي .

— ◆ —



صورة للفقيد سيدي عبد الكريم بن الحسني

وكانت طريقته في البحث أن يتتبع الموضوع الذي يهمه تتبعا كاشفا ، ولا يكتفي بالمظان العادية ، والمصادر المتعارفة ، وانما يعمد ـ بعد هذه ـ الى المؤلفات الاخرى لينقب عن استطراداتها ، ويفتش عن دفائنها، حتى يستخرج منها للمغرب شاهدا حضاريا، يكشف عن حلقة مفقودة ، أو يصل بين حلقات غير متناسقة .

وبهذا جاءت موضوعات الفقيد على قلة ما نشر منها تمثل انتاجا مستوعبا ، ودراسات رصينة ، وفي هذا الصدد نحيل على ثلاثة نماذج من انتاجه :

واولها : ما كتبه عن الشاعر المغربي : احمد بن عبد السلام الجراري ، ونشره فى الملحق الثقافي لجريدة المغرب التي كان يصدرها المرحوم سعيد حجي : عند العدد التاسع .

ومن حسنات هذه الدراسة : ان تتبع فقيدنا البحث عن « الحماسة الجراوية » ، حتى توصل ـ فى النهاية ـ الى العثور على مختصرها ، وحدد مكان وجوده : فى خزانة السلطان الفاتح بالاستانة .

ونشير ـ الآن ـ الى النموذج الثاني من آثار الفقيد ، وسنلتقي فى هذه المرة ـ مع دراسته عن جامعة القرويين ، بمناسبة الاحتفال بذكراها المائة بعد الالف ، وبهذه المناسبة يستعرض المترجم تاريخ هذه الجامعة ومركزها ، ويستوعب عيون أعلامها ، ويذكر زمرة من روادها من داخل المغرب وخارجه ، كل ذلك فى نفس طويل ، استغرق من « الكتاب الذهبي » للذكرى : من ص 158 الى ص 172 .

وسيأتي ـ بعد هذا وذاك ـ الموضوع الثالث ، وهو دفين بين تقاريظ كتاب « المعسول » لمؤرخ سوس المرحوم : محمد المختار السوسي ، وقد جاء تقريظ الفقيد ـ بالخصوص ـ شبه رسالة موضوعية، اوعب فيها مترجمنا واسهب، واثبت كثرة من الاحالات والتنظيرات ، اتشهد للنقط التى ابدع فى عرضها ، واجاد فى تنسيقها ، وبهذا جاء التقريظ الحسني بحثا وافيا متكاملا ، واستوعب من كتاب « المعسول » ج 20 : من ص 316 الى ص 331 .

وبعد هذا : فان الفقيد يجسم فى انتاجه لباقة ولطفا واحتراما لشعور القارىء ، مع تخليل صياغته بلطائف النكت ، وبدائع التلميحات ، واحاسن التوريات .

— ◆ —

وهذه الاخلاق عينها كانت تسود مجالس الفقيد ومحادثاته ومذاكراته ، مضيفا لها حسن عهد ، ومزيد تودد ، وافادة مبذولة ، وتواضعا ، وعفة لسان ، وصفاء ضمير ، وعقلا واتزانا وتؤدة ، ومقابلة للزائر بالنكتة الحلوة التى ترتبط بحياته .

— ◆ —

والفقيد ـ فوق هذا ـ كان سباقا الى المساهمة فى المشاريع العلمية ، والميادين الادبية : بمحاضراته وخدماته المبذولة .

ومن هذا انه كان المشرف على نشر وتصحيح الاجزاء الخمسة المطبوعة من كتاب « اتحاف اعلام الناس » ، للمؤرخ المرحوم ابن زيدان ، وهو الذى وضع فهارسها المتنوعة بغاية الدقة والاتقان ، كما تولى كتابة تصدير الكتاب فى طالعة الجزء الاول : ص 7 ـ 13 .

— ◆ —

ان اخلاق الفقيد العلمية جعلته محترما فى اوساط المثقفين ، كما ان اخلاقه الاجتماعية اكسبته تقديرا لدى مختلف الاوساط الاخرى ، وبهذا وذاك كان الرزء فى فقده عظيما ، والمصاب اليما ، وقد رزئت فيه ـ شخصيا ـ بعزيز لا يعوض ، وبحبيب لن ينسى ، وبالاخ الكريم بن الكريم : ابي المعارف سيدي عبد الكريم ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وروح روحه فى أعالي الجنان ، والحقنا به مسلمين مومنين .

— ◆ —

واخيرا فان خير ما يقدم لروح الفقيد فى هذه المناسبة : التفكير فى جمع آثاره المخطوطة وضمها الى منشوراته ، وطبع الجميع فى كتاب تذكاري تمجيدا للفقيد ، وتقديرا لخدماته فى الحقل العلمي .

ومن واجبنا ـ فى نفس المناسبة ـ التذكير بالمحاولات التى كان الفقيد يشرف عليها ، وكانت ترمي الى احياء تراث والده فقيد العلم وشيخ الاسلام: محمد المدني ابن الحسني طيب الله ثراه .

واذا كان ولده الاكبر قد استأثر الله ـ سبحانه ـ به الى جواره ، فان الآمال معقودة على البقية الصالحة ، والذرية الطيبة ، والابناء البررة ، اطال الله عمرهم ، وبارك فى حياتهم ، حتى يستوعبوا نشر آثار البيت الحسني ، ويقروا أعين المثقفين بابراز كنوز الوالد والولد ، وما ذلك على اريحيتهم ببعيد .

عهود من الآباء توارثها الابناء

وان من ابر البرور بالآباء والاخوان ، احياء تراثهم بعد وفاتهم .

والذكر للانسان عمر ثان .

الرباط ـ محمد المنوني

قصة العدد

- محاولـــة اصـــلاح
- مـن أجـل الرايـــة

معرض الكتب ١١

- النقد العلمي للتاريخ ((اللباب فى تهذيـب الانساب)) لابن الاثير .
- فلسطيـن وكبريـاء الجـرح

من أنباء العالم الإسلامي

قصة العدد



لاحظت هي في امتعاض ان الغرض الوحيد من تنشئة الفتيات هو مجرد اعدادهن لرعاية منازل ازواجهن في المستقبل ، ولذلك فقد تعلمت مهنة تمكنها من أن تعتمد على نفسها مهما تقلبت ظروف الحياة واحداثها ، ويتلخص ذلك في : ابداع الزهور الصناعية.

ولاحظ هو مع الاسف أن لا هم للفتيات الا مجرد انتظار الازواج ليقوموا برعايتهن ولذلك قرر أن يتزوج امرأة حرة مستقلة تقوم معه على قدم المساواة ، وتكون رفيقة حياته لا مشرفة على شؤون المنزل .

وهيأت لهما الاقدار فرصة يلتقيان فيها ، كان هو من الفنانين ، وكانت هي كما سبق ان قلت تصنع الازهار ، وكانا يقيمان في باريس حينما اعتنقا فكرتهما هــذه .

وقد تزوجا باسلوبهما الخاص ، ثم استاجرا شقة بها ثلاث حجرات وجعلا من الحجرة الوسطى منها مقرا لعملهما ، ومن التي تقع على يمينها غرفة خاصة به هو ، ومن التي تقع على اليسار غرفة خاصة بها هي ، وبذلك قضيا على فكرة الغرفة المشتركة والفراش المزدوج ، تلك الفكرة البشعة التي ليس لها مثيل في الطبيعة والتي تعد مسؤولة عن كثير جدا مما يقع في الحياة من الانحلال وتفسخ الاخلاق وبذلك اعفيا نفسيهما من وجوب خلع ثيابهما وارتدائها في غرفة واحدة ، وتمتعا بأن يكون لكل واحد منهما غرفته الخاصة ، وأن يجعلا من غرفة العمل مكانا مشتركا محايدا يلتقيان فيه .

ولم يكونا في حاجة الى ان تساعدهما اية خادمة ، وسوف يباشران بنفسيهما اعداد الطعام ويقتصران على أن يستخدما عجوزا تزورهما مرة في الصباح ومرة في المساء للقيام بشؤون الغسل والتنظيف ، وقد فكرا في الموضوع بامعان وكانت الفكرة رائعة من الوجهة النظرية .

وحينما كان يسألهما المرتابون في هذا السلوك :

— ولكن ماذا يكون العمل اذا انجبتما أطفالا ؟ كانا يجيبــان :

— هذا هراء ، لن يكون هناك أطفال .

وتم كل شيء على النحو الذي أعداه في روعة تامة ، فكان هو ينطلق الى السوق كل صباح لاستبضاع شؤون التموين ، حتى اذا ما عاد صنع القهوة ، بينما تكون هي منهمكة في ترتيب غرفتي نومهما ، ثم بعد ذلك ينصرف كل واحد منهما الى عمله في الغرفة المشتركة.

واذا ما انهكهما العمل انصرفا الى الثرثرة ، أو تبادلا النصائح ، أو ضحكا في حبور ، فقد كانا يعيشان حياة فيها بهجة ، وفيها سرور .

وعندما تبلغ الساعة الثانية عشرة ظهرا ، أوقد هو النار في المطبخ ، واعدت هي الخضراوات ، هو يطبخ اللحم بينما تجري هي عبر الشارع الى دكان البقال ، ثم تعد هي المائدة . ويغرف هو الطعام في الصحون .

كانا يتبادلان الحب بالطبع كما يفعل الازواج ، وكان كل واحد منهما يقول للآخر « عم مساء » حينما يفترقان ليذهب كل منهما الى غرفته الخاصة ، ولكنها لم تكن توصد باب غرفتها بالمزلاج لتمنعه من الدخول اليها كلما طرق بابها ، ولكن حاجاتهما كانت محدودة حتى اذا ما حل الصباح وكان كل واحد منهما ما يزال في غرفته دق الحائط :

— صباح الخير يا طفلتي الصغيرة كيف اصبحت اليوم ؟

— بخير يا عزيزي ، وانت ؟

وكان لقاؤهما على مائدة الافطار كل صباح تجربة جديدة بالنسبة لهما ، اذ لم يعرف الملل الطريق اليهما مع مرور الايام .

وكانا يخرجان معا كثيرا في المساء ويتقابلان مع اصدقائهما ، ولم تكن تعارض في شم رائحة التبغ ، بل لم تكن تقيم أية عقبة في طريقه على الاطلاق ، وكان كل الناس يصفون زواجهما بانه مثالي ، ولم يكن احد يعرف زواجا أسعد من زواجهما .

ولكن أبوي الزوجة الشابة اللذين كانا يعيشان بعيدا كانا يتطلعان الى أن يكون لهما حفيد ، فقد آن الاوان لاجل أن تعرف لويزا — وهذا هو اسمها — أن الهدف من الزواج ليس الرجل والمراة ، وانما الهدف منه انجاب الاطفال ، وكانت لويزا تعتقد ان هذا رأي اكل عليه الدهر وشرب ، فترد ماما على ذلك وتسأل : الا تتبينين أن هذه الآراء الجديدة سوف تنتهي بالقضاء على الانسانية قضاء مبرما ؟ ولكن لويزا لم تنظر الى الموضوع ابدا من هذه الزاوية ، يضاف الى ذلك أن المسألة لا تعنيها ما دامت هي وزوجها سعيدين معا ، ولقد قدما الى العالم مثالا للزوجين السعيدين ، واصبح العالم يعظمهما .

كانت حياتهما جميلة جدا ، فان احدا منهما لم يكن سيدا للآخر ، وكانا يشتركان معا في تسديد النفقات ، وقد كان دخله يرتفع احيانا ، واحيانا كان دخلها هي ايضا يرتفع ، وهكذا كان يتبين في آخر المطاف ان اشتراكهما في هذا التسديد كان متساويا .

ثم أشرق يوم عيد ميلادها فاستيقظت في الصباح على دخول الخادم العجوز وهي تحمل باقة من الزهور معها البطاقة التالية ، التي زينت برسوم الازاهير :

« الى سيدة براعم الزهور من رسامها الرديء الذي يتمنى ان يتكرر اليوم عدة سنين حافلا بالسعادة ، وهو يطلب منها ان تشرفه بحضورها لتتناول معه وجبة افطار شهية — وفي الحال » .

ولما نقرت بابه طلب منها ان تدخل .

وتناولا وجبة الافطار جالسين على الفراش — فراشه هو ، وقد طلبا من الخادم العجوز أن تقضي معهما سحابة يومها لتقوم بكل الاعمال التي كانا يباشرانها بنفسيهما ، وقضيا عيد ميلاد جميل .

ولم تفتر لهما سعادة مدة سنتين كاملتين ، وتبين ان كل ما كان يتوقعه المتنبئون لهما من الفشل كان اضغاث احلام .

كان زواجا مثاليا .

ولكن حينما مرت السنتان اصيبت الزوجة الشابة بوعكة فعزت ذلك الى أسباب مختلفة لم تكن صحيحة ، وقال الزوج ان ذلك يرجع الى الجراثيم ، انها الجراثيم بالتأكيد ، ولكن شيئا ما كان على غير ما يرام ، ان شيئا لم يكن ليصيبها اصابها ، لا بد أن البرد اصابها ثم اخذت تضخم فهل هي مصابة بمرض التورم؟ نعم انهما يخشيان ن يكون أصابها .

وعندما ذهبت لاستشارة الطبيب عادت الى المنزل وهي تبكي ، نعم انه مرض التضخم ، ولكنه من نوع التضخم الذي سوف ستفتق في يوم من الايام عن شيء يخرج ليرى ضوء النهار ، تضخم يصبح زهرة ثم يتحول الى ثمرة .

ولكن الزوج لم يسيل بسبب ذلك دمعة واحدة ، بل اغتبط بالحادث ايما اغتباط ، بل ان الشقي ذهب الى النادي وأخذ يتباهى بذلك بين اصدقائه ، بيد أن الزوجة ما تزال تبكي ، فماذا سوف يصبح مركزهـا الآن ، وسوف تصبح بعد قليل عاجزة عن كسب المال حينما لا يعود في مستطاعها ان تواصل صنع زهورها ، وفي ذلك الوقت سوف يكون عليها ان تعيش عالة على زوجها ، وسوف يكتب عليهما ايضا ان يستخدما من يقوم باعمال المنزل التي كانت تقوم بها الخـدم ؟ أف للخـدم .

لقد تحطم كل حذرهما واشفاقهما وامتناعهما على صخرة ما لابد منه ، ولكن امها كتبت اليهـا رسائل حماسية تكرر فيها المرة تلو الاخرى أن الله قد أثبت دعائم الزواج من اجل حماية الاطفال اكثر مما اثبتهـا لتحقيق مسرات الابوين واشاعة البهجة بينهما ، فان ذلك لا يهم الا قليلا .

وقد رجا منها هوغو ـ وهذا هو اسم الزوج ـ ان تنسى انه لن يكون في مقدورها ان تكسب المـال في المستقبل فهي تقوم بقسطها الكامل عن طريق تربيـة الوليد ، اليست تربية الاولاد اثمن من كسب المال ، ذلك ان مما لا شك فيه ان المال في عمقه ليس الا عملا يؤدى ، ولذلك فانها بتربية وليدها سوف تدفع قسطها كاملا في مصاريف المنزل .

ولقد احتاجت الى وقت طويل لتقتنع بان من حقها ان تعيش في رعاية زوجها ، ولكنها نسيت ذلك كلـه حينما رأى الوليد النور ، وظلت زوجته ورفيقة حياته كما كانت من قبل ، بالاضافة الى انها أصبحت أمـا لولده ، اما هو فقد راى في ذلك ما يعتبر أثمن شيء في الحيـاة .

الرباط ـ عبد المجيد بن جلون



من أجل الراية

للأستاذ محمد بن أحمد اشماعو

كان اليوم يوم عيد الثورة الفرنسية ، عيد الحرية والعدالة ، والمساواة .

والفرنسيون ، حيثما كانوا ، يحتفلون بهذا العيد احتفالا فاخرا صاخبا . والاحتفال يكون اكثر بهجة وصخبا وروعة عندما يكونون مقيمين فى المستعمرات ، خصوصا اذا كان (الاهالي) على درجة من الوعي والوطنية ، ومتصفين بالعزة والعناد .

لقد عرضوا اللافتات مكتوبة بخط فرنسي انيق ، فيها تمجيدات للوطن الأم ، واشادة بمبادىء الثورة الفرنسية ، كما ركز العمال اعمدة عالية واثبتوا عليها الرايات الفرنسية الطويلة ، طرفها اشبه ما يكون بذيل سمكة ، وعلقوا على الجدران حاملات الرايات ، ومن المعتاد أن تحمل هذه الخشبة ثلاث رايات ، رايتان فرنسيتان عن اليمين وعن اليسار ، وفى الوسط راية مغربية واحدة ، رمز الى انها محمية وغير متفردة !

ومتى ما مر يوم الاحتفال فان الصباح يطلع على الازقة ، بالاحياء الاوروبية ، وهي مليئة ببقايا الاشياء المتعة ، التي استطابها المحتفلون طيلة نهار وليل يوم الاحتفال : اوراق ملونة وعلب سجاير فارغة ، وقنينات رماها المعربدون ، بعدما افرغوا محتوياتها فى بطونهم ، ثم بقايا اشياء واشياء ... وتنشط القطط والكلاب فى تلك الصبيحة ، فتقوم بطواف واسع النطاق ، عبر الازقة ، تتشمم فيه كل ما هو ملقى على الارض ، فتزدرد ما يروق لها ، وتتخطى الباقي .

الا ان صباح يوم 15 يوليوز سنة 1954 لم يكن مثل الاصباح الاخرى ، اذ لا أثر للاشياء الجميلة ، وانما ركام اخشاب محروقة ، وكراسي محطمة وزجاج مكسر ، ورماد اشياء كثيرة تبقت من بعد الاحراق ... فلكان طائرة مهاجمة مرت من هنا وافرغت ذخيرتها الجهنمية ، ترى ، ماذا جرى ؟

الواقع ان جروح المغاربة ـ بعد حوادث 20 غشت من السنة الماضية ما تزال دامية ، وهي أعمق وأشد ألما عند الاحرار الواعين ... لقد هالهم ان هؤلاء الفرنسيين اخذوا يمعنون فى اظهار معالم الابتهاج والسرور ، بمناسبة كل عيد وطني او ديني يخصهم ، ويبيحون للسفلة من الجنود ان يمروا بالازقة والشوارع المغربية معربدين ، يغنون ويهتفون ويعاكسون كل شابة اوفتاة ، ويتحدون كل شاب او فتى ...

ولذلك انسل احد الشبان الفدائيين ، ولا يعرف أحد كيف انسل ، ووضع قنبلة زمنية داخل المقهى ، مقهى (مرس السلطان) الفاخرة ، العامرة فى جميع انحائها بالمحتفلين والمحتفلات ، لقد وضع قنبلته ومضى ، وترك من بعد ذهابه بقليل انفجارا هائلا اسفر عن ساقطين وساقطات ، من جرح او موت !

هاج الفرنسيون ، وفقدوا كل سيطرة لهم على انفسهم ، ونظموا للفور عصابات للهجوم ، وساروا توا الى اقرب حي يعمره المغاربة ، الى طريق (مديونة)، الشارع التجاري المغربي الكبير ، وشرعوا فى تحطيم الابواب الخشبية والابواب الحديدية شر تحطيم ، ودخل الاقوياء من المهاجمين الى داخل المتاجر واخرجوا البضائع الى الشارع واشعلوا فيها النار ، والاثقال من الرزم واللفائف اشعلوا فيها النار حيث هي ، وبذلك اظلم الجو من كثرة الدخان ، وتراءى اللهيب من بعيد مستعرا ، وتهددت المدينة بحريق عظيم يذهب بعمرانها كله .

وعمل منظر اللهيب الاحمر عمله فى النفوس فاشتد الهيجان وتعاظم الضجيج ، وتوترت الاعصاب وذهب من الاشخاص الحاضرين كل ما هو معتاد فيهم من اتزان وتعقل ، وتبارى النساء مع الرجال فى ميدان الفوغائية والهيجان ...

لم يكتفوا بالبضائع احراقا واتلافا ، وانما تقدموا الى من صادفوا امامهم من العاملات المسخرات والعمال المسخرين ، ومن الطفلات الصغيرات والاطفال الصغار المشردين ، وجروهم الى اللهيب المستعر ورموا بهم فيه ...

منظر يبعث على الالم الممزق للقلوب ، ان ترى الجثث البشرية وهي تحترق ، بوجوهها المشوهة واطرافها المبتورة ، وان يسمع للبطون دوي وهي تتفق من شدة الاحتراق ، وان يفوح دخان الشواء ، من جراء احتراق اللحوم والشحوم البشرية ... انه لهول ما بعده من هول .

ومر اليوم بشروره العظمى ، وطلع صباح اليوم الثاني كئيبا ، اثقل الهم فيه الصدور ... ومع ذلك لفت نظر المارة ونظر الواقفين والواقفات بالشرفات خروج سيارة امريكية الصنع ، فخمة ، نادرة فى شكلها ولونها وسارت فى خيلاء وتيه ، لكانها تشعر بانها فريدة وممتازة بين ما يمر بها من السيارات فى هذا الشارع الكبير شارع المريشال . اما الراكبان فهما جديران الترفع والتعالي بسبب وجودهما فى هذه السيارة اولا ، وبسبب ثان هو انهما كانا بالامس بطلي المظاهرة ... لقد تزعما عمليات احراق المتاجر، مع تقتيل ما تيسر من المواطنين المغاربة وتشويه اطرافهم ... وكانت منهما المبادرة الى نزع الرايات المغربية من الحاملات ، ورميها عرض الطريق ودوسها بالاقدام ... ان من الحق ان تسير الطبول والابواق من ورائهما ، ويهتف لهما كما يهتف للابطال الفاتحين .

الا ان المفاجاة جاءت بعكس هذا ، فبمجرد ما ابتعدت السيارة بضع مئات من الامتار انفجرت انفجارا مريعا هائلا ، ترددت اصداؤه فى اطراف المدينة الجبارة ...

ورؤي اللهيب وهو يتصاعد عاليا الى السماء ، تغذيه دفقات البنزين المخزون فى السيارة واغشية السيارة اللدينية واجزاؤها المصنوعة من المطاط ، كما أن جثتي الضحيتين زادتا اللهيب تسعرا لما تراكم فيهما من الشحم ...

وفى عزلة من الجموع التى تسابقت الى مكان الحادث المريع اختلى رجلان من جنسية سويسرية ، احدهما سكن البيضاء منذ اربعين سنة ، والثاني جاءها منذ عشر سنوات ، ولم يبخل الشيخ الخبير

بطبيعة الحال — على زميله بكل المعلومات عن (مدام اوزكا) و (مسيو بيير) . وقال :

كان المسيو بيير وزوجته السابقة مدام بيير يعيشان بقريتهما (توفى) ، وهذه القرية شحيحة فى ارزاقها ، كئيبة فى طبيعتها تغطيها الثلوج شهورا طويلة من السنة . ولا تتوفر الا القليل من البيوت والسكان . ولذلك كان مدخولهما من المقهى التى يسيرانها بسيطا لا يسد كل الحاجيات ، ومع ذلك كانا يتوافران على طيبوبة اصيلة ، جعلت الكثير من اهل القرية يشجعونهما بين الحين والحين بتعاطي كؤوس من الشراب ، او بتناول عشاء خفيف بمطعمهما الصغير ، لقد كان ذلك منهم مجرد تشجيع .

يوما من ايام الصيف ، دخل عليهما أحد ابناء القرية المغتربين ، دخل فى غاية القوة والنشاط والرفاهية ، وتناول عندهما عشاءه ، متلذذا مغتبطا، ودفع لهما — فى الاخير — بدل الاجر المطلوب اجرين ، وخلال تناوله الطعام — وكالمعتاد — حدثهما عن (المازوك) ، المازوك بلاد الشمس الساطعة فى اكثر شهور السنة ، والذى لا تعرف اكثر مدنه شيئا يسمى الثلج ، والذى ترخص فيه الاسعار الى درجة خيالية ، والذى يصير الرجال فيه — اذا لم يتقيدوا بنظام الحمية — ثيرانا من ثيران المصارعة ... وزاد فى تلطفه فعرض عليهما عدة صور شمسية لمدن الدار البيضاء والرباط ومراكش ومكناس ووجدة وأكدير ..

وبسط ـ زيادة فى التوضيح ـ خريطة البلاد ، وتناول قلم الرصاص واخذ يحدد المواقع ، الامر الذي ملك به كامل اعجابهما . ولم ينس ان يثني الثناء العاطر على افراد الجالية الفرنسية ومن احتمى بحماها ، ذاكرا انهم جادون ورابحون ، ويعيشون متعاطفين متوادين ، ممارسين لطقوسهم الدينية بكامل الاطمئنان والحرية .. واكدت عليه السيدة بيير فى مسألة الحرية الدينية على الخصوص فطمأنها تمام الطمأنة على حرية بني قومها الدينية ... غادرهما الرجل وتركهما فى حالة من التفكير العميق مقارنين بين حالتهما ، هما التعيسان ، وبين احوال اولئك الجريئين الذين جسروا ففازوا ...

وتقدم مسيو بيير خطوة نحو زوجته وبداه على خاصرتيه ووقف امامها عملاقا ، فسد عليها كل المنافذ ، واستطاع ان يملي عليها ارادته بأن يسافرا الى المغرب فى أقرب فرصة ، وان يستعدا الى ذلك بكامل العزم والقوة ، ولو ادى بهما الامر الى التضحية بكل عزيز وغال ...

وزاد السويسري الشيخ يقول :

ـ اظن ان وصولهما كان عام سنة 1935 ، بل اني متأكد من ذلك ، وبمجرد ما فارقا الباخرة ووطئت اقدامهما ارض المغرب لاول مرة شعرا بانتعاش عظيم ، يمازجه شيء من الاضطراب من المجهول الذى هما مقدمان عليه ، وراعهما اول ما راعهما الشمس الدافئة، الشمس الدافئة كاجمل ما يكون الدفء ، ثم النسائم الرخية التي تهب ، وتلامس رؤوس النخل المتراص على طول الشارع ، فيميل بعضه على بعض ويتغمر فى الرقص ،، وتحت اقدامه الزهيرات اللطيفة من مختلف الاشكال والالوان ترنو الى أعلى معجبة جذلى .. ومن بين اخلاط النساء ميزوا بني قومهم ببزاتهم الانيقة وصحتهم الوافرة ونشاطهم الحاد وسيطرتهم الظاهرة على كل شيء ... ومن العجيب ان ابناء عمومتهم لم يكونوا مرتدين حينذاك سوى الاقمصة القطنية البيضاء الناصعة بنصف اكمام ، وترف على صدورهم اربطة العنق البراقة ، أما النساء ففى اناقة أشد ، فشعورهم مقصوصة عند الرقبة بعناية ، والنحور والاذرع والسيقان مكشوفة للهواء والضياء فى جاذبية تخطف الابصار !

وكأنما كانا على موعد مع السيدة لوزكا ، فلقد تقدمت تستقبلهم بحرارة كبيرة مبالغ فيها وترحب بهم باسم (النزل الفرنسي للمغتربين) الذي تسيره هي نفسها وتنفق عليه هيئة التعمير والهجرة ... كانت مدام لوزكا غير متحفظة فى الترحيب وتكرار عباراته ، وكادت تخص الرجل بأكثر هذه العبارات . وظلت تدور حوله وتتلطف معه ، وتجتهد فى ان تنفرد به ، بشكل اثار عجبا وشيئا من اشمئزاز مدام بيير ، ولكن المستقبلة احست بهذا التضايق فأبت الا ان تضفي على الجو شيئا من المرح بقولها :

ان هذه الجنة الضاحكة التى اخرجناها للوجود ترحب بكم . ولكن حراسها الامناء يحذرونكم من لصوصها الادنياء ، احترس يا سيدي على محفظتك ولو كانت فى جيبك الداخلي ، وتيقظي من اجل خواتمك ولو كانت على أصابعك ، وعلى المرأة الجميلة ان تحرس نفسها من الخطف ، ان هؤلاء الاهالي ذو جراة وخبث ، فتمسكوا بمبدأ الاحتقار لهم فى كل الاحوال ، الانسانية فيما بيننا ، والاحتقارالتام لهم ، رجالا ونساء صغارا وكبارا ... ! ما حيلتنا ايها الاعزاء، انهم يكدرون صفونا ، ولكنهم كالنواة بالنسبة للبلحة لا تستحق الا النبذ ـ اليس كذلك سيدي سيدتي ـ ها ها ها ها ..

لكن الغريبين لم يفهما المقصود جيدا من كل هذا الكلام ، فهما لم يتعرفا على شيء او اناس يسمون (الأهالي) ، فاكتفيا بالموافقة والضحكة الفارغة مجاملة لها ، ولكي تبرهن لهما عما قالت ، استدعت شابين فى لباس مهلهل ، وأمرتهما ان يحملا الحقائب ، وان يقفا محملين فى الانتظار بعيدا عنها ، وعادت تثرثر لفترة غير قصيرة ..

وساقت ضيوفها الى النزل ، وحطت الاحمال بالحجرة رقم 13 ، وقامت بنفسها على خدمة ضيوفها بنشاط وحمية ، بحيث جندت كل من هن تحت أمرتها من المغربيات ، وراحت تصدر الاوامر لهن بصرامة ، ممعنة فى الاحتقار ما امكنها ، مبرهنة لضيفيها ، ان هناك اناسا يخضعون لها ويرهبون سطوتها ، ما دامت معيشتهم متوقفة عليها وحدها ، فلو خرجوا من عندها ، لما استطاع احد ان يستخدمهم من جديد ، نظرا لاتفاق معقود بين الاطراف المعنية من المغتربين فى هذا البلد ، ذلك الاتفاق الذى يحدد ايضا الاجر الادنى لكل مستخدم او مستخدمة .

ولم يغب عن السيدة بيير أن ذلك الموقف الذى وقفته مدام لوزكا امامهما انما القصد منه ايضا التأثير على معنويتهما ، وايقاعهما تحت سيطرتها ، لتستطيع ان تملي عليهما الاتجاه الذى عليهما ان يسيرا فيه

ابتداء من ذلك اليوم ، واكد السيد السويسري لزميله ان هذا ذكرته له السيدة بيير نفسها عندما تعرف عليها عند باب الكاتدرائية ، سنة 1936 ، والعلاقة يومئذ بين مدام بيير ومدام لوزكا على اسوا ما يكون . .

لقد استحوذت على السيد بيير ، وجعلته مساعدا لها بمكتب النزل ، وجعلت من السيدة بيير مراقبة عامة على الاعمال ، وبذلك حشرتها في جملة الخدم والطباخات واعوان السوق غير ان مدام بيير ، صبرت ، وتلقت صدمتها بشجاعة ، وتحملت ان ترى رجلها يختلي بمدام لوزكا الساعات الطويلة ، وقد يحمل اليهما الطعام والخمر في الحجرة المخصصة لهما ، وكثيرا ما يسمع لضحكهما صدى يقطع قلب المسكينة ويزيد في عذابها ، وعندئذ لا تجد انيسا في الشابات المغربيات العاملات بالنزل ، وخصوصا من بينهن شابة تدعى (فاطمة بلانض) ، كما كانت تدعوها لوزكا بسخرية واحتقار ... وخارج اوقات الاعمال كانت السيدة بيير تتفرغ الى كتبها الدينية تطالعها باستغراق طويل واستمر هذا الدور العصيب عليها اربعة سنوات كاملة لم ينفذ لها صبر فيها ... ولما اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية، بادرت السيدة بيير بموافقة من زوجها ، واثبتت اسمها في قائمة المتطوعات في الصليب الاحمر لمعالجة الجرحى وتخفيف آلام المنكوبين في الواجهة الحربية ، وخلا الجو بصفة نهائية لمدام لوزكا ومسيو بيير المعفى من الجندية بسبب عيب بذراعه .

افلت من الجندية ، ولكن وجد انطلاقا مع حبيبته ، بحيث كان يعاشرها جهارا ويرافقها الى المجتمعات ، حيث يتعرفون الى الشخصيات السامية في مكاتب الناحية ، وليس يعجز لوزكا الذكية المعروفة في جميع الاوساط بغيرتها الوطنية وعنايتها بالمغتربين ، ان تستطيع الاستيلاء على بعض النشاطات التجارية التي تزدهر ازدهارا عظيما رائعا خلال كل حرب ، فالحرب خير عميم للبعض بقدر ما هي شر وبلاء وفناء للبعض الآخر . وهكذا تدفقت الاموال عليهما تدفق مياه عين ثرة ، لقد كانت ارباحهما تتحقق بالنهار والليل وفي البر والبحر وفي الداخل والخارج وفي المباح وما ليس بمباح ، يكفي انهما تكفلا في فترة من فترات الحرب بتجنيد الفتيات في اعراضهن مع الضباط الامريكيين والانكليز والكنديين الذين كانوا يمرون بالبلاد في طريقهم الى جحيم الواجهات الحامية .

وهذه الدارة التي على مقربة منا — السويسري يشير الى زميله — وهي كما تعلم انشآها خلال تلك الحرب ، لا اظن ان لها مثيلا حتى في بلادنا الخالدة سويسرة ، انصالونها وحده استورد له بساط نادر من بلاد الفرس بما يقدر بنصف مليون فرنك ، اما الارائك والخزائن والموائد التي توجد بكل مكان في المنزل فهي من صنع ايطاليين اخفوا في القصر طيلة الحرب وبقوا منهمكين في العمل دون فتور ، وخرجوا من عملهم ذلك باموال طائلة لا تتصور وكلهم التحقوا بعد الحرب بوطنهم ولهم الآن فيه منشآت صناعية عظيمة ، الاصل في راس مالها العظيم من مصنوعات هذا القصر النادر .

وان تعجب ياصديقي — شارل — فاعجب لهذا القصر الفخم النادر الذي لا يعمره الا الخادمة المقتدرة ، الملقبة بـ (فاطمة بلانض) ، حقا ان جمالها نادر ، فلو رايتها تتجول في الرياض لحسبتها حورية من حور الجنان تتهادى في ديار الخلود ، هكذا كتب لها الحظ السعيد ان تعيش مطمئنة في هذا القصر ، ولم تكن تلاقي الا صعوبة وحيدة ، هي اعتداء بيير عليها بالضرب عندما يكون سكرانا ، انه كان يعرف بصداقتها مع مدام بيير الغائبة ، ولذلك كان يقوم بتلك التصرفات شفاء لما يجد بنفسه من الغضب ... اما لوزكا فلقد كانت تسلقها بلسان حاد خبيث ، كله شتائم ولعن وسباب ، لقد تحتمل العمى يصيب عينيها ولا تحتمل ان ترى فاطمة مسوية لشعرها او مرتبة لملابسها او معتنية بزينتها ، انها تود ان تقتلها لو رات شيئا من ذلك ، ولذلك كانت فاطمة لا تظهر امامها الا كما تريد ، اما ما عدا ذلك فالقصر كانه ملك لها ، خصوصا اذا كان الموعد مع (ابريك) حيث يوافيها اليه ، ويقضيان اسعد ساعات العمر في انتظار يوم الزواج الملائم ، اي بعد انكشاف غمة الوطن ، الذي يعاني النكبات الواحدة بعد الاخرى ، خصوصا هذه السنوات الاخيرة كما تعلم يا شارل بعد قدوم جوان وتهديداته ، ومجيء كيوم ودسائسه ووقاحته ، انها ازمات حبس الوطنيين والنقابيين .. والضغط على الملك باصطناع المؤامرات من حوله ثم نفيه ، اشياء مؤسفة يا شارل ...

خلال ازمات المغرب الذي ذكرت ، لعلك لم تكن تعرف ان مدام لوزكا لقد كانت من المؤسسين لجمعية

(الوجود الفرنسي) ، كانت تقيم الاجتماعات في بيتها ، وتستقبل الصحفيين الاجانب الذي كانوا يستدعون ــ سفرا ومقاما واجورا ــ على نفقة الجمعية ، وسعت سعيا حثيثا حتى جرت خليلها الى الاشتراك في الجمعية ، انما كان قد اعلمهم ــ على ما بلغني ــ بان يكتفوا منه بحمل المناشير والمطبوعات الدعائيه الى كل البلدان التى يزورها ، وفعلا كان يزور كثيرا من السواحل الفرنسية الباذخة ويتصل بشهيرات الممثلات الامريكيات والايطاليات والفرنسيات وينثر الاموال في احضانهن بسخاء ، على ان يوثق العقود مع عظماء المخرجين لاستيراد اكبر الافلام لقاعته السينمائية الشهيرة بالبيضاء .

ولم يخف على لوزكا نفور حبيبها منها ، واستثقاله لظلها المنفر ، بعدما رأى النماذج النادرة للجمال النسوي بـ (نيس وموناكو وباريز وروما وامستردام وفيينا) وغيرها ، كما شعرت بقوة شخصيته المالية بسبب الصفقات الخاصة التى اصبح يعقد باسمه وحده ... ولذلك اصبحت تعيش في بأس مرير ، ونقمة على نفسها التى لم تستطع ان تحتفظ بهذا الرجل لمدة اطول ، وقلة حنكتها بالنسبة له هو الذى استطاع ان يجذب انضر زهرات المجتمع الاوربي اليه ، وان يكسب ثقة الصحفيين العالميين ، بحيث لا تكاد مجلة مشهورة تخلو من التحدث عنه كشخصية عالمية ديناميكية ذات مشاريع مربحة قيمة ، بينما هي لم تستطع اغراء ادنى صعلوك اجنبي بها ، رغم ما اقامت من الحفلات في قصرها ، لافراد الفرق الرياضية ، والاجواق الموسيقية والرقص ، لقد كان جميع الشباب في تلك التجمعات يعاملونها على أساس انها امراة وقور ذات مبادىء متطرفة مضى وقتها ــ لا تضحك يا شارل هذا هو الواقع ــ لنني بحكم علاقتي بقنصليتنا كنت اتتبع هذه الاحوال عن كثب .

اتدري ــ يا شارل ــ كيف جاء بيير من نيس منذ يومين ؟ لقد ارسلت له خليلته برقية تستعجله القدوم لتصفية نصيبها في شركة الملاحة ، لقد اشتاقت في الواقع الى ليلة من لياليه فلم تجد بدا من وضع طعم لاصطياده ، عازمة فيما يظهر على اغرائه بين الحين والحين بمثل هذه الصفقات ، ولما تنتهي الاملاك تكون حياتها ، قد انتهت ولكن الاحوال سارت كما رأيت ...

بالامس لما انفجرت قنبلة مقهى (مرس السلطان) ذلك الانفجار الهائل ، شاهدت بعيني لوزكا نفسها تتقدم المظاهرات بحماس وعنف ، وكانت في اشد حالات عصبيتها وغضبها ، حرضت الجند على التقتيل بل ازهقت بعض الارواح بنفسها بواسطة مسدسها ثم مسدس بيير ، وكانت تبصق على كل جثة سقطت ، وهي نفسها التى ساقت الجموع نحو طريق مديونة واشارت بتحطيم المتاجر واحراقها ، انما اظن ان ماوقع بها الآن جاء من تلك الفعلة النكراء ، حين امرت بعض الشباب ان يرفعوها على اكتافهم لتتمكن من نزع الرايات المغربية من بين الرايات الفرنسية ، ورميها الى الارض ودوسها وتمزيقها ، انه عمل شنيع فعلا يا شارل ، وقد كانت عواقبه ، كما رأيت ، فظيعة ، ان للتطرف حدا ، هل تذهب ام انت باق ؟ !

— ✻ —

دخلت الشرطة والجند الى قصر بيير ليفتشوا فوجدوا (فاطمة) منهمكة في اشغالها كالعادة كأن لم يكن قد بلغها ما وقع بالفعل ، وعرف الخبراء من هدوئها انها لم تعلم بوقوع شيء ، واكتفوا بالقاء بعض الاسئلة العابرة عليها ، وانصرفوا يبحثون بعناية لكنهم لم يتأكدوا من شيء ، فلا اثر ولا دليل يدلهم على ان هناك فاعلين ، واذا كانوا فمن هم ؟ ومن اين دخلوا ؟ ومن اين خرجوا ؟ وقال لهم قائل انه قد يكون الامر متعلقا بقنبلة يدوية رميت من احد السطوح ، ولذلك خرج الجميع من الدار يائسين من الوصول الى نتيجة وهم بها ، وانطلقوا يبحثون في سطوح العمارات المجاورة كلها ...

وبخروجهم تنفست فاطمة الصعداء كأعمق ما يكون التنفس ، ووضعت يدها على صدرها تبحث عن قلبها فاذا به يضرب ضربات متتابعة من الخوف والاضطراب الشديدين على سلامة حبيبها (ابريك) الذى قام بهذا العمل الجريء في الصباح ومضى الى حال سبيله . لقد جاء عند الفجر ومعه مفاتيح القصر التى اعطتها له فاطمة ، واختبأ في مستودع السيارات ، واخرج القنبلة الزمنية من جيبه ، واعد الاسلاك وما يلزم لتعليق القنبلة باحد انابيب المحرك ، وبقي ينتظر اشارة فاطمة بقرب خروج منتهكي حرمة راية المغرب المقدسة .

لقد كان بالامس يطل من بين ستائر النافذة على المظاهرة التى قامت اثر انفجار قنبلة مقهى مرس

السلطان ، وشاهد الدور الكبير الذي لعبته لوزكا ولعبه تبعا لها بيير ، وهز مشاعره الفعل الشنيع الذي فعل بالراية ، لقد رآها تحط من عليائها ، ورآها تداس ، ورآها تمزق ، ورآها تهان ، فتقطع قلبه وكاد يرمي بنفسه فى المجموع وينتقم بالقدر الذي يستطيع ، ولكن فاطمة صبرته واجلسته الى الارض، وراحت تدر معه خطة لسحق بيير وخليلته وها هو على وشك اتمام العملية . وفى انتظار اشارة فاطمة، طال انتظاره بعض الوقت ، وبعد ان سمع ثلاث طرقات متوالية ثم ثلاثا اخرى سريعة فلم يسعه الا ان يشعل الفتيل وينسحب .

هنا بعيدا تسلق شجرة تين كثيفة الاوراق ، وجلس ينتظر واجفا فزعا، خشية ان تكتشف المكيدة، أو يتاخر العدوان فى ركوب السيارة ، فتنفجر القنبلة داخل السيارة ويتدمر القصر على من فيه وهناك حبيبة القلب فاطمة .

لكن بيير خرج مستعجلا يتابط ذراع لوزكا فى الطريق الى شركة الملاحة ، ودار المحرك فترة ، ثم خرجت السيارة الفخمة النادرة ، وما ان ابتعدت بضع مئات من الامتار حتى انفجرت انفجارا مريعا هائلا ، بحيث سمع الدوي المظيم فى انحاء المدينة كلها ، ورؤي اللهيب وهو يتصاعد عاليا فى السماء ، تغذيه دفقات البنزين الغزيرة وأغشية السيارة اللدينية واقطع المطاطية المتهبة بالاضافة الى جسدي الضحيتين اللذين تمزقا شر ممزق كأن لم يكونا منذ قليل ملء الابصار .

الرباط ـ محمد بن احمد اشماعو



المنقد العلمي للتاريخ :

اللباب في تهذيب الانساب "لابن الأثير"

نقد وتعليق الدكتور ممدوح حقي

تقول حكمة سكسونية : « انك شاب ما دمت تشعر بروح الشباب في نفسك » وروح الشباب التي رمزت اليها هذه الحكمة هي : حركة وحيوية ونشاط وطموح وامل ونظرة بسامة الى المستقبل.. واشبهها بما يموج في نفس المقبل على الحياة من تطلع نحو عيش افضل وتشوف الى معالي الامور واتجاه مستمر الى الامام ونظر الى مثال بعيد وميل الى التصاعد والتسامي وحب للتزاحم والتنافس.. فاذا جد بالمرء المسير حتى اشرف على نهايته المحتومة وقعد به عجزه وحطه ضعفه واستوقفه وهنه ، مال الى ماضيه يستعيد قراءته والتفت الى تاريخه يتلو صفحاته حرفا حرفا لا يمل عرضه ونشره تعويضا لشعوره بالنقص عن التقدم الى الصفوف الاولى كما كان يفعل في شبابه فهو دائم الالتفات الى الوراء لا يرى الخير الا في الماضي ولا الصواب والجمال الا فيما سلف . وكلما تقدمت به السن خطوة وفقد واحدا من اقرانه شعر بعمق غربته وكلما اشرف على الهوة واحس بشدقها الفاغر تحته ازداد تمسكه بحبال الماضي فتعلق بتاريخه وتكمش بأشلائه خوف حاضره وخشية مستقبله المبهم .

تلك طبيعة الحياة لا مفر منها ولا مهرب . خطوات يمشيها المخلوق مفردا كما تمشيها الجماعات والدول . فالشعوب الشابة لا تنظر الا الى امام والشعوب الهرمة كثيرة التلفت الى وراء كأنما ربطت رؤوسها بحبال وهمية الى قبور السالفين لا تخطو قدما الا اذا استمدت قوتها من الاجداد .

ونحن – العرب – لم يخالف تاريخنا هذه السنة الطبيعية ، فحينما نهضنا بالاسلام نهضتنا الكبرى ، قذفنا بالماضي الى جهنم واسمينا التقاليد عادات جاهلية ورمينا الجاهليين في النار ، وفتحنا عيوننا على مستقبل جديد كل الجدة وطمحنا الى جنة مثالية عرضها السموات والارض ، فوصلنا في مدى قرن واحد من الزمن بين محيطين عظيمين وضممنا قارتين وتقدمنا بخطوات وثيقة في لب حضارتين ورفعنا منار خلق قويم ودين عظيم ووطدنا اسس دولة لو دامت لكان لنا اليوم شأن غير ما نحن عليه . فلما دالت دولتنا وانهارت عظمتنا واشرفنا على مطالع الكهولة تلفتنا الى الماضي نستمده وسجلنا تاريخنا اللامع نستعديه على حاضرنا الاليم وكثر انتسابنا الى عظمائنا فانتشرت بذلك كتب الانساب وتعددت حتى كاد يستحيل علينا احصاؤها بدءا من كعب الاحبار ووهب بن منبه اللذين عاشا شيخوخة اليهودية في جزيرة العرب فالتفتا الى ماضيها واستمدا التوراة والاقاصيص وادخلا الاسرائيليات في تاريخ الاسلام حتى رفعا الانساب الى ما فوق اسماعيل وابراهيم واوصلاها الى آدم!.. الى ابن اسحق الذي نقل عنهما وسمى اليهود والنصارى اهل العلم الاول واتهم بوضع شعر عربي مبين على لسان آدم الى عبيد بن شرية الجرهمي

الذى عاش انحطاط القحطانية السياسي وسيادة النزارية فأملى على كتبة معاوية – بأمره – انساب اليمن ، وتبعهم أبو عمرو بن العلاء ومحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام وابو اليقظان والواقدي والهيثم بن عدي وابو الحسن المدائني وابو عبيدة ومحمد بن حبيب ودغفل وصحار العبدي والنخار بن اوس .. وما زل الزمن يتدرج بهذا العلم حتى اصبحت له اصوله وقواعده وقيوده وفاضت صحفه وتعددت اسفاره فبلغت حدا عظيما ككتاب جمهرة انساب العرب لابن حزم وكتاب الانساب لابي المظفر الابيوردي فى القرن الخامس وكتاب السمعاني فى القرن السادس واحتيج الى تلخيصها وايجازها وتصحيحها والتعليق عليها فظهر كتاب اللباب لابن الاثير فى القرن السابع وكل ما جاء بعده ، فمنه استمد وعليه اتكل . وكتب هذا الفن كثيرة جدا تجد فى فهرست ابن النديم ومعجم الادباء وجمهرة انساب العرب لابن حزم طائفة كبيرة من كتب الانساب اكثرها استمد جمهرة الانساب لهشام بن محمد السائب الكلبي . وقد كذبه كثير من القدماء والمحدثين على حد سواء كصاحب الاغاني الذي كلما نقل عنه قال : « اكاذيب ابن الكلبي » وطه حسين ، لقد كذبهم الرسول (صلعم) نفسه فقال فى النسبة الى ما بعد عدنان (من هاهنا كذب النسابون) كما كذبهم ابن عباس ومالك ومحمد بن سلام وابن حزم .. فاذا كان النبع الرئيسي لكتب الانساب ملفقا مزورا كاذبا ، فما حال سائر الكتب التى نقلت عنه ؟! وكثر اختلاف كتب الانسا ب فيما بينهما اختلافا يثير العجب ويدعو الى الدهشة حتى بلغ الامر ببعضهم ان نفى ثقيفا من العرب وجعلها من نسل عبد آبق من عبيد النبى صالح انتقاما من الحجاج وزياد بن ابيه وامثالهما من الثقفيين البطاشين العتاة الذين ساقوا الناس بالقهر والعنف والظلم .

وإذا ذكرنا كتب الانساب واشرنا الى ما فيها من خلط وتلفيق فلا يعني هذا ان العامل الوحيد على تأليفها تعويض عن شعور بنقص شخصي او اجتماعي. كلا فهناك عوامل اخرى كثيرة تعاونت كلها او بعضها على هذا النوع من الاهتمام بفن النسب لعل من اقواها التنازع السياسي على السلطة بين القحطانية والنزارية ، والعصبية القبلية الجاهلية التى استيقظت زمن بني أمية ، ونزول القبائل المتنافرة فى جاهليتها منازل جديدة متجاورة بعد الاسلام ، ونشوء الحاجة الى تنظيم علاقات مستجدة فيما بينها، وتدوين الجند والاعطيات منذ عهد عمر بن الخطاب.. والتفاخر بالامجاد وعوامل اخرى كثيرة جدا بعضها شخصي وبعضها اجتماعي يمس الاسرة او القبيلة وكثير منها سياسي . فأبو المظفر الابيوردي مثلا يضع كتابه الضخم فى الانساب بعامل شخصي مناهضة منه للعباسيين والشعوبيين وتفاخرا بنسبة الاموي وتعويضا عن شعوره بالنقص امام قوتهم وسيطرتهم ، والقحطانيون يلجاون الى الانساب رفعا لشأن اليمن فى مقابلة العدنانية ، وكانت اليمن صاحبة الكلمة والسطوة فى الجاهلية البعيدة منذ حمير وسبا فاصبحت مقودة للعدنانية بل لقريش وهي فرع منها وتضطرها الظروف السياسية للوقوف فى النزاع القائم بين الاموية والعباسية والعلوية موقف العاجز عن الدخول فى المعركة لصالحها فتعوض عن اخفاقها الحاضر بالانتساب الى امجاد قديمة ويتفاخر شاعرهم فيقول :

فالا يكن منا الخليفة نفسه
فما نالها الا ونحن شهود

وما قصة النقائض كلها الا من هذا النوع من النزاع السياسي حتى بلغ الامر ببعض القبائل ان انقسمت على نفسها فوقف جرير والفرزدق موقف الخصمين المتعاديين اربعين سنة وكلاهما من تميم كل منهما يمثل فريقا من القبيلة ويتفاخر بالانتساب اليه .

وقصة الانتساب الى الجدود العظام والآباء الاكارم قصة قديمة جدا ولدت مع الانسان منذ دخل المجتمع فهو يؤيد حاضره الراهن بماض مجيد ليستعين به فى مزدحم الحياة ولينافس على العيش والبقاء، فمن كان له مجد سابق توكأ عليه ومن لم يجد اختلق ولفق ، وهل حادث انتساب الملك فاروق الى العترة النبوية الطاهرة بحادث بعيد عنا ؟! الم يلفقوا له نسبا حاول ان يرتفع به الى سدة الخلافة ؟! واين فاروق الالباني من النبي العربي ؟! الا نرى كثيرا من الاسر تثبت لنفسها نسبا يصلها بالرسول (صلعم) للوصول الى دست الحكم؟! حتى عصرنا الحاضر غير الاسر التى صح نسبها الشريف حتما وهي معروفة مشهورة سواء اكانت فى الحكم ام لم تكن فى المشرق والمغرب . وما زال الائمة الاسماعيليون يدعون العلوية . وفى البلاد الاسلامية ملايين ممن يدعي شرف هذه النسبة

فكيف نصدقهم ؟! ان لم يكن السبب لاختلاق هذا النسب اجتماعيا للشرف والمباهاة فهو سياسي للتوصل الى السلطة . الم يقل الشاعر القديم للدفاع عن حق العباسية في الحكم ضد الشيعة :

اني يكون – وليس ذاك بكائن –
لبني البنات وراثة الاعمام ؟!

ومن غريب امر العرب وتعلقهم بحبل النسب انهم لم يكتفوا بحمل ماضيهم الى حاضرهم والعيش فيه ، بل حملوا انساب خيلهم معهم كذلك واول من وضع كتابا في هذا العلم هو ابن الكلبي ، وما زال العرب حتى اليوم يحملون خيلهم العراب حججا ترفع نسبها الى اصل كريم يوقع عليها الشهود الموثقون ويختمونها بالشمع ويحتفظون بها ويتفاخرون فهذا كحيلان وذاك عبيان وذلك صقلاوي وسواه حمداني وغيره هدبان و . . . الخ . بل رايت من يحتفظ بنسب كلابه السلوقية ويباهي بها كما يباهي الفارس بجواده .

واذا كان الانتساب الى جد كريم حافزا للاحفاد على التقدم في زحمة الحياة ومساعدا على محاولة التفوق ، فقد يكون للعاجز الخرع حلما جميلا من احلام اليقظة يتغنى به ثم يعود الى رقاده الطويل كما هي الحال بكثير من العرب في عصرنا الحاضر ولقد انبهم الشاعر المعاصر تأنيبا حازما فقال :

فهل ان كان حاضرنا ذليلا
يذكي اصلنا عند الجدود ؟!

وهل من بعد هذا الذل ذل
لشعب يستجير من اليهود ؟!

ولقد نتساءل اليوم : ما هي الفائدة من كتب الانساب ؟! وهل كان لها دور في التاريخ ادته وانتهت ؟! اما انا فما زلت اعتقد بفائدتها واومن بجدواها واتمنى لو نشرت على نطاق واسع جدا ليعتبر العرب المعاصرون بما آل اليه امر دولهم الغابرة حين امتدت اليها يد ابليس بالعصبية الجاهلية ففرقتهم الى شيع واحزاب كل يفاخر بنسبه ويعتز باجداده ويقاتل اخوانه دونه .

واما العلم الصرف فيفيد منها فائدة جلى ، يعرف بها المستوى العقلي والعلمي والخلقي الذي وصل اليه المؤلفون والناس الذين عاصروهم ، ويقيس ذلك بالمستوى العالمي ، ويتتبع التطور الذي مشته من عهد ابن الكلبي وابن اسحق حتى العصر الحاضر .

ولقد تطور اسلوب التاليف في الانساب تطورا وئيدا ولكنه وثيق جدا وبين الخطوات بدا من رفع اسماء الاشخاص الى آبائهم حتى آدم وضم الاسر في افخاذ والافخاذ في بطون والبطون في قبائل وعشائر وشعوب وجمعها جذمين رئيسيين كبيرين جدا هما قحطان جد العرب العاربة او المتعربة وعدنان جد العرب المستعربة وافنى ما قبلهم من العرب البائدة كطسم وجديس وعاد وثمود وعمليق وجرهم . واسكن القحطانيين جنوب الجزيرة والعدنانيين شمالها ثم هاجر بقبائلهم شمالا وجنوبا في الجاهلية وشرقا وغربا في الاسلام وخلط بعض فروعهم ببعض بالمصاهرة وبالجوار واحتفظ باصولهم بعد ذلك كله حتى عصرنا الحاضر .

ولما خرج العرب من صحرائهم وولجوا ابواب الحضارة كثر انتساب الناس الى الاماكن والبلاد والصناعات والمذاهب والصفات والعيوب فقيل زيد العراقي ، وعمرو المكي ، وخالد الخياط ، وبدر الشافعي ، وسعيد الطويل ، وعامر الاعور .. الخ .

وتركز ذلك كله في كتاب السمعاني (506 – 562 هـ) حتى اصبح مختصرا لتاريخ الاشخاص والتعريف بهم ولخصه ابن الاثير (555 – 630 هـ) فاسماه اللباب في تهذيب الانساب) وعلق عليه تعليقا اجاد في اكثره وقصرت به الخطى في اقله واستدرك عليه كثيرا من النقص . ولما كان الكتاب مرتبا على الحروف الهجائية فقد صح ان نسميه « معجم الاعلام » وفيه كثير من المشهورين من غير العرب غير انه موجز شديد الايجاز لا يصح الاعتماد عليه الا في الاشارة والرمز فمن جيد تصحيحه ما جاء في تعليقه مثلا على مادة (البسرى) .

(قول السمعاني ان البسرى من اهل الشام منسوب الى بصرى فابدل الصاد بالسين كالسراط والصراط فهذا الفصل جميعه خطأ في النقل والنحو . اما النقل فانما ينسب الى قرية بسر بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وبالراء وهي معروفة من بلاد حوران لا الى بصرى . واما قوله ابدلوا الصاد سينا فهذا كلام يدل على انه يجوز أن تبدل الصاد سينا مع كل حرف وحينئذ يقال له :

يا أبا سالح !! وانما تبدل مع حروف معلومة ليس هذا موضع ذكرها . ثم يا ليت شعري ما يصنع بالياء ؟! وانما النسبة الى بصرى بصروي ، وكان اهل الشام يقولون بصراوي فمن اين اخذ هذه النسبة ؟!..)

وكذلك قوله فى مادة « بلقاوي وبلقائي » .

(هذا كلام السمعاني .. اما قوله : ان البلقاء مدينة الشراة بناحية الشام فليس كذلك وانما البلقاء اسم ولاية تشتمل على عدة كثيرة من القرى ومدينتها عمان - بالتشديد -) ويقول فى مادة « تلمسان » :

(ليست تلمسان من نواحي الشام وانما من افريقية بين بجاية وفاس).

وينتقد السمعاني فى مادة « حواب » فيقول :

« ذكر السمعاني الحديث فى كلاب حواب والقصة ولم يذكر احدا ينسب اليه فلا ادري لاي معنى ذكره) ؟! ومثل ذلك كثير جدا فى اللباب مما يدل على دقة وفهم وذوق .

غير انه ارتكب بعض الخطأ وهو يصحح كما فى تعليقه على مادة « الدفني » بقوله :

(لا أعرف بالشام بلدا اسمه دفينه ولعله رفنيه بالراء) . ولو استقصى لعرف ان دفنه مكان قرب انطاكية اشتهر زمن الرومان بما فيه من ملاعب ومسارح وملاه ما زالت اطلالها حتى عصرنا الحاضر شاهدة على امجاد ماضيها .

وقصر فى وقوفه على بعض الخطا لم يصلحه كما فى مادة (سراقوس) ذكر السمعاني انها مدينة بالشام ، وانما هي مدينة فى اقصى الجنوب من ايطاليا اشتهرت منذ القديم بقصة اكتشاف قانون الكثافة . وقد احتلها العرب زمنا ، وهي اليوم مشهورة بمدرجها اليوناني ومغارة الصدى وحمام العالم (ارخميدس) الذى خرج منه عاريا وهو ينادي (أوريكا أوريكا) اي وجدتها وجدتها (يقصد الكثافة) .

كما قصر فى مادة بيورد وابيورد وباورد فلم يذكر الشاعر الفحل المحامي عن العروبة فى ابان التحكم الشعوبي ، أبا المظفر الابيوردي المعادي ولم يشر الى كتابه الضخم فى الانساب ولعله لم يطلع عليه مع ان الابيوردي توفي عام 507 هـ اي قبل ولادة ابن الاثير بنحو نصف قرن .

وفى مادة « ثقيف » لم يذكر كلمة عن الحجاج على اشتهاره فى التاريخ وعني بالمحدثين والمفسرين وعلماء الدين والصوفية واضرابهم اكثر من عنايته بالشعراء والادباء والسياسيين .

ولقد صرح ابن الاثير فى مقدمته بانه جعل من كتاب ابن الكلبي مناره وهداه فلم يرجع فى تعليقه على كتاب السمعاني الى سواه وكان لم يطلع على ما قيل فيه قبل الرجوع اليه ؟!.

والكتاب على عمومه مرجع جيد ومستند ممتاز تعلق به كل من جاء بعده واتكأ عليه اكثر المؤلفين فى هذا الفن وكان آخرهم الزركلي فى « قاموس الاعلام » فقد جعله من مراجعه الوثيقة ، والزركلي دقيق الانتقاء فيما ياخذ وفيما يترك .

ولعلك تتساءل الآن عن ابن الاثير وعن السمعاني وتود لو عرفت عنهما شيئا بعد الحديث الطويل عن كتب الانساب وتاريخها وعنهما كذلك .

ولو كان فى هذا المكان متسع لذكرنا لك الشيء الكثير الكثير ، اما والامر كما رايت فلا تمض فى قراءة الكتاب قبل الاطلاع على الوجيز الذى قدمه ابن الاثير عن السمعاني بين يدي الكتاب وعلى التقديم الذى عرضه الناشر عن ابن الاثير منقولا عن ابن العماد . وتأكد من بعد ان كتاب اللباب هذا يغنيك عن كثير من المطولات .

الرباط - ممدوح حقي



- ديوان شعر للشاعر السعودي الأستاذ حسن عبدالله القرشي
- دراسة ونقد الاستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

- 1 -

يعيش الانسان العربي المعاصر مأساة حياته الراهنة التي اتسمت بالظلام والحيرة والقلق، وبالظلم والعسف والعدوان على السلام في منطقتنا العربية. تلك المأساة التي صنعتها نكبة فلسطين وصانعوها، والتي تقودها الصهيونية الى اهدافها الخطيرة المرسومة، والتي اجادت تمثيل بعض فصولها منذ حزيران 1967.

ولقد أعادت المأساة ذكرى مأساة الاندلس القديمة، التي كانت محاكم التفتيش ظلا كئيبا لها، حيث قامت خلال ثمانية عشر عاما (1481 - 1499م) بالحكم على 10220 حرقا، وعلى 61860 شنقا بعد التشهير، وعلى 97043 بعقوبات مختلفة. وليست مأساة نيجيريا في حربها مع اقليم بيافرا الذي انشق عليها الا صورة اخرى لهاتين المأساتين، حيث ذهب ضحيتها اكثر من مليون شخص، وخسرت نيجيريا فيها اكثر من الف مليون جنيه.

والظلال الكئيبة لنكبة فلسطين بعد حزيران 1967 لا تزال اشباحها في خلد الانسان العربي المعاصر، وفي اعماق نفسه، اصداء حزينة اليمة دامية لاعمال تمثل شرائع الغاب المتوحشة، التي تفترس بانيابها كل حق مقدس، ولا تبالي باية قوانين انسانية، او شريعة سماوية.

وقد صور الشاعر العربي المعاصر النكبة ومأساتها في شعره تصويرا دقيقا، باحداثها الرهيبة، وقصصها المفجعة، وصورها الحزينة، لحظة بعد لحظة، وساعة بعد ساعة، ويوما بعد يوم .. واذا كانت احداث فلسطين منذ وعد بلفور (2 نوفمبر 1917) مسطورة في نفوس العرب وارواحهم وعقولهم بفصولها واحداثها الجسام، فانها كذلك مسجلة في قصائد الشعراء ودواوينهم الكثيرة، التي ظهرت منذ ذلك التاريخ حتى اليوم، ومنقوشة كذلك في الكثير من الاعمال الادبية في القصة والمسرحية والدراسات الادبية العديدة التي تنشر كل يوم ..

وقد ظهرت عشرات من الدواوين تسجل انفعال الشاعر العربي المعاصر باحداث فلسطين، وتأثره بها تأثرا عميقا.

ولا زلت اذكر اول ديوان نظمه الشاعر هارون هاشم رشيد « مع الغرباء »، حين بعث الي من غزة مخطوطا، لاجد مجالا له في دور النشر ان كان يصلح ليكون بين يدي القاريء العربي، وقد قرات فيه صور النكبة ومأساتها بقلم شاعر شاب، ففرحت به، واصدرته عن رابطة الادب الحديث صورة لاحزان الانسان العربي في فلسطين ولهمومه ومآسيه، وقد وقف امام النكبة وجها لوجه،

ووقف يؤيده كل عربي بل كل مسلم فى شتى ارجاء الارض .. وكان رفضهم النكسة ، ثم حركات المقاومة ، وبطولة الفدائيين ، ومواقف العرب الخالدة فى الضفتين الشرقية والغربية ، وصمود الاحرار العرب على خطوط القتال ، مظاهر جديدة ، واعمالا مجيدة ، تمثل مشاعر الامة العربية ، وتوحد بين غاياتها واهدافها فى كل مكان .

ومقر المقاومة فى داخل اسرائيل وخارجها يمثل هذه الاهداف الكبار للشعب العربي ..

— 2 —

واليوم يصدر ديوان الشاعر السعودي العربي الكبير ، حسن عبد الله القرشي ، فلسطين وكبرياء الجرح ، صدى عميقا لكل هذه المشاعر النبيلة ، والاحساسات الدفينة الحية ، والانفعالات الثائرة المتوثبة ، وصورا صادقة لحياة وفكر العربي ، وموقفه من النكسة ونتائجها ، ورفضه للهزيمة وتبعاتها ، وتصميمه على الصمود والنضال والمقاومة، وعزمه الثابت على تحرير ارضه السليبة من ايدي الغاصبين والناهبين .

وقد ظهر للشاعر القرشي قبله من شعر المعركة والنضال ديوانان آخران ، هما نداء الدماء ، ولن يضيع الغد .

واهمية الديوان الجديد « فلسطين وكبرياء الجرح » ماثلة فى كل سطوره وابياته وقصائده . فهو يفلسف المأساة فلسفة جديدة ، لانه يخلطها بحياة الشاعر ، ويمزجها بنفسه ومشاعره ، فلم تعد هناك فواصل بين احداث فلسطين وحياة الانسان العربي بوجه من الوجوه ، ففى حبه ، وفى افراحه ، وفي احزانه ، وفى مظاهر الطبيعة من حوله، وفى غنائه لابنه الصغير ، وفى احتفاله باعياده الخاصة والقومية ، فى كل شيء يتصل به تبدو النكبة وصورها ماثلة فى كل لحظة ، حاضرة فى كل حدث، نابعة من كل وجدان وروح وشعور .

وقد اهدى الشاعر القرشي ديوانه الى « الفدائي العربي ، الذى سحق العار ، وصنع من الجرح المقدس وسام بطولة حمراء » .

ويصور فى تقديمه للديوان اهداف الشعر العربي المعاصر فى النضال من اجل الحرية والحق والكرامة ، ورسالته فى مرحلتنا الراهنة ، حيث هو احد ركائز معركتنا الضارية اليوم مع قوى الشر والعدوان .. وينادي فى هذه المقاومة طلائع النضال فى شعبه ، وشعلة الاباء ، وجذوة الفداء ، وانطلاقة التحرير فى وطنه العربي ، بان تمضي فى سبيلها ، لا ترهبها الملمات ، ولا تلوي بها عن القصد الازمات ، حتى تكلل جباه الامة باكاليل الظفر والنصر .

والقسم الاكبر من الديوان حديث عن جراح الامة العربية بالمأساة ، وعن رفضها للهزيمة ، وعن معركة الصمود والنضال من اجل التحرير واستعادة الارض المغصوبة ، ويحتوي على خمس عشرة قصيدة .

والقسم الثاني ، وهو خمس قصائد ، حديث عن جراح الشاعر نفسه ، جراح قلبه الحزين الممزق، مما تقرؤه فى : شاطىء الضياع ، مذبح الحب ، زارع الاشواك ، مهاجران الى القمر ، صديقنا القمر .

— 3 —

وجراح الشاعر ، وجراح امته العربية ، هما مبعث قلقه واكتئابه وحيرته ، وحزنه العميق ، وانطوائه على نفسه ، مما يصوره فى قوله ، من قصيدة « زارع الاشواك » :

واضياعي ان تكن تأتي ابتعادي واقترابي
عشت فى الحالين احر من شقاء وعذاب
ليس لي فى القرب الا رشفات من سراب
وانا فى البعد مشدود لمأساة اكتئابي
لست ارجوك وفاء لعهود عابرات
فالوفاء اليوم مشنوق على كف الجناة
انما انشد فيئا من شجون قاتلات
فبكفيك حياتي يا حبيبي او مماتي

ومما يصوره كذلك فى قصيدته « شاطىء الضياع » التى تبلغ من الدقة والعمق والروعة مكانة عالية ، وان كانت من حيث شكلها واطارها العام شعرا حرا ...

— 4 —

ومضمون الديوان كله ، سواء فى قسمه الاول، الذى يصور جراح الامة العربية ، أم فى قسمه الثاني

الذى يصور الشاعر فيه جراح نفسه الممزقة ، وقلبه المفجوع ، ومشاعره الكئيبة ، هو كله مضمون انساني نبيل ، فالشاعر يؤكد دعوته الى الحق والسلام والحرية والاخاء والوفاء والحب ، وينادي بالتزام العدل ومبادىء الانسانية ويعبر عن امته وشعبه المناضلين من اجل القيم والتحرير والدفاع عن حق الحياة ، وحق الحرية لكل انسان يعيش على الارض.

وهذا المضمون ملتحم بوجدان الشاعر وروحه وقلبه ونفسه ، وهو صدى تفكيره فى الحياة وانفعاله بها ، بل هو مصدر آلامه وقلقه وحيرته فيها ، ويمثل كل فكر وفلسفة وامل يسعى له بين الناس ..

وهذه قصيدته « دم الشهداء » ، قصة شعرية دامية ، يقول الشاعر فى مقدمتها : « .. وهزتها ثلاث شقائق ذاويات ، وثلاث لوزات ذابلات ، وصلت اليها من الارض المحتلة ، فأعولت فى صدرها الجراح .. »

وتبدأ القصة بهذا الحديث الحزين عن « نوار » ومأساتها :

بكيت وكم يجيش الدمع فى العينين يا نوار
وحشرج صوتك المرنان مسفوحا لذكرى الدار
ولكن الصباح سيغمر الآفاق بالانوار
سيضحك للربى آذار ، ويورق حقلنا المعطار
ويجرف قهقهات الاثم من عزماتنا اعصار

ويكمل الشاعر القصة ، فيتحدث عن التحرير والنضال ودم الشهداء ، وخرافة نصر اسرائيل ، وعن روح الفداء .. الى ان يقول يصور انفعاله بمأساة نوار الحزينة ..

بكيت ولا بكت عين لها فى خافقي آثار
وفى اغوار اعماقي تشع الفجر والاشعار
لهمسك عشت ، للعينين ، عيشة مارد جبار
يصب صداه الحانا تثير صوامع الاقمار
ويوريء النار فى الآذان فى فرح لوهج النار
ويرجم شعره الاعداء ، يملأ بالصدى الاقطار

ويقول القرشي فى خاتمة القصة ، فى فرح وامل وثقة :

بكيت ، ستضحكين ، ستشرق القسمات يا نوار
سندرك فى انتفاض الثار من اوطاننا الاوطار

وهذه القصة الشعرية الحزينة تمثل ذروة التأثر باحداث المأساة ، والانفعال بها ، والاستجابة لها ، والفناء بآلامها ، والثقة بالغد المشرق الجليل. وقد اختار الشاعر لها الوزن الشعري الرقاق الذى تؤدي حركاتها وموسيقاها اداء بارعا ، وهو بحر الوافر المجزوء الذى ينغم الاحزان ، احزان نوار ، واحزان الانسان العربي ، واحزان الامة العربية ، واحزان الشاعر القرشي ، واحزان النكبة كلها ، تنغيما موقعا ، يهز النفس والوجدان هزا عنيفا ..

وبيته السابق ..:

يصب صداه الحانا تثير صوامع الاقمار

يشبه بيتا آخر له فى قصيدته « فى رحاب الكرامة » يقول فيه متحدثا عن قرية الكرامة :

ذراتها صوامع الامجاد

وهو يريد بالصوامع ما فى معنى اركان ، او قواعد ، او وجدان . وهي استعارة يأتي الشاعر المعاصر بامثالها كثيرا ، وفيها رمزية شديدة ، لا اكاد اجد لها مثلا فى الاسلوب الشعري الكلاسيكي ، ومع ذلك فقد كان من الممكن ان يؤدي الشاعر المعنى بصورة اوضح من هذه الصورة ..

ونجد هذا المضمون ممثلا فى قصائد الديوان كلها تمثيلا كاملا وواضحا ..

ففى القصيدة الاولى من الديوان « صرخة الثار » ، يخاطب الشاعر امته العربية المسلمة ، فيقول :

هتف النذير فلا تغيبي
وترصدي لجج الخطوب

الخطب خطبك انت لا
خطب الصديق او القريب

يا امتي ، يا مصنع الـ
ـامجاد ، يا فجر الغيوب

ثم يلتفت الى نفسه ، صورة للانسان العربي في كل الامه ، صورة حزينة اليمة .. فيقول متسائلا :

انا هنا ابن الشمس ؟ ابـ
ن الشمس من حقلي الجديب ؟

انا حفيد النابهيـ
ـن ؟ انا المرزأ بالذنوب ؟

اني هباء ضائع
انا الشباب صدى مشيب

ولكنه يقف ، ويترك هذا التشاؤم واليأس ، ليعلن غضبه ، ثورته ، تصميمه على النضال ، اباءه للذل ، رفضه للعار ، فيقول :

ومضيت ارفض حيرتي الـ
ـصماء اعصف بالهروب

اعلو على وخز الجرا
ح تشب من حمل وذيب

في كل يوم قصة
للعار تشكا من ندوبي

حتى استفقت على النصـ
ـر يضج في الوطن الحريب

وبمزق المأساة كالـ
اعصار في الليل الرهيب

ويمضي في تصوير حركة الفدائيين ، وفي تحيتهم ، والاعجاب بهم وببطولتهم ، لانها حركة العرب وثورة فلسطين الخالدة ، الباقية على الزمن مهما اتت به الايام من محن واحداث وخطوب .

والقصيدة جميلة الاسلوب والتصوير والاحساس والموسيقى ، وهي من بحر الكامل المجزوء ، ذي الموسيقى العالية البديعة .. وفيهما يستعمل الشاعر كلمة « فداء » بدلا من « الفدائي » ، وهو استعمال جديد غير مألوف ، وان كان له وجه من القياس اللغوي .. وكنت احب لكي ينقل الشاعر العربي حديثه الى كل امته العربية بجميع طبقاتها ان يستعمل المشهور من الاساليب والالفاظ ، حتى يكون انفعال الانسان العربي بالقصيدة ، واحساسه بها ، قارئا ام سامعا ، انفعالا واحساسا تامين .

ولا يختلف المضمون في قصيدته « في رحاب الكرامة » عن هذا المضمون . ومن منا لا يحيي « الكرامة » التي صمدت للعدوان ، ولحصد المدافع الاسرائيلية في بطولة وشمم وكبرياء ، مما خلدته صفحات التاريخ المعاصر .. ويقول فيها الشاعر :

من قمة على ذرى بلادي
تفور بالتراث والاحقاد
عبيرها نوافح الجهاد
من خيمة تزخر كالبركان
مجهولة الزمان والمكان
قد زلزلت قواعد الطغيان
من كل شيخ ثاكل للوطن
يتيه في الصحراء في لا سكن
مطعمه اليأس شريد الوسن

ويستمر فيها بهذه النغمة الحزينة الحلوة المؤثرة ، الى ان يقول ...

سينجلي الليل عن الصباح
ونلتقي باخوة السلاح
فوارس الثأر لظى الكفاح
لن يهزل التاريخ يا رفاقي
لكننا للضمر العتاق
نهمزها ، وللفخار الباقي

والصورة في قوله « لكننا للضمر العتاق » ، أي للخيول الكريمة .. نركبها للحرب ، وننتصر بها في المعركة .. صورة مشتقة من الصحراء ، والقرشي ابن الصحراء والحضارة معا، في ديوانه صور لهما تمثلهما جميعا ..

وفي هذه القصيدة، بيت هو :

منزدع في طينة الاباء

كأن الشاعر يقول فيه : مخلوق من طينة الاباء، ونحن في التعبير العادي نقول حين نصف انسانا بشدة الصبر : انه مزروع من الصبر ، فاذا ما قلنا انه مزروع من طينة الصبر ، جئت هذه الكلمة الزائدة على الاسلوب ، وذوقه العربي يحذفها ويقدرها ، ليبلغ به اسلوبه الى الرفعة والسماء ، ولا يخلد به

الى الارض والطين ، اول الذل والهوان والضعة ..
وفي هذه القصيدة نجد شاعرنا القرشي يستعمل كلمة « فداء » ايضا ، وقد سبق ان تحدثنا عنها ..

والقصيدة على اية حال من القصائد الجيدة ، في مضمونها وموسيقاها ، وهي تمثل الفكر الجديد للانسان العربي ، بعد النكبة ، تمثيلا صادقا ..

وفي قصيدته « فدائيون » يبلغ الشاعر في مطلعها غاية الجمال الفني والثورة الوطنية معا ، ويقول فيها ..

مشارق الشموس في موطني
لن ترتضي الاذلال ، لن تنحني

وثبة الاحرار في دارهم
رغم اذى الغاصب لن تنثني

وماذا اقول عن قصائده : صباح المجد ، شادي الجراح ، اصرار ، يا فلسطين ، مهد الاسراء ، درب النضال ، شعب مارد ، سيف ويراع : وغيرها من قصائد الديوان الجياد المؤثرة ..

ولعل قصيدة «كبرياء الجرح» تكاد تكون اجمل قصائد الديوان بموسيقاها ، وامجادها ، واحلامها ، وباحزانها وآلامها كذلك ، وقد القاها الشاعر في مهرجان الشعر العربي في البصرة .. وما اجمل ما يقول القرشي في مطلعها :

غن بالبصرة واصدح بالنشيد
واذكر التاريخ في اجمل عيد

وفيها يقول معبرا عن حبه لوطنه العربي :

ايه روحي عانقي هذا الثرى
فهو فجر هز اركان الجمود

ويقول :

اعذريني ان تهادى كلمي
بصرة المجد عن القول المديد

بعض الائك ما يعشى السنا
اين منها نبوة الفكر الحريد

اعذريني، في دمي، في خاطري
كبرياء الجرح يوري من وقودي

يملأ الروح ضباب من أسى
ممسك مني بأوتار الوريد

كيف أشدو ، ويهودا مازح
راقص في وطني الحر الشهيد؟

كيف أشدو وفلسطين المنى
روعت بالفتك والبطش العنيد

كيف اشدو والضحايا اخوتي
في غواش من بني صهيون سود

وما اجمل ما يخاطب الشاعر اسرائيل في قوله :

انت في مصطخب اللج وان
لذت وهما منه بالشط البعيد

أنت كالقابض حمرا وارينا
سوف يطلي منه بالياس الشديد

ويخاطب الشاعر في ختام القصيدة امته العربية فيقول :

امة العرب ، وللعرب يد
رغم انف الغدر، صبت من حديد

ضمدي الجرح ، وسيري للعلا
شهبا ترصد اطماع العبيد

تستعيد الحق مهما أرجفوا
وتزف النصر للشعب الطريد

والقصيدة بديعة حقا في مضامينها وفكرها الشعري ، وفي صورها وانغامها وموسيقاها . وهي حرية ان تعد من عيون قصائد المقاومة والنضال في شعرنا المعاصر .

اما قصائد الشاعر الاخيرة في الديوان ، التي صور فيها جراح نفسه الممزقة ، فهي لا تقل جمالا عن اخواتها في المضمون الشعري النبيل ، التي ضيعت من اجله ...

ففي قصيدته « شاطيء الضياع » يتمثل ضياع الشاعر وتمثله وحيرته ، لحب عذري نبيل ، لم يقض منها احلامه ، وهي وان كانت شعرا حرا ، تمثل تجربة عميقة في نفس الشاعر ، وصورها وتشبيهاتها جميلة حقا .

وفي قصيدته « صديقنا القمر » يصور القرشي امانيه العذاب في ان يذهب ليعيش بعيدا عن احزان الارض ، في احلام القمر : لا يرجع للشقاء ، ولا للكدر والعناء ، ولا لمسرح الحواة في السيرك .

وفي قصيدته « زارع الاشواك » تشابه بينها وبين قصيدة « شاطيء الضياع » ، فهما يمثلان قصة حب عذري بعيد المنال ..

اما قصيدته « مذبح الحب » فيقف فيها الشاعر امام الجمال الباريسي ، والحب الاوربي المسعور ، ليمقته ويزدريه لانه يحب في المرأة روح الشرق الاخضر ، ويكرهها حين « تصبح افعى تلدغ انسانية كل الجنس » .. ويقضي الشاعر في باريس اياما يعيشها في وحدة عميقة ، يشعر فيها بغربة روحه الثكلى ، لا يحب بنات مدينة النور السكارى عن انغام الحب العذري الافلاطوني ، الذي شهد موطن الشاعر العربي الاسمر قصصه الخالدات ..

وقصيدته « مهاجران الى القمر » تمثل خيال الشاعر الواقع ، حين يتصور حياته مع حبيبته في القمر ، وغربته واحزانه فيه ..

مضامين انسانية نبيلة ، تمثل فكر القرشي فكر الشاعر المعاصر ، فكر الانسان العربي ، في مرحلة حياته الراهنة ، بعد ماساة حزيران 1967 .

- 5 -

اما الشكل في الديوان فنجد الشاعر يمزج فيه بين الشعر العمودي والشعر الحر .. ففيه ثمان قصائد من الحر ، واثنتا عشرة قصيدة عمودية وقصائده من الضربين عالية الصياغة والموسيقى والنغمة .

وقد مزج بعض الشعراء المعاصرين بين القصيدة العمودية وقصيدة الشعر الحر في دواوينهم ، من حيث وقف الشعراء الكبار انفسهم وقفهم على العمودي ، ووقف كثير من الشعراء الشباب انفسهم على الشعر الجديد .. ومع اني لا اكره الصياغة الجديدة لذاتها ، بيد انها في رايي صياغة ينقصها حلاوة الموسيقى وجمالها الابدي ، مهما توفرت لها العناصر الفنية الاخرى من الفكر الشعري الرفيع ، والمضمون الانساني النبيل والاخيلة والصور الشعرية الاخاذة .. ولا تتوفر لها هذه العناصر الا في انتاج قليل من الشعراء الموهوبين ... انها صياغة تفقد الذيوع والانتشار ، ولا تتردد على لسان احد ، ولا يتمثل بها انسان : واصدق اصطلاح لها ان نعدها من الشعر المنثور ، الذي كان يكتبه الريحاني وجبران واضرابهما .. وصياغة القرشي الحرة جميلة ، ولكني لا اوثرها ولا افضلها ، وان كنت اعذر الشاعر فيها ، فهو يجاري بها موجة التجديد الجديد لا غير .

انني اعتقد ان القرشي ملك امته العربية ، وغناؤه للقافلة المكدودة السائرة في مهامه الخطوب والاحداث واجب محتوم عليه . ومن المفروض ان يستخدم كل ادوات الموسيقى العمودية في قصائده ، ليبلغ بها من الذيوع والرواية والخلود ما يقف بها حيث يجب ان تكون حداء خالدا في ضمير الزمن لحياتنا البلاغية المكدودة في صحراء الابد الموحش الرهيب .

وانا معجب كل الاعجاب بصور القرشي وخيالاته البدوية والحضرية معا ، ولا احب ان تجني اخيلة الحضرية على اخيلة الصحراء في شعره ، ليكون لنا من الشعر العربي المعاصر الوان عدة تاخذ بالبابنا ونفوسنا جميعا ... ويجتمع الخيالان جنبا الى جنب في قصيدته الحرة « شاطيء الضياع » التي يقول في مطلعها :

اعيش في تمزقي انا اعيش
كنخلة عارية من اللحاء والتمر
كنجمة حائرة بين قناديل السماء
ترقب اشباح الفضاء

وانظر الى هذا الخيال البدوي المتحضر الجميل ..

فكانني قنديل مطفأ
في حجرة اعشى اعزل سكير
نسيت قافلة النور

والفكر الشعري في ديوان القرشي ينم عن اصالة وعمق وثقافة ، وحياة مع الاحداث والزمن والبيئة ، واتصال بالحضارة وبافكار العصر ، وبتطلعات الحياة ، وهي كلها ترفع من مستوى القرشي في ريادته الشعرية لامته العربية في معركة نضالها المتوثب ضد الظلام والعدوان .

وفى قصيدته « شادي الجراح » ، التى انشدها فى مهرجان تأبين الشاعر الاخطل الصغير فى لبنان ، يمزج الشاعر بين حديثه عن الاخطل وشعره والحديث عن وطنه لبنان ، وعن فلسطين ومأساتها ، فى نغم شعري جميل ، وموسيقى حلوة مؤثرة .. ويقول القرشي فى هذه القصيدة :

لذعت روحي الشجون وادمت
كبدي مدية من السفاح

غرقت فى الاسى ربوع فلسطيـ
ـن، وغطى السواد خضم الضواحي

وفى قصيدته « فارسي الصغير » يتحدث عن ابنه الصغير عبد الله ، وحبه له ، وامله فى ان يكبر ليكافح من اجل بلاده وفلسطينه ، وهو يناجي فى ابنه الصغير جيل تحرير الضمير والشعور ، وصدحة الآمال فى البكور ، ويلقنه دروس الوطنية والحب لوطنه والاحتقار لاعداء بلاده ، من مثل صهيون الحقير .

— 6 —

وموسيقى القرشي فى شعره لها جمالها وتأثيرها النغمي .. وهي تدور حول بحور الشعر القصيرة والمجزوءة، فقصائده العمودية الاثنتا عشرة:

اما من مجزوء الكامل ، او مجزوء الوافر ، او مجزوء الرجز ، واما من السريع ، او الرمل ، او الخفيف واكثر بحر استعمله الشاعر هو الرمل ، الذى نظم منه اربع قصائد ، ونظم من مجزوئه قصيدة واحدة . ويليه بحر الخفيف وقد نظم منه القرشي ثلاث قصائد .

والشاعر يتميز فى موسيقاه بالغنائية ، هذه الغنائية التى تصل بين شعره والغناء واللحن ، وبين وجدان الشعب العربي وعقله وقلبه . وكما يقول هو عن شعره :

ويرجم شعره الاعداء يملأ بالصدى الاقطار

ومن اجل ذلك اصبح القرشي من الشعراء الذين يعتز بهم العرب فى كل مكان .. وما اكثر ما يتردد فى شعره كلمات الشدو والشادي واللحن والغناء ، مما يشير الى جهد الشاعر فى ان ينقل شعره الى كل الجماهير العربية المتطلعة للنضال والانتفاضة الحرة الكريمة ..

ولو اردنا أن نحصي القاموس اللغوي الشعري الذى يستعمله الشاعر فى ديوانه لبدت لنا الفاظ الجراح والكآبة والحزن والالم والسهد والحيرة ، وبجوارها الفاظ النضال والجهاد والفداء والكبرياء والنور والامل والنصر .. الفاظ لليأس ، والفاظ للتفاؤل ، حيث يمزج الشاعر فى محنة امته العربية الحزن بالفرح ، والشقاء بالسعادة ، والحاضر بالمستقبل ، والواقع بالخيال ، وهذه الالفاظ هي كذلك تحدد لنا مضمون الشاعر فى شعره ..

— 7 —

وبعد فماذا اقول عن القرشي الشاعر وديوانه « فلسطين وكبرياء الجرح » ؟

القرشي الذى تبتل فى محراب الشعر ، واخرج حتى اليوم عشرة دواوين .

والشاعر العربي الابي المحب لوطنه وبلاده وعروبته ودينه ولغته .

والمفكر الانسان النقي اليد والضمير واللسان والروح ..

والديوان الذى يعبر عن مشاعرنا وجراحتنا وأملنا ، فى مرحلة المحنة الماثلة . والمأساة الدامية والنكبة المروعة ..

كل ما احب أن اضيفه الى ذلك كله هو أن القرشي حري به ان يظل دائما فى شعره ، كما كان ، امل أمته ، وصدى احلام الجماهير العربية المناضلة من اجل : الحرية ، وفلسطين ، والمثل النبيلة فى الحياة .

مصر — محمد عبد المنعم خفاجى

من أنباء العالم الإسلامي

المغـــــرب :

* وصل في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر الاثنين 4 ماي 1973 الى العاصمة الجزائرية الشيخ محمد المكي الناصري وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة لتدشين الاسبوع الثقافي المغربي بالجزائر الذى ابتديء رسميا في العاصمة الجزائرية وكان في استقبال السيد الوزير بمطار الجزائـــر الدكتور احمد طالب الابراهيمي وزير الاعلام والثقافة الجزائري والكاتب العام للحكومة ، والسيد محمد السجلماسي سفير المملكة المغربية بالجزائر وعدة شخصيات اخرى .

ووصل الى الجزائر كذلك السيد الشاذلي القليبي وزير الثقافة والاخبار التونسي للمشاركة في اشغال مؤتمر وزراء الثقافة للمغرب العربي الذى ابتدات اشغاله بالعاصمة الجزائرية وهكذا وفي الساعة 6 والنصف من نفس اليوم توجه الوزراء الثلاثة الى قاعة المعارض حيث قطعوا الشريط الرمزي ايذانا بافتتاح المعارض المغربية التي اقيمت بمناسبة الاسبوع الثقافي المغربي بالجزائر وطاف بعد ذلك السادة الوزراء بالمعارض التي تحتوي على معرض الصناعة التقليدية اللوحات الزيتية والكتب والمخطوطات والطوابع البريدية وكان المسؤولون عن هذه المعارض يقدمون للسادة الوزراء والشخصيات الحاضرة بيانات عن محتويات هذه المعارض .

حضر حفلة التدشين بالاضافة الى السادة الوزراء وزير الشؤون الدينية الجزائري والكاتب العام للحكومة الجزائرية وسفير المملكة المغربية بالجزائر والسفراء واعضاء السلك الدبلوماسي المعتمدين بالجزائر وبعض اساتذة الجامعات وعدة شخصيات رسمية اخرى .

واقيم بالمسرح الوطني بالعاصمة حفل ساهر شاركت فيه فرق موسيقية مغربية .

وحضر هذا المهرجان السيد احمد طالب الابراهيمي وزير الثقافة والاخبار الجزائري والشيخ المكي الناصري الوزير المغربي للاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة والشاذلي القليبي وزير الشؤون الثقافية والاخبار وكذا ممثلو البعثات الدبلوماسية المعتمدة بالجزائر .

وعلى اثر الاجتماع الذى عقد في الجزائر بين وزراء الثقافة في كل من المغرب والجزائر وتونس والذى تم اثناءه استعراض اوجه النشاط الثقافي والعلاقات الثقافية بين بلدان المغرب العربي الثلاثة عقب الشيخ محمد المكي الناصري وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة على هذا الاجتماع واشار الى انه حصل الاجماع بين الوزراء الثلاثة على ضرورة الاجتماعات الدورية للسير قدما بالعلاقات الثقافية المشتركة وتنشيطها ودفعها الى الامام حتى تؤتي ثمارها كاملة وحتى تتناول الميادين التي لم يحصل فيها بعد التعاون في المجالات الثقافية ولاحظ السيد الوزير بأن اللقاءات التي مرت قد اعطت ثمارها المرجوة ، والكل مقتنع بأن استمرار اللقاءات بصفة دورية سيكون لها المفعول القوي على العلاقات المشتركة .

وقد شرعت لجنة المحافظة على التراث في عقد اجتماعاتها بمقر وزارة الانباء والثقافة الجزائرية.

وهكذا ناقشت اللجنة في اول اجتماعها الوسائل التي تمكن الاحتفاظ بالوثائق والمخطوطات القديمة جدا في نطاق المغرب العربي وتقدمت كل من الجزائر والمغرب وتونس بعدة ملتمسات في الموضوع وتكونت لجنة مصغرة من ثلاثة اعضاء لوضع الصيغة النهائية لهذه الملتمسات بعد ان تم تعديلها كما اتفق على وضع قاموس ليمكن بواسطته فهم لغة المخطوطات الموجودة ووضع فهرس يضم جميع المخطوطات التي توجد في ملك الدول الثلاثة ليرجع اليها الباحثون وحصل الاتفاق ايضا على تسمية بعض الشوارع باسماء اعلام الفكر في المغرب العربي وعلى اقامة مهرجانات فكرية تحت اسماء هؤلاء الاعلام .

واخيرا تم الاتفاق على تكوين لجنة لوضع تاريخ المغرب العربي الذي تعرض بسبب الاستعمار الفرنسي الى بعض التحريف باعتبار ان المستعمرين هم الذين دونوا هذا التاريخ .

وستواصل اللجنة اجتماعاتها لدراسة بعض النقط الاخرى وبخصوص نشاط الوزيرين المغربي والتونسي فقد قاما صحبة نظيرهما الجزائري بزيارة لمديرية الاذاعة والتلفزة الجزائرية وكان في استقبالهم بباب الاذاعة والتلفزة السيد عبد الرحمن شريط المدير العام للاذاعة والتلفزة والسيد لعين مشيش مدير الانتاج بالاذاعة والتلفزة .

وبعد ان عقدوا اجتماعا بمكتب المدير حضره بالاضافة الى هؤلاء مدير الاخبار والمدير الاداري طاف السادة الوزراء بمختلف اقسام الاذاعة والتلفزة واطلعوا على التجهيزات الحديثة التي اصبحت محطة الاذاعة والتلفزة الجزائرية تتوفر عليها وكان السيد المدير العام يقدم للسادة الوزراء ايضاحات كافية على سير الاقسام وتجهيزاتها ودامت هذه الزيارة زهاء 45 دقيقة .

كما قام الشيخ محمد المكي الناصري بزيارة للسيد وزير التربية الجزائري .

وهكذا واصل السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة المغربي زيارته الرسمية للجمهورية الجزائرية التي صادفت اقامة الاسبوع الثقافي المغربي بالجزائر .

وقد اشتمل برنامج السيد الوزير على مشاركته كما ذكرنا في ندوة وزراء الثقافة للمغرب العربي التي انعقدت بمقر وزارة الاعلام والثقافة الجزائرية والتي دامت مدة ساعتين ونصف وبحضور الوزراء الثلاثة واعضاء الوفود المشاركة في هذه الندوة .

وتباحث السادة الوزراء ووفود الدول الثلاث حول مواضيع التعاون الثقافي الفني بين البلدان الثلاث بصورة عامة والمسرح والسينما والموسيقى والاذاعة والتلفزة والتراث والآثار بصفة خاصة .

وبعد تبادل وجهات النظر وتقديم الاقتراحات تكونت لجنة لاعداد وصياغة التوصيات النهائية من طرف الوزراء .

ومن جهة اخرى حضر وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة مهرجان الفروسية وهي المباراة الدولية للمغرب العربي الكبير التي شارك فيها ابطال من المغرب والجزائر وتونس ، حضر الى جانب الرئيس الجزائري هواري بومدين السيد محمد السجلماسي سفير المملكة المغربية بالجمهورية الجزائرية .

وحضر هذه المباراة ايضا اعضاء الحكومة الجزائرية والسفراء واعضاء السلك الدبلوماسي المعتمد بالجزائر وقد اقام السفير المغربي مادبة عشاء على شرف الوفد المغربي بحضور عدد من الوزراء في الحكومة الجزائرية واعضاء الوفد الجزائري في الندوة والوفد التونسي برئاسة السيد الشاذلي وزير الثقافة والاخبار .

❋ استقبل الاستاذ الشيخ محمد المكي الناصري خلال مقامه في الجزائر من طرف الرئيس هواري بومدين ، كما اجتمع عدة مرات مع وزير الثقافة الجزائري واجرى معه محادثات استهدفت تعزيز التعاون الثقافي بين البلدين الشقيقين .

وكان الدكتور احمد طالب الابراهيمي وزير الاعلام والثقافة الجزائري قد اقام حفل استقبال تكريما للشيخ محمد المكي الناصري وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة المغربي حضرها اعضاء السلك الديبلوماسي المعتمدين بالجزائر .

والقى الشيخ المكي الناصري محاضرة بقاعة الموكار تحت عنوان – وحدة المغرب العربي في ظل الاسلام – وذلك في اطار الاسبوع الثقافي المغربي .

* افتتح الاسبوع الثقافي الايراني بمسرح محمد الخامس تحت اشراف وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة ووزير الانباء وسفير جلالة شاهنشاه وقد اشتمل على برنامج حافل ضم معرضا للكتاب الايراني ومعرضا للخطوط الجميلة ومعرضا للصور على الآثار التاريخية الاسلامية وغيرها في ايران

كما تم خلال الاسبوع الثقافي عرض مجموعة من الافلام الايرانية المطولة ، واشترك في حفلة الافتتاح بالاضافة الى سفير ايران عدة شخصيات وسفراء الدول الاجنبية المعتمدون بالرباط ، ونخبة من رجال الفكر والادب ونظم الاسبوع الثقافي الايراني تحت اشراف وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة ووزير الانباء وسفير ايران بالرباط .

* انطلاقا من مبدأ دعوة التضامن الاسلامي التى نادى بها حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل وتجسيدا للمهام السامية التى تتولى ادارتها حكومته فقد امر جلالة الملك فيصل بتشكيل هيئة عليا لدراسة السبل التى يتم بها نشر الدعوة الاسلامية الصحيحة في جميع انحاء العالم ، وخاصة فى القارتين الافريقية والاسيوية واعداد برنامج لارسال بعثات دورية لنشر الدعوة الاسلامية .

هذا ، وتتكون الهيئة من معالي وزير العدل الشيخ محمد الحركان رئيسا وعضوية كل من معالي وزير المعارف الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ ومعالي وزير الحج والاوقاف الشيخ حسن محمد كتبي وسعادة الامين العام لرابطة العالم الاسلامي وسماحة رئيس ادارات البحوث العلمية والافتاء الشيخ ابراهيم بن محمد آل الشيخ .

هذا ، وقد شكلت اللجنة الفرعية برئاسة فضيلة الشيخ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء وعضو اللجنة الاسلامية العليا ، ويشارك فيها كأعضاء ممثلان عن كل من وزارات العدل والمعارف والحج والاوقاف وادارة البحوث العلمية والافتاء ..

وقد مثل الرابطة فى هذه اللجنة سعادة الاستاذ امين العبد الله المدير العام المساعد لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة ، والاستاذ محمد صفوت السقا سكرتير ادارة المؤتمرات ..

ودرست اللجنة الفرعية المواضيع المحالة اليها من اللجنة العليا حول شؤون نشر الدعوة واحياء التراث الاسلامي ، وكذلك مساعدة الجمعيات والمؤسسات الاسلامية فى مختلف انحاء العالم ..

وقد قامت ست وفود اسلامية منبعثة من قبل رابطة العالم الاسلامي الى عدد من اقطار العالم .. ويتكون كل وفد من رئيس وسكرتير وعضو او اكثر .. ويزور كل وفد مجموعة من الدول والاقطار للاتصال بالزعماء فيها ، والاطلاع على واقع المسلمين ومنجزاتهم واحتياجاتهم ونوعية المشاكل التى تعترض سبيل الدعوة فيها تمهيدا لوضع الدراسات والابحاث التى من شانها تدعيم مسيرة العمل الاسلامي فى تلك البلاد والاقطار .. وستغطي هذه الوفود معظم بلاد العالم فى افريقيا وآسيا واوروبا وامريكا وذلك اهتماما من سعادة الامين العام للرابطة ..

وقد اعتمدت رابطة العالم الاسلامي العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية ومن لهم خبرة عملية واسعة فى العمل الاسلامي للاشتراك فى هذه الوفود ..

وتاتي هذه الخطوة الاسلامية العملية تنفيذا لما تم اقراره فى الدورة الرابعة عشرة للمجلس التأسيسي للرابطة ، والتى عقدت فى شهر شوال الماضي ، حيث قرر المجلس : (تأليف وفود من بين اعضائه لزيارة الدول الاسلامية فى آسيا وافريقيا وزيارة اوروبا وامريكا تبعا للخطة التى تنظمها الامانة العامة للرابطة) ..

ويتألف الوفد الذى اوفدته رابطة العالم الاسلامي الى المغرب والجزائر وتونس من فضيلة الشيخ حسين محمد مخلوف مفتي الديار العربية المصرية سابقا ، والشيخ عبد الله الانصاري مدير المعارف والشؤون الاسلامية فى دولة قطر ، والحاج ابو بكر كومي مدير الجامعة الاسلامية وقاضي القضاة بنجيريا والاستاذ عبد الحميد قطب رئيس قسم الترجمة بالجامعة الاسلامية .

وقد استقبل صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بالديوان الملكي وفد رابطة العالم الاسلامي . وكان الوفد مرفوقا بالاستاذ علال الفاسي والدكتور عبد الكريم الخطيب .

وحضر هذه المقابلة الجنرال مولاي حفيظ العلوي وزير القصور الملكية والتشريفات والاوسمة.

وزار الوفد الاسلامي مدينة الرباط وفاس والقنيطرة والدار البيضاء حيث اجتمع مع علماء المغرب وتبادلوا وجهات النظر في القضايا الاسلامية، والمشكلات التي تعترض العالم الاسلامي . وقد لقي الوفد كل ترحيب من جميع افراد الشعب المغربي .

وبعث رئيس وفد رابطة العالم الاسلامي الشيخ حسين محمد مخلوف عقب انتهاء زيارة اعضاء الوفد للمغرب ببرقية الى صاحب الجلالة هذا نصها :

بمناسبة مغادرتنا للملكة الشقيقة السعيدة نرفع اشرف آيات الشكر والمحبة والولاء لجلالتكم لما تفضلتم به من الحفاوة البالغة والتكريم العظيم ادام الله عهدكم واعز ملككم وقوى بجهودكم شوكة الاسلام والمسلمين .

وان الغاية كما ذكرنا من طواف وفود رابطة العالم الاسلامي بالعالم الاسلامي هي جمع المعلومات عن الجمعيات ، والاقليات الاسلامية واوضاعها التي تعيشها ، وعن المنظمات والهيئات الاسلامية التي تقوم بنشاطات للدعوة الاسلامية ، وعن المدارس والكليات والجامعات المنتشرة في العالم المتخصصة بتدريس الاسلام، ونشر الثقافة الاسلامية ..

* اختتمت بنادي الضباط الدورة التدريبية الاولى للوعظ والارشاد التي نظمتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة لفائدة 25 من المدنيين والعسكريين .

وترأس حفلة الاختتام الشيخ محمد المكي الناصري وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة الذي القى بهذه المناسبة كلمة ابرز فيها اهمية هذا التدريب وابعاده الرامية الى خلق تربية دينية اسلامية وسط الشباب وداخل الثكنات العسكرية .

ولاحظ السيد الوزير بأن هذا التدريب يعد انطلاقة جديدة نحو البعث الاسلامي الذي نادى به جلالة الملك الحسن الثاني . وابدى السيد الوزير استعداد وزارته للتعاون مع المسؤولين في القوات المسلحة الملكية لتوسيع مجال الفكر الاسلامي .

واعلن الوزير عن سلسلة من الدورات التدريبية التي ستنظمها وزارته لفائدة المرشدين الدينيين وستبتديء الدورة القادمة في الاسبوع القادم بالدار البيضاء .

وفي ختام الحفل وزعت الشهادات على خريجي هذه الدورة التي استمرت شهرا كاملا، ومن المواضيع التي درست في هذا التدريب : الاسلام والنظم الاقتصادية والسوسيولوجية الاسلامية والجندية الاسلامية ومنهجية الدعوة وغيرها من المواضيع التي تتعلق بالفكر الاسلامي .

وقد حضر حفلة اختتام التدريب الجنرال بلعربي والجنرال ادريس بنعيسى والكاتب العام لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة وعدد من الاساتذة وبعض ضباط القوات المسلحة الملكية .

* في اطار المحاضرات التي امر صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني القائد الاعلى للقوات المسلحة الملكية بتنظيمها لافراد التجريدة المغربية المتوجهة الى سوريا القت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بالمدرسة العسكرية باهرمومو محاضرة تناولت فيها بالتحليل تاريخ الجهاد الاسلامي منذ الدعوة الاسلامية وتعرضت في محاضرتها الى الاعداء التاريخي الذي يكنه اليهود للاسلام والدسائس والمؤامرات التي كانوا يبيتونها للمسلمين على مر العصور .

كما القى الدكتور جعفر الكتاني عميد كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بنفس المدرسة محاضرة تحدث فيها عن الصهيونية وتاريخ هذه الحركة المتطرفة منذ نصف قرن واستعرض الدول التي تعاقبت على فلسطين منذ التاريخ القديم وقال السيد المحاضر : اذا كانت اسرائيل تدعي احقيتها التاريخية بالتراب الفلسطيني فان التاريخ يؤكد ان السكان الاصليين لهذه الارض هم العرب وان الصهيونية كانت وما تزال تسعى الى تشتيت القوة العربية حتى تتمكن من التوسع على حساب ملايين العرب، هذا وقد ختم الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة ومحافظ ضريح محمد الخامس هذه المحاضرات وكان الدكتور عبد

الكريم كريم قد افتتح هذه المحاضرات بمحاضرة حول الحروب الصليبية ودور الدولة المغربية في حماية الاراضي الاسلامية والعربية .

* افتتح بفندق هيلتون في الرباط ، معرض الاحجار المعدنية النفيسة الذى نظمته شركة كرستولي مينيرو ويتوفر المعرض على 20 نوعا من الاحجار المعدنية النادرة المعروفة بالخصوص في المغرب ورومانيا والبرازيل واليابان .

ومن هذه الانواع المعروفة معادن لزوريست والملكيت وسيزرت والفيليغيت والفالدينيت الذى يعتبر من اغلى المعادن الموجودة في العالم .

وقد اكتشف اخيرا بناحية ميدلت بالمغرب .

وقد حضر حفلة تدشين المعرض الذى استمر مفتوحا الى غاية العشرين من شهر ماي مدير ادارة السلك الدبلوماسي وعدد من المهندسين المختصين بالقطاع المعدني وعدة شخصيات اخرى .

* بلغ ما توصلت به المديرية العامة للثقافة هذه السنة من الوثائق والمخطوطات من مختلف انحاء المملكة المغربية 839 مخطوطا و 1346 وثيقة في شتى الموضوعات وفنون المعرفة الانسانية .

* عين المجلس التنفيذي التابع لوكالة الانباء الاسلامية الدولية - اينا - السيد مهدي بنونة الرئيس والمدير العام لوكالة انباء المغرب العربي كأول مدير عام لوكالة الانباء الاسلامية الدولية . وقد اتخذ هذا القرار باجماع الاصوات .. ويبدا العمل به اعتبارا من تاريخ التعيين ..

* قامت مصلحة الخزانات خلال شهر ابريل 1973 بنشاطات مختلفة فيما يلي :

1 - تزويد سفارة صاحب الجلالة بكوبا ببعض الكتب بلغت في مجموعها 219 كتابا مساهمة من وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة في تغذية الجناح المغربي في الخزانة العربية (بلاهافانا) وتجسم هذه الكتب جوانب مختلفة من الحضارة والثقافة المغربية .

2 - تزويد الخزانات العمومية ببعض الانتاج الجديد من الكتب المغربية والتي تولت طبعها المديرية العامة للثقافة وهذه الكتب :

الباحث - (المجلد الثاني) - لولا الانسان - عمي بوشناق - شجرة محار - مع الله ، طبعة دار بيروت) كما سهرت المصلحة على توزيع ميزانية 1973 لتسيير الخزانات واعداد دراسة شاملة عن حاجيات الخزانات من الاطر .

* قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة بطبع كتاب « مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا » لابن فارس عبد العزيز الفشتالي ، الذى قام بدراسته الدكتور عبد الكريم كريم استاذ التاريخ الحديث بكلية الاداب والعلوم الانسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط .

* من 27 فبراير الى 6 مارس اقيم بتطوان معرض تحت شعار « مغرب القرن التاسع عشر » بقاعة المكتبة العامة ، ودشنه السيد العامل كما القيت ثلاث محاضرات .

الاولى : يوم 27 فبراير القاها الاستاذ ابو طاهر آل عزيز بعنوان : « رحلة محمد الخامس الى طنجة والوحدة الوطنية » ابتداء من الساعة السادسة والنصف مساء .

الثانية : يوم 2 مارس القاها الدكتور عبد الله العمراني بعنوان : « العرش المغربي عبر التاريخ في نفس الوقت » .

الثالثة : يوم 6 مارس القاها الاستاذ عبد اللطيف الخطيب عامل اقليم تطوان سابقا بعنوان : « التعريب بين العقيدة والغاية » .. وكل المحاضرات القيت في قاعة المكتبة العامة .

* في اطار النشاط الثقافي الذى تنظمه جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية وبمناسبة ذكرى عيد المولد النبوي الشريف فان الدكتورة عائشة عبد الرحمان بنت الشاطىء قد القت محاضرة تحت عنوان : « المولد النبوي » .

وذلك يوم الخميس 26 ابريل 1973 في الساعة 6.30 مساء بدار الحديث الحسنية في زنقة ساحل العاج .

✻ عقدت جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية اول مؤتمر لها تحت شعار « ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم » بتطوان وذلك يوم 25 و 26 صفر الخير 1393 الموافق 30 و 31 مارس 1973 .

✻ تسلم السيد الحاج محمد باحنيني وزير الدولة ووزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة بالنيابة من سفير الولايات المتحدة الامريكية بالرباط في حفلة اقامتها المديرية العامة للثقافة ، مجموعة من الميكروفلمات تتعلق بتاريخ العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية والمملكة المغربية ، وتشتمل هذه المجموعة على وثائق دبلوماسية وبرقيات وعدد من الحلقات المتعلقة بعلاقات المغرب مع امريكا ومع عدد من الدول الاجنبية الاخرى .

✻ بمناسبة الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف فان وزارة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية قد اصدرت طابعا بريديا من قيمة 0،30 درهم

✻ تخليدا للذكرى السادسة والعشرين التاريخية لرحلة الوحدة الوطنية التي قام بها الى طنجة فقيد العروبة والاسلام محمد الخامس تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جناته . فان المديرية العامة للثقافة التابعة لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة قد نظمت :

ـ معرضا للمصحف المغربي القديم والحديث المخطوط والمطبوع مستعينة بمدخرات الخزانة الملكية العامرة والخزانة العامة بالرباط وقد افتتح المعرض السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة الشيخ المكي الناصري يوم 7 ابريل 1973 في الساعة الخامسة مساء بمقر المعهد الوطني للموسيقى 68 شارع بلجيكا بالرباط .

ـ محاضرة للاستاذ ابو طاهر آل عزيز تحت عنوان : « رحلة الوحدة الوطنية » وذلك يوم السبت 7 ابريل 1973 في الساعة السادسة والنصف مساء بقاعة الفرقة التجارية الواقعة بشارع باستور ـ طنجة .

✻ يسر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة ان تعلن لكافة المؤلفين المغاربة والهيئات الثقافية ودور النشر ، وتهيب بهم للمساهمة في جائزة الثقافة العربية التي دعت اليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالقاهرة ، تنفيذا لقرار مؤتمرها العام بشأن تشجيع الابداع الثقافي والفني في الوطن العربي ، وقد خصصت لهذه الجائزة خمسمائة جنيه مصري او ما يعادلها لاحسن كتاب يتصل باحد ميادين الحضارة العربية ويكشف عن قيمتها واصالتها على ان يلتزم المرشح بالشروط الآتية :

ا ـ ان يكون الكتاب قد نشر خلال السنوات الثلاث السابقة ـ منذ 1970 ـ لاول مرة .

ب ـ ان لا يكون حائزا لجائزة سابقة او مقدما لجائزة اخرى .

ج ـ ان لا يكون الكتاب رسالة جامعية .
د ـ ان لا يكون مترجما عن لغة اجنبية .

ـ ترسل من الكتاب ثلاث نسخ على الاقل الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ ادارة الثقافة ـ 109 شارع التحرير ـ ميدان الدقي ـ القاهرة .

ـ آخر موعد لتقديم الكتب نهاية يونيه 1973

✻ بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العاشر ، لمنظمة الوحدة الافريقية بأديس ابابا اصدرت وزارة الانباء عددها الحادي عشر من سلسلة وثائق ومستندات وهي الدورية التي تصدرها الوزارة ويحمل الكتيب عنوان ـ روح الرباط ـ المؤتمر التاسع للقمة الافريقي ويضم القرارات والتوصيات الصادرة عن المؤتمر التاسع للقمة الذي احتضنته بلادنا في يونيو من السنة الماضية ، وهكذا يجد القاريء الخطب المولوية التي القاها جلالة الملك الحسن الثاني في جلسات الافتتاح والاختتام في كل من مؤتمر القمة ، ومن المؤتمر التاسع عشر لوزراء الخارجية التحضيري للمؤتمر التاسع للقمة ، كما توجد بالكتاب القرارات الصادرة عن المؤتمرين بنصها الكامل وكذا الوثيقة الهامة للتصريح المغربي الجزائري الذي وقعه جلالة الملك الحسن الثاني مع الرئيس الجزائري هواري بومدين .

ويحتوي الكتاب على آراء وبرقيات وردود فعل لعدد من رؤساء الدول وتعليقات الصحف حول اعمال مؤتمر القمة التاسع الذي ترأسه جلالة الملك الحسن الثاني .

ويقع هذا الكتاب في 32 صفحة مزينة بصور وثائقية عن جلسات المؤتمر ولقاءاته وقد تم انجازه في اقل من اسبوع بمطابع دار الكتاب ومتى يمكن تقديمه باسم المغرب .. الممثل في شخص جلالة الملك الرئيس السابق للمنظمة لمؤتمر لقمة التاسع باديس ابابا .

وتوجد في اول الكتاب افتتاحية بعنوان : « جلالة الملك الحسن الثاني الرئيس الفعلي لمنظمة الوحدة الافريقية » جاء في مقدمتها ما يلي :

منذ ان انتخب جلالة الملك الحسن الثاني رئيسا فعليا للمنظمة في مؤتمر القمة التاسع بالرباط المنعقد خلال شهر يونيو 1972 عرف جلالته — حسب تعبيره — كيف ياخذ من راحته الوقت اللازم للدفاع عن شرف افريقيا والمساهمة بشكل فعال في التسوية السلمية للنزاعات والخلافات التي نشبت بين الدول الافريقية والتشجيع ومساعدة نضال الحركات الافريقية للتحرير بامدادها بالدم اللا مشروط من كل القارة الافريقية في سبيل قضيتها العادلة حتى النصر النهائي وفي مجمل الكتيب يلمس القارىء تلك الروح الاخوية روح التسامح والتصالح وحل المشاكل بالروية والتاني دونما اللجوء الى اساليب غير منطقية ، تلك الروح التي اصبحت منذ المؤتمر التاسع للقمة تحمل اسم — روح الرباط —

* تحت اشراف المديرية العامة للثقافة التابعة لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة القى الدكتور علي القاسمي محاضرة بعنوان : نظرات في القصة العربية .

* الانبعاث الاسلامي ، فلسفة ودين «محاضرة القاها الاستاذ محمد صالح السرغيني قاضي التحقيق بالمحكمة الاقليمية بطنجة بقاعة المحاضرات التابعة للمديرية العامة للثقافة بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

* نظمت بمديرية الثقافة بالرباط حفلة تسليم الجوائز على الفائزين في معرض الحسن الثاني للوثائق والمخطوطات وترأس الحفلة الاستاذ الشيخ محمد المكي الناصري وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة .

والقى بالمناسبة خطابا شكر فيه الذين اسهموا في هذا المعرض وابدى ارتياحه للاقبال الكبير الذي عرفته هذه السنة اذ بلغ مجموع الوثائق والمخطوطات التي عرضت فيه 2306 وثيقة .

* ترجو مديرية الثقافة التابعة لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة السادة الافاضل الذين شاركوا في المعرض الخامس « لجائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق » عام 1973 ، ان يتصلوا بالسيد عبد المالك الانباري بالخزانة العامة بالرباط ، لاستعادة مخطوطاتهم ووثائقهم ، وذلك بالنسبة لمركز الرباط . اما بقية المراكز فالسادة محافظو امناء الخزانات هم الذين سيقومون برد المخطوطات والوثائق الى اصحابها .

* يسر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة ومديرية الشؤون الثقافية ان تعلن عن جائزة المغرب لهذه السنة 1973 .

وتتعلق هذه المسابقة بميادين الآداب والعلوم الانمائية والاجتماعية والعلوم الرياضية على ان تتطرق لمظهر من مظاهر الحضارة المغربية او التعريف بها .

ا — الآداب :

1 — المسرح — الشعر .

2 — القصة — محاولات ادبية .

3 — النقد .

4 — ترجمة الشخصيات .

5 — الرحلات .

ب — العلوم الانمائية والاجتماعية :

1 — الفلسفة — الدين — الاخلاق — علم النفس

2 — الاركيولوجية — التاريخ — الجغرافية الانسانية والاقليمية .

3 — علم الاجتماع الانتروبولوجية — العلوم الاقتصادية — الفولكلور — الموسيقى — فن البلاستيك — الفن التقليدي .

4 — القانون — العلوم السياسية — العلوم الاقتصادية .

ح ـ العلوم الرياضية :

1 ـ الرياضيات ـ التنجيم .

2 ـ الكيمياء ـ الفيزياء .

3 ـ علم الاحياء ـ الطب .

4 ـ علم الحيوان ـ النبات ـ الزراعة .

5 ـ الجيولوجية ـ الجغرافية الفيزيقية ـ الهندسة .

وعلى المرشح ان يلتزم فى هذه الجائزة الشروط الآتية :

1 ـ ان يقدم كتابه فى 5 نسخ فاذا كان الكتاب مخطوطا فيجب ان يكون مكتوبا على الآلة الكاتبة واذا كان مطبوعا فيجب الا يكون قد مر على طبعه اكثر من اربع سنوات .

2 ـ لا يمكن المرشح الذى فاز بهذه الجائزة ان يتقدم بانتاج آخر الا بعد مرور اربع سنوات على فوزه بها.

3 ـ كل مرشح له الحق فى ان يتقدم لهذه الجائزة بموضوعين فى كل مادة او ثلاث موضوعات ذات اتجاهات .

4 ـ ان يبعث المرشح بانتاجه مصحوبا برسالة طلب باسم وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة بجميع الوثائق والانتاج المرشح لهذه

5 ـ يقفل باب الترشيح بتاريخ 20 شتمبر 1973 .

6 ـ تحتفظ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة بجميع الوثائق والانتاج المرشح لهذه الجائزة .

7 ـ يعتبر قرار لجنة التحكيم نهائيا .

✻ احتفلت مدينة سلا بمناسبة مرور اربعين سنة على وفاة شيخ الجماعة العالم العامل الصالح الورع الناسك سيدي احمد الجريري ، وقد غصت القاعة التي بجوار المسجد الكبير لهذه المدينة بمئات الوجهاء والعلماء من العدوتين حيث تناول الكلمة الاساتذة : الحاج احمد معنينو وسيدي ابو بكر القادري وسيدي عبد الرحمن الكتاني والسيد علال الفاسي والسيد محمد التطواني ؛ وقد القوا اضواء على حياة الفقيه ، وعلى المناخ الثقافي والحالة الاجتماعية فى جيل المرحوم .

✻ استقبل صاحب الجلالة الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية اثناء اقامته الاخيرة بالمغرب بمقر اقامته بقصر السويسي وفدا عن علماء المغرب يتقدمهم الاستاذ عبد الله كنون الامين العام لرابطة علماء المغرب .

وقد حضر هذه المقابلة سيادة وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة الاستاذ الشيخ محمد المكي الناصري ، وقد القى الامين لرابطة علماء المغرب بهذه المناسبة كلمة حيا فيها العاهل السعودي وقد اجاب العاهل بكلمة بليغة وجهها للعلماء حثهم فيها على الدور الذى ينبغي الاضطلاع به فى العصر الحاضر الذى يزخر بالتيارات والشارات والمذاهب والافكار بالدعوة الى الاسلام والرجوع الى الكتاب والسنة .

✻ ما زال الاستاذ الدكتور عباس الجراري استاذ الادب المغربي والادب الشعبي بكلية الآداب والعلوم الانسانية يثري المكتبة المغربية بأبحاثه القيمة ودراساته الواسعة فبعد ان اصدر كتابه القيم «القصيدة» فى الزجل المغربي ، ومن « وحي التراث » ، و « الحرية والادب » و « الثقافة فى معركة التغيير » ظهر له، اخيرا، كتاب جديد بعنوان « موشحات مغربية » دراسة ونصوص ، وهي دراسة بكر ذات طابع مغربي صرف ، وقد قسم الاستاذ كتابه قسمين :

الاول : دراسة تناول فى فصولها تعريف الموشح وشكله وموضوعاته نشأته ، وعلاقته بالزجل واهميته ، وما أنتج فيه المشارقة والمغاربة ، حيث خصص المؤلف فصلا طويلا لما كان لهم فى فنه من مساهمة خلال حقب تاريخه . .

الثاني : نصوص ، اورد فيها المؤلف احدى وخمسين موشحة وثلاثين شاعرا من مختلف العصور ابتداء من عهد الموحدين حتى العصر الحاضر ، وقد حاول فى اختيارها التأكد من انها صدرت عن مغاربة وان كانوا مجهولين .

والكتاب يشتمل على فهرس الاعلام ، وفهرس المصادر والمراجع بلغ نحو 143 مرجعا ، ثم فهرس للموضوعات .

والكتاب قيم فريد في بابه لا يستغني عنه الطالب والدارس لفنون الآداب ولاسيما ادب المغاربة واننا لنهنيء صديقنا الاستاذ السيد عباس على همته وجهوده الموصولة ونتمنى له كامل التوفيق والتفوق.

* الاعماق : مجلة شهرية مختصة بالعلوم الروحية والدراسات النفسية المبسطة والتربوية والاجتماعية والفلسفية . صدرت في الايام الاخيرة لصديقنا الاستاذ السيد امحمد التهامي الوكيلي ، وقد تناول العدد عدة مواضيع فلسفية ونفسية واجتماعية وتتوجه الى الانسان المغربي لسد الثغرات التي تشكو منها شخصيته ، ولسد النقص النفسي والعقلي والتربوي الذي يوجد بها ، ثم لخلق طموح فكري سليم لتحسين مستوى الاخلاق والوجدان والسلوك .

وقد شارك في العدد عدة شخصيات في عالم الفكر ...

وستصدر مجلة « الاعماق » ملحقا خاصا بمناسبة عيد الشباب الذي يصادف ذكرى ميلاد جلالة الحسن الثاني نصره الله .

الجزائــــر :

* نشرت المكتبة الاهلية بالجزائر ـ بمناسبة العام الدولي للكتاب ـ 1972 ـ كتالوجا يضم اسماء كل الاعمال التي تعالج الفكر الاسلامي اسمته (الفكر الاسلامي في كتابات الشرق والغرب) .

* انعقد بالجزائر في الفترة من : 2 ـ 7 افريل الماضي المؤتمر الثالث للمجمع العربي للموسيقى حضرته وفود من الجزائر وتونس والمغرب وليبيا ومصر والسودان وسوريا ولبنان والعراق والكويت بالاضافة الى مندوبي الجامعة العربية ، واعقب المؤتمر اجتماعات اعضاء المكتب التنفيذي يومي 9 و 10 افريل للنظر في قرارات وتوصيات المؤتمر واللجان المنبثقة عنه ، وتقرر عقد الاجتماع القادم للمكتب التنفيذي بالقاهرة في 28 غشت القادم وقد اشرف على حفل افتتاح المؤتمر الدكتور احمد طالب الابراهيمي وزير الاعلام والثقافة الذي القى كلمة بهذه المناسبة .

والقيت خلال المؤتمر عدة بحوث قدمها بعض اعضاء المؤتمر ، وكان من اهم توصيات المؤتمر :

1 ـ اصدار كتاب اعمال المؤتمر الثالث للمجمع.

2 ـ الاهتمام باغاني الاطفال .

3 ـ الاهتمام بالانتاج الموسيقي العربي الجيد وتعميمه .

4 ـ الاشتراك في الندوات الموسيقية الآسيوية والافريقية والعالمية لتاكيد الوجود العربي فيها .

5 ـ جمع وتسجيل انتاج الفنانين الكبار وتكريمهم .

6 ـ الاهتمام بحقوق المؤلفين والملحنين .

* احتفلت الجزائر يوم 16 افريل بيوم العلم ، واختارت هذا اليوم لمصادفته لذكرى وفاة الامام عبد الحميد بن باديس تكريما له وتمجيدا لاعماله الجليلة وجهاده الرائد وعلمه وعمله . فهو من اوائل الرجال الذين كرسوا حياتهم كلها لاذكاء شعلة العلم والوطنية في الوقت العصيب الذي كان فيه الاستعمار يقف بالمرصاد لكل كلمة ولكل حركة . وقد شنها الامام ابن باديس حربا شعواء ضد الاستعمار وضد الخرافات والبدع، ورسخ مع رفاقه دعائم الشخصية الجزائرية والتي لخص شعارها في كلماته الثلاث الخالدة : الاسلام ديننا ، والجزائر وطننا ، والعربية لغتنا .

وبهذه المناسبة الجليلة القيت محاضرات في شتى انحاء الوطن تناولت حياة الامام ، والجوانب المختلفة من جهاده وكفاحه كسياسي وعالم دين ، ومصلح اجتماعي ، وصحفي واديب .. الخ .

* تجري الاستعدادات حثيثة لاقامة مهرجان البحر الابيض المتوسط لتيمقاد في شهر جويلية المقبل ، هذا المهرجان الذي يقام بمدينة تيمقاد الاثرية بولاية الاوراس ، وهو مهرجان ثقافي يشمل عرضا للصوت والضوء ومحاضرات ، وسهرات مسرحية ، وموسيقية ، ويشترك فيه عدد من الدول الشقيقة والصديقة .

* اقيم بمدينة بجاية في الفترة من 12 ـ 20 ماي اسبوع ثقافي، وقد اعدت اللجنة التحضيرية لهذا

الاسبوع برنامجا حافلا يشتمل على عرض للصوت والضوء بالاماكن الاثرية كما يشتمل على شتى التظاهرات الثقافية الاخرى .

* انعقد بقصر زيروت يوسف بالجزائر العاصمة فى الفترة من : 19 — 31 مارس الماضي حلقة النهوض بعلم الاجتماع فى الوطن العربي الذى نظمته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي تحت اشراف المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ، وحضره عدد كبير من علماء الاجتماع العرب ، وكانت الموضوعات الرئيسية للحلقة هي :

1) انواع التطور الاجتماعي فى الوطن العربي .

2) البحث العلمي الاجتماعي .

3) المعوقات الاجتماعية والثقافية للتنمية .

4) اعداد المتخصص فى علم الاجتماع

وقد قدم الاساتذة العرب المشاركون عددا من البحوث حول هذه المواضيع ، وتراس وفد الجزائر الدكتور عبد الله شريط الاستاذ بجامعة الجزائر الذى عين رئيسا للحلقة بصفته رئيس الدولة المضيفة .

وكانت التوصيات التى صدرت عن الملتقى :

1 — انشاء اتحاد علماء الاجتماع العرب .

2 — العمل على انشاء شخصية متميزة لعلم الاجتماع العربي .

5 — توحيد مصطلحات علم الاجتماع .

6 — اصدار نشرة عن البحوث والرسائل العلمية التى تجد فى كل بلد عربي .

7 — الاهتمامات بالربط بين الدراسات النظرية والعلمية لخدمة المجتمع .

8 — ادخال مادة علم الاجتماع الى جميع الكليات .

9 — ربط مواد علم الاجتماع بواقع المجتمع العربي .

10 — ادخال البحث الاجتماعي عند التخطيط لمشروعات التنمية .

* قدم مركز الثقافة والاعلام بالجزائر فى اطار نشاطه المسرحي مسرحية الاستثناء والقاعدة لبيرتولد بريشت ايام : 4 و 7 و 8 مارس الماضي بقاعة الموقار بالعاصمة ويوم 8 مارس بقاعة المنار بمدينة البليدة ، وهي من تمثيل فرقة مسرح (لامندراقور بباريس) .

— وفى مارس الماضي زارت فرقة مسرح الفن العربي المصرية التى شكلها ويراسها الفنان عبد المنعم ابراهيم الجزائري وقدمت عروضها المسرحية فى عنابة يوم 10 مارس وفى سكيكدة يوم 11 مارس وفى الجزائر العاصمة ايام : 13 ، و 14 ، و 15 مارس ، وكانت المسرحيات التى قدمتها :

1 — حلاق بغداد وهي من تاليف الفريد فرج واخراج نور الدمرداش .

2 — على جناح التبريزي وهي لالفريد فرج ايضا وقام بدور البطولة فى المسرحيتين عبد المنعم ابراهيم ، عبد الرحمن ابو زهرة ، سلوى محمود ، هالة فاخر .. وغيرهم .

* نظم بالمكتبة الوطنية فى الفترة من : 3 مارس الى 14 ابريل 1973 معرض : (للدراسات العربية وفن الطباعة بالعربية بايطاليا من القرن الخامس عشر الى القرن العشرين ميلادي) .

واقيم حفل الافتتاح تحت رعاية الدكتور احمد طالب الابراهيمي وزير الاعلام والثقافة يوم الجمعة 30 مارس الماضي بمحضر عدد كبير من رجال الفكر والادب والسياسة كان من بينهم الاستاذ مولود قاسم وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية .

وضم المعرض الذى اقامته المكتبة الوطنية بالمشاركة مع المركز الثقافي الايطالي 240 مخطوطا بالعربية من بينها 37 مخطوطا نادرا يرجع تاريخها الى القرن الخامس عشر حتى الثامن عشر فى مختلف العلوم والفنون وخاصة الطب والفلك واللغات والآداب والتاريخ .. الخ . وبعضها يضم اللغتين العربية والايطالية .

* قدم مركز الثقافة والاعلام بالجزائر المحاضرات التالية بقاعة الموقار بالعاصمة :

ـ حياة واعمال عبد الرزاق بن حمدوش الجزائري للدكتور ابو القاسم سعد الله القيت بالعربية يوم 8 مارس 1973 .

ـ الله يتجلى فى عصر العلم للدكتور البشير التركي مدير مجلة العلم التونسية القيت بالعربية يوم 21 مارس 1973، كما القى نفس المحاضرة بالمدية يوم 18 مارس على مديري واساتذة وطلبة ثانويتي : ابن شنب للبنات ، وفخار للبنين ، والقى بقاعة الفتح بمدينة البليدة محاضرة يوم 20 مارس عنوانها: الايمان بالله منطلق العلم .

ـ الثقافة الاسلامية والمجتمع المعاصر للاستاذ نجم الدين بامات رئيس القسم الثقافي بمنظمة اليونسكو بباريس زار الجزائر بدعوة من الدكتور احمد طالب الابراهيمي وزير الاعلام والثقافة وهو نجل المفكر الاسلامي المرحوم حيدر بامات ، والقى محاضرته باللغة الفرنسية يوم : 29 مارس 1973 ، كما القى محاضرة مماثلة بمدينة تيزي وزو فى اليوم السابق . والقى ايضا نفس المحاضرة بكلية الآداب والعلوم الانسانية يوم 30 مارس 73 ، وتبع المحاضرات مناقشات طويلة ومثمرة اثارها عدد من الاساتذة والطلبة والمثقفين .

ـ علاقات الانتاج فى الوسط الريفي للاستاذ عبد الرحمن بوزيدة القيت بالفرنسية يوم 19 افريل 1973 .

❊ انعقد بالمدرسة العليا للاساتذة بالقبة فى الفترة من : 16 ـ 21 افريل الماضي اسبوع القرآن الكريم اشترك فيه عدد من رجال الفكر والاساتذة والطلبة الجامعيين وكانت الموضوعات المطروحة على بساط البحث والدرس :

1 ـ التوجيه العلمي فى القرآن .

2 ـ المشكلات الاقتصادية فى العالم الاسلامي.

3 ـ القرآن الكريم مصدر تشريع .

4 ـ التوجيه التربوي فى القرآن .

5 ـ التكامل بين العلم والدين فى الاسلام .

6 ـ الاعجاز البلاغي والادبي فى القرآن .

وعرضت خلال الاسبوع بعض الافلام الاسلامية والافلام الوثائقية .

وفى آخر يوم قدم طلبة المعهد الاسلامي بالجزائر مسرحية اسلامية تاريخية .

ومن بين المحاضرات الهامة التي القيت محاضرة للدكتور البشير التركي مدير مجلة العلم (التونسية) والذى قدم خصيصا للاشتراك فى الاسبوع وعنوانها : « القرآن كتاب علم » .

تونس :

❊ سافر اخيرا الى تونس 25 عضوا من اعضاء النادي العلمي لجامعة صوفيا وذلك للمشاركة فى تنفيذ مشروع اليونسكو الدولي لانقاذ قرطاجة و « المدينة » ، وهي بلدة تونس القديمة .

وقد بدات الحملة الدولية لتنفيذ مشروع صيانة آثار قرطاجة وعمل الحفائر اللازمة فيها بنداء وجهه السيد رينيه ماهو المدير العام لليونسكو فى شهر يونيو الماضي الى جميع دول العالم .

وتضم بعثة الشباب البلغاري مجموعة من الطلبة المتخصصين فى مجالات علمية مختلفة تشمل : الآثار والتاريخ والاثنولوجيا وعلم الاحياء وفى فروع اخرى كثيرة للمعرفة .

❊ صدرت عن دار الكتب الشرقية في تونس مجموعة قصص للاديبة ناجية ثامر بعنوان « سمر وعبر » وتقع فى 136 صفحة .

❊ السنن الابين فى المحاكمة بين الامامين فى السند المعنعن ، لابن رشيد الفهري . والثلاثة من تحقيق الدكتور محمد الحبيب بلخوجة عميد كلية الشريعة بجامعة الزيتونة .

❊ طبع ضمن المجلد الثامن عشر من مجلة معهد المخطوطات العربية كتاب « نفائس المخطوطات العربية فى تونس » للاديب العراقي هلال ناجي وهو يضم تعريفا بالف مخطوط من زبدة ما فى تونس من مخطوطات .

❊ من الدراسات الجامعية التى صدرت مؤخرا بتونس كتابان (الحياة الادبية فى عصر بني زيري) ، و (قراضة الذهب فى نقد اشعار العرب) وهما من

تاليف وتحقيق الدكتور الشاذلي بو يحي الاستاذ بالجامعة التونسية .

* اصدرت دار المغرب العربي بتونس كتاب (تاريخ قفصة) بقلم نخبة من الاساتذة الجامعيين وهو يشمل المحاضرات التى القيت بالملتقى الاول لابن منظور .

* صدر عن الدار التونسية للنشر كتاب الادب فى العصر الحسيني للدكتور الهادي الغزي ، وطبقات المعتزلة ، تحقيق : فؤاد السيد ، و (محمد لتحرير الانسان) لمحمود شباي .

وعن دار بلخوجة للنشر صدر الديوان الرابع لنور صمادح وعنوانه (ادب وطرب) .

* ستصدر قريبا بتونس مجلة جديدة تتناول تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر وتحمل عنوان (المجلة التاريخية المغربية) .

وسيقوم على تحريرها اساتذة من كلية الآداب والعلوم الانسانية بكل من جامعة تونس والجزائر ، والمغرب ، وهدفها كما جاء فى النشرة التى اصدرتها للاعلام بالمجلة : هو تعزيز البحث العلمي وفتح مجالات جديدة للخلق التاريخي والعمل على كتابة تاريخنا بصورة اكثر وعيا وموضوعية وشمولا . وسيدير المجلة الدكتور عبد الجليل التميمي الاستاذ بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالجامعة التونسية .

كما صدر عن الشركة التونسية للتوزيع كتاب (الجديد فى ادب الجريد) لاحمد البختري ..

وعن دار المغرب العربي صدر كتاب (رواد الاصلاح) لرشيد النوادي ، والرواد الذين تحدث عنهم هم :

خير الدين التونسي ، ومحمد بيرم الخامس ، وجمال الدين الافغاني ومحمد عبده ، وعبد الحميد بن باديس .

موريطانيا :

ادلى السيد حمدي ولد مكناس ، وزير خارجية موريتانيا الاسلامية ، بتصريح لوكالة الانباء السعودية قال فيه :

فى الوقت الذى استعد فيه انا والوفد المرافق لي لمغادرة المملكة العربية السعودية اريد ان اعبر عن مشاعر التقدير والاعجاب للشعب السعودي الشقيق وعلى رأسه صاحب الجلالة الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز وحكومته الرشيدة وزميلي معالي الاخ عمر السقاف وزير الدولة للشؤون الخارجية واننا لنحمل معنا اجمل الانطباعات عن كل ما شهدناه من انجازات هامة اقتصادية واجتماعية بالاضافة الى العناية الخاصة التى احيطت بها مكة المكرمة والمدينة المنورة والحرمين الشريفين . ولقد تمكنا خلال اقامتنا من اجراء محادثات ودية عبرت عن روح التفاهم العميق التى تجمع بين الشعبين الشقيقين وعملنا على تدعيم وتمتين التعاون فى كل المجالات .

كما اود ان اوضح موافقة بلادي وتأييدها المطلق لدعوة جلالة الملك المعظم بخصوص جمع شمل المسلمين وتوحيد صفوفهم فى مسيرة التضامن الاسلامي «ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم»

هذا وكان السيد عمر السقاف وزير الدولة للشؤون الخارجية قد علق على نتائج مباحثاته مع وزير الخارجية الموريطانية فاشار الى ان الدوافع الاساسية لان تكون المباحثات ناجحة ومشجعة وبناءة .. هي الاسس التى وضعها لنا الزعيمان الفيصل وولد دادة .

افريقيا

كينيا :

* اجتمعت لجنة التنسيق الخاصة بالطريق البري عبر افريقيا فى ممباسا بكينيا لدراسة تقرير عن سير الاعمال فى مشروع الطريق الذى سيربط بين لاجوس (فى نيجيريا على الساحل الغربي لافريقيا) وممباسا (فى كينيا على الساحل الشرقي لافريقيا) مارا بكل من أوغندا وزائير وجمهورية افريقيا الوسطى والكاميرون وسوف تتصل به طرق فرعية تربط كلا من الصومال واثيوبيا وتانزانيا وزامبيا ورواندا ديوروندي وتشاد والكنجو والجابون والنيجر وسوف يستغرق العمل فى شق هذا الطريق الحيوي خمسة اعوام .

غانا :

* اندمجت جميع المنظمات الاسلامية فى غانا فى منظمة واحدة تعرف باسم « المجلس التمثيلي لمسلمي

غانا » وسوف تكون الهيئة الوحيدة المعترف بها المختصة بشؤون المسلمين في غانا .

أوغنـــــدا :

❊ اعلن في اوغندا ان حوالي 4.000 مواطن اوغندي قد اعلنوا اعتناقهم الدين الاسلامي ، ومما هو جدير بالذكر فان هؤلاء المواطنين هم السكان المقيمون في جنوب اوغندا .

مـصــــر :

❊ بدا مجمع البحوث الاسلامية في القاهرة بتنفيذ اكبر مشروع لاحياء التراث الاسلامي وذلك بالاعداد على مدى السنوات الثلاث القادمة لنشر نحو الف كتاب اسلامي من امهات كتب الحديث والسيرة والتفسير والفقة واللغة العربية والتصوف الاسلامي .

❊ اتم الاستاذ محمد علي سلطاني طبع كتاب نصرة الثائر للصفدي وسيظهر ضمن مطبوعات المجمع العلمي العربي ، وكان الكتاب موضوع رسالة الماجستير من جامعة عين شمس بالقاهرة ويقوم بتحقيق شرح ابيات كتاب سيبويه لابن السيرافي وتقديم دراسة حول شواهد الكتاب وشروحها. وذلك لنيل درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة عين شمس باشراف الدكتور رمضان عبد التواب .

❊ انتهى الدكتور احمد دراج الاستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة من تحقيق كتاب « عقد الجمان في اخبار الزمان » لبدر الدين العيني المتوفي سنة 855 هـ وقد بدا تحقيق الكتاب ابتداء من حوادث الدولة الايوبية وسيصدر عن مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .

❊ الاستاذ الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة الاستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر يعد الآن كتاب ذيل خزانة البغدادي للتحقيق والطبع .

❊ انشئت في القاهرة جمعية ترعى الدراسات اللغوية وتنمي الوعي اللغوي بين الدارسين كما تعمل على تفاعل المدارس اللغوية المختلفة . وقد سميت باسم « الجمعية اللغوية المصرية » .. هذا وقد اجتمعت الجمعية العمومية لاختيار مجلس للادارة وانتخبت الدكتور تمام حسان رئيسا ، والدكتور حسين نصار وكيلا .

❊ نوقشت في الفترة الاخيرة الرسالة المقدمة من الاستاذ محمد مقبول حسين من باكستان لنيل درجة الدكتوراه من كلية الشريعة والقانون بالازهر، وكان موضوعها : الامام محمد ابن الحسن الشيباني وجهوده في خدمة الفقه الاسلامي ، وكانت لجنة المناقشة مكونة من الاساتذة الشيخ محمد علي السايس رئيسا والدكتورين عبد الغني عبد الخالق والسيد الجراحي عضوين ، وبعد المناقشة منحته اللجنة درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى .

❊ مغني ذوي الافهام عن الكتب الكثيرة في الاحكام على مذهب الامام المبجل احمد بن محمد بن حنبل ، تاليف جمال الدين يوسف بن عبد الهادي الحنبلي ، تحقيق عبد العزيز ابن محمد آل الشيخ طبع في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

❊ نصان جديدان من وثيقة الامير صرغمتش ، تحقيق الدكتور عبد اللطيف ابراهيم مستخرج من حوليات كلية الآداب بجامعة القاهرة المجلد 28 لسنة 1966 ، في 106 صفحة .

❊ تنبيه المغترين اواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر ، لابي المواهب عبد الوهاب احمد بن علي الانصاري المعروف بالشعراني ، ويليه كتاب الكشف والتبيين في غرور الخلق اجمعين للامام الغزالي .

❊ احيت محافظة اسوان على مدى اسبوع الذكرى التاسعة لوفاة الاديب الكبير عباس محمود العقاد وتضمن الاسبوع معرضا (لكتاب العقاد) ضم مؤلفاته الادبية وجزءا كبيرا من مكتبته . كما عقدت ندوات ومؤتمرات لدراسة ادب العقاد واثره على الفكر العربي المعاصر ، والجوانب الشخصية التي تحدث عنها ابن اخ الاديب الراحل عامر العقاد . وقد شمل اسبوع العقاد متحفا ضم بعض اشيائه الخاصة كما ضم الرسائل الخاصة بالاديب الراحل وخاصة رسائل الاديبة الراحلة مي زيادة .

* عمدة اهل التوفيق والتسديد شرح عقيدة اهل التوحيد الكبرى ، تاليف محمد ابن يوسف السنوسي المشهور بالسنوسي ، اعداد ومراجعة بركات عبد الفتاح دويدار وعبد الفتاح عبد الله بركة ، مطبعة قاصد خير بالقاهرة القسم الاول في 179 صفحة .

* الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، لابي القاسم السهيلي ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، ومعه السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام المعافري ، مكتبة الكليات الازهرية ، الجزء الاول في 310 ص .

* عين الرئيس انور السادات فكري اباظة رئيسا لمجلس ادارة دار الهلال . كما عين صالح جودت نائبا لرئيس مجلس ادارة الهلال .

* صدر بالقاهرة اخيرا الجزء العشرون من كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني بتحقيق الاستاذ علي النجدي ناصف ، وهو يصدر لاول مرة مستكملا طبعة دار الكتب ومحققا على المخطوطات الاصلية مع اضافات من التراجم لم يسبق نشرها ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .

* سيجتمع في القاهرة من 11 الى 16 يونيو القادم عدد من رجال الصحافة والراديو والتلفزيون في البلاد العربية لمناقشة استخدام وسائل الاعلام لتقديم العلم ونشره بين الجماهير .

وسوف تدرس ندوة اليونسكو الدولية نتائج البرنامج المصري الذى ساهمت المنظمة في تنفيذه خلال العام الماضي. وكان الهدف من البرنامج هو التوحيد بين مجهودات الصحافة والاذاعة والتلفزيون في نشر الحقائق العلمية والمعلومات التكنولوجية . كما سيبحث اجتماع القاهرة امكانية تطبيق هذا البرنامج في البلاد العربية الاخرى .

* صرح فضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الازهر ، بانه سوف ينتهي من اعداد دراسة عن دور الازهر قبل نهاية الشهر الحالي . وتشمل الدراسة خطين رئيسيين احدهما داخلي والآخر خارجي ، ويقضي العمل في الخط الداخلي باستعادة المجتمع الى حظيرة الدين وتجميعه في وحدة شاملة وارساء قواعد الخلق والعلم وتوسيع دائرة التعليم للمرأة المسلمة ، والاهتمام بتخريج العالم الازهري . ويقضي الخط الخارجي بانفتاح الازهر في المرحلة المقبلة على العالم الاسلامي والعربي ، والتوسع في استيعاب ابناء المسلمين للدراسة بالمعاهد والجامعة الازهرية ، والتخطيط لانشاء معاهد وجامعات ازهرية في الدول الاسلامية وفي مقدمتها جامعة فلسطين الازهرية .

* التقى الدكتور عبد الحليم محمود وزير الاوقاف وشؤون الازهر في مصر محاضرة ضمن محاضرات التوعية الاسلامية التي نظمتها وزارة الحج والاوقاف السعودية في موسم الحج في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة ، وكانت المحاضرة بعنوان « كيف يعيد المسلمون مجدهم » كما التقى نخبة من مفكري العالم الاسلامي محاضرات في موسم التوعية منهم الدكتور عبد العزيز كامل مدير جامعة الكويت والدكتور مصطفى عبد الوهاب والدكتور عبد الوهاب ابو سليمان واحمد محمد جمال ومحمد مبارك ومحمد قطب .

* « فلاسفة الحكم في العصر الحديث » تاليف عباس محمود العقاد صدر في منشورات المكتبة العصرية ببيروت وصيدا في 156 صفحة.

* صدر في كتاب الهلال بالقاهرة « شعراء المجون » تاليف صالح جودت ويضم قصة عشرين شاعرا ضاحكا من الجاهلية الى اليوم .

* يعتبر التعريف بالمدن الكبرى ، بما فيها من شواهد التاريخ ومعالم الحضارة القديمة والحديثة من الفنون الطريفة في التاليف وكتاب (موسوعة مدينة القاهرة في الف عام) تاليف الدكتور عبد الرحمن زكي من الكتب التي لا غنى عنها لكل من يتطلع الى التعرف على تاريخ وحياة معالم المدن العربية الكبرى .

* رسالة ابن المنجم في الموسيقى وفك رموز كتاب الاغاني : كتاب جديد من تاليف الدكتور يوسف شوقي خبير الموسيقى بوزارة الثقافة والاعلام المصرية تناول فيه رسالة ابن المنجم — وهي اقدم رسالة

علمية فى الموسيقى العربية ـ بالتحقيق والشرح ، وانتهى الى ان هذه الرسالة تحتوي ضمن ما تحتوي على مفتاح رموز كتاب الاغاني للاصفاني على مذهب اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، والكتاب باللغتين العربية والانجليزية . كذلك يهتم الدكتور يوسف شوقي بكتاب « شرح الفارابي » وهو فى عدة اجزاء يتناول كل منها واحدا من الموضوعات التى تناولها الفارابي بالعرض فى كتابه الموسيقي الكبير .

* رسالة فى فضل انشاء المساجد وعمارتها ، لنور الدين ابي الارشاد علي بن زين العابدين الاجهوري ، ومن تعليق حسنين محمد مخلوف .

* المجمع اللغوي بالقاهرة اصدر مجلته رقم 29 التى تضم الالفاظ والمصطلحات التى عربها المجمع خلال دورته الاخيرة .

* تاسست بالقاهرة هيئة القدس العلمية، وهي منظمة علمية ذات شخصية اعتبارية مستقلة .

ويتضمن النظام الاساسي للهيئة اغراضها الاساسية وهي دراسة تاريخ مدينة القدس وآثارها دراسة علمية ، والعمل على المحافظة على الشخصية العربية للمدينة وآثارها الحضارية والدينية والعلمية التي هي جزء لا يتجزا من تراث الاسلام ، وتتبع ما يكتب عن المدينة وجمعه وبحثه وتفنيد ما يخالف الحق والواقع منه .

وتخول العضوية فى الهيئة للعلماء والمتخصصين المعنيين بالآثار والتاريخ فى مختلف الدول العربية والاجنبية ، ويراس الهيئة الدكتور اسحق موسى الحسيني .

هذا ونشير الى ان هيئة القدس العلمية انتخبت الاستاذ عبد الله كنون الامين العام لرابطة علماء المغرب ومدير جريدة الميثاق عضوا عاملا فيها.

* ماذا بعد احراق المسجد الاقصى) للاستاذ عبد الحميد السائح ، مطبعة الشعب فى القاهرة ، ويقع فى (280) صفحة متوسطة .

* (مع الرسول فى المدينة المنورة) من تاليف الدكتور عبد العزيز غنيم ومراجعة محمد احمد عاشور .

والكتاب يجمع :

ـ معلومات جديدة عن البلد الوادع الامين .

ـ المدينة المنورة قبل الطوفان .

ـ مكائد اليهود ومؤامراتهم فى الماضي السحيق.

ـ الاسباب التى من اجلها آثر الرسول المدينة على غيرها .

ـ مظاهر احتفاء الانصار بالرسول وترحيبهم به .

ـ الاحداث والغزوات التى دكت قلاع الشرك فى مكة .

ـ بناء المسجد النبوي الشريف والمؤاخات بين المهاجرين والانصار .

ـ اول مهاجر واول انصاري دفن فى البقيع.

ـ وفاة الرسول كيف ودعه اصحابه بالحزن البالغ والاسى العميق .

* صرح فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى الوزير الجديد لشؤون الازهر بان اول مشروع ينفذه سيكون حفظ القرآن الكريم كله ونشره بين الجماهير ، وجعله شرطا للترقية الى وظائف عمداء المعاهد والمفتشين فى الازهر والاوقاف وماذوني الشرع واعتبار مكاتب تحفيظ القرآن الكريم فى المدن والقرى من حكم المدارس الابتدائية لا يخضع تلاميذها لقانون الالزام ، وتخفيف الازدواج فى مناهج التعليم الابتدائي الازهري لافساح المجال لحفظ القرآن ، وقال الوزير : ان مشروعه سينفذ على اساس :

ـ تقسيم حفظ القرآن الكريم على سنوات الدراسة للطلاب الحاليين فى المعاهد الازهرية ، بحيث لا يحصل الطالب على الشهادة الاعدادية او الثانوية الا بعد نجاحه فى حفظ القرآن كاملا ، وذلك لوقف خريجين لا يحفظونه مما ترتب عليه ضعف مستواهم العلمي والثقافي واللغوي بالمساجد والتدريس .

– ابتداء من العام الدراسي 75 – 1976 لن تعتمد نتائج امتحانات كليات الشريعة والقانون واللغة العربية واصول الدين والمعهد العالي للدراسات العربية والاسلامية، الا بعد نجاح الطالب فى حفظ القرآن كله .

– يشترط لتعيين مدرسي العلوم الدينية والعربية فى الازهر دخول مسابقة عامة فى حفظ القرآن الكريم ، واجراء اختبار فيه للمفتشين الحاليين فى التعليم الابتدائي بعد 6 شهور لابقاء من يحفظونه منهم فى وظائفهم ، ونقل غير الحافظين الى التدريس مع منحهم فرصة مدتها 6 اشهر اخرى .

– اعتبار حفظ القرآن كله مادة اساسية لجميع اعضاء البعثات المتعاقدين والمعارين الذين يوفدون الى الخارج ، وتخصيص مكافآت تشجيعية لمن يحفظه لمن يتراوح عمره بين 10 و 17 سنة ومنح جوائز للمدرسين .

لبنـــــــان :

* افتتح فى اول يناير عام 1973 ببيروت ، وفقا للاتفاقية التى تمت بين اليونسكو ولبنان ، مكتب جديد لمساعدة الدول العربية فى نشر التعليم وتطوير نظمه .

ومكتب بيروت الجديد هو رابع مركز اقليمي للتربية والتعليم تنشئه اليونسكو . اما الثلاثة مكاتب الاخرى فيوجد واحد منها فى داكار لتغطية حاجات افريقيا والثاني فى بانكوك لمنطقة آسيا والثالث فى سانتياجو دي شيلي لخدمة منطقة امريكا اللاتينية .

ولقد حل المركز الجديد ، الذى انشيء فى بيروت ، محل مركز الدول العربية للتخطيط وادارة التعليم . ويقوم المكتب الجديد باعمال المركز القديم بالاضافة الى عمله الجديد .

وكذلك ناقش السيد ماهو ، اثناء وجوده فى بيروت ، مع بعض المسؤولين اللبنانيين خطة اخرى لانشاء مركز دولي للتنمية والعلوم الانسانية فى مدينة بيبلوس القديمة التى تقع على ساحل لبنان .

ولقد صرح بعض الرسميين من اليونسكو انه من المزمع عقد ندوة دولية فى بيروت لمناقشة موضوع التسامح وذلك بمناسبة التفكير فى انشاء مركز بيبلوس ، ومن المنتظر ان يتم عقد هذه الندوة فى اواخر هذا العام او فى اوائل العام القادم .

وسيتم تكوين لجنة تأسيسية لتنفيذ مشروع بيبلوس تضم شخصيات دولية واخرى لبنانية . وستقوم باعمال المركز سكرتارية تتكون من موظفين لبنانيين بالاشتراك مع بعض الموظفين من اليونسكو.

* صدر عن دار الكتاب الجديد فى بيروت « كتاب ادب الغرباء لابي الفرج الاصبهاني » نشره عن مخطوطة فريدة فى العالم الدكتور صلاح الدين المنجد فى 122 صفحة حجم كبير .

* يعد ابراهيم هاشم فى معهد الآداب الشرقية ببيروت رسالة الماجستير فى اللغة العربية باشراف الاب بولس نويا اليسوعي وموضوع رسالته « شعر الزهد فى الادب العباسي » .

* عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية ، من تاليف ابي العباس احمد بن احمد بن عبد الله الغبريني (644 – 714 هـ) ومن تحقيق الاستاذ عادل نويهض ، ومن توزيع دار الآفاق الجديدة فى بيروت .

* صدر الجزء الرابع من كتاب التكملة لوفيات النقلة للمنذري ، زكي عبد العظيم بن عبد القوي 581 – 556 هـ . وقد حققه وعلق عليه الاستاذ بشار عواد معروف .

احتوى هذا الجزء على 498 ترجمة لمن توفى بين سنة 609 هـ . الى سنة 616 هـ . وفؤاد شعباني .

* من حلب ، يعكف محمد علاء الدين صباغ على انجاز دراسة عن « ادب الفداء فى شعر الخوارج » بغية نيل دبلوم دراسات عليا من الجامعة اليسوعية فى بيروت .

* الشاعرة سلافة العامري صدرت لها اول مجموعة شعرية بعنوان « شراع بلا مرسى » فى 116

صفحة . سلافة العامري هو الاسم الادبي المستعار للآنسة مؤمنة العوف كريمة .

* اعلنت جمعية اصدقاء الكتاب فى لبنان عن جوائزها لعام 1972 كما يلي : جائزة رئيس الجمهورية وهي جائزة تقديرية قيمتها ثلاثة آلاف ليرة لبنانية منحتها الجمعية للشاعر رشيد سليم الخوري المعروف بالشاعر القروي ، جائزة لبنان فى العالم وهي ايضا جائزة تقديرية قيمتها ثلاثة آلاف ليرة لبنانية منحتها الجمعية لفؤاد صروف جوائز جمعية اصدقاء الكتاب وقيمتها ثلاثة آلاف ليرة لبنانية تمنح بالتساوي لثلاثة آثار تختارها الجمعية صدرت باللغة العربية عامي 1971 و 1972 والفها مؤلفون لبنانيون او من البلاد العربية ونشرت فى لبنان منحت للمؤلفات التالية : « ديوان الدوبيت فى الشعر العربي » للدكتور كامل مصطفى الشيبي و « حوار عبر الابعاد الثلاثة للشاعر بلند الحيدري و « الاعمال الكاملة للامام محمد عبده » تحقيق وتقديم محمد عمارة .

* صدر فى منشورات عويدات ببيروت الكتب التالية « قانون الفضاء » تاليف شارل شومون ترجمة الدكتور سميح فوق العادة فى 160 صفحة «الطفولة الجانحة» تاليف جان شازال ترجمة انطوان عبده فى 160 صفحة « النقد الادبي » تاليف كارلوني ترجمة كيتي سالم ومراجعة جورج سالم فى 160 صفحة « قصائد من عيون امراة » شعر للشاعر علي فوده فى 120 صفحة «تقاسيم على الجراح» شعر لابراهيم العجلوني فى 120 صفحة « الانسان والحق والحرية » للرئيس يوسف جبران فى 300 صفحة « القانون الدولي » تاليف رينه دو بوي ترجمة الدكتور سميح فوق العادة فى 160 صفحة « الجديد فى العسكرية الاسرائيلية » تاليف معين احمد محمود فى 250 صفحة حجم كبير .

* « المقامات الاصوانية » لعباس الاصواني صدرت عن دار المكتبة العصرية فى بيروت ، وهي معالجة المشاكل المعاصرة فى المجتمع المصري باسلوب المقامات الفكاهية ، ويعتبر هذا الكتاب فى راي النقاد اضافة جديدة الى التراث الفكاهي العربي فى 250 صفحة حجم كبير .

* « مناقشة آراء العلماء والقادة السوفيات فى الامة والطبقة والوحدة والمقاومة وقضية فلسطين » تاليف قدري قلعجي صدر عن دار الكاتب العربي ببيروت ويقع فى 288 صفحة حجم كبير .

سوريـــا :

* صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الاول من ديوان ذي الرمة شرح الامام ابي نصر الباهلي صاحب الاصمعي ورواية الامام ثعلب وذلك بتحقيق الدكتور عبدو القدوس ابو صالح المدرس بكلية اللغة العربية بالرياض وقد بذل فيه جهدا مشكورا وسيظهر الجزء الثاني قريبا .

* الشاعر السوري عدنان مردم بك صدرت له مسرحية شعرية جديدة من اربعة فصول فى منشورات عويدات ببيروت عنوانها « مصرع غرناطة » فى 128 صفحة .

* الحياة العلمية فى الشام فى القرنين الاول والثاني للهجرة وهي رسالة الماجستير الخاصة بالاستاذ خليل داود الزرو من الجامعة اليسوعية ببيروت . ومن نشر دار الآفاق الجديدة ببيروت .

* يعد الاستاذ محمد خير الحلواني ، من حلب بسوريا ، رسالة دكتوراه فى النحو موضوعها : « الاحتجاج فى اللغة » وذلك فى كلية الآداب بجامعة عين شمس باشراف الدكتور رمضان عبد التواب.

الاردن :

* السفير الاردني ابراهيم القطان اصدرت له دار القرآن الكريم فى الكويت « عثرات المنجد فى الادب والعلوم والاعلام » وهو نقد لالفين واربعمائة واربع وثلاثين مادة فى طبعات المنجد الثلاث . ويقع الكتاب فى 664 صفحة حجم موسوعي مجلد . وسيتحدث عنه الدكتور عبد الهادي التازي فى العدد القادم .

الكويت :

* انعقد بالكويت معرض الكويت الثالث للفنانين التشكيليين العرب لسنة 1973، الذى

نظمته الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية وذلك ابتداء من 25 مارس 1973 الى 15 ابريل 1973 وقد شاركت فيه 17 دولة عربية من بينها المغرب الذي مثله الاستاذ محمد السرغيني مدير مدرسة الفنون الجميلة بتطوان .

اليمـــــن :

* فخامة القاضي عبد الرحمن الارياني رئيس الجمهورية العربية اليمنية ، ردا على سؤال حول الدستور الدائم لليمن ، والتأكيد على الدين الاسلامي وعلى كون الشريعة الاسلامية مصدر القوانين جميعا ، قال فخامته تعليقا على ذلك :

ان الشعب اليمني بشطريه – كما تعرفون – شعب عربي مسلم مائة فى المائة لا توجد فيه اقلية طائفية ولا عنصرية ، وهو مع ذلك من الشعوب المتمسكة بحزم بعقائدها الدينية .. ومن هنا كان من الطبيعي ان ينص دستوره على ان الدين الاسلامي هو دين الدولة ، وان الشريعة الاسلامية هي مصدر القوانين ..

واضاف فخامته قائلا : ان ما يقوله البعض عن فصل الدين عن الدولة فانما هذا الرأي نتيجة لجهل هذا البعض لجوهر الدين الاسلامي ، وتقليده لمتحرري أوروبا .. واذا كانت المسيحية تقتصر اهتماماتها على الروحانيات ، فان الاسلام هو دين ودولة له قيمته الحياتية ، وهو يعنى بالروح كما يعنى بالمادة ، يحث على العمل من اجل الحياة وتقدمها .. ويقول : اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا .. وهو يحث المسلمين على مجاراة التطور والتقدم والسير مع الزمن ، واحكام الشريعة الاسلامية ترتكز على اصلين هامين هما جلب المصالح ودرء المفاسد .. فحيث تجد المصلحة فهناك تجد الحكم الذى تقتضيه ، وباب الاجتهاد فى الاسلام واسع ومفتوح لعلماء الشريعة الاسلامية متسعا لاستنباط الحكم لكل ما هو نافع ومفيد مما يظن قصيروا النظر انه يتنافى مع الاسلام ..

تركيـــــا :

* ذكرت وكالة الانباء السعودية ان رئاسة الشؤون الدينية التركية قد عممت على جميع المساجد التركية والعلماء وخطباء المساجد ووعاظها تعليمات تقضي بضرورة تنظيم حملة واسعة النطاق للتوعية الاسلامية ..

وقالت الوكالة ان الغرض من هذه الحملة هو ارشاد الناشئة فى تركيا من طلاب وطالبات الى الطريق الاخلاقي السوي ومساعدتهم على اتقاء مزالق الضلال ، والبعد عن الالحاد الذى انتشر بشكل واسع نتيجة البعد عن الدين ، ونتيجة النشاط الماركسي المركز على الشباب ..

طهـــــران :

* وصل الشيخ احمد كفتارو مفتي سوريا الى طهران فى زيارة رسمية لايران .. وقد ذكر راديو الاهواز ان الضيف قد وضع اكليلا من الزهور على ضريح رضا الشاه الكبير باني ايران الحديثة . وقد صرح الشيخ احمد كفتارو بأن شاهنشاه ايران هو من الزعماء والمفكرين البارزين فى دنيا الاسلام .

السعوديـــة :

* وافق صاحب السمو الملكي الامير عبد المحسن بن عبد العزيز امير منطقة المدينة المنورة على الطلب الذى قدم لسموه لانشاء مسجد لمجمع الدوائر الحكومية لاداء فرائض الصلاة التى تقام اثناء دوام الدوائر الحكومية .

كما طلب سموه ان تقام بالمسجد المذكور صلاة الجمعة .

* على الرغم من حداثة نشوء الصحافة فى الجزيرة العربية ، فقد شرع بعض الباحثين بالتاريخ لها والتعريف بها ، وعرض نصوص ونماذج لها ، وكان من بين الدراسات الصادرة فى هذا الموضوع دراسة بعنوان (الصحافة فى الحجاز بين عامي 1908 – 1941) للدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ المدرس فى كلية الآداب بجامعة الرياض وقد تضمنت الدراسة العديد من النماذج والصور التى تعكس تاريخ الصحافة فى القطر الشقيق .

* صدر الامر السامي لمعالي وزير الحج والاوقاف السيد حسن كتبي بتزويد الهيئات والمعاهد والمنظمات

فى آسيا وافريقيا بكتب التوعية الاسلامية والمصاحف الشريفة وذلك كمساهمة من المملكة فى مجال التوعية الاسلامية بين المسلمين هناك .

* صدر للاديب السعودي عبد الله بن سعد الرويشد عن دار احياء الكتب العربية بالقاهرة « الامام محمد بن عبد الوهاب فى التاريخ » فى جزاين كما صدر له عن دار الطباعة المحمدية كتاب « ايام فى تونس » فى 320 صفحة .

* تقوم وزارة المعارف السعودية بمسح شامل للمناطق التى تحتاج الى فتح مراكز لمحو الامية خلال عطلة الصيف المقبل وكذلك الزام الشركات والمؤسسات بالقضاء على الامية بين العاملين فيها خلال ست سنوات .

* اول ديوان شعر للشاعرة السعودية سميرة لاري اسمه « الظباء تحلم » كتب له المقدمة الشاعر المصري عبد الرحمان صدقي . سميرة هي اول سعودية تلتحق بجامعة السوربون ، وهي خريجة قسم الصحافة بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

* صرح سعادة الدكتور عبد العزيز عبد الله الفدا وكيل جامعة الرياض بقوله : ان الجامعة قد اعدت هذا العام برنامجا حافلا للنشاط الثقافي ..

فقد نظمت مسابقة ثقافية كبرى بلغ مجموع ما رصد لها من الجوائز واحد وعشرين الف ريال ، كان لموضوع الثقافة الاسلامية الاولوية فى هذه المسابقة وكانت مواضيع الثقافة الاسلامية فى هذه المسابقة هي كما يلي :

1 ـ تخلف المسلمين فى الوقت الحاضر مظاهره وعوامله وافضل الوسائل لعلاجه ..

2 ـ التكوين الخلقي للمسلم كما بينه الكتاب والسنة وضرورته للنهضة الاسلامية المرجوة ..

3 ـ تقليد الحضارة الغربية بدون وعي خطر على شخصية الفرد والامة فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة ..

4 ـ اسهام المسلمين فى تقدم العلوم التجريبية والرياضيات واثر ذلك فى النهضة الادبية الحديثة ..

واضاف الدكتور الفدا قائلا ان المسابقة تضمنت كذلك مسابقة خاصة لتجويد القرآن الكريم ورصدت لها اربع جوائز .. ومسابقة الخط والرسم والمقال الادبي والمقال العلمي .. ومسابقة القصة القصيرة والصورة الادبية ، ومسابقة التمثيلية القصيرة ومسابقة الشعر ..

* علم مندوب اخبار العالم الاسلامي بأن وفد الجمعية الاسلامية فى اسبانيا والذى اجتمع مؤخرا مع الامين العام للرابطة الشيخ محمد صالح القزاز قد تلقى مساعدات ثقافية ضخمة من الرابطة.

كما انه تم خلال الاجتماعات الاتفاق بين رابطة العالم الاسلامي ووفد الجمعية الاسلامية المشرفة على المركز الاسلامي فى غرناطة باسبانيا على نشر كتابي «مباديء الاسلام» للمودودي و «هذا الدين» لسيد قطب حيث كان المركز قد قام بترجمتهما الى اللغة الاسبانية .

وقدمت الرابطة تكاليف طباعة ستة آلاف نسخة من الكتابين لتوزع على المتكلمين بالاسبانية فى امريكا اللاتينية واسبانيا .

كما قدمت الرابطة للجمعية المذكورة كمية كبيرة من المصاحف والكتب الاسلامية والمراجع الدينية .

* قامت ادارة التوعية الاسلامية بوزارة الحج والاوقاف السعودية بتوزيع خمسمائة الف نسخة من كتاب زيارة المسجد النبوي والقبر الشريف فى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة وذلك فى نطاق توزيع كتب التوعية الاسلامية التى توزعها الوزارة بمناسبة موسم الحج .

* الظهران ـ استمع عدد كبير من المواطنين وطلبة كلية البترول مساء يوم الاثنين الماضي ، الى المحاضرة التى القاها الدكتور مجاهد الصواف بعنوان (تجربتي فى الغرب) فى سلسلة نطاق الموسم الثقافي الذى تحييه كلية البترول بالتعاون مع الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي .

وقد بدا المحاضر فى اعطاء صور عن مفهوم الغرب لدى شرقنا العربي وكيف يعامل الغربي

اي طالب مسلم يواصل تحصيله العلمي في معاهد الغرب وجامعاته .

وتطرق المحاضر الى الحديث عن الديمقراطية الغربية وكيف اثبتت نكبة حزيران زيف هذه الديمقراطية كذبها ومدى التضليل الواقع فيه الرأي العام في الغرب نتيجة لسيطرة الصهيونية وعملاءها على اجهزة ووسائل الاعلام والنشر والثقافة .

ودلل على عمق السيطرة اليهودية على اجهزة الغرب بجامعة حديقة هايدبارك الشهيرة والتي قام فيها عدد من الصهاينة بالاعتداء على مجموعة من الطلبة المسلمين كانوا يشرحون حقائق الاسلام ويعطون صورة عن الواقع المؤلم لقضية فلسطين واحتلال اليهود للاراضي العربية .. عندما هاجمهم مجموعة من اليهود.. ولم يستطع البوليس الانجليزي ان يتدخل بل بالعكس تدخل لصالح اليهود وقبض على عدد من المسلمين .. رغم ان الانجليز الحاضرين للحادثة كانوا يتحدثون عن ظلم اليهود وعدوانهم وان الطلبة لم يرتكبوا شيئا مخالفا لنص القانون الانجليزي .

وتطرق الى واقع المراة الغربية ونقمتها على المجتمع الذى تعيش فيه والتى اضحت معذبة فى كل شيء حيث جردت من كل قيمتها وطبيعتها وخصائصها ..

كما ركز المحاضر على الانحلال الفظيع الذى يدعو اليه اليسار والتجربة الشيوعية الفاشلة فى الحياة والتى كانت نقمة على المجتمعات الانسانية ووصمة عار فى جبين الانسان . حيث مسخت كل مميزات الحضارة والدين والانسان وجردت المجتمعات من كل ما تصبو اليه من رفعة وسمو ..

وتحدث عن حضارة القرن العشرين التى حققت احسن آلة .. واتعس انسان .

ثم ذكر البديل لكل هذه المساويء ولكل هذه الفوضى وان السعادة لا تكون الا فى عودة الانسان الى الدين الصحيح الاسلام الذى وازن بين كل رغبات الفرد والمجتمع . والرجل والمراة .. وحدد للناس حقوقا يؤدونها وواجبات مسؤولين عنها ووائم بين حضارة الانسان ومتطلباته النفسية والروحية .

وخاطب الشباب بأنهم مسؤولون عن دينهم ونشره فى العالم بعد تطبيقه كما امر الله سبحانه وكما جاء على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

* بدا الحرس الوطني السعودي فى تنفيذ مشروع ثقافي كبير يتمثل فى افتتاح مكتبات ثقافية في مختلف فرق ووحدات ومدارس الحرس الوطني ونادي الحرس الوطني بالرياض وستبلغ هذه المكتبات عشرين مكتبة فى المرحلة الاولى. هذا وقد تم تامين هذه المكتبات وجرى الانتهاء من طبع سجلاتها وكافة مطبوعاتها وسيتم قريبا توزيع الكتب على هذه المكتبات والجدير بالذكر ان هذا المشروع هو احد المشروعات الثقافية الهامة التى ينفذها الحرس الوطني لرفع مستوى منسوبي قواته معنويا وثقافيا .

* علم بان الشيخ محمد صالح القزاز الامين العام لرابطة العالم الاسلامي قد امر بتقديم مجموعات ضخمة من الكتب الثقافية الاسلامية والمصاحف للشيخ حسين الحباشنة عضو المؤتمر الاسلامي فى عمان لتوزيعها على بعض مدارس الاردن ومخيمات اللاجئين .

وقد ذكر الشيخ رشيد الفارسي محمد صالح القزاز الامين العام لرابطة المدير العام لمكتب الرابطة: بان عدد هذه الكتب التى قدمتها الرابطة يبلغ اربعة آلاف كتاب سيتم توزيعها على المخيمات والمعاهد لنشر الثقافة الاسلامية .

ومن جهة اخرى فقد صرح السيد حسين الحباشنة الداعية الاسلامية بان هيئات الامر بالمعروف فى المنطقة الغربية قدمت كميات كبيرة من الكتب الاسلامية ليجري توزيعها فى مخيمات اللاجئين بالاردن .

ويقوم الشيخ الحباشنة بالاتصالات فى الوقت الحاضر لجمع هذه الكتب تمهيدا لنقلها الى الاردن وتوزيعها هناك . وقد سبق ان قام بنقل كميات كبيرة مماثلة .

* قررت السعودية ارسال مدرسين للغة العربية والتربية الاسلامية الى بعض الاقطار الافريقية مثل نيجيريا وموريطانيا وساحل العاج .

* قررت المملكة العربية السعودية زيادة عدد المنح الدراسية التي تمنح للطلبة الغانيين لتلقي العلم في جامعة المدينة الاسلامية ، ويدرس في الجامعة حاليا 25 طالبا من غانا .

العـــراق :

* اصدرت وزارة الاعلام العراقية 101 كتابا خلال عام 1972 من بينها 15 ديوانا شعريا لشعراء من العراق والاقطار العربية الاخرى .

جاء ذلك في احصائية عن الكتب والدواوين التي اصدرتها الوزارة خلال العام الماضي ، وذكرت الاحصائية انه تم اصدار سبعة كتب في سلسلة القصة والمسرحية و 3 كتب في سلسلة كتب التراث .

وتشمل هذه الاحصائية 16 كتابا وديوانا لمؤلفين وشعراء من مصر وسوريا والاردن ، وفلسطين ولبنـــان .

* « الصنم المحطم وعجوز تتصابى » قصتان تاليف الاديب العراقي الفقيد عبد المسيح وزير نشرتهما ابنته اينس وزير في 96 صفحة وجعلت المقدمة الكلمة التي القاها روفائيل بطي في نادي القلم ببغداد يوم 14 - 1 - 1942 بمناسبة ذكرى الاربعين لوفاة عبد المسيح ، هذا وقد ساعدت وزارة الاعلام العراقية على نشر الكتاب .

* صدر عن مديرية الثقافة العامة بوزارة الاعلام العراقية كتاب « اوراق من ديوان ابي بكر محمد بن داود الاصفهاني المتوفى سنة 297 هـ دراسة وتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي الاستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة بغداد .

* يقوم الطالب العراقي عبد اللطيف اطيمش بكتابة اطروحة لنيل الدكتوراه في الاداب من معهد الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن عن الشاعر كشاجم مع تحقيق جديد لديوانه وتقصي ما اذا كان الديوان لاكثر من شاعر واحد بهذا الاسم ويشرف على الرسالة البروفسور جونستون.

* أتم الدكتور صفاء خلوصي الاستاذ في جامعة بغداد المنتدب الى كلية الدراسات الشرقية الافريقية بجامعة لندن ، تحقيق كتاب « معجز احمد او اللامع العزيز لابي العلاء المعري » ، ومن المنتظر ان ينشر الجزء الاول منه قريبا .

* صدر في بغداد لمحمود الحمادي كتاب « الشبيبي الكبير - الشيخ محمد جواد الشبيبي : حياته وأدبه » وللدكتور يحي الجبوري « الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه » ولخضر جمعه حسن « حصاد المسرح في نينوى 1880 - 1971 » و « القصص والقصص في الادب الاسلامي » للدكتورة وديعة طه النجم و « وضع الاحر الفسر » لعبد الامير الورد و « مروان بن ابي حفصة وشعره » لقحطان رشيد التميمي .

* انتهى الاستاذ محمد جبار المعيبد ، من العراق ، من تحقيق كتاب « حماسة الظرفاء » لابي عبد الله محمد العبد الكاني الزوزني ، ودفع به الى المطبعة .

* انتهى العلامة توفيق وهبي وزير معارف العراق الاسبق الذي يسكن في لندن منذ 15 عاما من اعداد بحث مفصل عن المفردات الدخيلة في لغات الشرق الاوسط وقد سبق له ان نشر عدة بحوث بالعربية والانجليزية عن اصل تسمية بغداد واصل اليزيدية واصول الشعوب واللغات الايرانية وقد وضع بالاشتراك مع المستر ايدموندز معجما انكليزيا كرديا وآخر كرديا انجليزيا وقد احتفل مؤخرا ببلوغه سن الـ 83 والاستاذ العلامة شاعر باللغات الثلاث التركية والفارسية والكردية وله باع طويل في « علم المفردات المقارن » والاشتقاقات كما ان له استدراكات قيمة على مؤلفات المستشرقين اللغوية ولاسيما المستشرق دار مستيتر وبعد في مجال عمله صنوا للعلامة اللغوي العراقي الراحل الدكتور مصطفى جـــواد .

* اصدر الدكتور ضياء الدين ابو الحب كتاب « التربية الموسيقية للمعوقين عقليا » ليكون مقدمة لمنهج الموسيقى للمعوقين عقليا الذي وضعه جماعة من المختصين وهو يعالج اهمية الموسيقى في علاج المتخلفين من الناحية الذهنية ويعتبر موضوعه فريدا في ميدانه .

وقد قام بنشر الكتاب الادارة المحلية بمحافظة بغداد على نفقتها خدمة للرعاية الاجتماعية للمعاهد الخيرية المرتبطة بها .

* تم ترجمة كتاب « الاسلام بمحض ارادتنا » تاليف الباحث العراقي الدكتور صفاء خلوصي من الانجليزية الى الالمانية والصينية واليابانية والكورية والعربية وهو يبحث فى الاسباب التى دعت عددا من الاوربيين والامريكيين الى اعتناق الدين الاسلامي مع ذكر آراء مشاهير شعراء الغرب وكتابه وادبائه فى شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة الدين الاسلامي وقد وزع من الطبعات الانجليزية حتى الآن مائة الف نسخة .

وفى النية ترجمة الكتاب الى اللغات الحية الاخرى كالروسية والفرنسية والايطالية .

* «راس الخيمة وقبيلة القواسم» كتاب جديد يصدر قريبا فى بغداد للعميد المتقاعد محمود بهجت سنان الذي سبق ان اصدر مجموعة كتب عن الخليج العربي كان آخرها « الشخصية العربية للخليج ».

* «الاسلام والحضارة الانسانية ومقالات اخرى» تأليف عباس محمود العقاد تحرير الحساني حسن عبد الله صدر فى منشورات المكتبة العصرية فى بيروت ويقع فى 188 صفحة حجم كبير .

* انعقد ببغداد المؤتمر الاول لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب ابتداء من 20 ابريل 1973 وقدمثل المغرب فى هذا المؤتمر وفد يمثل التشكيليين بالمغرب يتكون من السادة فريد بلكاهية مدير مدرسة الفنون الجميلة بالدار البيضاء كريم بناني رئيس الجمعية المغربية للفنون التشكيلية ، المكي مغارة استاذ بمدرسة الفنون الجميلة بتطوان .

* يعمل الاستاذ محيي هلال السرحان فى تحقيق كتابي فتاوي ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمان الشهرزوري المتوفى سنة 643 هـ و (آداب المفتي والمستفتي) او (شروط المفتي والمستفتي) للمؤلف نفسه .

* تعكف الدكتورة سالحة امين زكي الاستاذة فى كلية الطب ببغداد على تحقيق بحث فى الطب العربي للزهراوي حول العقاقير .

* يقوم الباحث العراقي حمود الحمادي باصدار رسالة ماجستير نالت جيد جدا من جامعة عين شمس باسم « الشبيبي الكبير » وهو الآن يعد رسالة دكتوراه بعنوان « ابو علي الهجري وكتابه التعليقات والنوادر » دراسة وتحقيق باشراف الدكتور رمضان عبد التواب فى جامعة عين شمس.

* تقوم الاديبة العراقية سميرة المانع نزيلة لندن باعداد مجموعة قصصية جديدة بعد نجاح روايتها « السابقون واللاحقون » .

* صدر عن مطابع زيبا بطهران كتاب « الشمعة تحترق » تاليف الدكتور غرة الله همايونفر وقد نقله الى العربية سعيد علي فى 62 صفحة .

* « افكار وسطور» كتاب جديد لعامر رشيد السامرائي الملحق الصحفي فى براج صدر حديثا. يضم الكتاب مجموعة من المقالات فى النقد الادبي تتناول اعمال نزار قباني وشولوخوف وبعض الاعمال الادبية الاخرى لادباء وشعراء عالميين .

* اخبار الدولة العباسية ، اخبار العباس وولده ، كتابان ضمن مجلد واحد لمؤلفين مجهولين من القرن الثالث الهجري ، صدر ببغداد بتحقيق الدكتور بن عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي .

* انتهى الباحث العراقي الدكتور صفاء خلوصي الاستاذ المتفرغ للتتبع والبحث العلمي فى مكتبة المتحف البريطاني بلندن من وضع مسرحية بخمسة فصول بعنوان « آخر ملوك غرناطة » وهي تدور حول سيرة ابي عبد الله الصغير آخر ملوك بني الاحمر من مستهل حياته الى مصرعه فى شمال افريقيا دفاعا عن ملك سواه ، وقد ترددت فى المسرحية اصداء الاوضاع السيئة الحاضرة بوضوح .

* اصدر الدكتور كامل مصطفى الشيبي استاذ الفلسفة فى جامعة بغداد اوسع دراسة عن (الدوبيت

فى الشعر العربي) ضمنه الكثير من النصوص التى لم يسبق نشرها مع الدراسة والتعريف باصحابها، وقد تولت نشر هذا الشعر الضخم جامعة ليبيا الذي انتدب الدكتور كامل الشيبي للتدريس فيها خلال السنوات الاخيرة .

* من تاليف الامام ابي جعفر الطحاوي المتوفي 321 هـ . صدر هذا الكتاب بتحقيق الدكتور محمد صغير حسن المعصومي مدير معهد الابحاث الاسلامية فى باكستان عن المخطوطة الوحيدة فى دار الكتب المصرية وقد صدر الجزء الاول منه وستتلوه الاجزاء الاخرى المتممة .

وهذا الكتاب سجل لاقوال الصحابة والتابعين وكثير من المحدثين والفقهاء من اصحاب المذاهب وقد استدل الامام الطحاوي بالآثار والاحاديث على ما ذهب اليه الاحناف فى المسائل الاجتماعية وفى قضايا الحدود والديات وغيرها .

« حب عمر ابن ابي ربيعة وشعره » تاليف الدكتور جبرائيل جبور استاذ شرف فى الادب العربي بجامعة بيروت الامريكية صدر عن دار العلم للملايين ببيروت ويقع فى 616 صفحة حجم كبير .

* (طه حسين بين انصاره وخصومه) للاستاذ جمال الدين الآلوسي ، ويقع الكتاب فى (368) صفحة كبيرة ، وطبع فى مطبعة الارشاد — بغداد .

وهو دراسة ادبية عن الدكتور طه حسين بدءا من مراحله الاولى وختاما بهذه الايام . كما تتصدره قصيدتان للشاعرين : خالد الشواف ، ومعروف الرصافي ، والكتاب جهد محمول فى استقصاء كل ما يمت بصلة الى ادب الدكتور طه حسين . ومن الجدير بالذكر ، ان طه حسين كان قد راجع اصول هذا الكتاب وابدى بعض الملاحظات فيه ، ويعد الكتاب اول دراسة تصدر لاديب عراقي من عميد الادب العربي تتسم بالشمول والاحاطة .

* انجز ديوان الاوقاف ببغداد المشروع الجليل الذى اضطلع به منذ ما يقارب السنتين والمتمثل فى طبع مائة وعشرين الف نسخة من القرآن الكريم بأربعة احجام وبمواصفات ومميزات متنوعة .

وتمتاز هذه الطبعة بحسن الخط ووضوحه وجمال الوانه وروعة تصاميم النقوش والزخارف فى المصحف الكريم . وقد طبع كل حجم بعدة مواصفات باختلاف فى نوع الغلاف وفى التذهيب ، وقد استغرق الطبع خمسة وعشرين شهرا واستعمل فى التجليد اجود المواد ، وكذلك تم اختيار الورق الملائم للبلدان الشرقية المتميزة بكثرة ضيائها ، وقد صنع من القطن والمواد الزيتية والصمغ المخفف ، ومن مزايا الورق المستعمل فى كافة احجام هذا المصحف الشريف عدم قابليته للتلف لفترة طويلة من الزمن .

* (الوسيلة فى شرح الفضيلة) للشيخ عبد الكريم محمد المدرس ، والفضيلة منظومة فى علم اصول الدين نظمها العلامة السيد عبد الرحيم الكردي الملقب بالمولوية ويقع الكتاب فى (830) صفحة كبيرة وطبع فى مطبعة الارشاد ببغداد .

* (بحوث فى تاريخ السنة المشرفة) للاستاذ اكرم ضياء العمري المدرس فى قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة بغداد — ساعدت هذه الجامعة على نشره ، وطبع فى مطبعة الارشاد الطبعة الثانية . ويقع فى (296) صفحة كبيرة .

* (من الكندي الى ابن رشد) للدكتور موسى الموسوي ، أستاذ الفلسفة الاسلامية فى جامعة بغداد ، ساعدت هذه الجامعة على نشره ويقع فى (238) صفحة .

* (عباد الرحمان فى مدرسة القرآن) للاستاذ شاكر البدري ، وهو من منشورات المعهد الاسلامي فى الآصفية ببغداد ، ويقع في (88) صفحة كبيرة .

* (مصرع غرناطة) مسرحية شعرية للاستاذ الشاعر عدنان مردم ، تقع فى اربعة فصول ، فى مائة وخمس وعشرين صفحة صغيرة . وطبعت فى مطابع مؤسسة خليفة للطباعة — بيروت .

* (مجلة كلية الامام الاعظم) صدر العدد الاول من السنة الاولى ، والمجلة تصدرها عمادة كلية الامام الاعظم، وقد ضمت طائفة من المباحث وبعض النصوص

فى الشريعة والقانون والعقائد والفلسفة شارك فيها اساتذة الكلية ومدرسوها . ويقع هذا العدد فى (416) صفحة متوسطة .

آسيـــــا :

سنغفـــــورة :

✻ تحدث الداعية الاسلامي الكبير فضيلة السيد محمد بن سالم العطاس مؤسس مسجد باعلوى الشهير بسنغافورة ، والذى ادى فريضة الحج لعام 92 هـ ، فقال بأن الدعوة الاسلامية فى سنغافورة تزداد نشاطا واتساعا بفضل اولئك الدعاة المخلصين الذين نذروا انفسهم للدعوة والتبليغ .

واستطرد فضيلته :

وان العالم اليوم لهو احوج ما يكون لهذه الدعوة الاسلامية الربانية لتنقذه مما يعاني من انحلال وقلق وضياع .. ونسأل الله سبحانه ان يديم على امتنا الاسلامية عزتها وسؤددها ..

والجدير بالذكر ان الداعية فضيلة السيد العطاس والذى اسس هذا المسجد الكبير الذى يعتبر مركزا اسلاميا ، بل من اهم المراكز فى ماليزيا .. ما زال يواصل نشاطه ودعوته ، حيث اعتنق الكثير من الوثنيين وبعض المسيحيين الاسلام على يديه ..

وقد اجتمع سماحته بسعادة الامين العام للرابطة والمسؤولين فيها ، وتدارسوا امور المسلمين وامكانيات تدعيم الرابطة للدعوة الاسلامية فى سنغافورة ..

ماليزيـــــا :

✻ كوالا لمبور - اعلن ناطق رسمي فى كوالا لمبور ان ماليزيا قد عرضت ان تستضيف مؤتمرا لوزراء الاقتصاد من الدول الاسلامية للتباحث حول انشاء بنك اسلامي للتنمية وبعض المواضيع الاخرى ذات العلاقة ..

وقال الناطق ان حكومة ماليزيا قد اتصلت بالامانة العامة الاسلامية بجدة وابدت لها استعدادها لاستضافة هذا المؤتمر .. واقترحت ماليزيا فى حالة موافقة الدول الاعضاء فى الامانة الاسلامية عقد هذا المؤتمر فى يوليو القادم ..

والهدف من الاقتراح هو ان يبحث المؤتمر الوسائل الكفيلة بتوثيق التعاون بين الدول الاسلامية فى المجال الاقتصادي .

وقال السيد حسين محمد زين المساعد الخاص للامين العام للمؤتمر الاسلامي ان انشاء هذا البنك من شأنه الاسهام فى تطوير الدول الاسلامية الفقيرة ..

✻ اقترح تنكو عبد الرحمن تكوين كتلة من دول العلم الثالث الاسلامية للتعاون الاقتصادي والسياسي. وقال فى مقابلة اذيعت له من اذاعة ماليزيا انه لا مكان للدول الاسلامية فى التكتلات الدولية القائمة وقد آن الاوان لتكون كتلتها الخاصة بها .

الفلبيـــــن :

✻ قامت السلطات العسكرية الفلبينية فى الفترة الاخيرة بالاقدام على ارتكاب جريمة اخرى فى سلسلة جرائمها الكثيرة لابادة المسلمين ومحو الشخصية الاسلامية فى البلاد ، فاحرقت مبنى الجامعة الاسلامية الفلبينية الاهلية ، وقد اتت النيران على اقسام الجامعة وفصولها كما قضت على المكتبة الكبرى للجامعة ، التى كانت تحتوي على مجموعة كبيرة من كتب التراث الاسلامي والمراجع والمؤلفات الاسلامية ، وقد جاء الحريق قبل العرفية فى البلاد مما اكد موقف المسلمين من ان احد عشر يوما من اعلان الرئيس ماركوس للاحكام العرفية فى البلاد مما اكد موقف المسلمين من ان الحريق جاء بتدبير من قبل السلطات العسكرية الحاكمة ... وان الاحكام العرفية جاءت لتحول دون قيام المسلمين بعمل انتقامي مضاد لحادث احراق الجامعة وما سبقته من حوادث . هذا وقد كانت الجامعة قد تاسست فى سنة 1952 وتضم اربعة آلاف وخمسمائة طالب مسلم ، ورئيس الجامعة هو الزعيم المسلم الفلبيني ديموكا والنتو عضو مجلس الشيوخ .

كوريـــــــا :

* اهدت الحكومة الكورية قطعـــة من الارض للجمعية الاسلامية بكوريا وذلك لاقامة مسجد ومركز اسلامي فى قلب « سيـول » العاصمة .

اندونيسيـــــــا :

* قالت مصادر دبلوماسية مطلعة انه يتوقع ان تعقد اندونيسيا وماليزيا والفلبين مؤتمر قمة هنـا فى الايام القادمة . وسيبحث المؤتمـر فى الشؤون المشتركة فى المنطقة مثل الانتفاضة الحالية للمسلمين فى الفلبين وموضوع الصين والوضع المتدهـور فى الهند الصينية .

الهـنـــــد :

* لاهور ــ اطلق سراح الداعية الاسلامي الكبير طفيل محمد امير الجماعة الاسلامية فى باكستان ، والذى سبق ان اعتقلته السـلطات الباكستانية وذلك بعد ان برات المحكمة العليا ساحته من التهمة الملفقة التى نسبت اليه ... وهو الآن يواصل جهاده فى الدعوة الى الاسلام ، وسيبدا جولة للعمل الاسلامي فى البنجاب .

* تلقينا من المعهد الهندي للدراسة المتقدمـة بالهند « كتاب اختلاف اصول المذاهب » للقاضـي النعمان بن محمد المتوفي سنة 363 هـ . تحقيـق ش ــ طيب علي لوكهندوالا ويضم 262 صفحة باللغة العربية و 140 صفة باللغة الانجليزية وقد طبع فى المطبعة القيمة بهيوندي ــ بومباي الهند .

* حثت جريدة راديانس الاسلامية التى تصدر فى الهند العقيد القذافي ان يحيي النظام الاسلامي الذى طبقه الخلفاء الراشدون الا وهو نظام الشورى وطلبت منه بدلا من ثورته الثقافية ان يراس مجلسا للشورى فى ليبيا يناط به تنفيذ البرنامج الذى تضعه الجماعة التى تمثل مختلف هيئات الامة واردفت الجريدة تقول : « ان الامة التى تعيش بلا شورى انما تعيش فى عالم ميت فعلا ، وان الانصراف الى تربيـة الشباب والبدء من القاعدة هو السبيـل الافضـل للعمل الصحيح .

* اجل المؤتمر السنوي للمنظمة الاسلاميـة للطلبة بجامعة عليكره الذى كان مزمعا عقده فى 15 و 16 ابريل 1973 وذلك نظرا لاغلاق جامعة عليـكرة المفاجيء . وقد اقترح بعض الاخوة من طلبة جامعة عليكره عقد المؤتمر فى الاسبوع الثانـي من غشـت او الاسبوع الاول من نوفمبر 1973 .

* صرح وزير داخلية الهند بان من سياسـة حكومته عدم تشجيع البعثات التبشيرية الاجنبية لدخول الهند . وقد انخفض عددهم من 4000 الى 3000 .

البـاكســـتـــان :

* اقامت جمعية الفكر الاسلامي مخيما ناجحا اشترك فيه اعضاء الجماعة وقد كان مناسبة تربوية ناجحة وكذلك احتفلت الجماعـة ــ فرع لاهور ــ بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف فاقامت حفـلا عاما تكلم فيه عدد من مسئولي جماعة الفكر .

* افرج عن كل من محمد صلاح الدين وذاكـر حسين وقاسم نوراني مسئـول جريـدة جسارت اليومية و (الجريدة اليومية هي صـوت الجماعـة الاسلامية فى باكستان) .

* اعربت الجبهـة الديمقراطية المتحـدة عـن تأيدها للدستور الجديد ورحبت بوعد الحكومـة لها اثناء المحادثات الدستورية بأنها ستسـلك عهدا جديدا مع الاحزاب المعارضة بعد سن الدستور وقد نصحت الجبهة الحكومية بحل المشاكل السياسية فى البلـد واطلاق سراح السياسيين والعمـل الجاد لاعـادة الاسرى الباكستانيين .

(والجدير بالذكر ان هذه الجبهة تشكلـت اخيرا وهي تضم ثمانية احزاب معارضة من بينهـا الجماعة الاسلامية التى يتولـى احـد اعضائهـا فى الجمعية الوطنية سكرتاريـة الجبهـة الديمقراطيـة المتحدة) .

* اغلقت السلطات الباكستانية جامعة السنـد فى حيدر آباد فى اعقاب اضطرابات طلابية وقعـت هناك .

* قام معهد البحوث الاسلامية باسلام آباد بباكستان بنشر كتاب للامام الرازي باللغة الانكليزية بعنوان علم الاخلاق للرازي ، وهو ترجمة انكليزية للكتاب العربي (النفس والروح وشرح قواهما) للرازي .

وقد قام بترجمته وكتابة مقدمته البروفسور محمد صغير حسن معصومي . احتوى على 334 صفحة مع فهارسه وكشافاته .

اوروبـــــا :

اسبانيـــا :

* المستعربة الاسبانية المعروفة الدكتورة ليونور مارتينث مارتان الاستاذة في جامعة برشلونة في اسبانيا صدر لها كتاب جديد في مدريد عنوانه « مختارات من الشعر العربي المعاصر » ويقع في 240 صفحة وقد قدمت له بدراسة وافية قيمة بدات فيها بعصر ما قبل النهضة . هذا وقد اختارت شعراء ترجمت لهم قصيدتين او اكثر مع كلمة تعريف بكل شاعر ، من مختلف انحاء العالم العربي . ومن شعراء لبنان الذين ترجمت لهم : الياس ابو شبكة وصلاح لبكي وبشارة الخوري ورئيف خوري ونقولا فياض وبولس سلامة والبير اديب ورياض معلوف وميشيل طراد ويوسف الخال وثريا ملحس . ومن سوريا : علي احمد سعيد « ادونيس »، وعمر ابو ريشة وزكي المحاسني وعدنان مردم بك وسليمان العيسى ونزار قباني وسلمى حفار الكزبري. ومن العراق : بدر شاكر السياب واحمد الصافي النجفي ونازك الملائكة ومحمد مهدي الجواهري وعاتكة الخزرجي وعبد الوهاب البياتي وهلال ناجي .

* توالي المكتبة الجامعية في برشلونة هذا العام نشاطها في اصلاح ما طرأ من التلف على المخطوطات والمطبوعات القديمة والقيام بعمليات تطهير ما لديها من مجموعات الكتب عن طريق التبخير ، وستبدأ المكتبة خلال هذا العام بطبع كاتالوجات عن الكتب والمجموعات الهامة الموجودة لديها ، ويشتمل المجلد الاول مجموعة المخطوطات التي نشرت بين عامي 1958 و 1968 وتقع في اربعة كتب ، وكذا جرد عام للمخطوطات للرجوع اليه .

* صرح السنيور بلاخا الكاتب المعروف وعضو اكاديمية اللغة الاسبانية ، في مدينة كيتو ، بعد حضوره جلسات المؤتمر الرابع لاكاديميات اللغة المعقود بمدينة كاراكاس : بان الاكاديمية الاسبانية قدمت الى الاكاديميات المراسلة في جميع بلاد امريكا الاسبانية كتابا بعنوان « مجمل قواعد اللغة الاسبانية » ليحل محل القواعد المعمول بها الآن .

* صدر عن معهد الدراسات الاسلامية بمدريد كتاب بعنوان تاريخ الاندلس ووصفه . وقد تضمن هذا الكتاب نصان جديدان يكمل احدهما الآخر فالاول يتناول تاريخ الاندلس وهو قطعة من كتاب (الاكتفاء في اخبار الخلفاء) لابن الكردبوس التوزري الذي عاش في اواخر القرن السادس الهجري .

والنص الثاني يتناول وصف الاندلس او جغرافيته وهو ايضا قطعة من كتاب (صلة السمط وسمة المرط) لابن الشباط المصري التوزري الذي عاش في القرن السابع الهجري وتوفي سنة 681 هـ .

قام بتحقيق الكتاب الدكتور احمد مختار العبادي الاستاذ بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية وطبع في مدريد . احتوى على 241 صفحة .

فرنســـا :

ندد السفراء العرب في باريس بتقرير اصدرته الكنيسة الكاتوليكية الفرنسية ، وزعته في حق اليهود في وجود سياسي خاص بهم ووصفوه بأنه « كفر » .

وقال السفراء انهم لاحظوا بذهول ان الكنيسة الفرنسية تفرض على المسيحيين واجبا الزاميا هو الاعتراف بحق اسرائيل في وجود سياسي .

وقال السفراء العرب « ان التقرير لا يعتبر متحيزا في وقت غير مناسب فحسب بل انه كفر من حيث انه يدعى ان الدولة الصهيونية هي من صنع الله ومن حيث انه يحكم في حد ذاته على الشعب الفلسطيني بظلم الضياع والتشتت » .

اكد المونسنيور بالتي القائم باعمال الفاتيكان في باريس ان موقف الفاتيكان ازاء المشكلة الفلسطينية لم يطرأ عليه اي تغيير ..

* اصدرت هيئة تسمي نفسها اللجنة الاسقفية للعلاقات مع اليهودية ويترأسها المونسنيور (الشنجر) اسقف ستراسبورغ بيانا بعنوان « الاتجاه الاسقفي حول موقف المسيحيين ازاء اليهودية » مؤكدا انهم شعب وفي ويحاول البيان ان يغير صورة الانجيل عن اليهود . وقد اعرب البيان عن الامل في ان يكتسب المسيحيون تفهما جديدا لليهودية كما هي . وطالب البيان كذلك بتفهم وجهة نظر اليهود من تجمعهم في القدس كعقيدة دينية وآمال تاريخية يجب احترامها .

* المستشرق هنري لويس مارتان ترجم الى اللغة الفرنسية كتاب « اغلال القلب » للقاص الاديب ابراهيم المصري . وضع للكتاب مقدمة ضافية عن نهضة الادب الحديث في مصر .

لندن :

* ظهر في لندن حديثا دليل جديد يضم جميع اسماء معاهد علوم المكتبات والجهات التى تقدم دورات تدريبية في التوثيق . ولقد تم نشر هذا الدليل بالتعاون بين اليونسكو وشركة Clive Bingler Ltd. بلندن . وثمن الدليل 9 دولارات ، 3 جنيهات استرلينية ، 36 فرنكا .

* يقوم الباحث العراقي عبد اللطيف محمد باعداد رسالة دكتوراه في جامعة لندن موضوعها تحقيق ودراسة ديوان الشاعر كشاجم ابي الفتح محمود بن الحسن السندي الكاتب المتوفي سنة 360 هـ .

* عين الدكتور وليد عرفات الاستاذ المشارك في قسم اللغة العربية بجامعة لندن بدرجة استاذ في جامعة لانكستر ومديرا لقسم اللغة العربية فيها بعد ان قدمت حكومة الكويت المبالغ اللازمة لتأسيس هذا القسم واشترطت ان يترأسه استاذ عربي. وحكومة الكويت لم تأل جهدا في تقديم المساعدات المالية لاقسام اللغة العربية ببريطانيا فقد سبق لها ان قدمت عشرين الف جنيه لقسم الدراسات العربية بجامعة كمبردج الذى يرأسه سارجنت وقد قدمت كذلك مساعدات اخرى لقسم اللغة العربية والتاريخ في جامعة ايكستر الذى يرأسه الدكتور محمد عبد الحي شعبان .

ايطاليـــا :

* يشترك 125 فنانا ايطاليا بلوحاتهم (من الحفر) في معرض تقيمه قاعة بيلانسيا في مدينة فارس بشمال ايطاليا وذلك مساهمة منها في الحملة الدولية التى تمولها اليونسكو لانقاذ مدينة البندقية .

وتعالج لوحات الفنانين في هذا المعرض الذى سيخصص دخله لانقاذ ملكة بحر الادرياتيك موضوع « البندقية » في عام 1973 .. غدا كالامس » .

بولـونيـــا :

* سيقوم القسم التابع لاكاديمية العلوم البولندية الموجود بمدينة كراكو بمناسبة مرور خمسمائة عام على ميلاد عالم الفلك العظيم كوبرنيكس بنشر نسخة شاملة لكل اعماله بلغتها الاصلية ــ اللاتينية ــ الى جانب ترجمة لها باللغة البولندية واللغة الانجليزية .

كما ستنشر ايضا دراسات باللغة الانجليزية عن كوبرنيكس كجزء من مجموعة « الدراسات الكوبرنيكية » التى يصدرها معهد اوسولينيام بوروكلاو ويشرف الاستاذ ب. سوشودلسكي على اعداد هذه الدراسات للنشر .

يوغوسلافيـــا :

* لا تزال بعض الصحف تردد الاكاذيب والمفتريات حول دخول الجدري في يوغوسلافيا عن طريق الحجاج . ثم هناك اكاذيب اخرى تشيعها بعض الصحف . ومن اغربها وأكذبها ما نشرته جريدة الحياة في بلغراد بأن احد الحجاج من يوغسلافيا اخذ معه ابنه وسافر الى مكة المكرمة والمدينة المنورة بقصد ذبحه على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد اقام رئيس العلماء لمسلمي يوغوسلافيا الدعوى ضد هذه الجريدة وضد كاتب المقالة المذكورة .

* لما احتلت النمسا بلاد بوسنه وهرسك ، شعر المسلمون بأنهم مهددون في امورهم وشؤونهم الدينية من حكم حكومة النمسا ومن المسيحية فقاموا

بمطالبة الاستقلال الذاتي في الشؤون الدينية والتعليمية وبدات حركة الجهاد في سبيل تحقيق الاستقلال الذاتي عام 1901 واستمر الى 1911 حيث حصل المسلمون على الاستقلال الذاتي في الشؤون الدينية .

هولنـــــدا :

※ اقيمت يوم الاحد 15 ابريل 73 على الساعة الثانية زوالا باتريخت حفلة كبرى بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف وقد شارك فيها معظم الجاليات الاسلامية وخاصة الجالية المغربية والجالية التركية بمدينة اتريخت .

وقد حضر هذه الحفلة عدد من الممثلين الدبلوماسيين المسلمين منهم القنصل العام للمملكة المغربية بروتردام والقنصل الجديد بامستردام وسيادة قنصل كل من الجمهورية التركية والمملكة العربية السعودية .

وقد اعد هذه الحفلة كل من « مؤسسة المركز الاسلامي » التركية و « مؤسسة المسجد » المغربية وهدف المؤسستين من وراء هذا اللقاء الهام هو احياء ذكرى المولد النبوي . هذا اللقاء الذى نرجو ان يكون انطلاقا لتوحيد صفوف المسلمين حتى تكون يدا واحدة في هذا البلد الذى يعيش فيه اخواننا المسلمون وقد حضر هذه الحفلة ايضا امام المركز الاسلامي ببلجيكا .

استراليـــــا :

※ نشر البروفسور دنيس ووكر الاستاذ بقسم الشرق الاوسط بجامعة ملبورن باستراليا النداء التالي الى العالم الاسلامي :

بابوا – غينيا الجديدة في حاجة ماسة الى الكتب التى تعرف ملايين السود بالعقيدة الاسلامية.

ارسلوا ما فاض لديكم من المجلات والنشرات والكتب ... الخ .. من الدول الاسلامية باللغة الانجليزية للطلبة السود بالجامعة بغينيا الجديدة .

الاتحـــــاد السوفيـــاتي :

※ انتهى العالم الطشقندي « ماسون » من تأليف كتبه : « اسرار قلعة الاسكندر المقدوني » و « ماضي مدينة كركي » « في خصوص تاريخ المدينة الميتة » . تناول البحث العلمي في الكتاب الاول عدم وجود ما يسمى قلعة الاسكندر المقدوني على نهر جيحون رغما عن ادعاءات كثيرة في هذا الباب ، ولو ان الاسكندر المقدوني قد مكث بها مدة قبل حملته على الهند .

واما ما يتعلق بتاريخ مدينة كركي التى كانت تحمل حتى القرن الثالث عشر الميلادي اسم « زم » فانه يدعو الى اهتمام لدى العلماء الاثريين . وهذه المدينة تقع على ساحل جيحون (آمو دريا) قد تردد اسمها كثيرا في المصادر التاريخية بالقرن السابع الميلادي ونشات قبل الميلاد .

وموضوع الكتاب الثالث هو استمرار لدراسة تاريخ مدينة مرو التى نشات منذ اكثر من الفي سنة وكانت من اكبر المدن القديمة في العالم . واكدت نتائج الحفريات الاخيرة ان البوذية كانت موجودة في هذه المدينة قبل الاسلام . وكانت احدى عواصم الدولة البارفيا مدينة نسا ، مسقط راس المحدث الشهير صاحب احد الصحاح الستة في الحديث احمد بن شعيب النسائي المتوفي سنة 303 هـ .

※ شرع الخبراء في نقل الصور القديمة من « افر اسياب » بضاحية سمرقند ، الى مكانها الجديد ، وذلك بعد استعدادات استمرت حوالي سبع سنين . ويرجع تاريخ تلك الصور الى القرن الرابع الميلادي وتعكس مختلف هيئات الحياة في ذلك العصر .

وقد عكس في احدى الصور قدوم السفراء الى حاكم سمرقند . وعثر فيها ايضا على الخط السغدي الذى يعتبر من احد نماذج الخطوط القديمة .

وان هذه الصور قد احكمت مقدما بواسطة المواد الكيماوية الخاصة التى حالت دون تفتت الصور واخذت تتلألأ من جديد النقوش والبوابات التي رابطت تحت الانقاض مدة 13 قرون .

تم جاء الخبراء من المعهد الارخيولوجي لاكاديمية العلوم الذين كشطوا الصور مع طلائها ، وذلك لاجل نقلها الى مكان جديد في متحف الآثار بمدينة سمرقند .

* من المعروف انه لا يوجد فى كرة الارض مرجع فى الطب غير متصل بطريقة او باخرى بـ « قانون الطب » لابن علي بن سينا ، ولكن ليس احد يدري ان هذا الكتاب الشهير قد الف بخوارزم اثناء اقامة المؤلف بها ايام عمله بمجمع المامون بمساعدة العلماء الكبار بخوارزم .

وقد اثبت هذا الاستاذ عطا نظر عبد الله يف الذي اجرى بحوثا وافية فى تاريخ الطب بخوارزم .

وقدم الاستاذ عطا نظر رسالة الدكتوراه فى هذا الموضوع واحتوت على جوانب متعددة من البحث العلمي ويقول الاكاديمي ب. تيرنوفسكي وغيره من العلماء الكبار ان هذا البحث يمثل صفحة جديدة فى تاريخ الطب .

* تم طبع دائرة المعارف باذربيجان باللغتين الاذربية والروسية وتضم ما يزيد على 60 الف موضوع ، وزينت بالصور الملونة والزخارف النادرة والخرائط ، والفت هذه الخزينة للمعارف بجهود اكبر العلماء المؤلفين ورئيس تحريرها هو الشاعر العالم الاذربيجاني الشهير رسول رضا – مؤلف عدة آثار قيمة وقد ضمت دائرة المعارف موضوعات ومعلومات هامة عن الحضارة العالمية شخصيات بارزة بالدول الخارجية ، كما ضمت معلومات واسعة عن اذربيجان .

* شرعت دار النشر « فن » باوزبكستان فى طبع عدة مؤلفات العلماء القدامى من بينهم مؤلفات العالم العبقري الشهير ابي الريحان البيروني وصدر الآن « كتاب الصيدلة » له حيث جاء وصف ما يزيد على الف من العقاقير المختلفة ، والف العلماء الازبك كتابا جديدا اسمه « البيروني وحياته وآثاره » .

* عثر فى منطقة الثلوج بقازاقستان على كتابة قديمة منحوتة على الصخر ، ويعتقد العلماء ان تاريخ هذه الكتابة يرجع الى القرن الرابع قبل الميلاد اثبتوا انها تتالف من الابجدية التالاسية ، وقرا هذا الخط الاستاذ زين الدين موسى بايف – العضو المراسل لاكاديمية العلوم لجمهورية قازاقستان فاكتشف فيه اسم احد الخواقين الاتراك .

وقال الاستاذ زين الدين ان الشعوب التركية كانوا قد اتحدوا فى دولة ، منذ عدة قرون قبل الميلاد وكان مركزها يقع بوادي ايلى بقازاقستان .

واثبت البحوث ان لهجة هذا الاثر القديم تنتمي الى عصور سحيقة ويثبت هذا وجود دمغة على الصخرة نفسها وتعتبر من اقدم الدمغات حتى الآن فى قازاقستان .

* خصصت اللجنة الوطنية السوفياتية التاريخ والعلوم الطبيعية والتكنيك جلسة لتخليد ذكرى مرور الف عام على يوم ميلاد العالم الموسوعي ابى الريحان البيروني .

وتحدث اعضاء اللجنة عن الدائرة الواسعة الغير معهودة من الاهتمامات العلمية لدى البيروني . وذكروا ان ابحاثه التى وصلت الينا تدخل فى عدد مختلف الفروع من المعرفة ابتداء من الرياضيات والفلك وعلم النبات والجغرافية وعلم المعادن والتاريخ وعلم الاقوام والسلالات وجرى التأكيد اثناء الجلسة على ان البيروني هو احد اوائل الذين قاسوا طول محيط الكرة الارضية .

* عثرت البعثة الاثرية الاوزبكية على بيت قديم فى احد الحارات المركزية بترمذ العتيق ، ويكشف النقاب عن شكل البيوت القديمة فى هذه المدينة ، وبناء البيت قبل الفي سنة الذى يتكون من غرفة استقبال ، وبهو دهليز ، وغرف النوم ، وبنايات اضافية وقد استخدم فى البناء المواد المحلية المختلفة .

وسوف تلقى الضوء الاواني والنقود الذهبية والفضية والخزف التى عثر عليها وعلى الحياة المعيشية والثقافية لسكان المدينة فى عهد الدولة الكوشانية .

امريكـــــا :

* نيويورك : أقامت جمعية البانية بنيويـورك مـسجدا هناك بلغت تكاليفه حوالي 122 الف دولار امريكي ، وقال امام المسجد السيد صالح مفتن ان هذا العمل سيوضح لحاكم البانيـا الشيوعـي انـور هوكـسها ان الشعب لا يزال يريد الحفاظ على عقيدته حية .. هذا ويبلغ عدد اعضاء الجالية الالبانيـة فى امريكا حوالي 20 الف شخص ..

* صدر عن دار المراحل فى سان باولو بالبرازيل « ديوان نصر سمعان شاعر العروبة » نسقه واشرف على طبعه وقدم له رشيد شكور ويقع فى 256 صفحة حجم كبير .

وصلت المجلة ردود ورسائل عديـدة تلفت النظـر الـى ان سلسلة المقالات التى تنشر بالمجلة تحت عنوان : (الاسرة فى الشريعة الاسلامية) للسيد العربي الفاسي هي مستمدة ، وان شئت تقـول : مختلسة لفظا وعبارة من كتاب : (البيت الاسلامي) كما يتجلى ذلـك فى الحلقة الاخيرة من العدد التاسع والعاشر من السنة الخامسة عشرة.

ونحن كان بودنا نشر تلك الردود والرسائل ، ولكن نظرا لطولهـا وتعدد مصادرها ، ارتاينا ان نلخص ذلك فى بعض الصفحات ونشرهـا فـى العـدد الآتـي ..

وان مما يحز في النفوس ويدعو للاسف ان ينزل المـرا بنفسه الى درك الاسفاف والاغارة على مؤلفات الناس وثمرات عقولهم .

فهرس العدد الاول ـ السنـــة السادســـة عشـــرة

صفحة